# الانتحاريون

## دراسة نفسية نحو فهم الإرهاب الانتحاري

تأليف مجموعة من الباحثين

تحرير

أبدش كومار و ماناس ك. ماندال

نقله إلى العربية

تيسير نظمي خليل

راجعه

محمد إبراهيم العبدالله

العبيكان
Obeikan

**Original Title**
Understanding Suicide Terrorism
Psychosocial Dynamics

**Authors:**
Updesh Kumar
Manas K. Mandal

Copyright © Updesh Kumar and Manas K. Mandal, 2014
**ISBN-10**: 9351500349 **ISBN-13**: 978-9351500346
All rights reserved. Authorized translation from the English language edition

Published by arrangement with :
**SAGE PUBLICATIONS LTD, (UK)**

حقوق الطبعة العربية محفوظة للعبيكان بالتعاقد مع سايج للنشر. المملكة المتحدة.

© العبيكان 2015 ـ 1436

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة العربية الأولى 1439هـ - 2018م

نشر وتوزيع العبيكان
المملكة العربية السعودية - الرياض -
طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة
هاتف: 4808654 966+ فاكس: 4808095 966+
ص.ب: 67622 الرياض 11517
www.obeikanpublishing.com

Obeikan Publishing
obeikanpub obeikan.reader

للحصول على كتبنا الورقية
العبيكان
وادي wadi

للحصول على كتبنا الصوتية
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار ضاد للنشر الإلكتروني
WWW.DHAD.SA

للحصول على كتبنا الإلكترونية
Google Play
أجهزة amazon kindle

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

العنوان الأصلي للكتاب

UNDERSTANDING SUICIDE TERRORISM

Psychological Dynamics

نشر الكتاب بلغته الأصلية الإنجليزية في عام 2014

عن مؤسسة سيج للطباعة والنشر المحدودة، الهند

.SAGE Publiation India Pvt Ltd

# المحتويات

الاختصارات ........................................ 7

توطئة ........................................ 9

أبدش كومار و ماناس ك. ماندال

**القسم الأول: الإرهاب الإنتحاري: الظاهرة**

الإرهاب الانتحاري: ترسيم البنية ........................................ 19

سواتي موخرجي، أبدش كومار، وماناس ك. ماندال

شرح الإرهاب الانتحاري: مقاربة نفسية ........................................ 39

لويس دي لا كورت إيبانييس

علم النفس التطوري للإرهاب الانتحاري ........................................ 67

جيمس ر. ليدل وتود ك. شاكلفورد

الإرهاب الانتحاري بصفته ضوضاء اجتماعية: منظور تواصلي ........................................ 89

جوناثان ماتوسيتز

أنموذج مومباي: استكشاف مفهوم ........................................ 109

مارك ديتشيسني

التفجيرات الانتحارية: مقتل القاتل أم سلاح حرب؟ ........................................ 127

رياض حسن

**القسم الثاني: الإرهاب الإنتحاري: العملية**

علم نفس الهجمات الإرهابية الانتحارية ........................................ 153

جيرولد م. بوست، وفرحانة علي، وشويلر جورج هندرسون، وستيفن شانفيلد، وجيف فيكتوروف وستيفان ويني.

الاستشهاد في الفكر الجهادي المتشدد بصفته قصير الأجل ........................................ 187

آن سبيكهارد

هل الإرهابيون الانتحاريون هم انتحاريون؟ ................................. 217
بروس بونغر، يوري كوغل، وفيكتوريا كندريك

دور علماء النفس العسكريين والأطباء النفسيين في فهم الإرهاب الانتحاري ........... 241
أوري كوغل أفادوا، ري بلاك، جوزيف توملينز، إلفين شيخاني، بروس بونغار، مورغان بانكس، واري جيمس Laurie Kugel, Uri
James Larry and Banks, Morgan Bongar, Bruce Sheykhani, Elvin Tomlins, Joseph Black,

إساءة معاملة الأطفال / الشباب واستخدامهم في الإرهاب والهجمات الانتحارية ....... 269
إدنا إيرز وأنات بيركو Berko Anat and Erez Edna

ردع الهجمات الإرهابية الانتحارية ................................. 291
دوشيانت سينغ Singh Dushyant

عن المحررين والمشاركين ................................. 321

## الاختصارات

ASVAB بطارية الكفاءة المهنية للخدمات المسلحة

CHF قصور القلب الاحتقاني

CNN شبكة أخبار CNN

DIPR معهد الدفاع للبحوث النفسية

DoA وزارة الجيش

DoD وزارة الدفاع الأمريكية

DRDO منظمة بحوث الدفاع والتنمية

GIGN فرقة الدرك الوطني للتدخل - فرنسا

9GSG فرقة حرس الحدود - ألمانيا

HADD دراسة أصول المعتقدات من الناحية البيولوجية والنفسية

IDF جيش الدفاع الإسرائيلي

IED الأجهزة المتفجرة المرتجلة (العبوات الناسفة)

ISI جهاز الاستخبارات في باكستان

JCS هيئة الأركان المشتركة

JI الجماعة الإسلامية

LET لاشكار وطيبة

LTTE نمور تحرير التاميل إيلام

MCI حدس الحد الأدنى

MMPI–2 مينيسوتا المخزون الشخصي متعدد المراحل

MOS التخصص المهني العسكري

NCTC المركز القومي لمكافحة الإرهاب

PA TV تلفاز السلطة الفلسطينية

PIJ حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية

PTA مكافحة الإرهاب

PTSD اضطراب ما بعد الصدمة

SERE البقاء على قيد الحياة، والتهرب والمقاومة والهرب

SES الوضع الاجتماعي والاقتصادي

SF القوات الخاصة

SFAS SF التقييم والاختيار

SO العمليات الخاصة

SOCOM قيادة العمليات الخاصة

SOF قوات العمليات الخاصة

USSOCOM قيادة العمليات الخاصة للولايات المتحدة

WMD أسلحة الدمار الشامل

WW–II الحرب العالمية الثانية

# توطئة

إن الإرهاب الذي يصل إلى حد التضحية بالنفس من أجل قتل الآخرين هو أحد أكبر الأخطار التي تهدد الإنسانية؛ نظرًا إلى ما لطبيعته المتأصلة من فتك وما يتركه على الضحايا من أثر فادح، وكذلك على المشاهدين؛ فقد وصل إلى وضع غير مسبوق في إثارة انتباه الباحثين في ظاهرة الإرهاب، وكذلك صنّاع السياسة الباحثين عن حلول أمنية له، فاستخدام تكتيكات الانتحار من قبل مختلف المنظمات الإرهابية أخذ يميل إلى إحداث تأثير كبير وعلى نحو متزايد؛ بسبب الطبيعة المتنوعة للصراعات الجغرافية السياسية -الجيوسياسية- والاستقطابات المتزايدة في العالم الحديث، وهذا الشكل النهائي للإرهاب أثار الخوف والذعر والضعف في جميع أنحاء العالم، وأجبر العالم برمته على أن يكون دائم الأهبة والاستعداد؛ فعدم القدرة على التنبؤ وبراعة الأساليب المستخدمة من قبل الجناة المنفذين، كلف الأجهزة الأمنية السعي لابتكار طرق جديدة للدفاع عن نفسها وعن الضحايا المحتملين في جميع الظروف، وقد أجبرت هذه الظاهرة أيضًا بحوث الإرهاب على التركيز عليه بجهود مكثفة وحماس قوي.

وعلى الرغم من قلة الكتابات الموجودة عن الإرهاب الانتحاري التي تزودنا بعدد لا يحصى من وجهات النظر، والبحوث المتعددة التخصصات التي تقدم تفسيرات متنوعة واقتراح مسارات مختلفة من الفهم، إلا أنه لا يزال هنالك كثير من القضايا المطروحة يتعيَّن كشفها، وفهمها، وتوضيحها على حد سواء بوصفها ظاهرة وصيرورة في آن معًا.

إن وجهات النظر المعقدة والمختلفة من الناحية النظرية لمختلف الدارسين تطرح الإرهاب بوصفه مسألة تحدٍّ؛ من أجل تمكين وجهة نظر موضوعية وعلمية للمسألة برمتها؛ فهذا الكتاب الذي بين أيدينا **نحو فهم الإرهاب الانتحاري: الديناميات السيكولوجية** يحاول أن يأخذ هذا التحدي على عاتقه من خلال رسم خطوط عريضة لوجهات نظر بحثية، قدمها دارسون وباحثون مميزون في هذا الميدان؛ حيث قاموا بغربلة علنية وواضحة للكشف عن الديناميات النفسية الكامنة خلف ذلك.

هذا الكتاب يتعامل بالتدريج مع قضايا هاجعة، ويولد خطابًا يتجاوز المذاهب الدنيوية الممجوجة؛ حيث يحتوي على 12 فصلًا من تأليف علماء وباحثين بارزين في هذا الحقل في جميع أنحاء العالم. ولكي يتم تجميع وجهات النظر المشتركة ودمجها، فقد قُسِّم الكتاب إلى قسمين؛ في القسم الأول وضِعت خطوط عريضة للإرهاب الانتحاري بوصفه ظاهرة، وفي القسم الثاني وضعت خطوط عريضة للإرهاب الانتحاري بصفته نهجًا، وجاء القسمان متوازنان بحيث احتوى كل قسم على ستة أبواب.

يركز القسم الأول على الإرهاب الانتحاري بصفته ظاهرة، ويجمع بشكل مقتضب وجهات نظر الدارسين التي تقدم إطارًا مفاهيميًا لفهم هذه الظاهرة بشكل علمي، بينما يكتسب الكتاب زخمه في القسم الثاني من كشوفات الدارسين عن خفايا ديناميات الإرهاب؛ لجعل القارئ يفهم الإرهاب الانتحاري بصفته نهجًا وليس حدثًا أو واقعة مستقلة؛ فقد بدأ الكتاب ببحث استهلالي بعنوان **الإرهاب الانتحاري: وضع الخطوط العريضة للبنية**، حيث يحاول الباحثون سواتي موخرجي، أبدش كومار، ومناس ك. ماندال كشف القضايا الخلافية المرتبطة في تحديد بنية الإرهاب الانتحاري، وقد تم التأكيد أن ظاهرة الإرهاب الانتحاري ظاهرة متعددة الأوجه. واطلع المؤلفون الباحثون على أطر المعلومات المتوافرة، مستفيدين من المدخلات النظرية والتنموية والاجتماعية الثقافية لتطوير بنية الإرهاب الانتحاري، بدءًا بقضايا التعريف به، والخوض بتعدد وجهات النظر في هذا الميدان. وعلى الرغم من أن الكتاب يسعى لإشباع شغف القارئ بفهم تصوري شامل للإرهاب الانتحاري، إلا أن كثيرًا من الأسئلة ذات الصلة ما تزال من غير إجابة خارج نطاق هذا الفصل.

يتقدم الكتاب بفصوله ليعالج الأسئلة المثارة؛ في الباب الثاني إيبانيز يبذل جهوده كلها لشرح الإرهاب الانتحاري من منظور سيكولوج، ويستعرض هذا الباب أيضًا -على نحو حاسم- فرضيات عدة حول طبيعة هذه الظاهرة وأسبابها، ويقدم كذلك توصيفًا للإرهاب من وجهة نظر سيكولوجية. وجاء النقاش المفصل ليركز على تصور مفهوم الإرهاب الانتحاري أكثر من كونه اضطرابًا اجتماعيًا أو نفسيًا أو حملات انتحارية ذات أفعال نفعية، وغير عقلانية بالمطلق تهدف إلى تحقيق غايات بعينها، يتتبع المؤلف أيضًا تطور ومصدر تمويل الظاهرة بوصفها

بناءً اجتماعيًّا تؤثر فيه مسائل الهوية الاجتماعية بصورة أساسية. علاوة على ما ذلك، يضع المؤلف الخطوط العريضة للديناميات المتعددة الأبعاد المتأصلة في تطور الحملات الإرهابية الانتحارية، ويقدم لنا نقاشًا متبصِّرًا حول عوامل الخطورة المرتبطة بالتحول الإستراتيجي نحو الإرهاب الانتحاري، وبتلك المرتبطة بعمليات الاستقطاب والتطرف الراديكالي التي تدعم الإرهاب بوصفه إستراتيجية قابلة للحياة، ثم يمضي الكتاب بطريقة ممنهجة، ومن خلال دراسة (علم النفس التطوري للإرهاب الانتحاري)، الذي وثقه جيدًا الباحثان ليدل وشاكلفورد اللذان كانا يحثان القرّاء على أن ينظروا إلى ظاهرة الإرهاب الانتحاري من زاوية نظرية النشوء، ويقودانهم في رحلة لاستكشاف الأسباب الخفية الكامنة التي تتجاوز التفسيرات والشروحات المباشرة الواضحة.

يستعرض الباب الثالث المفاهيم والأفكار الرئيسة المتعلقة بعلم النفس التطوري، ويمضي ليساجل بأن ثمة تداخلًا مهمًّا بين الإرهاب الانتحاري والالتزام الديني. استنادًا إلى الفرضية، استعرض المؤلفون بكل وضوح النظريات النفسية التطورية، وما يرتبط بها من بحوث تجريبية ترتبط بالمعتقد الديني، ودرسوا ظاهرة الإرهاب الانتحاري على ضوء ذلك، وسلَّطوا الضوء على اتجاهات عدة واعدة للبحث المستقبلي حول موضوع الإرهاب الانتحاري من منظور النفسي التطوري، ومناقشة الآثار الأوسع نطاقًا في تطبيق علم النفس التطوري على الإرهاب الانتحاري.

يمضي الكتاب ويقدم لنا جوناثان ماتوسيتز المنظور التواصلي، ويشرح لنا الإرهاب الانتحاري بصفته ضوضاء اجتماعية في الباب القادم. من هنا، يتفحص المؤلف الظاهرة من وجهة نظر تواصلية خاصة بصفتها ضجيجًا اجتماعيًّا، ويلفت المؤلف انتباهنا إلى السمات التي تتحلى بها أفعال الإرهابي الانتحاري من أعمال استفزازية وجدلية وتخطيطية، تهدف إلى خلق تغيير في مواقف الناس وفي آرائهم، ويقدم لنا الفصل نموذجًا للمفهوم بوصفه شكلًا معينًا من أشكال التواصل في سياق الاستشهاد في الإرهاب الإسلامي. إن وضع تصور للإرهاب الانتحاري بوصفه شكلًا من أشكال التواصل، والأدوار والأنماط المختلفة للناس في البيئة التي تخلد الظاهرة، وتؤدي إلى النتيجة النهائية من الفوضى العامة، هي نقاط أثارها المؤلف، وقد تم دعمها من خلال تقديم دراسة خاصة بها.

استكشاف المفهوم مع تركيز خاص على أنموذج مومباي هو النقطة المحورية في الباب الخامس التي بنى عليها مارك دتشسني حجته، ويأخذ نمط عملية مومباي الإرهابية أو فدائيي الهجمات الانتحارية بوصفه صنفًا محددًا من الهجمات الانتحارية. إن الهجمات الانتحارية المروعة في 11/26 تتميز بجناة استخدموا القتل العشوائي حتى تم اصطيادهم أو قتلوا على يد قوات الأمن؛ فهذه العملية لا تجد لها مثيلًا أو نظيرًا في التعريف الرسمي للإرهاب الانتحاري المتعارف عليه. وقد قدم الكاتب تفصيلات ساحرة عن هجمات مومباي خارج سياق التعريف الرسمي للإرهاب، في دراسة تحليلية لتكتيكات الإرهاب من منظور أوسع، سواء من حيث إدانة العملية أو من حيث تركيبات الأسلحة وحجم التنسيق والاتصال، ليقدم لنا الكاتب شرحًا خاصًا لفهمه للظاهرة من خلال أنموذج هجمات مومباي كما يراه.

يصل القسم الأول الذي يشرح الإرهاب الانتحاري بوصفه ظاهرة إلى نهايته، بمقالة المؤلف رياض حسن بعنوان **التفجير الانتحاري: مقتل القاتل أم أسلحة حرب؟** حيث يدرس الفارق بين الحرب والإرهاب، ويؤكد أن كليهما قتل للمدنيين، ويفرضان قهر الحيطة والحذر في الإيقاع اليومي للحياة الاجتماعية، وقد تم تعزيز هذا السجال بشكل جيد بمناقشة أمثلة من فلسطين وسريلانكا تنطبق على الحالة التي نحن بصددها. وباستخدام أدلة من الدراسات الاثنوجرافية عن طبيعة الحرب والقتل، يخلص الفصل إلى أن الهجمات الانتحارية، وبسبب مبدأ (الاستبدال) substitutability الذي يتميز به قتل الحرب، يمكن عدُّها سلاحًا في الحرب، ولكن نظرًا إلى أنها تتميز بالقتل المتعمد مع سبق الإصرار للمدنيين، فيمكن عدُّها (جرائم حرب) بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، وبوصفه عالِمًا بارزًا يؤكد المؤلف أن استكشاف معاني الأعمال الإرهابية الانتحارية يتطلب أدوات نظرية ومفاهيمية، وأدوات تفسيرية لا تشوه هذه المعاني.

بعد الجهود التي تبدو ملائمة والتي تضمنها القسم الأول من الكتاب للوصول إلى فهم شامل للإرهاب الانتحاري بوصفه ظاهرة، يأتي القسم الثاني من الكتاب ليغوص في الإرهاب الانتحاري بوصفه عملية، ومع التركيز المكثف حول هذا الموضوع، يتضمن القسم أيضًا ستة أبواب لعلماء بارزين في هذا المجال؛ فالقسم المعني بوضع الخطوط العريضة لعملية الإرهاب الانتحاري يفتتح في الباب السابع بدراسة من تأليف جيرولد م. بوست ومشاركة زملاء له،

بعنوان **سيكولوجية الإرهاب الانتحاري**، حيث يسعى مؤلفو المقالة لتقديم استعراض شامل للفهم الحالي للإرهاب الانتحاري من وجهة نظر الصحة العقلية، ويناقش الفصل المفاهيم الرئيسة والتعاريف، ويستعرض نماذج فردية وعلى مستوى المجموعة لشرح العمليات المعنية في تطوير الإرهاب الانتحاري، كاشفًا العديد من العمليات النفسية التي تخبئ خلفها عملية إرهابية انتحارية، يؤكد المؤلف وزملاؤه الحاجة إلى نهج متعدد التخصصات لتحقيق الفهم الشمولي للإرهاب الانتحاري، ويواصل الفصل التالي في القسم الخطاب نفسه، بمناقشة المفاهيم الأيديولوجية الجهادية المتشددة التي تتناول الشهادة بوصفها إسعافًا أوليًّا سيكولوجيًّا قصير المدى للصدمة والخسارة.

المؤلفة آن سبيكهارد، ترى المفهوم الأيديولوجي الجهادي المتشدد بأنه يوفر إسعافات أولية سيكولوجية على المدى القصير في مناطق الصراع وغير مناطق الصراع؛ حيث توجد نقاط ضعف سيكولوجية عميقة بين المسلمين وبين من تحولوا إلى الإسلام، مع مراعاة الاحتياجات النفسية للشخص الذي يتبع الاسلام. الفصل يناقش كذلك عواقب التعرض للصراعات العنيفة، كاضطراب ما بعد الصدمة النفسية أو الانفصام بالصدمة، ويتتبع تطور الولاء للأيدولوجيا الجهادية بحثًا عن علاج لهذه الصدمات.

ومن المفترض أن العملية تتطور بقوة خصوصًا في المجتمعات التي لا تتوافر فيها أنواع أخرى من المساعدة النفسية أو يعدونها مسيئة للسمعة.

إن العملية الكامنة وراء ظاهرة الإرهاب الانتحاري تثير سؤالًا جوهريًّا، وهو هل الإرهابيون الانتحاريون هم فعلًا انتحاريون؟ وقد بذل كل من بروس بونغار، أوري كوغل، وفيكتوريا كندريك جهدًا في الإجابة عن هذا السؤال في الفصل التاسع؛ فقد حاولوا الإجابة عنه بتقديمهم للأدبيات الحالية وتحليل الإرهاب الانتحاري من وجهات نظر مختلفة عديدة؛ مثل الفعل نفسه، والخلفية التحفيزية للانتحاريين، والعنصر التنظيمي للإرهاب الانتحاري، والملفات السيكولوجية للانتحاريين. التصنيف الكلاسيكي للانتحاريين: أنانيتهم، وإيثارهم، وشذوذهم anomic *

* الشذوذ: الشذوذ هنا حالة الفرد أو المجتمع التي تتسم بتعطيل الأعراف والتقاليد أو انهيارها أو غيابها.

التي جاءت بها دوركهايم نوقشت لبيان أوجه التشابه والاختلاف بين العمليات الانتحارية والإرهاب الانتحاري.

هذا الفصل يؤكد الطبيعة المتعددة الأبعاد والمتعددة التحديد للهجمات الانتحارية والعملية المؤدية إليها، والتي تميزها بشكل كبير عن الأعمال الانتحارية الأخرى. يتوسع الحوار إلى خطوط مماثلة، في الفصل التالي يحاول أوري كوغل وزملاؤه تحديدَ دور علماء النفس والأطباء النفسيين العسكريين في فهم الإرهاب الانتحاري؛ فقد حاول المؤلفون أن يثبتوا أن الإرهاب الانتحاري يتحقق من الالتزام النفسي بقضية محددة، جنبًا إلى جنب مع تأثيرات المجموعة، والدور الحاسم للتدريب والاختيار. ويظهر الفصل الحاجة الماسة إلى فهم الإرهاب الانتحاري باستكشاف ما جاء به علماء النفس العسكريون والأطباء النفسيون، ومن معرفتهم بمعايير التجنيد والتدريب والاختيار، بحيث يمكن أن يؤدي ذلك الى الفهم الحالي للتجنيد والتدريب وانتشار الإرهابيين الانتحاريين، ويُجري المؤلفون مقارنات وتمايزات مثيرة للاهتمام لعملية الاختيار، والتجنيد، والتدريب، وتحفيز أفراد القوات الخاصة من خلال ذاك الإرهاب الانتحاري، ويظهرون القواسم المشتركة والاختلافات الشديدة كلها لجعل فهم القارئ أكثر توافقًا.

مع اقتراب الكتاب من نهايته يتناول المقال الحادي عشر قضية حساسة هي إساءة معاملة الأطفال/ الشباب واستخدامهم في الحرب وفي الإرهاب والتفجيرات الانتحارية؛ حيث يقدم المؤلفان آيرز وبيركو عرضًا شاملًا لطرق إساءة معاملة الأطفال واستخدامهم في الحرب والإرهاب، وتوظيفهم لخدمة المنظمات العسكرية والإرهابية، وأسباب تجنيدهم فيها، والمنافع التي يجنونها من ذلك التجنيد في العمليات الانتحارية. كل ذلك نوقش بالتفصيل من قبل المؤلفين الذين اتخذوا من الصراع العربي الفلسطيني الإسرائيلي مادة دراسية؛ لتسليط الضوء على أساليب التلقين المستخدمة للتأثير في الأطفال للانضمام إلى الإرهاب والعمليات الانتحارية، والطريقة التي يشارك بها الأطفال وتقييمهم لتجاربهم، ويبحث المؤلفان بالتفصيل الآثار السلبية المترتبة على الأطفال الذين يعيشون في مناطق الصراع، وتورطهم في الأعمال العدائية المسلحة، والآثار المترتبة على السياسات، وكذلك عن احتياجهم للأعمال الاجتماعية والسياسية التي نوقشت في سطور.

الفصل الأخير من الكتاب يلخص الخطاب بأكمله، ويصل إلى جوهر المسألة من الجانب الأكثر أهمية من أجل (ردع الإرهاب الانتحاري). المؤلف، وهو خبير أمني؛ اللواء دوشيانت سينغ يشترك في المساعي الهادفة إلى تطور عملي في إستراتيجيات مكافحة الإرهاب الانتحاري، ويقترح أن إستراتيجية ردع محددة متطورة باستخدام الردع التراكمي ستعمل بشكل أفضل ضد الإرهاب الانتحاري. الفصل يبني حجة للردع استنادًا إلى قاعدة بيانات مفصلة لمشروع شيكاغو في الأمن والإرهاب، ويحدد العناصر الرئيسة في الردع. أخيرًا، يضع المؤلف في المحصلة نقاطًا محددة من التدخل على المستوى الفردي والعائلي والتنظيمي والمجتمعي، الذي أثبت فاعليته في ردع الهجمات الانتحارية.

وينطوي الإرهاب الانتحاري على موضوع معقد للغاية، ويشتمل في الوقت نفسه على مساحة واسعة ومتنوعة من الخبرات العلمية، إضافة إلى جزء أساسي من السياسة الأمنية. إن تحرير كتاب حول الإرهاب الانتحاري يعد ممارسة هائلة للغاية؛ فقد كانت تجربة مجهدة ومفيدة بالنسبة إلينا لنضع معًا بشكل توليفي آراء الخبراء وقول العلماء كما جاء في هذا الكتاب، ونأمل لهذا الجهد أن يثمر ليس فقط بإضافة وجهات نظر من تخصصات مختلفة، وصولًا إلى بحر من الكتابات حول هذه القضية، وإنما باتخاذنا خطوة أقرب إلى التحليل العقلاني لقضية غامضة حول الإرهاب الانتحاري، وبمساعدتنا على التوصل إلى فهم شامل للديناميات النفسية الاجتماعية الكامنة خلفه.

إن أي مشروع بهذه الكثافة لا يمكننا إنجازه تمامًا بمفردنا؛ فقد كان هناك أناس من حولنا قدموا التشجيع والتفهم والدعم برباطة جأش خلال هذه المهمة، ونحن نعرب عن امتناننا لهم أفرادًا ومجموعات على مساعدتهم وتسهيلاتهم لنا، ونحن ممتنون كذلك لمعهدنا؛ معهد الدفاع للبحوث النفسية (DIPR)، والموجهين لنا في منظمة بحوث الدفاع والتطوير (DRDO)؛ لتزويدهم لنا بجميع أنواع الدعم والتشجيع.

لقد كانت في الواقع تجربة مجزية لنا أن نحرر كتابًا يضم بين طياته ليس فقط معارف وتخصصات متنوعة لخبراء وباحثين بارزين، وإنما أيضًا خبرات ثقافية متنوعة لهم؛ نتقدم بخالص الشكر لجميع المساهمين في هذا الكتاب، ونتطلع إلى مواصلة العمل الجماعي معهم؛

من أجل التطوير والربط بين البحوث والسياسات، بطريقة تكون قادرة على استنباط الردع الفعال ضد الإرهاب، وسوف نظل دائمًا مدينين للأحبة أفراد أُسرنا الذين شجعونا دائمًا، وزوَّدنا بالرعاية الكاملة والدعم لإكمال هذا الكتاب في مدة قصيرة من الزمن. نحن مضطرون أيضًا للاعتراف بالجهود التي قدمت من قبل المراجعين المجهولين من الأساتذة المتميزين، والتي دون مشاركتهم ما كان لهذا الكتاب أن ينجز في شكله الحالي، ونأمل أن يشكل هذا الكتاب مساعدة للقارئ بطرق متعددة، وأن يكون معزِّزًا لشعور أكبر بالأمن، عن طريق جعل الناس على بيِّنة من ديناميات أعمال الإرهاب.

أبدش كومار و ماناس ك. ماندال

# القسم الأول

## الإرهاب الانتحاري: الظاهرة

1

# الإرهاب الانتحاري: ترسيم البنية

سواتي موخرجي، أبدش كومار، ومناس ك. ماندال

الإرهاب هو التحدي السياسي والإستراتيجي الأكبر في زماننا، والبديل الرئيس للإرهاب في العصر الحديث هو الإرهاب الانتحاري الذي يقتل مرتكبوه أنفسهم ليحدثوا ضررًا شاملًا؛ فهو يختلف عن الإرهاب التقليدي، لكنه ينفذ بالغرض نفسه من حيث خلق هستيريا جماعية وتهديد للحياة الطبيعية؛ فالإرهابيون الانتحاريون لديهم دوافع شخصية واجتماعية وبيئية محددة، وتشكل تحدِّيًا للعلماء من حيث الوصف والتقييم والتنبؤ بمثل هذا السلوك، وقد تحدت هذه الظاهرة أي تفسير لها حتى الآن، على الرغم من الجهود السياسية والإستراتيجية والمستويات العلمية المنشغلة بها.

هناك تفسيرات بعامل واحد أثبتت عدم كفايتها على نحو كبير، وهناك مقاربات لها أسبابها المتعددة تؤكد وجود التفاعل الديناميكي بين العديد من المتغيرات السببية، ومع ذلك لا تنجح في الإجابة عن القضايا الخلافية الثابتة. أما الأطر النظرية التكاملية التي تأخذ في الحسبان المساهمات الفردية، والديناميات التنظيمية، فضلًا عن الهيكلية أو المتغيرات البيئية، فلم تكن قادرة على الصمود أمام اختبار القدرة على التنبؤ.

على الرغم من أن الإرهاب يظهر- وعادة ما يصور على شكل قضية سياسية- فإن المشكلة تظل إذا ما (جردت إلى الأساسيات نموذجًا للسلوك البشري الغامض). (Victoroff, 2005, p. 4)؛ فقد جرى التأكيد أن تطوير إستراتيجيات إدارة فعالة تحدُّ من خطر الإرهاب يعتمد على اكتساب فهم العقلية الإرهابية (Clayton, Barlow, & Ballif–Spanvill, 1998 Wardlaw, 1989). فالإرهاب أداة في يد مرتكبيه تستخدم لبث الخوف في عقل الهدف، وتعطيله عن إجراء

تقييمات الخطر الموضوعي (Schmid, 2005)، وبهذا المعنى فهو سلاح أقوى من الحرب النفسية عندما يعطل قدرة الهدف على التنبؤ.

الإرهابي الانتحاري لديه فاعلية مضاعفة في هذا السياق ذلك أن الدوافع والنوايا والإستراتيجيات من وراء فعل التخلي عن حياة شخص ما من أجل إلحاق الضرر أو ترويع الهدف لم تكن مفهومة حقًّا في مجملها.

## مسائل التعريف

لم تكن مسألة تعريف الإرهاب وراء الخلافات والادعاءات. وبالمثل، فإن مراجعة الأدبيات المنشورة عن الإرهاب الانتحاري تكشف عن الجدال المعني (Crenshaw 2007). عندما راجع كرينشو 13 كتابًا من مؤلفات العلماء البارزين في هذا المجال، أظهر النقص الحاد في التوافق في تعريف الإرهاب الانتحاري؛ فقد تأكد أن معظم الخلافات حول التعريف تنبع من الشكوك التي ينطوي عليها استخدام التسمية الإرهاب؛ ومع ذلك، فإن مصطلح الانتحار أيضًا تجنبه العديد من الباحثين الذين ينظرون إلى العمل من منظور ثقافي لمجتمعات محددة (على سبيل المثال، افتراض الاستشهاد يرتبط بمفاهيم إسلامية تتعلق بالاستشهاد- أي عمل استشهادي وفاء للأوامر الدينية). قد لا يكون بالضرورة عَدُّ فعل الانتحار شجاعة أو حتى من الأفعال المرغوب فيها في مجتمع معين، ومن ثم فالهجمات على العدو التي تسبب لمرتكب الجريمة فقدان حياته لا يجوز النظر إليها على أنها انتحار على الإطلاق. الفشل الواضح للأمم المتحدة في التوصل إلى تعريف لهذه الظاهرة تقبل به الدول الأعضاء جميعها (O'Connor, 2011) ويعكس طبيعة الإرهاب المثقلة بالقيم؛ فالإرهاب في حد ذاته، وبخاصة الإرهاب الانتحاري كونه مثقلًا بالشروط القيمية لا يمكن تعريفه بطريقة محايدة سياسيًّا؛ فالطبيعة الخاصة لهذه الظاهرات تضيف إلى الاختلافات رؤية الباحثين المختلفة تجاه أعمال الإرهاب الانتحاري، وكيف يضعون تعريفًا له، ويحاولون التنبؤ به، معتمدين في ذلك على أماكنهم الخاصة ومواقعهم القيمية التي يفضلونها في السياقات المحددة التي اختاروا دراستها.

استنادًا إلى القواسم المشتركة والتباين في الأدبيات، يمكن تعريف الإرهاب الانتحاري على وجه الاستعجال بأنه هجوم عنيف بدوافع سياسية، نفذ بشكل متعمد وفي وعي تام ومعرفة كاملة بموت منفذه، لكن-وكما أكد العلماء (على سبيل المثال، Bloom, 2005; Crenshaw, 2007)- فإن الإرهاب الانتحاري ليس ظاهرة موحدة، وهناك اختلافات في مدى عَدِّ (المعرفة والقصد من الموت بالفعل) هو جوهر هذه الظاهرة، في حين أن بعض العلماء يؤكدون أن حتمية وفاة الفاعل لنجاح المهمة ضروري لوصف هذه العملية بالهجوم الانتحاري (على سبيل المثال، Ganor, 2007)، وبعضهم الآخر مثل مراري Merari (1990، ص 192) لا يدعم مثل هذا الموقف الصارم، ويلتزم بالنوايا الانتحارية في مثل هذه الهجمات بمجرد أن (يستعد للموت في تنفيذ العمل الإرهابي)؛ فالتعريف الذي يمكن أن يقبله أحدنا هو الذي يحدد النطاق الذي يقع فيه الهجوم إن كان هجومًا انتحاريًّا أو إرهابًا انتحاريًّا؛ وعليه فقد تضمنت الأحكام القيمية ثلاثة مستويات على الأقل:

1. تقرير اصطلاح تسمية فعل معين كعمل من أعمال الإرهاب.
2. وتحديد ما إذا كان الهجوم انتحاريًّا بالفعل على أساس القصد المتعمد.
3. قبول هؤلاء المهاجمين على أنهم انتحاريين.
4. استخدام حياة المرء بوصفها سلاحًا يسبب الضرر الإجمالي للعدو ليس جديدًا؛ فقد كان السلاح الأكثر فتكًا وفي يد الطرف الأضعف في الصراع غير المتماثل من الناحية المالية أو التكنولوجية.

وقدمت للطرف الأضعف ميزة التفوق على الخصم القوي الذي أنشأ وهمًا بأنه لا يقهر، وكما يقول أتران Atran (2003, p. 1534): (الهجوم الانتحاري ممارسة قديمة بتاريخ حديث)؛ فهناك أمثلة وافرة في جميع أنحاء العالم وفي مختلف الثقافات استخدمت أو واجهت هجمات انتحارية، الأمثلة القديمة التي غالبًا ما يستشهد بها هي لتلك الطائفة اليهودية من المتعصبين (sicari) إبان الاحتلال الروماني ليهودا، وما قامت به حركة الحشاشين الإسلامية في وقت مبكر من الحروب الصليبية (Lewis, 2002). وأمثلة أقل شهرة لفرق انتحارية شكلها ملوك تشيررا (Chera) في الهند في القرن الحادي عشر؛ لمواجهة القوة العسكرية المتفوقة لتشولا

منافس الإمبراطورية (Menon, 1967). ابتداءً من القديم خلال العصور الوسطى وحتى العصر الحديث، التاريخ مليء بحالات استخدام الحياة بوصفها سلاحًا، وقد تم توثيق حالات تفجير الجنود الهولنديين لأنفسهم ومواقعهم وأعدائهم في أثناء حرب السيطرة على تايوان في 1661 (Yonghe, 2004)، بالإضافة إلى اليابانيين الطيارين الكاميكاز خلال الحرب العالمية الثانية، ومتطوعي الموت في فييت مينه بعد الحرب العالمية الثانية، الذين فجروا دبابات العدو باستخدام عصا طويلة مثل المتفجرات، كلها أمثلة معروفة. وابتداء من أوائل الثمانينيات في منطقة الشرق الأوسط، أخذت الهجمات الانتحارية تنتشر على المستوى العالمي خلال العقدين الماضيين، مع منظمات مثل حزب الله، ونمور تحرير التاميل، إيلام (LTTE)، وحماس والقاعدة، الذين اختاروا الهجمات الانتحارية في عالم يزداد استقطابًا، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، وقد تضافرت الجهود منذ ذلك الوقت لتحديد معالم هذه الظاهرة.

## وجهات نظر مختلفة

جاءت وجهات النظر المختلفة بمستويات متباينة من التحليل للظاهرة؛ على سبيل المثال، تتبع الدافع لإطلاق حملة انتحارية يتطلب تحليلًا إستراتيجيًا، بمواجهة تحليل العوامل التي تحفز الأفراد على التطوع لمثل هذه الحملات، والذي يحتاج إلى تحليل بنيوي على المستوى الفردي (Ismayilov, 2010). وبشكل مشابه، محاولات شرح الإرهاب الانتحاري إما بعرض هذه الظاهرة على أنها اختيار عقلاني، جاء في ظل ظروف معينة، أو محاولة لشرحها بعيدًا عن ذلك كونها انحرافًا في سلوك غير عقلاني؛ إن أوجه التباين والتنوع في العوامل المتعددة لهذه الظاهرة كثيرًا ما قادت العلماء إلى التأكيد أن الملامح النفسية لمرتكبي الهجوم الانتحاري ليست ممكنة التحديد (Merari, 1990). افتراض آخر شائع هو أن الخصائص التي يتحلى بها الأفراد الانتحاريون لا تنطبق على المهاجمين الانتحاريين (Israeli, 1997)، بيد أن هذه الافتراضات تم الطعن بها (على سبيل المثال، Lester, Yang, & Lindsay, 2004)، الذي أكد عدم كفاية البيانات التي استُخلصت هذه الاستنتاجات منها والطبيعة القصصية لمعظم الأدلة في هذا الموضوع.

**الإرهابيون هل هم انتحاريون ؟**

كثيرًا ما يثار سؤال وثيق الصلة وهو إذا كان مرتكبو الهجوم الانتحاري في الواقع انتحاريين. كما أوضح ليستر Lester وآخرون (2004) بأن هناك صعوبة واضحة بخصوص التأكد من وجود عوامل خطر الانتحار بين هؤلاء الأفراد؛ لأنهم بفعلهم هذا يضعون حدًّا لحياتهم. وعلاوة على ذلك، لم يكن ممكنًا الحصول على بيانات واسعة عن تاريخ الجناة الذين يُلقى القبض عليهم قبل ارتكاب الهجوم، وبناءً على ذلك، هناك عدد قليل جدًّا من الأفكار المكتسبة في العمليات النفسية المعنية؛ إحدى الوسائل المحتملة للتغلب على هذه الثغرة هي دراسة السلوكيات التي لا تنطوي على هجوم انتحاري، بل ترتبط ارتباطًا وثيقًا به.

أحد هذه الانحرافات السلوكية التي تمت دراستها على نطاق واسع هي جرائم القتل والانتحار التي تنطوي على حدوث أعمال تخريبية وثيقة الصلة بالشخص نفسه؛ فكل من هذه السلوكيات هي تعبيرات معادية للعدوان البشري (Liem & Nieuwbeerta, 2010)، وتتيح الفرصة لفهم ديناميات كل منها على حد سواء. وإن كان في الثقافات الغربية معظم جرائم القتل تنطوي على ضحية واحدة، وعادة ما تكون حميمة كالشريك أو أحد أفراد أسرته، فإن جرائم القتل المتعددة تبقى شائعة في معظم المجتمعات؛ فسلوكيات جرائم القتل التي تحدث في مختلف الثقافات، تشمل نوبات عنيفة وصفها كوبر Cooper (1934)، مثل أموك في ماليزيا، والذهان Wihtico psychosis (بين كري الهنود، والفرنسي القفاز في كندا، والحركة الإسلامية لأوزبكستان -imu- في اليابان)؛ فالملامح النفسية النموذجية لمرتكب الجريمة في حالات الانتحار وجرائم القتل تبدو على الأغلب عند شباب سلبيين وعدوانيين، ثقتهم بأنفسهم ضعيفة، وغير آمنين، وغير أكفياء اجتماعيًّا، ومن الذين يستخدمون أحيانًا المخدرات والكحول، ويظهرون الميل للسلوك الانفجاري، وكثيرًا ما تتضمن خلفيتهم العيش في كنف أسرة مفككة، بما في ذلك الاعتداء الجنسي عليهم في مرحلة الطفولة (Palermo, 2007, p10). باليرمو Palermo (1994) ينظر إلى جرائم القتل والانتحار على أنها انتحار موسع، وبالمثل ينظر فرويد Freud (1961/1920) إلى كل من الانتحار وجريمة القتل على أنهما تعبير عن العدوان، والانتحار بوصفه دافعًا لقتل الآخر تحول إلى الداخل على الذات. فرضية الإحباط- العدوان (Dollard, Doob,

(Miller, Mowrer, & Sears, 1939) يفسرون العدوان على أنه نتيجة إحباط بسبب فشل جهود تحقيق الهدف؛ فالسلوك العدواني لديه إمكانية أن يظهر على شكل من أشكال العدوان العدائي أو العدوان الذرائعي (Feshbach, 1964)، ويهدف العدوان العدائي في المقام الأول إلى تدمير أو إلحاق الأذى بالهدف، في حين أن دور العدوان الذرائعي يتميز أنه موجه لتحقيق الهدف المرجو، فالعدوان هنا ذرائعي، الغاية منه تحييد العوامل التي ينظر إليها على أنها تسد الطريق نحو الهدف المطلوب. دولارد وآخرون (1939) أكدوا أن مثل هذه السلوكيات العدوانية قد تكون موجهة نحو مصدر الإحباط، أو قد تستبدل لتحل محل الأهداف، وتزداد السلوكيات العدوانية أو تتناقص بحسب القصد المتصور وشرعية وكلاء المنع (Berkowitz, 1989).

الاعتماد الوحيد على مثل هذه التفسيرات يرتكز على العمليات النفسية الفردية، دون إدماج ديناميات اجتماعية وثقافية كبيرة، غير أنه قد يكون غير كاف على الإطلاق لفهم ظاهرة الإرهاب الانتحاري المعقدة، فمهمة تفهم الإرهاب (الانتحاري) تبدأ بالبحث عن الأسئلة من الذين كانوا وراء إحباط أهدافهم، وما الأساليب التي اتبعت، ومن الذي نظر إلى موقفه على أنه شرعي في المشهد العالمي، وديناميات السلطة المعنية بين الدول أو الجماعات غير الحكومية تحتاج جميعها إلى إجابة إذا كنا نريد صورة ذات معنى في هذا الشأن. مثل هذه القرارات الإسنادية تستحضر قضايا ذات دوافع سياسية، وتأثيرات اجتماعية ثقافية، وأحكام قيمية تميز العنف السياسي بشكل عام، والإرهاب الانتحاري على وجه التحديد.

### محاولة لتفسير العصبية الحيوية

مع التقدم الهائل الذي تحقق في مجال علمي الوراثة والعصبية الحيوية، تظهر نقطة خلافية إن كانت الهجمات الانتحارية أو العنف السياسي -بشكل عام- يمكن تفسيره أو التنبؤ به استنادًا إلى هذه الاستعدادات أو الميول؛ فعلى الرغم من قوة التفسيرات الاجتماعية والثقافية للإرهاب الانتحاري، إلا أنها تفشل في رواية القصة كاملة (Post, 2005a). يبقى السؤال الذي لابد من الإجابة عنه، وهو: لماذا يتعرض عدد قليل من الأفراد في المجتمع للقمع والصراع أو الظلم المتعمد، حتى يختاروا التصرف بطرق قاتلة أو إيثارية، ويمنحوا حتى حياتهم لإنقاذ

الآخرين أو الإضرار بالعدو؟ اتباع نهج العصبية الحيوية إضافة إلى النهج القائم قد يشكل قيمة مضافة في المساعدة على تحديد الأفراد الذين هم الأكثر ضعفًا في بيئات معينة، وقد اقترح الحاتمي Hatemi وماكديرموت McDermott (2012) مستوىً من التحليل الفردي، يمكن من خلاله الحصول على ميزات البيئة الاجتماعية وطرق قصصية سردية للتحليل واتخاذ القرار.

وهما يدافعان عن استخدام النموذج الذي يستند إلى علم الأعصاب وعلم الوراثة السلوكي لفهم العنف السياسي، ويحددان موقع المزايا الآتية التي يتصورانها:

1. قياس آثار الجينات، والبيئات، وتفاعلها مع السلوك.
2. تحديد السياقات الوراثية والبيئية المحددة التي تؤدي إلى مثل هذا السلوك.
3. وضع نموذج شامل للمسارات البيولوجية والاجتماعية للعنف السياسي.
4. التعرف على السكان في ظل ظروف محددة تشكل انتشارًا أعلى أو أدنى لجينات معينة، أو آليات العصبية الحيوية أو البيئية التي تشكل مسؤولية متزايدة عن العنف السياسي.
5. وضع آليات لتحديد الأفراد ضمن السكان المعنيين الذين هم أكثر عرضة للخطر بارتكابهم أعمال العنف، فضلًا عن أولئك الأكثر مقاومة لمثل هذا العمل.
6. خلق الردود البيئية التي يمكن أن تخفف الخطر عند هؤلاء الأفراد.

الاستكشافات المبكرة التي تتناول العوامل الفردية التي تدفع إلى العنف السياسي ركزت على علم النفس الفردي (على سبيل المثال، Post, 1998). ومع ذلك، وعلى مر السنين بات واضحًا أن طريق علم النفس المرضي ليس له علاقة في معظم حالات العنف السياسي، سواء كان الإرهاب أو الإرهاب الانتحاري (على سبيل المثال، Atran 2003; Ruby, 2003). استكشاف المتغيرات على المستوى الفردي التي تقف وراءها الأمراض النفسية التي تزيد من الميل للمشاركة في أعمال الإرهاب أو الإرهاب الانتحاري لم يؤخذ بها حتى الآن؛ ففي ظل غياب الأدلة التجريبية المباشرة، فسيكون من التكهن فقط مناقشة الفروق الدقيقة في علم الأعصاب أو الجينات السلوكية التي تنطوي على سلوك عنيف في سياقات محددة من الإرهاب.

ووجهة نظر السلوكية التطورية بشأن الانتحار الذي تستفيد منه مجموعة ينتمي إليها، كانت قد طرحت من قبل دي كاتانزارو de Catanzaro في عام (1986، 1991، 1995)، الذي أكد أن سلوك التدمير الذاتي تحت ظروف معينة يضمن للمرء إرثًا جينيًّا بضمان بقاء الفرد في المجموعة، والتضحية التي يقوم بها نخبة من أفراد المجموعة قد تكون الطريقة المتطورة لضمان أن المجموعة الأكبر حجمًا لديها دفاع معزز، أو لديها انخفاض في الأعباء التي تقع على كاهلها؛ إن البحوث المستقبلية من هذا المنظور قد توفر إجابات لكثير من الأسئلة التي أتعبت العلماء في مجال الإرهاب الانتحاري.

**السياق الاجتماعي للانتحار**

ثمة اقتراح وثيق الصلة بـ (الانتحار الإيثاري altruistic suicide) يقدم الدعم للمنظور التطوري؛ هذا الاقتراح السوسيولوجي الذي ينظر إليه غالبًا من خلال تأثيره في فهم الإرهاب الانتحاري، هذا الفهم بصفته فعلًا متجذرًا ليس ضمن الفرد، وإنما في العمليات المجتمعية (Durkheim, 1897/1951). أكد دوركايم أن حدوث كل من الانتحار والقتل تحدده درجة التماسك والتنظيم الاجتماعي في المجتمع، وتعزيز الاندفاع في المجتمعات غير المنظمة في أوقات التغير الاجتماعي السريع يسبب حالة من الإرهاق الشديد (ص 257)؛ على الصعيد الفردي يجعله يرتد على نفسه ليقع في ( الانتحار) أو على الآخر مسببًا (القتل). أما تصنيف الانتحار الذي أشار إليه دوركايم Durkheim (1897/1951)، فيقترح فيه أربع فئات من الانتحار: الأناني، والشاذ، والإيثاري، والقدري أو المميت. رغم أن دوركايم لا يتصور إمكانية استخدام حياة شخص ما سلاحًا لقتل الآخرين، إلا أن بيرلغر، بيداهزور، وينبرغ Pedahzur, Perliger, and Weinberg (2003) يجادلون بأن الصنفين الأخيرين من الفئات المذكورة أعلاه، وهما الانتحار الإيثاري والانتحار القدري يمكن أن يقدما مساهمات مهمة لفهم ظاهرة الإرهاب الانتحاري.

يحدد دوركايم الانتحار الإيثاري بأنه فعل التخلي عن حياة أحد الأشخاص من أجل ضمان تحسين المجموعة التي ينتمي إليها هذا الشخص. في هذا المعنى، الاندماج المطلق للفرد في المجموعة أو المجتمع هو الشرط الأساسي للانتحار الإيثاري، وفي هذه الحالة يعد الانتحار

واجبًا اجتماعيًّا. يؤكد جونسون (1979) أن اندماج الفرد في الجماعة يجب أن يكون كاملًا لدرجة يشعر فيها الفرد أن حياته شيء ثانوي أمام مصلحة الجماعة. ستاك Stack (2004، ص. 10) يصف لنا أربعة ملامح رئيسة للانتحار الإيثاري: حالة من الاندماج المجتمعي المفرط بشكل غير طبيعي، وهذه الحالة تلقى الدعم والتعزيز من عموم المجتمع، وتعود بالنفع على المجتمع ماديًّا أو ثقافيًّا، وغالبًا ما تتسم بالعاطفية الإيجابية. غير أن الانتحار الإيثاري هو السمة المميزة للمجتمعات التقليدية التي تمر بها التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية (Johnson, 1979). وهذا المفهوم يمكن أن يناسب شرح سبب ارتفاع التفجيرات الانتحارية في المجتمع الفلسطيني (Brynen, 1995; Riemer, 1998; Sirriyeh, 2000). ويقدم لنا دوركايم Durkheim (1951/1897) أنواعًا فرعية من الانتحار الإيثاري: إجباري، واختياري، وحاد؛ الانتحار الإيثاري الإجباري تمليه معايير المجتمع، وينظر إليه على أنه واجب ثقافي؛ أما الانتحار الإيثاري الاختياري، وإن لم يكن ينظر إليه على أنه واجب، فلا يزال يؤيده أو يشجع عليه المجتمع في ظل ظروف معينة. في حين أن انتحار الإيثاري الحاد يستبعد فكرة الإكراه، وينفذه الفرد عن طيب خاطر من أجل تحقيق هدف أكبر من الذات.

العلماء (على سبيل المثال، بداهزور Pedahzur وآخرون آل 2003؛ Stack، 2004) يرون أن تصنيف الانتحار الإيثاري الحاد ينطبق بجدارة على خصائص الإرهابي الانتحاري المعاصر، الذي ينغمس كاملًا في المجموعة (Young, 1972)، ويدفع نفسه إلى الموت من فرط الإيمان والحماس لديه ومن تلقاء نفسه وبمحض إرادته (Pedahzur et al., 2003). لو دققنا في جميع أنحاء العالم بأحداث الإرهاب الانتحاري وملامح الجناة، سنرى أن المنظمات المسؤولة عن هذه الهجمات هي المنظمات التي لديها ثقافة جماعية تستوعب الهوية الفردية؛ فالمعتقدات الدينية والثقافية التي يتقاسمها الأعضاء تجعلهم يعتقدون بمجد الموت من أجل تحسين الجماعة والوعد بآخرة مجيدة (Stack, 2004). هذه المعتقدات تجد ضالتها في مقترحات الانتحار الإيثاري الحاد، حيث فعل الانتحار طوعي وغير ملزم، ويحدث في أجواء غير محزنة، لكن مع عقيدة إيمانية راسخة بوجوب تحسين المجموعة التي ينتمي إليها.

مع الإيثار الذي تنطوي عليه الهجمات الانتحارية، ينزلق ستاك (2004) إلى العنصر القدري القاتل؛ فالانتحار القاتل ناجم عن حالات القمع المستمرة التي على ما يبدو لا مناص منها (Johnson, 1979; Taylor, 1982). Stack (1979، ص. 162):

> الانتحار القدري القاتل. . . وهو من نتائج الإفراط في التنظيم، مثل الأشخاص الذين بلا مستقبل، والذين طموحاتهم خنقها الانضباط القمعي، الذين يعيشون تحت معاناة جسدية أو في ظل الاستبداد المعنوي. . . . وتشمل حالات الانتحار القدرية من يلجؤون إليه بوصفه مهربًا من الوضع المعياري الذي لا يوجد له أي خلاص أو استئناف.

بالنسبة إليه، مثل هذه البيئات الشمولية تعطي جرعة إضافية للأفراد نحو الانتحار. خلافًا للمعتقدات الأولية، إذا نظرنا إلى نزعة الاستخدام الإستراتيجي للهجمات الانتحارية ضد أهداف رئيسة، يصبح من الواضح لدينا أن الإرهاب الانتحاري ظاهرة منظمة وتنظيمية (Merari, 1990). تضمين القضاء والقدر على مستوى الفرد سيكون أقرب إلى وصف المرتكبين على أنهم منحرفون وتفسير أفعالهم على أنها انحرافات، ومع ذلك فالإحساس بالقضاء والقدر على مستوى الجماعة نظرًا إلى الصراع مع قوة العدو في حرب غير متكافئة، إلى جانب وجود شعور قوي لدى الجماعة ناجم عن الظروف الاجتماعية والثقافية وبعض المعتقدات الدينية (على سبيل المثال، الاعتقاد في الحياة الآخرة، والتخلي عن الحياة خدمة لله) يجعل إطار الإيثارية-القدرية ينطبق على حوادث الإرهاب الانتحاري. وعلاوة على ذلك، فإنه لا يمكن أن ننفي أنه في ظل ظروف عدم الاستقرار والاضطرابات التي تميز معظم المواقع التي يوجد فيها تركيز على الهجمات الانتحارية، فإن أعدادًا متزايدة من الأفراد تستسلم للقضاء والقدر؛ فالمنظمات الإرهابية التي لديها إستراتيجية لتجنيد الأعضاء المناسبين سيكون عندها فرصة كبيرة لإعداد هؤلاء الأفراد الضعفاء واستخدامهم بوصفهم منفذين للهجمات الانتحارية بمنحهم إحساسًا بالانتماء والأمل. بداهزور Pedahzur وآخرون. (2003) أكدوا ونشروا فرضية التحليل التجريبي الموسع في قضايا الإرهاب الانتحاري في فلسطين، أن معظم الحالات تمثل مزيجًا من النمطين المنطويين على الإيثار والدوافع القدرية. أما يونغ Young (1972، ص 106) فيضع ذلك بقوله:

> ينبغي أن يعامل هذان النوعان كما الأخوات التوأم اللتين تمت رعايتهما في النوع نفسه من النظام الاجتماعي والثقافي، وإذا نظرنا إلى الاختلاف بينهما فسيكون فقط في اختلاف ماذا

تعني أفعالهم الانتحارية تلك لكل منهما بشكل شخصي. إذا كان الشخص ينتحر من أجل الوفاء بواجبه، فإن له حالة نفسية قد تعبر عن قناعة هادئة (الإيثار)، أو أنها قد تكون واحدة من الخوف الشديد واليأس (القدرية) أو مزيج من الاثنتين معًا.

**بما أنك مستعد للموت والانتحار، هل هما متشابهان؟**

ثمة تفسيرات اجتماعية ثقافية لأسباب الميل المتزايد لأعمال العنف التي تنطوي على تدمير الذات، وهناك تفسيرات أخرى ترى بأن الإرهاب الانتحاري بناء مثقل بالقيم.

العلماء في ترسيمهم للقضايا المطروحة لم يعتمدوا على المواقف النظرية التي يقدمونها فقط، لكن مثل هذه التفسيرات هي أيضًا متجذرة في مواقع سياسية ذات قيمة اختاروها لأنفسهم. الحالة السائدة بشأن مسألة الموت ذاتيًّا من أجل تحقيق أهداف المجموعة أعطى تسميات لهذه الأعمال فوصفها بعضهم بالانتحار، ووصفها آخرون في أحسن الأحوال على أنها انتحار إيثاري (Abdel-Khalek, 2004)؛ يشرح لنا عبد الخالق Abdel-Khalek (2004، ص. 100) بالتفاصيل اختلاف الرأي حول الأعمال الانتحارية بين المنظور الغربي والمنظور الإسلامي الذي يرى مثل هذه الأعمال على أنها أعمال استشهادية. إن مصطلح انتحار بالنسبة إليه يستخدم للدلالة على فعل الموت ذاتيًّا الذي هو في الأساس يأتي بدوافع حالات داخلية مثل الاضطرابات النفسية، والسعي للفت الاهتمام، والتعبير عن الغضب، أو الهروب من وضع لا يطاق (Campbell, 1996). وينظر إلى الانتحار -إلى حد كبير- على أنه مسألة شخصية يلجأ إليها الشخص ردًّا على ضائقة شخصية. في المقابل- وكما أكد عبد الخالق- فالشهادة هي فعل يقوم به شخص للدفاع عن وطنه / مجموعته على حساب حياة أحدهم، وذلك بإلحاق الضرر بالعدو، وينطوي ضمنًا على التضحية بحياة الفرد من أجل تحقيق أهداف المجموعة. أما الاختلاف الأساسي بين الفعلين فتم تأكيده من خلال تأكيد المنظور الجماعي الذي يعمل تحت ظله المهاجم الانتحاري؛ لأنه ينظر إليه على أنه يتخلى عن حياته لما فيه الخير الأكبر لأخوته في الله.

ركّز الخطاب الأخير بمعظمه عن الشهادة على فكرة الجهاد الإسلامية (الحرب المقدسة على الأسس الدينية)؛ ومع ذلك فقد وجِدت فكرة الاستشهاد عند مختلف المجموعات، والمجتمعات والأديان، وبين الدول منذ العصور القديمة. معظم دول العالم الثالث التي حاربت

الاستعمار لديها تاريخ من الشبان والشابات المتفانين الذين قاتلوا ضد جبروت السيادة الاستعمارية، وكثير منهم ضحوا بحياتهم في أعمال جاءت بالضرر أو الموت للظالمين، وليس غريبًا أن تجد حكايات عن البطولة لا مثيل لها في العمليات العسكرية الحديثة، حيث يتخلى شخص عن حياته من أجل الحفاظ على حياة رفاقه، أو يتخلى عن حياته بوصفها وسيلة لتحقيق الهدف الذي يبدو من المستحيل تحقيقه من غير ذلك، وقد تم التأكيد أن التيار العام للكتابات الغربية غالبًا ما ينظر إلى الأعمال الإرهابية على أنها أعمال عدائية، بطريقة تحول دون فهم شامل للقضايا التي تشملها هذه الأعمال (Brannan, Esler, & Strindberg, 2001). يتم تصوير الإرهاب الانتحاري في الأدب الغربي على أنه عمل منحرف أو انحراف في الدافع (Kruglanski & Fishman, 2006)، أو على أنه ناتج عن انحرافات على الصعيدين المجتمعي أو الديني. ومع ذلك، لم يُعثر على مهاجمين عندهم علامات اكتئاب نفسي، أو اعتلال اجتماعي (Abdel–Khalek, 2004)، بل على العكس من ذلك، شعورهم المتزايد في تحقيق الهدف، والولاء الجماعي، والتركيز على المهمة (Lester et al., 2004) كانت علامة فارقة بالنسبة إليهم، ويمكن في هذا السياق أن ينظر إلى المسألة برمتها على أنها خطاب تم بناؤه على نحو ثقافي اجتماعي (Hafez, 2007)، حيث يصبح الرجل الإرهابي هو المقاتل الذي يمنح المقاتل الآخر حريته.

يبدو أن التصورات الذاتية للمهاجمين الانتحاريين على أنهم أفراد صالحون إيثاريون (Stevens, 2005) نشأت نتيجة التلقين بطرق ثنائية التفرع لفهم العالم (Silberman, Higgins, & Dweck, 2005)، وبتشجيع من ترتيبات اجتماعية شمولية وعقوبات، وحتى بتشجيع من التفسيرات الشخصية للمذاهب الدينية (Lester ,2004)؛ فالمجتمعات الاستبدادية، وخصوصًا حين شابتها بيئة فيها اضطرابات وصراع دائم، وفرت مجالًا محدودًا لاستكشافات الهوية لشبابها، وأدى هذا إلى ارتهان الهويات بشكل مبكر، والالتزام غير الحاسم بالأهداف التي تفسرها البيئة الاجتماعية، وقد ارتبط مثل هذا الارتهان للهوية بالتزامات صارمة وقاطعة (Marcia, 1967)، ووفر الأرضية للتفكير المنقسم.

مثل هذا الفرد بهويات مرتهنة من المرجح أن تضع الانقسامات التي أنشأتها تصوراتهم الملونة في جوهر إحساسهم بالنفس (Lester et al., 2004; Post 2005b)، ومن المرجح أن

تستخدم نقاط الضعف الفردية هذه من قبل المجموعات الإرهابية المنظمة، وتدفع الشخص إلى التماهي مع هدف المجموعة، ليدرك أن الهدف ذو قيمة إلى الحد الذي يدفعه إلى الحط من قيمة حياته، ويقوم بفعلته بكل حماس وبأقصى دافع.

إن مناقشة تصاعد الهجمات الانتحارية في العراق، مرتكزًا بهذا على التسجيلات الصوتية والفيديو والصور المنتشرة على الشبكة (الإنترنت)، والمرتبطة بالهجمات الإرهابية الانتحارية التي نشرتها المجموعات الإرهابية، حافظ (2007، ص. 96) يبرز الخطاب الأكبر المرتبط بـ(أساطير الاستشهاد) والقصص التي نسجت عنه على الصعيد الثقافي.

(الإذلال الذي لا يرحم، والمعاناة التي يتعرض لها المسلمون في العراق وجميع أنحاء العالم، ... وعجز الأنظمة الإسلامية الحالية وتواطؤها مع الغرب، . . . [و] حتمية انتصار المسلمين لأن الكوادر التي تتحلى بالورع والبطولة أصبحت في المقدمة للتخلص من المعاناة والإذلال لإخوانهم المسلمين، من خلال إيمانهم بالله وتضحياتهم في ساحات الوغى، وعدالة قضيتهم؛ مثل هذه الخطابات عن الإذلال، والعجز، والفداء تثار دائمًا مستخدمة وسائل الإعلام، بغرض المحافظة على الثقافة التي تشجع الشهادة وتكرم الشهداء، ومن ثم ضمان إمدادات كافية من الشباب الذين يكرسون حياتهم من أجل القضية.

## وتظل هناك أسئلة ...

إن أي حديث حول الإرهاب الانتحاري يجب أن يثير من الأسئلة أكثر من تقديم إجابات عنها؛ فالطبيعة المتعددة الأبعاد لهذه الظاهرة، وتعقيد العوامل التي تدخل فيها، يجعل من الصعب التوصل إلى أجوبة يمكن أن تكون مقبولة لدى الجميع دون أي تحفظات عليها؛ لذا فإن تأليف هذا الكتاب يكمن في فكرة جمع النظريات المتنوعة، والأدلة ووجهات النظر، وليس البحث عن أي إجابات مطلقًا، ولكن نحن في مسعى لبناء منصة واحدة تسمع منها هذه الأصوات كلها، تجمع وتتكامل لجعل الإجابات أكثر قابلية للتحقيق، بدءًا من الاختلاف حول تعريفات الإرهاب، والخوض في العمليات البيولوجية للمتورطين في نزوعهم لتدمير الذات لتحقيق أهداف المجموعة التي ينتمون إليها، فالكشف عن الجذور النفسية واستكشاف العمليات الاجتماعية الثقافية

المرتبطة بها، والمناقشات المحتدمة في هذه المجال تم صياغتها على شكل فصول لاحقة، ومن المحتمل أن يكون الاستنتاج الحاسم غير مبرر؛ نظرًا إلى طبيعة الأدلة المرنة التي جاءت من وجهات نظر ضيقة ومقيدة اعتمدتها معظم الدراسات حتى الآن؛ فالجهود الحالية يتوخى منها أن تكون بمثابة المُحفِّز في توليد أسئلة متعددة من وجهات نظر متعددة، وتسهم في البحث عن حقائق موضوعية متعددة، التوافق عليها قد يقدم حلًّا لهذا الخطر البشري؛ ألا وهو الإرهاب.

## المراجع

## REFERENCES


Abdel–Khalek, A. M. (2004). Neither altruistic suicide, nor terrorism but martyrdom: A Muslim perspective. Archives of Suicide Research, 8(1),99–113.

Atran, S. (2003). Genesis of suicide terrorism. Science, 299(5612), 1534–1539.

Berkowitz, L. (1989). Frustration–aggression hypothesis: Examination andrefor–mulation. Psychological Bulletin, 106(1), 59–73.

Bloom, M. (2005). Dying to kill: The allure of suicide terror. New York: Columbia University Press.

Brannan, D. W., Esler, P. F., & Strindberg, N. T. A. (2001). Talking to“terrorists”: Towards an independent analytic framework for the study of violent substate ac–tivism. Studies in Conflict and Terrorism, 24(1), 3–24.

Brynen, R. (1995). The dynamic of Palestinian elite formation. Journal of Palestinian Studies, 24(3), 31–43.

Campbell, R. J. (1996). Psychiatric dictionary, 7th ed. New York: Oxford Univer–sity Press.

Clayton, C. J., Barlow, S. H., & Ballif–Spanvill, B. (1998). Principles of group violence with a focus on terrorism. In H. V. Hall & L. C. Whitaker (Eds.), Collective violence (pp. 277–311). Boca Raton, FL:

CRC Press.

Cooper, J. M. (1934). Mental disease situation in certain cultures: A new field for research. Journal of Abnormal Social Psychology, 29(1), 10–17.

Crenshaw, M. (2007). Explaining suicide terrorism: A review essay. Security Studies, 16(1), 133–162.

de Catanzaro, D. (1986). A mathematical model of evolutionary pressures regulating self–preservation self–destruction. Suicide and Life Threatening Behaviour, 16(2), 166–181.

de Catanzaro, D. (1991). Evolutionary limits of self–preservation. Ethology and Sociobiology, 12(1), 13–28.

de Catanzaro, D. (1995). Reproductive status, family interactions, and suicidal ideation: Surveys of the general public and high–risk groups. Ethology and Sociobiology, 16(5), 385–394.

Dollard, J., Doob, L., Miller, N., Mowrer, O. H., & Sears, R. (1939). Frustration and aggression. New Haven, CT: Yale University Press.

Durkheim, E. (1951). Suicide: A study in sociology (J. A. Spaulding & G. Simpson, Trans.). New York, NY: Free Press (Original work published 1897).

Feshbach, S. (1964). The function of aggression and the regulation of aggressive drive. Psychological Review, 71(4), 257–272.

16 SWATI MUKHERJEE, UPDESH KUMAR, AND MANAS K. MANDAL

Freud, S. (1961). Beyond the pleasure principle. In J. Strachey (Trans. & Ed.), The standard edition of the complete psychological works of Sigmund Freud (Vol. 18, pp. 7–64). London: Hogarth (Original work published 1920).

Ganor, B. (2007, March 21). The rationality of the Islamic radical suicide

attack phenomenon. In Countering terrorism at institute for counter terrorism. Retrieved from http://www.ict.org.il/Articles/tabid/66/Articlsid/243/currentpage/15/Default.aspx

Hafez, M. M. (2007). Martyrdom mythology in Iraq: How jihadists frame suicide terrorism in videos and biographies. Terrorism and Political Violence, 19(1), 95–115.

Hatemi, P., & McDermott, R. (2012). A neurobiological approach to foreign policy analysis: Identifying individual differences in political violence. Foreign Policy Analysis, 8(2), 111–129.

Ismayilov, M. (2010). Conceptualizing terrorist violence and suicide bombing. Journal of Strategic Security, 3(3), 15–26.

Israeli, R. (1997). Islamikaze and their significance. Terrorism and Political Violence, 9(3), 96–121.

Johnson, K. (1979). Durkheim revisited: Why do women kill themselves? Suicide and Life–Threatening Behaviour, 9(1), 45–53.

Kruglanski, A. W., & Fishman, S. (2006). The psychology of terrorism: "Syndrome" versus "tool" perspectives. Terrorism and Political Violence, 18(2), 193–215.

Lester, D. (2004). Altruistic suicide: A view of the issues. Archives of Suicide Research, 8(1), 37–42.

Lester, D., Yang, B., & Lindsay, M. (2004). Suicide bombers: Are psychological profiles possible? Studies in Conflict and Terrorism, 27(4), 283–295.

Lewis, B. (2002). The assassins. New York: Basic.

Liem, M., & Nieuwbeerta, P. (2010). Homicide followed by suicide: A

comparison with both homicide and suicide. Suicide and Life– Threatening Be–havior, 40(2), 133–145.

Marcia, J. E. (1967). Ego identity status: Relationship to change in selfesteem, “general maladjustment,” and authoritarianism. Journal of Personality, 35(1), 118–133.

Menon, S. (1967). A survey of Kerala history. Kerala (India): Sahitya

Pravarthaka Co–operative Society [Sales Department]; National Book Stall.

Merari, A. (1990). The readiness to kill and die: Suicidal terrorism the

Middle East. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism (pp. 192–207).

Washington, DC: Woodrow Wilson Center Press.

O’Connor, T. (2011, July 17). Definitions and typologies of terrorism.

Mega links in criminal justice. Retrieved from http://www.drtomoconnor.

com/3400/3400lect01.htm

SUICIDE TERRORISM 17

Palermo, G. B. (1994). Murder suicide: An extended suicide. International

Journal of Offender Therapy and Comparative Criminology, 38(3), 205–216.

Palermo, G. B. (2007). Homicidal syndromes: A clinical psychiatric perspective.

In Richard N. Kocsis (Ed.), Criminal profiling: International

theory, research, and practice (pp. 3–26). Totowa, NJ: Humana Press.

Pedahzur, A., Perliger, A., & Weinberg, L. (2003). Altruism and fatalism:

The characteristics of Palestinian suicide terrorists. Deviant Behaviour, 24(4), 405–423.

Post, J. M. (1998). Terrorist psycho–logic: Terrorism as the product of

psychological choices. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism (pp. 25–40). Wash–ington, DC: Woodrow Wilson Center Press.

Post, J. M. (2005a). Psychological operations and counterterrorism. Joint Forces Quarterly, 37, 105–110.

Post, J. M. (2005b). The new face of terrorism: Socio–cultural foundations of contemporary terrorism. Behavioral Sciences and the Law, 23(4), 451–465.

Riemer, W. J. (1998). Durkheim's "heroic suicide" in military combat. Armed Forces and Society, 25(1), 103–120.

Ruby, C. L. (2003). Are terrorists mentally deranged? Analyses of Social Issues and Public Policy, 2(1), 15–26.

Schmid, A. (2005). Terrorism as psychological warfare. Democracy and Security, 1(2), 137–146.

Silberman, I., Higgins, E. T., & Dweck, C. S. (2005). Religion and world change: Violence and terrorism versus peace. Journal of Social Issues, 61(4), 761–784.

Sirriyeh, H. (2000). Democratization and the Palestinian national authority: From state in the making to statehood. Israel Affairs, 7(1), 49–62.

Stack, S. (1979). Durkhiem's theory of fatalistic suicide: A cross–national approach. The Journal of Social Psychology, 107(2), 161–168.

Stack, S. (2004). Emile Durkheim and altruistic suicide. Archives of Suicide Research, 8(1), 9–22.

Stevens, M. J. (2005). What is terrorism, and can psychology do anything to prevent it? Behavioral Sciences and the Law, 23(4), 507–526.

Taylor, S. (1982). Durkheim and the study of suicide. London: Hutchinson.

Victoroff, J. (2005). The mind of the terrorist: A review and critique of psychological approaches. Journal of Conflict Resolution, 49(1), 3–42.

Wardlaw, G. (1989). Political terrorism, theory, tactics, and countermeasures.

Cambridge: Cambridge University Press.

Yonghe, Y. (2004). Small sea travel diaries, trans. Macabe Keliher, Taipei: SMC Publishing Inc.

Young, L. (1972). Altruistic suicide: A subjective approach. Sociological Bulletin, 21(2), 103–121

# 2

## شرح الإرهاب الانتحاري: مقاربة نفسية

لويس دي لا كورت إيبانييس

الهجوم الانتحاري عملية عدائية يعتمد التنفيذ فيها على وفاة مرتكب الجريمة، وقد أصبحت الهجمات الانتحارية طريقة إرهابية يزداد تطبيقها بين المجموعات المتطرفة، وكما قال بعض الخبراء فالهجمات الانتحارية هي الأحدث في مرحلة تطوير الهجمات التفجيرية، التي استخدمها الإرهابيون لسنوات عديدة (غانور، 2001). وبالنسبة إلى آخرين، فالهجمات الانتحارية هي العمل الواضح في العنف السياسي في عصرنا (جامبيتا، 2006). على أي حال، خلال العقود الثلاثة الماضية، ظهرت هذه الظاهرة في بلدان عديدة من العالم، بما في ذلك لبنان وإسرائيل، وسريلانكا، والعراق، والولايات المتحدة، وإسبانيا، والمملكة المتحدة، وأفغانستان، وباكستان، والهند، والجزائر، والمغرب، وتركيا، والشيشان، وأوزبكستان،... إلخ.

وقد اقترب العلماء من هذا الموضوع من مختلف التخصصات العلمية والرؤى النظرية. وبناء على ذلك، ومع الفهم المسبق والعام حول الإرهاب (دي لا كورت، كروغلانسكي، دي ميغيل، سابيوسيدو، ودياز، 2007)، فقد وضعت في هذا الفصل (الأول) الخطوط العريضة للتفسير النفسي للهجمات الإرهابية الانتحارية؛ فقد طورت هذا التفسير في مرحلتين متتاليتين: أولًا، قدمت توصيفًا للإرهاب الانتحاري من وجهة نظر نفسية. ثانيًا، تناولت الدينامية المتعددة الأبعاد التي هي متأصلة في تطوير أي حملة إرهابية انتحارية منظمة؛ لهذا سأحاول الإجابة عن ثلاثة أسئلة مهمة: لماذا تنقل المنظمات الإرهابية تكتيكاتها إلى إستراتيجية الاستشهاد؟ ولماذا يضفي الأصوليون طابعًا متطرفًا على مواقفهم عند نقطة معينة ليصبحوا انتحاريين؟ ولماذا يدعم الناس التكتيكات الانتحارية؟

## الإرهاب الانتحاري بصفته ظاهرة نفسية أكثر من أعراض الاضطرابات النفسية أو الاجتماعية

أشار كروغلانسكي وفيشمان (2009) إلى أن متلازمة الرأي موجودة ضمنًا في العديد من علاجات الإرهاب، ومن وجهة النظر تلك فإن الهجوم الإرهابي مثل المتلازمة التي تطالب بالبحث عن بعض الأسباب المحددة: داخلية (مثلًا، الصفات الشخصية) و/ أو أسباب خارجية (على سبيل المثال، الفقر والقمع السياسي). بعبارة أخرى، يمكن أن ننظر إلى الإرهاب الانتحاري على أنه نتاج بعض الاضطرابات الاجتماعية أو النفسية، ومع ذلك لم تكشف البحوث التجريبية عن أي اضطراب نفسي يميّز المهاجمين الانتحاريين وقادتهم؛ فحياتهم الشخصية ليس فيها ما يكفي من المعلومات لإعطاء تفسير جاد عن سلوكهم.

أخيرًا، هناك أيضًا شكوك حقيقية حول تأثير ما يسمى (الأسباب الجذرية) الاجتماعية أو الظرفية على الإرهاب الانتحاري؛ ولذلك من غير المرجح أن يظهر الإرهاب الانتحاري وكأنه نتيجة حتمية لبعض الأسباب الجذرية، مثل الفقر أو القمع السياسي (كروجر وماليكوفا، 2002). فوجهة النظر البديلة ترى أن الإرهاب، بما في ذلك الإرهاب الانتحاري، أداة: الغاية في النهاية، وتكتيك حربي يمكن لأي شخص أن يستخدمه. هذا الافتراض يتفق مع الأدلة بشأن مختلف الجماعات المتطرفة التي نفذت هجمات انتحارية من أجل تحقيق أهداف مختلفة. فالإرهاب بوصفه أداة يتناغم أيضًا مع المفهوم النفسي النموذجي حول السلوك والتفاعل الاجتماعي.

وفقًا للتعريف الكلاسيكي، فإن علم النفس الاجتماعي هو الدراسة العلمية للطريقة التي تتأثر فيها أفكار الناس ومشاعرهم وسلوكياتهم بأشخاص آخرين؛ فظاهرة التأثير الاجتماعي هي في صميم علم النفس الاجتماعي. أحيانًا يحدث هذا بطريقة غير متداولة أو غير مباشرة، لكن في أحايين أخرى، يحاول الأفراد والمجموعات بشكل متعمد تغيير سلوك شخص ما؛ فهناك مجموعة متنوعة من التكتيكات يمكن أن يستخدمها الناس للتأثير في الناس الآخرين، فالإرهاب ينطوي على استخدام القوة أو العنف بهدف غرس الخوف بوصفه وسيلة لإجبار الأفراد أو المجموعات لتغيير مواقفهم السياسية أو الاجتماعية، وهذا يعني أن التأثير الاجتماعي هو الهدف النهائي للإرهاب. ومن الواضح أننا نستطيع القول الشيء نفسه عن الإرهاب الانتحاري.

## الحملات الانتحارية: حملات ذائعية لكن ليست عقلانية بالكامل

خلافًا لبعض الصور النمطية، الإرهاب الانتحاري ينطوي على بعض درجات العقلانية، وتبعًا للنموذج النظري الأكثر تأثيرًا في العلوم الاجتماعية المعاصرة، يتصرف الأفراد، والمنظمات، والحركات الاجتماعية عادة كما لو أنهم جهات فاعلة عقلانية (كولمان، 1990؛ روزنبرغ، 1995). الجهة الفاعلة العقلانية تطور الأفعال التي تعد أكثر فاعلية لتحقيق أهدافه أو تلبية رغباته. وبعبارة أخرى، ترتبط العقلانية بالأفعال الذرائعية أو بتلك الموجهة نحو هدف معين، وهو ما يتسق مع الإرهاب بصفته أداة رؤية. إن فرضية التوجه الذرائعي للانتحار يدعمها سببان رئيسان؛ الأول أن معظم الهجمات الانتحارية لا تشكل حوادث معزولة بل يتم إدراجها في حملات، وفقًا لجدول زمني دقيق ووفقًا لمبادئ توجيهية.

الثاني، الجماعات والقادة الذين يعززون الهجمات الانتحارية يختارون هذه الطريقة من بين طرق أخرى لكي يحققوا أهدافًا إستراتيجية بعينها. الحجج التي يتذرع بها القادة الجهاديون والمنظرون لتبرير التفجيرات الانتحارية وتحليل تطور معظم المنظمات الإرهابية التي نفذت حملات من الهجمات الانتحارية، توضح المعنى الذرائعي لمثل هذه الأنشطة العنيفة (بيب، (2005، قد لا يكون المتطوعون الذين هم على استعداد كامل لتفجير أنفسهم على دراية كاملة بذلك، ولكن موتهم عادة ما يخدم خطة تهدف إلى تحقيق أهداف إستراتيجية وعملية وتكتيكية بعينها.

الأهداف الإستراتيجية الرئيسة المرتبطة بالهجمات الانتحارية هي طرد قوات الاحتلال الأجنبية، والاستقلال الوطني وزعزعة الاستقرار أو استبدال النظام السياسي، وتأجيج الصراع العنيف القائم، أو تعطيل عملية حل سلمي لنزاعات سياسية أو عرقية أو دينية. بلوم، 2005؛ غانور، 2001؛ غوبتا وموندرا، 2005؛ مقدم، 2007؛ بيب، 2005.

وعلاوة على ذلك، هناك العديد من الفوائد العملية والتكتيكية، أهمها ما يأتي: أعلى درجات الفتك، والتأثير النفسي والاجتماعي الشديد، جلب تغطية إعلامية واسعة، نقل الرسائل ذات الصلة إلى الجمهور؛ العزم والتصميم، والالتزام بالتصعيد، وإعاقة المراقبين المحايدين، وفضح العدو، وإغراء المجندين. (حافظ، 2007)، والوصول إلى الأهداف المحصنة جيدًا وذات

القيمة العالية، الاستقلال عن أنظمة التحكم عن بعد لتفعيل الأجهزة الناسفة، لا يتطلب خطة للهروب، لا فرصة لأسر المهاجمين، إلخ. (بلوم، 2005؛ غانور 2001؛ حافظ، 2007؛ مقدم، 2007؛ بيب، 2005) أخذوا هذه المزايا كلها بالحسبان، وحتى اليوم تنطوي العقلانية على دافع أساسي وحساب تفاضلي للفوائد وتكاليف العمل (من الواضح أن القيام بهجوم انتحاري هو محصلة قرار عقلاني). (غانور2001.)؛ لكن: هل هو قرار عقلاني بالكامل؟

على الرغم من أن معظم الباحثين يتفقون أن حملات الأعمال الإرهابية الانتحارية تتبع المنطق الذرائعي على المستوى الإستراتيجي، إلا أن هناك أسبابًا عديدة تؤكد أن العقلانية البحتة لا يمكن أن تعطي شرحًا كاملًا لهذه الظاهرة. هناك طيف واسع من الدوافع تبدو مرتبطة بالإرهاب الانتحاري خارج الاعتبارات العقلانية. من المهم أن نشير إلى تأثير الدوافع غير (الموجهة لتحقيق النتائج (والتي شجعت الناس على أن يصبحوا انتحاريين أو يدعمون الإرهاب الانتحاري). كروغلانسكي وآخرون، 2009. وهكذا، فالعواطف المرتبطة بالألم وافتقاد الشخصية والإذلال، والأكراه أو الانتقام يمكن أن تلعب دورا تحفيزيًّا حاسمًا (بلوم، 2005؛ ريكولفي، 2005). لكن السنن الاجتماعية يمكن أن يكون لها دور حاسم أيضًا؛ على سبيل المثال، استنادًا إلى المعلومات المستخرجة من المقابلات، أشار أتران (2006) إلى أن الشعور العميق بالتزامهم أن يصبحوا ( شهداء) يثبت انتشار الدوافع غير الذرائعية بين الانتحاريين ذوي التوجه الديني.

حجة أخرى ضد الرؤية القائلة: إن الإرهاب الانتحاري عمل عقلاني بالكامل يمكن استبعادها من القيود الخاصة لنظرية الخيار العقلاني؛ إذ تفترض نظرية الاختيار العقلاني في نسختها المبكرة، أن عقلانية الإنسان تميل إلى أن تكون قريبة من الكمال، ومع ذلك فقد أظهرت البحوث النفسية أن العقلانية في معتقدات الإنسان وخياراته محددة وغير مكتملة؛ بسبب القيود المعرفية الخاصة للعقل البشري وتداخلها بالعاطفة والدافع. (كانيمان، 2011؛ سيمون، 1995). المقاربة النفسية لتفسير أي سلوك إرهابي يجب أن تضع في الحسبان مبدأ محدودية العقلانية. هذا المقاربة تنسجم مع وجهة النظر التالية من إلستر 2006:

ليس هناك شيء في حد ذاته غير منطقي في أن يكون أحد ما مستعدًّا للتضحية من أجل قضية، وحتى أقلهم رغبة يرسلون غيرهم للموت من أجل ذلك. . . ومع ذلك في بعض الحالات الهجمات الانتحارية أحوج ما تكون إلى العقلانية؛ نظرًا إلى عدم الاستقرار في الدوافع الكامنة، أو أيضًا بسبب أن بعض المهاجمين يخضعون إلى شكل الاعتقاد غير العقلاني.

**البناء الاجتماعي للانتحاريين**

المنظور النفسي الاجتماعي يميل إلى شرح الخصائص النفسية للأفراد بصفتها محصلة عمليات تفاعل اجتماعي، وطالما لا توجد صورة نمطية فريدة من نوعها، فقد تكون الفرضية الاجتماعية النفسية (سيكوسوشيال) السابقة مفيدة لتتبع أصل الاستعداد لتنفيذ الهجوم الانتحاري؛ فالمسار الذي يوصل إلى المشاركة في المهمة الانتحارية يمكن النظر إليه على أنه محصلة لتراكمات التنشئة الاجتماعية التي يمكن الاستعانة بتفسيرها من خلال الآليات النفسية الاجتماعية الكلاسيكية، وهذا يتفق مع الأدلة التجريبية حول كيفية الانضمام إلى مجموعة إرهابية، وعادة ما تتأثر كثيرًا بالسياسة السائدة والبيئة الاجتماعية المشتركة من قبل الأصدقاء والأقارب. العديد من الدراسات التي بحثت كيف يصبح الفرد إرهابيًّا أرجعت ذلك في الأساس لقضية التنشئة الاجتماعية. (الحقول، 1979، سيلك، 2006). ومما يسهل التطرف والمشاركة في أعمال العنف الاتصال مع الناس الذين يتبنون أيديولوجية متطرفة؛ فالتفاعل الاجتماعي هو الوسيلة التي يتلقى الأفراد من خلالها الأسباب التي تحفزهم، و(تبرر) رغبتهم في التخلي عن حياتهم لتنفيذ الهجوم الإرهابي، وطالما أن التفاعل الاجتماعي شرط للاندماج في المجموعة الإرهابية، فهذا التفاعل من شأنه أن يسهل على الناس اختيارهم المشاركة في مهمة انتحارية وما عليهم إلا أن يضعوا هذه الرغبة في الممارسة العملية.

إن التفاعل بين من سينضمون إلى صفوف الانتحاريين وبين أعضاء في الشبكات المتطرفة أو المنظمات المتطرفة يمكن أن يتخذ مسارين من التأثير الاجتماعي؛ الأول هو النمط من الأسفل إلى الأعلى، حيث يأخذ المهاجمون الانتحاريون زمام المبادرة في انضمامهم إلى شبكة متطرفة أو منظمة إرهابية، وقد أظهرت الدراسة التي أجراها سيغمان (2004، 2008 أهمية هذا النمط في إشراك الناس في ما يسمى الحركة السلفية الجهادية العالمية، إذ ذكر سيغمان

(2004) أن الانضمام لهذه الحركة العنيفة التي تدعم الهجمات الإرهابية الانتحارية وتشجعها هي في أساسها من أنشطة (الأسفل إلى الأعلى). وبما أن تنظيم القاعدة هو المنظمة البارزة عالميًّا ليس لديه برنامج تجنيد رسمي من أعلى إلى أسفل، لكن من ناحية أخرى، وبسبب ردة الفعل على هجمات 9/11 التي أثارت الانتحاريين العملانيين في تنظيم القاعدة، فقد واصلت المجموعات تنفيذ الهجمات الانتحارية باسم تنظيم القاعدة، وإن لم تكن تخضع رسميًّا إلى القيادة العليا لتنظيم القاعدة، إنما مجموعة من الأصدقاء قرروا أن يفعلوا شيئًا مستوحىً من خطاب تنظيم القاعدة. (سيغمان، 2004، 2008).

وعلى الرغم من الانتقاد الشديد الذي وجه إلى رؤية سيغمان، فإن علينا الحفاظ على تأكيده كيف قامت الروابط الاجتماعية القائمة مسبقًا (القرابة والصداقة، وفي وقت لاحق الزمر غير الرسمية)، بتسهيل التطرف لدى الأفراد والجماعات الذين يجتمعون في أحيائهم وعلى شبكة الإنترنت ليخططوا لأعمال العنف، بما في ذلك الهجمات الانتحارية.

النمط الثاني للتأثير من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يسهم في صنع الانتحاريين هو من (أعلى إلى أسفل) أو العمودي. ينطوي هذا النمط على مبادرات يروج لها قادة وأعضاء المنظمات الإرهابية من خلال اتصالاتهم بالأشخاص الذين قد يكونوا مهاجمين انتحاريين جدد، لتجنيدهم وتلقينهم وتدريبهم. حتى الآن، نادرًا ما تنفذ هجمات انتحارية يقوم فيها أفراد من تلقاء أنفسهم، وإنما من قبل أناس أصبحوا أعضاء أو منظمات أو جماعات أو خلايا ارتبطت بشبكة أكبر، وهذا النمط من عمليات التأثير يجب ألَّا نستخف به في فهم الإرهاب الانتحاري. وكما يدعي حافظ (2007)، الجماعات والمنظمات الإرهابية تلعب دور بنى التعبئة التي تسهل انخراط متطوعين جدد للتضحية بأرواحهم دفاعًا عن قضية سياسية أو دينية. من ناحية أخرى، كشفت بعض الدراسات التشابه الكبير بين طرق التلقين التي تطبقها الجماعات الطائفية وتلك التي تستخدم داخل المنظمات الإرهابية (ديلا بورتا، 1995؛ دي لا كورتي، 2006؛ سيغمان، 2004). على أي حال، ليس هناك شك بأن الأنشطة ونمط الحياة الذي تتبناه المنظمات الإرهابية هو الذي يصوغ عقلية أعضائها، ويزيد من التزامهم بهذه المنظمات، ويعدُّهم للمشاركة في أعمال العنف والأنشطة الأخرى مثل الهجمات الانتحارية. الممارسات التنظيمية النموذجية التي

ستكون حافزًا للانتحاريين للمشاركة فيها، مثل الطقوس الدينية أو الطقوس الملزمة الأخرى، والإدلاء ببيانات مكتوبة أو مسجلة على شريط فيديو قبل أيام قليلة من تنفيذ المهمة، أو الاندماج في وحدات متماسة جدًّا، تبدو مصممة للحفاظ على ديمومة غياب العقل، الحالة التي لا بد منها إذا أراد أحدهم أن يفجر نفسه. (جامبيتا، 2006؛ مراري، 199).

**مسائل الهوية الاجتماعية**

قال وليام جيمس (1891) في كتابه الرائد **مبادئ علم النفس**: إن الطريقة التي يعرف الناس أنفسهم بها تعد أساسية لتفسير حالاتهم العقلية، ومشاعرهم، وتصرفاتهم؛ فعلم النفس الاجتماعي والعلوم الاجتماعية الأخرى التقطت هذا المبدأ مركزة في هذا على الجوانب الاجتماعية للهوية، ذلك أن المفهوم الذاتي الذي يتقاسمه الأفراد فيما بينهم، يسمح لهم بأن يقدموا أنفسهم على أنهم أعضاء في مجموعة اجتماعية أو في المجتمع. إن دراسة الهوية الاجتماعية (أو الهوية الجماعية، كما يفضل أن يسميها كثير من علماء الاجتماع والعلماء السياسيين) فتحت نافذة لفهم كيف تتفاعل العمليات النفسية مع العمليات الاجتماعية السياسية في سببية السلوك الاجتماعي البشري والعمل الجماعي؛ ولهذا ليس من المستغرب أن ينظر العديد من العلماء إلى الهوية الاجتماعية على أنها ظاهرة ذات أهمية خاصة لدراسة الإرهاب. (دي لا كورت، 2006؛ & تايلور لويس، 2003).

في الواقع، إن آليات وتجارب التعريف بالذات الجماعية أثَّرت بصورة رئيسة في ظهور أنواع الحركات أو المنظمات السياسية أو الدينية كلها، وأثَّرت في نشاطها وتطورها، بما في ذلك منظمات المتطرفين والإرهابيين. وعلاوة على ذلك، يبدو هذا جليًّا بشكل خاص في حالة الإرهاب الانتحاري، ولا يهم في ذلك إن جرى التركيز على المعاني التي يمتدح فيها الانتحاري العمل الذي يقوم به، والدعم الذي يمكن أن تتلقاه الهجمات الإرهابية من بعض المجتمعات.

تشير البحوث في التطرف إلى أن التورط في الإرهاب الانتحاري في كثير من الأحيان يبدأ من حاجة الفرد إلى أن يجد هويته أو يعيد هيكلتها على نحو هادف. (د. الجارد-نيلسينا 2010، مرشدة وبافان، 2011)؛ فالانتماء إلى جماعات اجتماعية داعمة يمكن أن يقلل من الاضطراب

النفسي لدى الفرد ويعزز من احترام الذات، ومن ثم يمكن أن يكون علاجًا لبعض الجروح الناجمة عن التجارب الشخصية الصعبة، حيث تقدم بعض المنظمات الإرهابية على وجه الخصوص أيديولوجيا مع مكون أخلاقي قوي، ومعنى عميق، ورؤية متفائلة للمستقبل.

ليس من قبيل المصادفة أن تنزع المنظمات الإرهابية الانتحارية إلى وصف نفسها بأنهم أبطال المجموعات الوطنية والإثنية والدينية، كما يعدُّ المتطوعون لمهام انتحارية بأن موتهم تضحية من أجل مجتمعهم الذي يعيشون فيه، وتحاول الآلة الإعلامية الإرهابية أن تعزز هذه الفكرة في المجتمع الذي ينتمون إليه؛ لذلك يبدو من الطبيعي أيضًا أن تجد الدوافع الدينية والوطنية وكذلك المشاعر والسجالات وثيقة الصلة بالإرهاب الانتحاري، وقد ادعى بيب (2005) أن الوطنية هي (أصل) الإرهاب الانتحاري المعاصر، حيث يعرف هذا الكاتب الوطنية (بأنها الاعتقاد السائد بين أفراد المجتمع أنهم يتقاسمون مجموعة فارقة من الخصائص العرقية واللغوية والتاريخية، ويحق لهم أن يحكموا وطنهم دون تدخل من جهات أجنبية ).

في جزء آخر، يرى بيب (2005) أن العامل الديني له تأثير كبير في الحملات الانتحارية حين يظهر الدين ارتباطه بالوطنية، هذا الارتباط يدعمه بتحليلاته الخاصة في هذا الكون والحالات التي تسيطر فيها دولة ديموقراطية على وطن فيه مجتمع متميز للمدة من 1980 إلى 2003. وهكذا، كانت هناك 49 حالة مطابقة من أصل 58 لنظرية الإرهاب الانتحاري الوطني، التي تتنبأ بوقوع حملات انتحارية نتيجة لدمج عاملين، هما: وجود مقاومة منظمة عنيفة (تمرد)، ووجود اختلاف ديني بين المحتل الخارجي والمجتمع المحلي. ومن وجهة نظر بيب (2005)، فإن تلك عوامل حاسمة لأن حملات الإرهاب الانتحاري تتطلب دعم مجتمع كبير، واحتلالًا أجنبيًا، وفروقًا دينية لصالح الاندماج بالمجتمع المحلي مع وجود منظمة إرهابية محلية. على أي حال، كان صحيحًا، كما ادعى بذلك بيب (2005) حين قال، إن الشهادة (أن يموت أحدنا من أجل مجتمعه) هو بناء اجتماعي، وهي المرجعية للمجتمع الإرهابي الذي يحكم ما إذا كانت التضحية بالنفس من قبل أفراد معينين ترتقي إلى منزلة الشهيد. ومع ذلك، مؤلفون آخرون يعدون أن نظرية بيب الوطنية حول الإرهاب الانتحاري تقلل من تأثير الهوية الدينية في منظور المنظمات الانتحارية ومتطوعيها ومؤيديها ودافعهم، وسلوكهم. يبدو هذا صحيحًا لو لاحظنا تطور الإرهاب الانتحاري

خلال السنوات الماضية، وهي المدة التي أصبحت فيها الجهادية العالمية الملهمة الرئيسة للمهاجمين الانتحاريين في جميع أنحاء العالم.

منذ ذلك الحين، وبين عامي 1980 و1990 (الثمانينيات والتسعينيات)، وقعت الغالبية العظمى من الهجمات في عدد قليل من الدول مثل إسرائيل، ولبنان، وسريلانكا، وتركيا، وأظهر التهديد الذي يمثله تنظيم القاعدة أن الإرهاب الانتحاري أيضًا يمكن أن يكون وسيلة تستخدمه المنظمات الإرهابية الدينية وليس المنظمات الإرهابية الوطنية. وعندما قامت الشبكات الجهادية والمجموعات والمنظمات في العراق في الدول الإسلامية الأخرى بتنفيذ الهجمات الانتحارية استهدفت على نحو متزايد المسلمين، وأصبح واضحًا أن الحملات الانتحارية يمكن تبنيها بوصفها جزءًا من إستراتيجية ليس من أجل الحصول على الوطن القومي فقط، وإنما لإسقاط الأنظمة السياسية أيضًا (في تلك الحالات، تعد الأنظمة غير إسلامية، وفقًا لرأي الجهاديين، كما يرى الباحث مقدّم (2007). وعلاوة على ذلك، فإن تجربة الإرهاب الانتحاري في العراق منذ عام 2003 هي خير مثال على أن الوطنية ليست المحرك الرئيس للإرهاب الانتحاري، عادًّا أن ذلك يتطابق مع بلد عربي محتل فيه أعلى معدل للهجمات الانتحارية لسنوات عديدة، نفذت غالبيتها ليس من قبل العراقيين الانتحاريين المتطوعين، ولكن من قبل المتعصبين الدينيين الأجانب من الشبكات السلفية الجهادية، ولم تكن موجهة ضد القوات الأجنبية وإنما إلى قوات الأمن العراقية والسكان المحليين. (حافظ، 2007).

باختصار، الأهداف المتطرفة المرتبطة بأطر الهويات الجماعية، وسواء كانت قومية أو إثنية أو دينية، ربما تؤدي إلى العنف الانتحاري، وفهمنا لهذه العلاقة يمكن أن يتطور إلى حد كبير إذا أخذنا المقاربة النفسية. في هذا المعنى، من المفيد أن نتذكر أن معظم الظواهر الإرهابية لها جذورها في عمليات التطرف لبعض الحركات السياسية أو الدينية الموجودة من قبل. ومن ثم، هناك توازٍ مهم بين الطريقة التي تظهر وتتنامى فيها الحركات الاجتماعية العادية والحركات الإرهابية (دي لا كورت، 2006؛ ديلا بورتا، 1995؛ حافظ، 2007). وكما يشير البحث، لن تظهر أو تستمر أي حركة سياسية أو دينية من دون التنشيط النفسي المزمن من إحساس دائم بالهوية المشتركة بين أعضائها، والمتعاونين معها، وأنصارها. (انظر سايمون اند كلاندرمانز،

2001). وهذا أكثر أهمية بكثير لدى الحركات التي هدفها الدفاع عن القيم والمصالح التي تفترض أنها مهددة من قبل مجتمع قومي أو إثني أو ديني محدد (كاستلز، 2004)، كما تمثلها منظمات متطرفة مدعومة بأيديولوجيا عرقية - قومية أو دينية.

الأفراد ينظمون أنفسهم، ويقدمون أنفسهم على أنهم أعضاء في مجتمع كبير واسع يعدونه يعاني الظلم والإذلال، وتتعرض مصالحه وقيمه الجماعية للتهديد؛ فأيديولوجيا الإرهابيين غالبًا ما توفر الطمأنينة لهذه الشكايات من هويتهم الاجتماعية المهددة، وتحفظ لهم مشاعر تحديد هويتهم التي يمكن الوصول إليها من الناحية النفسية مع المرجع الاجتماعي؛ على سبيل المثال، مجتمع التاميل بالنسبة إلى نمور التاميل في سيريلانكا، والشعب الفلسطيني بالنسبة إلى حماس، والأمة أو المجتمع المسلم لتنظيم القاعدة. كما أشرنا من قبل فإن نزعة المنظمة الإرهابية للتعريف بنفسها ضمن مرجعيتها المجتمعية يجعل هذه المنظمة أكثر جاذبية في خيار الانضمام إليها في نظر أفراد المجتمع، وعلاوة على ذلك، هنالك نظريتان بارزتان اثنتان من النظريات الاجتماعية-النفسية، مثل نظرية الهوية الاجتماعية (على سبيل المثال، تاجفل وتيرنر، 1986)، ونظرية تصنيف الذات (تيرنر وآخرون، 1987) اللتان تنبآن بطرق تكميلية ليست أقل أهمية؛ ذلك أن تحديد الهوية الذاتية للإرهابيين الانتحاريين بصفتهم أعضاء في منظمة ومدافعين عن المجتمع الأكبر يمكن أن يسهم في تعزيز ديناميات الإرهاب الانتحاري، على الأقل ينبغي أن نأخذ بالحسبان المؤثرات النفسية الأربعة الآتية (دي لا كورت، 2006؛ دي لا كورت وآخرون، 2007):

1. **نزع الشخصنة**: إن الإرهابيين يميلون الى عدِّ أنفسهم أعضاء يمكن استبدالهم ضمن مجموعتهم أو منظمتهم، ونتيجة لذلك فالأفضلية عندهم هي مصالح وأهداف المنظمة وليس احتياجاتهم وأهدافهم الشخصية، وهو شرط مسبق للانخراط في عمليات انتحارية.
2. **التماسك الاجتماعي**: فالهوية التي يتقاسمها الإرهابيون تعزز العلاقات الإيجابية بينهم، وتزيد من التماسك الداخلي والتعاون ضمن المجموعة، وهذا يسهل من إعداد وتنفيذ عمليات انتحارية. وليس أقل أهمية، فقد أظهرت البحوث النفسية الاجتماعية بأن التماسك المفرط للمجموعة يؤدي تأثيرات استقطاب على مستوى المجموعة؛ أي

ميل المجموعات لتطوير مواقفها واتخاذ قرارات تكون أكثر تطرفًا من المواقف الأولية المعتدلة للأعضاء. (جيل، 2007).

3. **التأثيرات الداخلية للمجموعة:** كلما ازدادت حدة إحساس الفرد بالانتماء إلى المجموعة، زاد التأثير الذي تمارسه المجموعة عليه. هنالك تأثيرات عديدة تنجم عن معرفة المجموعة بذاتها؛ مثل: طاعة أوامر قادة المجموعة، وتأثير الأغلبية (الاستسلام لرأي الأغلبية)، والتأثير المعياري (الاتفاق الخاص والعام مع بنية معياري للمجموعة، والمعايير التي تحكم سلوك الأعضاء فيها).

4. **النظرة المانوية والتحيز بين المجموعات:** تحديد الهوية مع المجموعة، والمرجعية المجتمعية تحفز الإرهابي لتطوير القوالب النمطية السلبية والتحامل على الناس من المجتمعات الأخرى. فالعالم ينقسم بيننا وبينهم، ويمكن أن تعزى مسؤولية المشكلات والمظالم التي يعانيها المجتمع المرجعي للإرهابيين إلى مجتمع آخر يمكن أن يلعب دور كبش الفداء؛ هذا المنظور يميل لتعزيز النظرة العالمية التي تميل نحو الصراع وتعزز كذلك المشاعر السلبية: (الإذلال، والاستياء، والكراهية) التي عادة ما تلهم الإرهابيين.

**مقاربة متعددة الأبعاد**

لأول وهلة، قد تكون هناك حاجة إلى شيء واحد فقط لكي يكون هناك هجوم إرهابي انتحاري: وجود فرد على استعداد لقتل الآخرين وقادر على الموت، ومع ذلك فإن غالبية العمليات الإرهابية الانتحارية التي تنفذ يشنها مسلحون من قبل مجموعة أكثر أو أقل تنظيمًا. أخيرًا، وكما يقول لانكفورد (2010، 2011)، إن القبول المجتمعي لأي نشاط يزيد من احتمال مشاركة الناس فيه، والإرهاب الانتحاري ليس استثناء. في الواقع، لقد رأينا قبل ذلك ما يصعب تفسيره من انتشار غالبية الحملات الانتحارية دون الأخذ بالحسبان الدعم الذي تتلقاه تلك الأنشطة من مجتمعات أو جماهير معينة. لذلك، بصفة عامة، الحديث عن الإرهاب الانتحاري يثير تساؤلات مختلفة تتفق مع ثلاثة مستويات من التحليل: لماذا وكيف تشجع المنظمات الهجمات الانتحارية (المستوى التنظيمي)، لماذا وكيف يوافق الأفراد على أن يصبحوا قنابل بشرية (المستوى

الفردي)، ولماذا يلقى الإرهاب الانتحاري دعمًا من بعض الجماهير (المستوى المجتمعي) (مقدم، 2007؛ بيب، 2005). ليس من الممكن تطوير فهم كامل عن الإرهاب الانتحاري دون التحقيق في هذه الظاهرة على تلك المستويات الثلاثة.

**الإرهاب الانتحاري بوصفه عملية**

كما ذكرنا من قبل، وخلافًا لوجهات النظر النفسية الأخرى، المقاربات الاجتماعية النفسية لا تركز على الفرد وعلى الصفات النفسية التي يحملها فقط، وإنما على عملية المتغيرات مثل تغيير السياق الذي يعمل من خلاله الفرد، وأيضًا العلاقات بين الأحداث والفرد بوصفها تؤثر في السلوك، وقد رأى تايلور وهورغان (2006) أن اعتماد هذا الرأي قد يؤدي إلى تطوير أفضل على صعيد المفاهيم في تحليل السلوك الإرهابي.

تجدر الإشارة إلى أن ظهور الحملات الإرهابية الانتحارية يميل إلى الحدوث في النقطة الأخيرة في عمليات التصعيد؛ حيث تطور المنظمات الإرهابية أعلى مستويات التدميرية (بلوم، 2005). كما تستخدم معظم المنظمات الإرهابية طرائق أخرى من الهجمات قبل أن تبدأ تنفيذ مهام الانتحار (مقدم، 2007)؛ فهو يشير إلى أن الإرهاب الانتحاري ينطوي على ديناميكية محددة. مستوحين من بداهزور (2004)، يمكننا أن نفترض أن ظهور حملة الانتحار تحتاج إلى تغطية مرحلتين؛ المرحلة الأولية ستكون نتيجة ما يمكن أن نسميه التحول الإستراتيجي أو التكتيكي. في هذه المرحلة، الحسابات والنقاشات الإستراتيجية والتكتيكية التي تجري داخل المنظمة الإرهابية، تحفز اتخاذ القرار للانخراط في الهجمات الانتحارية. المرحلة الثانية تنطوي على تفعيل أكثر أو أقل في وقت واحد من اثنتين من العمليات النفسية اللازمة لبدء حملة الانتحار ومواصلتها.

سوف تكون أول عملية هي عملية الردكلة (التطرف) حيث يبدأ عدد من الأفراد التعاطف مع الأيديولوجية السياسية أو الدينية لفكر المتمردين، وتحفيز اندماج من يريد الانتحار في المنظمة الإرهابية، ومن سوف يصبح مستعدًّا من المتطوعين للقيام بالعمليات الانتحارية. غير أن العديد من المؤلفين يتفقون على أن الحركة من التطرف (الردكلة) إلى العمل من أجل قضية

جماعية عادة ما تحتاج إلى إدخال بعض المحفزات الانتقائية. مرة أخرى، علينا أن نتذكر أن الحافز الانتقائي الأكثر تأثيرًا ليصبح انتحاريًّا هو اعتقاده بأنه سيُزف شهيدًا، ومع ذلك يمكن أن ينشأ هذا فقط نتيجة الاستقطاب السياسي أو الديني، وهي عملية تنتقل فيها المواقف السياسية أو الدينية لمجتمع أو جمهور معين إلى أقصى حد في اتجاه دعم الانتحار والأنشطة الإرهابية.

استنادًا إلى البحوث السابقة التي تراكمت عن موضوعنا، فإن آخر جزء من هذا الفصل يحدد العديد من المتغيرات التي يمكن أن تسهم في تفعيل العمليات الثلاث المذكورة أعلاه وتسريعها لتشارك في ديناميات الإرهاب الانتحاري، وطالما أي من هذه المتغيرات تضمن في حد ذاتها ظهور أو إطالة عملية الحملة الإرهابية الانتحارية، فقد اقترحنا النظر إليها بوصفها عوامل خطر، وبهذا يكون الشرط الوحيد الذي يمكن أن يزيد من احتمال قيام شبكة أو جماعة أو منظمة إرهابية باللجوء إلى العنف الانتحاري أو إطالة أمد الحملة الإرهابية الانتحارية (دي لا كورت & جيمينيز-ساليناس، 2009).

## المتغيرات أو عوامل الخطر المرتبطة بتغير إستراتيجية أو تكتيك الإرهاب الانتحاري

كل هدف إستراتيجي يمكن أن يحفز الإرهاب الانتحاري قد تكون متابعته بوسائل أخرى. وهكذا، من المنطقي أن نفكر أن التحول الإستراتيجي أو التكتيكي نحو الإرهاب الانتحاري يجب أن يكون متوقفًا على بعض الظروف التي تجعل بعض الإمكانات البارزة الفوائد التي يمكن اتباعها في تنفيذ حملة التفجيرات الانتحارية، ويصبح قرار تعزيز حملة الانتحار أكثر احتمالًا بسبب تدخل واحد أو أكثر من المتغيرات الآتية:

### شروط غير متكافئة

في كثير من الأحيان، يتم تنفيذ عمليات انتحارية من قبل الجانب الأضعف في الصراعات التي تتميز بعدم التماثل من حيث القوات المسلحة. إيبانيز (أتران، 2006؛ جامبيتا، 2006؛ مراري، 2005؛ بيب، 2005). ولذلك، سواء كانت الاختلالات الكبيرة في ميزان القوة بين

الإرهابيين وخصومهم حقيقية أم متصورة، فإنها تكثف الدوافع لدمج طرق الانتحار إلى مجموعة عملها.

**الشعور بالركود، الأزمة، أو الفشل في استخدام إرهابيين أو وسائل إرهابية أخرى**

في بعض الأحيان، القيادة أو بعض فصائل منظمة إرهابية يمكن أن يصبح لديهم انطباع أنهم على وشك الوصول إلى نقطة ركود أو أزمة، نتيجة لعدم فاعلية الإستراتيجيات، والتكتيكات، والأساليب المستخدمة سابقًا (بيب، 2005). هذا الانطباع يمكن أن يؤدي بالإرهابيين للنظر في العمليات الانتحارية بوصفها طريقة بديلة يمكن أن تساعد على التغلب على الحالة المتخيلة من الركود والأزمات، أو الفشل.

**التعايش بين عدة جماعات إرهابية أو متمردين**

العمليات الانتحارية جذبت الاهتمام أكثر من أي طريقة إرهابية أخرى؛ فالمنظمات التي تروج لها تبعث برسائل عزم وتصميم، وتظهر الانتحاريين أكثر بطولة وجرأة. هذه الصفات يمكن أن تصبح الحوافز الأقوى لنشر الهجمات الانتحارية إذا كانت منظمات إرهابية عدة تعمل في الأرض نفسها، وتسعى إلى تحقيق أهداف مماثلة، وتحاول لفت الانتباه والحصول على دعم من المجتمع أو الجمهور نفسه. وفقًا لبلوم (2005)، تؤكد أمثلة تاريخية مختلفة بأن تكتيكات الانتحار يمكن أن تظهر حين تكون هناك العديد من المنظمات مع درجات متزايدة من القتل، تحاول أن تميز نفسها عن منافسيها. في الواقع، التحول إلى العنف الانتحاري يمكن أن يزيد من التصعيد، خصوصًا في البيئات حيث المجتمعات المحلية تبدأ بدعم التفجيرات الانتحارية، وتشجيع المنظمات غير الانتحارية لاعتماد التكتيك نفسه.

**إمكانية الوصول المعرفي ومرحلة ما قبل وجود نشاط إرهابي انتحاري**

الشرط الأول، لاتخاذ قرار باستخدام العمليات الانتحارية هو المعرفة والتفكير بها (إلستر، 2006؛ & كاليفاس سانشيز كوينكا، 2006). جزء من هذا السبب، فإن الكشف عن أمثلة من

الإرهاب الانتحاري، أو عن معلومات حول مهمة انتحارية نفذت من قبل منظمة إرهابية أو أكثر يمكن أن يزيد في بعض الأحيان من استلهام مجموعات أخرى لمحاكاة هذه المنظمات. يمكن أن يحدث هذا في بيئة واحدة تتسم بالمنافسة بين المنظمات الإرهابية المختلفة، ويمكن أن يحفز انتشار تكتيكات انتحارية من سياق إلى سياق آخر، ومع ذلك فالإرهاب الانتحاري يكون نتيجة تحول إستراتيجي أو تكتيكي، ولن يحدث بتأثير العدوى إلا في حالة معينة؛ أي إن الكشف عن أمثلة (نماذج) أو معلومات حول الهجمات الانتحارية سوف يسهم في هجمات انتحارية بفاعلية تكتيكية كبيرة بالمقارنة مع الإرهاب التقليدي، وهذا يتفق مع الفرضية المركزية من نظرية التعلم الاجتماعي التي تنص على أن الناس عادة تحتاج إلى البحث عن سبب وجيه لكي تقلد الآخرين، وهذا السبب عادة ينتج عن ارتباط بمكافأة (ملموسة أو مفترضة) عن السلوك الذي سيتم تقليده (باندورا، 1979).

من وجهة النظر هذه، يضيف باندورا أنه كلما نسب المراقب المزيد من أوجه الشبه (في المواقف والصفات، أو القيم) إلى أناس آخرين، كان الإعجاب أكثر بذلك المقلد السابق بما يقوم به من سلوك ناجح هذا الأخير. من ناحية أخرى، نظريات الحركة الاجتماعية تسلّم أن نقل الإستراتيجيات والتكتيكات الجديدة يمكن أن تتيسر من خلال تشابه الظروف. حيث يشير في هذا المعنى كل من ديلا بورتا ودياني (2006)، إلى أن تصورات الظروف المشتركة تمكن النشطاء من اعتماد أساليب من مختلف البلدان أو المناطق؛ لأنهم يرون أن ثمة (تكافؤًا وظيفيًّا) بين المرسِلين والمتبنين للابتكار. في الوقت نفسه، يرى حافظ (2007) أن الكشف عن أمثلة من الهجمات الانتحارية التي ينفذها الآخرون لا يدعم فقط نشر التكتيك الانتحاري لأنه يبدو ناجحًا، وإنما سيقدم على أنه عمل مشروع في نظر المقلدين المحتملين.

## المتغيرات أو عوامل الخطر المرتبطة بعمليات الاستقطاب والتطرف (الردكلة)

عمليات الاستقطاب والتطرف (الردكلة) السياسية منها أو الدينية المرتبطة بالإرهاب الانتحاري هي وثيقة الصلة ببعضها؛ الظاهرتان لهما نتائج نفسية مماثلة؛ على سبيل المثال،

التغير الإيجابي في المواقف تجاه العنف الانتحاري والمنظمات الانتحارية. وكما أظهرت البحوث، فإن التغير في المواقف الشخصية والجماعية لصالح استخدام الإرهاب الانتحاري يمكن أن يسهل على الأقل من خلال العوامل الآتية:

**الصراعات المستعصية والخلافات الحادة**

يصنف الخبراء الصراعات المستعصية بأنها طويلة الأمد، ولا يمكن التوفيق بينها، وأنها عنيفة، وذات طابع محصلته صفر، وشمولية، ومركزية للأطراف كلها التي لها مصلحة في استمرارها، وتبدو غير قابلة للحل، كريسبيرغ، (1998) ومن المثير للاهتمام أخذ الآثار النفسية للصراعات المستعصية على الحل بالحسبان، وكما يرى بار تال (2000، 2007)، بما أن الصراعات المستعصية مؤلمة، ومضنية، ومرهقة، ومثيرة للقلق، ومكلفة سواء على الصعيد البشري أو المادي، ينزع أعضاء المجتمع أو المجموعات البشرية المعنية إلى تطوير مجموعة من الشراكة في المواقف والإدراك التي توفر التوجهات والأخلاقيات السائدة التي تمكنهم من التعامل بنجاح مع حالة الصراع. من حيث المواقف، هذه (البنية التحتية النفسية) يمكن أن تشمل عناصر التفاني في حب البلد؛ المجتمع العرقي أو الديني، والحافز الكبير للمساهمة؛ المثابرة والاستعداد للتضحية الشخصية، والوحدة والتضامن والعزيمة؛ الشجاعة والحفاظ على أهداف المجتمع أو المجموعة الاجتماعية.

ضمن المعتقدات المركزية المشتركة من بين العديد من المعتقدات المشتركة التي أشار إليها بار تال (2007)، بوصفها عناصر من هذه الخلافات الحادة، نريد أن نؤكد الآتي: المعتقدات حول عدالة أهداف المرء التي تؤدي إلى الصراع، معتقدات الصورة الذاتية الإيجابية بشأن النزعة الإثنية التي تنسب إليها الصفات الإيجابية، والقيم، وسلوك الفرد في المجتمع، معتقدات المرء المتعلقة بالأذية حين يقدم المرء نفسه بوصفه ضحية مركزًا على الضرر الجائر، والأفعال الشريرة، والفظائع التي ارتكبها العدو، معتقدات نزع الشرعية عن الخصم، معتقدات الوطنية والوحدة التي تولد الولاء إلى الوطن أو المجتمع من خلال إشاعة الولاء، والحب، والرعاية، والتضحية، مع الإشارة إلى أهمية تجاهل الصراعات الداخلية والخلافات من أجل توحيد القوى

في مواجهة التهديد الخارجي. وغني عن الشرح كيف أن الخلافات الحادة الناتجة عن هذه المعتقدات المشتركة والمواقف المقابلة لها، يمكن أن تخلق بيئة مواتية للانخراط في ممارسات متطرفة مثل التفجير الانتحاري لمجتمعهم أو تقديم الدعم لهذه الممارسات.

وبعيدًا عن خلق خلافات حادة بعينها، تبقى الصراعات المستعصية أو المستدامة لها تأثيرها في الحالات الذهنية للأفراد والجماعات، وفي أشكال أخرى يمكن أن تسهل أيضًا التطرف (الردكلة) وتزيد الدعم للعنف، بما في ذلك العنف الانتحاري، ونحن نركز بشكل خاص على أثرين: سمة الموت، والصدمة الشخصية أو القريبة.

## سمة الموت Mortality salience

مما لا شك فيه أن الصراع المستمر يجلب الشعور بالتهديد إلى الصدارة. إن زيادة الوعي بموت أحدنا في نهاية المطاف - سمة الموت - يصبح عنصرا مهمًّا من ذلك الشعور القوي بالتهديد، وقد أظهرت البحوث النفسية أن سمة الموت والخوف من الموت تستطيع تحفيز مجموعة من النتائج النفسية ذات صلة، التي يمكن أن تسهم في الانخراط في العنف الانتحاري ودعم المنظمات الإرهابية الانتحارية. الأولى، عند الإحساس بالتهديد أو موتهم يصبح سمة مشاعر إيجابية تجاه منظومة الاعتقاد عند أحدنا، ويبرز أولئك الذين يحملون معتقدات مشابهة، ونتيجة لذلك، فإنه من المحتمل جدًّا أن يقوم الشعب بدعم وجهة نظرهم الخاصة، وينشغلون فيما يسمى (الدفاع عن النظرة)، في حين يزيدون أيضًا من تواصلهم مع المجموعة، ويزيدون كذلك من مشاعرهم السلبية تجاه أولئك الذين ينظرون إليهم على أنهم يشكلون تهديدًا لهم. أضف إلى ذلك، أظهر غرينبرغ وآخرون (1990) وجود صلة مهمة بين الخوف من الموت وما يطلق عليه كروغلانسكي وفيشمان (2009) الموضوع العميق الذي يشكل الأساس لمعظم الدوافع السطحية المختلفة لدى الإرهابيين: البحث عن معنى الشخصية وأهميتها. وضعت في كلمات المؤلفين، -بشكل عام- إدراك حقيقة الموت والخوف من العيش حياة غير ذات أهمية، تدفع الناس على أن يكونوا أعضاء (صالحين) في المجتمع، لكن عندما تواجه مجموعة ما تهديدًا محتملًا يهدد وجودها، فهذا (الصلاح) سيؤدي إلى التضحية بالنفس من أجل المجموعة الأكبر،

وعلاوة على ذلك، إلى جانب تمجيده وتقديره عاليًا من قبل المجموعة، فهو بذلك يمكن أن يحقق وعد الخلود حين يصبح شهيدًا، تُحفر ذكراه في الذاكرة الجماعية للمجموعة إلى الأبد. (كروغلانسكي وفيشمان، 2009).

من ناحية أخرى، كثير من الشواهد التجريبية تشير إلى أن سمة التهديد تزيد من الاعتماد على الأفكار النمطية لتمييز التهديد خارج المجموعة (أرندت، غرينبرغ، وكوك، 2002؛ سشيمل وآخرون، 1999). كما أكدت الدراسات وجود علاقة إيجابية بين سمة التهديد، واحتمال اللجوء إلى وسائط استبدادية في التفكير (جيل، 2007؛ غرينبرغ وآخرون، 1990؛. لافين، لودج، بوليتشاك، وتابر، 2002)، والحاجة إلى قيادات قوية لتقليل القلق الناتج عن الوضع (مونتوورى، 2005)، بما في ذلك القادة الذين يعتنقون القيم السلطوية والروايات الرمزية التي ينظر إليها على أنها شرعية وعدائية تجاه أولئك الذين يتسببون بالتهديد والقلق، وقد أكد غيل (2007) أهمية البيانات التجريبية المذكورة أعلاه لفهم العملية، حيث الجماهير تصبح عرضة لتأثير الروايات والقادة الذين يشجعون الإرهاب الانتحاري.

### الصدمة القريبة proximal trauma

بعض الأحداث المؤلمة تعمل في كثير من الأحيان كما التذكير بالموت، مما يساعد على تنشيط الآثار المرتبطة بسمة الموت، وبعيدًا عن ذلك تبقى العلاقة بين التجارب المحبطة أو المؤلمة والسلوك العدواني هي الموضوع الكلاسيكي لعلم النفس الاجتماعي، وقد اقترح العديد من الكتاب هذه الفكرة التي تتسق مع المنطق السليم، لشرح أصول التطوع في الهجمات الانتحارية (سبيكهارد وأخميدوفا، 2005 ). وبالنظر إلى أن العديد من الانتحاريين لم يمروا بصدمة شخصية، ناهيك عن أن معظم الناس المصابين بصدمات نفسية لا يتورطون في الإرهاب، وأن غالبية الإرهابيين لا يعانون اضطرابات نفسية، فلا يمكننا دعم نظرية الصدمة بوصفها تفسيرًا عامًّا، ومع ذلك إذا استعرضنا قائمة المحفزات التي تسرع عادة الإكراه ليصبح شخصًا انتحاريًّا، يمكننا أن نرى أن العديد مصابون ببعض أنواع الحوادث المؤلمة مثل المعاناة الشخصية، والمعاناة من الإذلال، والتعرض لأعمال العنف من قبل قوات المعارضة أو التعذيب

أو موت بعض الأصدقاء أو أحد أفراد أسرته (انظر أدناه)، والسجن، والقيود المفروضة على الحركة، والإحباط من الأهداف الشخصية، وما إلى ذلك (جيل، 2007)، وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن لهذه التجارب المؤلمة أن تكون متكررة نسبيًّا بين الأفراد الذين ينتمون إلى أقلية تتعرض للتمييز، أو الناس الذين يعيشون في المجتمعات التي تمر بصراعات عنيفة.

**تنفيذ إستراتيجيات مكافحة الإرهاب الدامي**

لوحظت في العديد من المناسبات العلاقة الوثيقة بين ردود الفعل المفرطة على الإرهاب وبين زيادة النشاط الإرهابي، ويمكن تطبيق هذه الفرضية على الإرهاب الانتحاري. النسب المئوية للدعم للهجمات الانتحارية هي أعلى في البلدان أو المناطق التي فيها متعاطفون محتملون، والمجتمع الحاضن للمجموعات الإرهابية الذين عانوا القمع الشديد على يد قوات الأمن أو القوات الأجنبية. وفقًا لبلوم (2005)، فلسطين، والشيشان، وسريلانكا تقدم أمثلة على الانتحاريين الذين فقدوا أحد أفراد الأسرة من قبل (دولة غير عادلة)، وعقدوا العزم على المشاركة في مهام انتحارية للتعبير عن غضبهم. ريكولفي، (2005). بالإضافة إلى ذلك، يمكن للمنظمات الانتحارية محاولة تجنيد أشخاص فقدوا ذويهم نتيجة لمكافحة الإرهاب، ومع ذلك وعلى الرغم من أن هناك أمثلة عن نتائج عكسية لآثار عمليات مكافحة الإرهاب الصعبة على صعيد الزيادة في الإرهاب الانتحاري، فيمكننا العثور على حالات تنامت فيها الحملات الانتحارية في أثناء مدة انحسار العمليات الصعبة لمكافحة التمرد. (بيب، 2005).

**الفرق الشاسع (حقيقة كان أم منسوبًا) بين الإرهابيين وأعدائهم وأهدافهم**

علماء النفس الاجتماعي يعرفون بأنه كلما كبرت الاختلافات التي ينسبها المعتدون إلى ضحاياهم، زاد مستوى العنف الذي يمارس ضدهم، وهذا المبدأ مفيد أيضًا لشرح الميل إلى شن هجمات انتحارية أو تقديم الدعم لها. وكما أشير سابقًا، الناس الذين ينظرون إلى المنظمات الانتحارية والميليشيات التابعة لها على أنهم أعضاء في مجموعتهم أو في مجتمعهم، هم أكثر ميلًا لتقديم الدعم لهم من غيرهم، في الواقع إن الدعم يمكن أن يكون أعلى عندما يدرك المجتمع

الحاضن للإرهابي الاختلافات الواضحة بينهم وبين أهداف هذه الهجمات. على الرغم من أن الباحث بيب يؤكد ما يبدو أن هذا التباين يمكن أن يتم أساسًا أو حصرًا على أساس الجنسية أو الدين أو غيرها من الاختلافات. المسألة أيضًا -على سبيل المثال- الاختلافات في المواقف السياسية أو حتى في المهنة (تذكر أن الهجمات الانتحارية ضد الجيش أفرادًا أو مسؤولين كبارًا تحصل عادة على الدعم الاجتماعي بأكثر من تلك الهجمات التي تنفذ ضد المدنيين). على أي حال، لا تُعدُّ أيٌّ من هذه الخصائص هي الشروط اللازمة للمشاركة في الإرهاب الانتحاري أو دعمه. في الواقع، الاختلافات الفريدة الأكثر تأثيرًا التي تفصل هوية الإرهابيين عن هوية ضحاياهم تعتمد على الأفكار النمطية والمعتقدات المنحازة، بدلًا من التركيز على الجنسية، أو الدين، أو المهنة. هذه الأفكار النمطية والمعتقدات التي تعد عناصر أساسية للفكر، والخطاب والدعاية للمنظمات الإرهابية الانتحارية، تشكل صورة لأهداف الهجمات الإرهابية، حيث إن الأعداء يوصفون في كثير من الأحيان بسمات لا تليق بالبشر أو متلبس بمس من الشيطان. باندورا، 1998. وصمة العار والإهانة والاستطراد الشيطاني وإستراتيجيات الدعاية تستخدم جميعها من أجل استبعاد الضحايا من المجال العادي للأخلاق. وكما بيَّن أوبتو (1990) الناس الذين يستبعدون أخلاقيًّا ينظر إليهم على أنهم أناس تافهون ومستهلكون أو غير جديرين بالاحترام، ومن ثم إيذاؤهم أو قتلهم يبدو أمرًا مقبولًا، ومناسبًا، أو حتى عادلًا. ومع انتشار ثقافة الاستشهاد (انظر أدناه) الانتقاص من قيمة الضحايا يمكن أن يزيد الإرهاب الانتحاري من خلال إعادة تعريف تلك الممارسة بوصفها أفعالًا مقبولة أخلاقيًّا.

**نشر ثقافة الاستشهاد**

إن نشر الثقافة التي تؤطر لموت الانتحاريين بوصف أن ما يقومون به يُعدُّ من أفعال التضحية والإيثارية لأجل مجتمعاتهم (بمعنى العمليات الاستشهادية)، هو على الأرجح يسرع من التطرف، والتعبئة، والاستقطاب الذي يحفز الإرهاب الانتحاري.

تعزيز ثقافة الاستشهاد يتطلب في المقام الأول اختيار واستغلال النصوص، والتقاليد، والأساطير والرموز، والطقوس المستخرجة من الثقافة أو الدين الذي يتقاسمه مروجو الانتحار

مع جمهورهم من المؤيدين، ولا يهم إن كان المجتمع محليًّا أو جمهور الأنصار الموزعين عبر الحدود الوطنية، ويتواصلون بوساطة الإنترنت. هذا الاختيار من الحجج والرموز يمكِّن من خلق مضامين الشهادة: في الأساس، القص المحفز، والخطاب الذي يزيد من الشعور بالتهديد بين أعضاء الجمهور المناصر لهم وتشويه الهجمات الانتحارية بالأخلاق، إلى جانب تشويه صورة أهداف الهجمات الانتحارية. إن ثقافة الاستشهاد التي تشجع القادة والمنظمات الجهادية تضيف جاذبية دينية كبيرة للإرهاب الانتحاري من خلال ربط (العمليات الاستشهادية) ببعض الجوائز السماوية؛ مثل تكفير المرء عن ذنبه، أو دخول الجنة.

بعد إنشاء ثقافتها الاستشهادية، منظمة إرهابية تحاول نشرها من خلال اللجوء إلى مجموعة من الوسائل: الوعظ، الدعاية، خطابات القادة الذين يتمتعون بجاذبية معينة، والسلطات المعرفية والهيئات والمؤسسات والتلقين، وما إلى ذلك. أخيرًا، اعتماد ثقافة الاستشهاد ونشرها كان لها عميق الأثر في خلق حالة من فك الارتباط الأخلاقي (باندورا، 1998)، وهذا هو تعليق المعايير الأخلاقية العادية التي تمنع الناس عادة من تنفيذ القتل والانتحار أو دعمهما. (حافظ، 2007).

## الخلاصة

في بعض الجوانب المهمة، الإرهاب الانتحاري لا يختلف كثيرًا عن السلوكيات الاجتماعية الأخرى. أولًا حملات الهجمات الانتحارية تشترك مع سلوك اجتماعي آخر في الهدف نفسه؛ من حث الناس على تغيير مواقفهم وسلوكياتهم (السياسية). ومثل غيرها من الظواهر الاجتماعية، الإرهاب الانتحاري حصيلة مزيج من الدوافع الذرائعية وغير الذرائعية، بما فيها الأهداف الإستراتيجية، والتشغيلية والتكتيكية، بقدر العواطف والمعايير الاجتماعية أو الثقافية. وعمليات التفاعل الاجتماعي والتعريف الاجتماعي هي الجسور التي يصبح من خلالها بعض الأفراد والنشطاء متطوعين لتنفيذ عمليات انتحارية.

وبعد مناقشة هذا التوصيف النفسي للإرهاب الانتحاري، فقد وضعت في هذا الفصل شرحًا شاملًا على ثلاثة مستويات: التنظيمية، والفردية، والاجتماعية. إن تطور حملة أي هجوم

انتحاري تنطوي على عمليات حرجة؛ على المستوى التنظيمي، مطلوب التحول الإستراتيجي لصالح العنف والانتحار، وعلى المستوى الفردي، التطرف الشديد تجربة يجب أن تتم قبل أن يقرر الأفراد والمسلحون أن يصبحوا مفجرين انتحاريين. أخيرًا، على المستوى الاجتماعي، تأثير الاستقطاب في صميم المجتمع الحاضن للإرهابي قد يكون ضروريًّا لزيادة القبول الشعبي بالانتحار الإرهابي ودعم المنظمات الانتحارية. إن احتمال قيام شبكة إرهابية أو جماعة أو منظمة إرهابية بالترويج أو إطالة أمد الحملة الإرهابية الانتحارية تتأثر ببعض عوامل الخطورة المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعمليات الثلاثة المذكورة أعلاه. الصراعات غير المتماثلة، ومشاعر الركود، وأزمة أو فشل استخدام أساليب إرهابية تمردية أخرى، والتعايش بين مجموعات إرهابية عدة أو مجموعات تمرد الجماعات المتمردة، وإمكانية الوصول المعرفي إلى ما قبل وجود النشاط الإرهابي الانتحاري، هي جميع الظروف التي يمكن أن تدفع الإرهابيين لشن هجوم انتحاري أو حملة انتحارية. من ناحية أخرى، تحليلنا لعمليات التطرف والاستقطاب يشدد على تأثير عوامل متعددة، بما في ذلك النزاعات المستعصية والخلافات الحادة النزاعية، وسمة الموت، والصدمة الشخصية أو القريبة، وإستراتيجيات مكافحة الإرهاب الدموية، والاختلافات المتصورة القوية بين الإرهابيين وخصومهم، وثقافات الاستشهاد.

إن العوامل النفسية الاجتماعية المتعددة التي تنطوي عليها ديناميات الانتحار يجب أن تؤخذ في الحسبان لمواجهة هذه الممارسة المميتة، فمن خلال فهم هذه العوامل، يتعين على صناع القرار والمسؤولين الأمنيين أن يكونوا قادرين على التنبؤ بشكل أفضل عندما تتطور التهديدات الإرهابية إلى تعبيرات العنف الانتحاري. وبالإضافة إلى ذلك، ينبغي توجيه هذه المعرفة، ويجب أن تكون المرشدة إلى تنفيذ إجراءات مضادة طويلة الأجل وقصيرته. نهجنا هذا يسلط الضوء على أهمية تصميم وتنفيذ التدخلات التي تعمل على المستوى التنظيمي، وعلى المستوى الفردي، والمستويات الاجتماعية. وهذا هو، وفقًا للمنظور النفسي الاجتماعي حيث ثلاث مهام هي على قدم المساواة لمنع الإرهاب الانتحاري. أولًا: لتبعد الجماعات والمنظمات الإرهابية من تصعيدها في طرق الانتحار. ثانيًا وثالثًا: لتفادي الظروف والتأثيرات والتجارب والإجراءات التي من شأنها أن تعزز ظهور المواقف الفردية والاخلاص الاجتماعي للعنف الانتحاري والمنظمات الانتحارية.

# المراجع
# REFERENCES

Arndt, J., Greenberg, J., & Cook, A. (2002). Mortality salience and the spreading activation of worldview–relevant constructs: Exploring the cognitive architecture of terror management. Journal of Experimental Psychology, 13(3), 307–324.

Atran, S. (2006). The moral logic and growth of suicide terrorism. The Washington Quarterly, 29(2), 127–147.

Bandura, A. (1979). The social learning perspective: Mechanisms of aggression. In H. Toch (Ed.), Psychology of crime and criminal justice (pp. 193–236). Prospect Heights, IL: Waveland Press.

Bandura, A. (1998). Mechanisms of moral disengagement. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, states of mind (pp. 161–191). Cambridge: Cambridge University Press.

Bar–Tal, D. (2000). Shared beliefs in a society: Social psychological analysis. Thousand Oaks, CA: SAGE.

Bar–Tal, D. (2007). Sociopsychological foundations of intractable conflicts. American Behavioral Scientist, 50(11), 1430–1453.

Bloom, M. (2005). Dying to kill. The allure of suicide terror. New York: Columbia University Press.

Castells, M. (2004). La era de la información (vol. II): el poder de la identidad. Madrid: Alianza.

Coleman, J. S. (1990). Foundations of social theory. Cambridge: Harvard University Press.

Dalgaard–Nielsena, D. (2010). Violent radicalization in Europe: What we know and what we do not know. Studies in Conflict & Terrorism, 33(9), 797–814.

SUICIDE TERRORISM EXPLAINED 39

Della Porta, D. (1995). Social movements, political violence, and the state:

A comparative analysis of Italy and Germany. New York: Cambridge University Press.

Della Porta, D., & Diani, D. (2006). Social movements: An introduction.

Oxford: Blackwell.

De La Corte, L. (2006). La lógica del terrorismo. Madrid: Alianza.

De La Corte, L., & Giménez-Salinas, A. (2009). Suicide terrorism as a tool of insurgency campaigns: Functions, risk factors, and countermeasures.

Perspectives on Terrorism, 3(1), 11–19.

De La Corte, L., Kruglanski, A., De Miguel, J. M., Sabucedo, J. M., & Díaz, D. (2007). Seven psychosocial principles for explaining terrorism.

Psychology in Spain, 2008, 12(1), 70–80.

Elster, J. (2006). Motivations and beliefs in suicide missions. In D.

Gambetta (Ed.), Making sense of suicide missions (pp. 233–258). Oxford: Oxford University Press.

Fields, R. (1979). Child terror victims and adult terrorists. Journal of Psychohistory, 7(1), 71–76.

Gambetta, D. (2006). Making sense of suicide missions. Oxford: Oxford University Press.

Ganor, B. (2001). The rationality of the Islamic radical suicide attack phenomenon.

In B. Ganor (Ed.), Suicide terrorism: An overview. Herzliya:

Institute for Counterterrorism.

Gill, P. (2007). A multidimensional approach to suicide bombing.

International Journal of Conflict and Violence, 1(2), 142–159.

Greenberg, J., Pyszczynski, T., Solomon, S., Rosenblatt, A., Veeded, M. Y., & Kirk–lan, S. (1990). Evidence of terror management theory II:

The effects of mortality salience reactions to those who threaten or bolster the cultural worldview. Journal of Personality and Social Psychology, 58(2), 308–318.

Gupta, D. K., & Mundra, K. (2005). Suicide bombing as a strategic weapon. An empirical investigation of Hamas and Islamic jihad.

Terrorism and Political Violence, 5(17), 573–598.

Hafez, M. (2007). Martyrdom mythology in Iraq: How jihadists frame

suicide terrorism in videos and biographies. Terrorism and Political Violence, 19(1), 95–115.

James, W. (1891). The principles of psychology. London: Macmillan.

Kahneman, D. (2011). Thinking fast and slow. New York: Farrer, Straus &

Giraux.

Kalyvas, S., & Sánchez Cuenca, I. (2006). Killing without dying: The absence of suicide missions. In D. Gambetta (Ed.), Making sense of suicide missions (pp. 209–233). Oxford: Oxford University Press.

Kriesberg, L. (1998). Intractable conflicts. In E. Weiner (Ed.), The handbook of interethnic coexistence (pp. 332–342). New York: Continuum.

40 LUIS DE LA CORTE IBÁÑEZ

Krueger, A. B., & Maleckova, J. (2002). Does poverty cause terrorism?

The New Republic, 226(24), 27–33.

Kruglanski, A. W., Chen, X., Dechesne, M., Fishman, S., & Orehek, E.

(2009). Fully committed: Suicide bombers' motivation and the quest for

personal significance. Political Psychology, 30(3), 331–357.

Kruglanski, A., & Fishman, S. (2009). Psychological factors in terrorism

and counterterrorism: Individual, group, and organizational levels of analysis. So–cial Issues and Policy Review, 3(1), 1–44.

Lankford, A. (2010). Suicide terrorism as a socially approved form of suicide. Cri–sis: The Journal of Crisis Intervention and Suicide Prevention, 31(6), 287–289.

Lankford, A. (2011). Requirements and facilitators for suicide terrorism:

An explanatory framework for prediction and prevention. Perspectives on Terror–ism, 5(5–6), 70–80.

Lavine, H., Lodge, M., Polichak, J., & Taber, C. (2002). Explicating the

black box through experimentation: Studies of authoritarianism and

threat. Political Analysis, 10(4), 343–361.

Merari, A. (1990). The readiness to kill and die: Suicidal terrorism in the Middle East. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies and states of mind (pp. 192–207). Cambridge: Cambridge University Press.

Merari, A. (2005). Social organizational and psychological factors in suicide

terrorism. In T. Bjorgo (Ed.), Root causes of terrorism. London: Routledge.

Moghadam, A. (2007). Suicide terrorism, occupation and the globalization

of martyrdom: A critique of dying to win. Studies in Conflict and Terrorism, 29(8), 707–729.

Montuori, A. (2005). How to make enemies and influence people: Anatomy

of the anti–pluralist, totalitarian mindset. Futures, 37(10), 18–38.

Mursheda, S. M., & Pavan, S. (2011). Identity and Islamic radicalization in

Western Europe. Civil Wars, 13(3), 259–279.

Opotow, S. (1990). Moral exclusion and injustice: An overview. Journal of Social Issues, 46(1), 1–20.

Pape, R. A. (2005). Dying to win: The strategic logic of suicide terrorism.

New York: Random House.

Pedahzur, A. (2004). Toward an analytical model of suicide terrorism.

A comment. Terrorism and Political Violence, 16(4), 841–844.

Ricolfi, L. (2005). Palestinians: 1981–2003. In D. Gambetta (Ed.), Making

sense of suicide missions (pp. 77–130). Oxford: Oxford University Press.

Rosenberg, S. W. (1995). Against neoclassical political economy: A political

psychological critique. Political Psychology, 16(1), 99–136.

SUICIDE TERRORISM EXPLAINED 41

Sageman, M. (2004). Understanding terrorist networks. Philadelphia, PA:

University of Pennsylvania Press.

Sageman, M. (2008). Leaderless jihad: Terror networks in the twenty–first

century. Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.

Schimel, J., Simon, L., Greenberg, J., Pyszczynski, T., Solomon, S., Waxmonsky, J., & Arndt, J. (1999). Stereotypes and terror management: Evidence that mortality salience enhances stereotypic thinking

and preferences. Journal of Personality and Social Psychology, 77(5), 905–926.

Silke, A. (2006). The role of suicide in politics, conflict and terrorism.

Terrorism and Political Violence, 18(1), 35–46.

Simon, H. A. (1995). Rationality and political behavior. Political

Psychology, 16(1), 45–61.

Simon, B., & Klandermans, B. (2001). Politicized collective identity: A social psy– chological analysis. American Psychologist, 56(4), 319–331.

Speckhard, A., & Akhmedova, K. (2005). Talking to terrorists. Journal of Psycho– history, 33(2), 125–156.

Tajfel, H., & Turner, J. C. (1986). The social identity theory of intergroup behavior. In S. Worchel & W. G. Austin (Eds.), Psychology of intergroup relations (pp. 7–24). Chicago, IL: Nelson–Hall.

Taylor, M., & Horgan, J. (2006). A conceptual framework for addressing psychological process in the development of the terrorist. Terrorism and Political Violence, 18(4), 585–601.

Taylor, D. M., & Louis, W. (2003). Terrorism and the quest for identity. In F. M. Moghaddam & A. J. Marsella (Eds.), Understanding terrorism. Psychological roots, consequences and interventions. Washington, DC: American Psychological Association.

Turner, J. C., Hogg, M. A., Oakes, P. J., Reicher, S. D., & Wetherell, M. S. (1987). Rediscovering the social group: A self–categorization theory. New York: Blackwell.

# 3

# علم النفس التطوري للإرهاب الانتحاري

جيمس ر. ليدل وتود ك. شاكلفورد

الأعمال الإرهابية الانتحارية، والوفيات المرتبطة بمثل هذه الأفعال، زادت بشكل كبير في جميع أنحاء العالم خلال العقد الأخير (هرونيك، 2006)؛ فمن الأهمية بمكان للباحثين أن يضاعفوا جهودهم لفهم لماذا يحدث هذا السلوك، لأنه مع مزيد من الفهم تأتي الوسائل الممكنة للحد من حدوثه. بالفعل، بذلت محاولات عدة للتعرف على الميزات النفسية المنتظمة لدى الإرهابيين الانتحاريين، أو التعرف على العوامل النفسية التي تساعد على مثل هذه الأعمال الإرهابية الانتحارية. (انظر بورم، 2004؛ هوفمان، 1999؛ روس، 1996)، لكن في نهاية المطاف، بنية عقولنا هي التي تجعل مثل هذا السلوك ممكنًا، فلا بد أن تكون عقولنا هشة بما فيه الكفاية حتى نقتنع بأن نقدم مثلنا العليا على حياة شخص ما (والمثل الأكثر قوة هي تلك المرتبطة بالدين). (دينيت، 2006).

كثيرًا ما يحاول علماء النفس تفسير الظواهر العقلية من خلال الأسباب المباشرة؛ أي بمعنى من خلال الأسباب المباشرة والبارزة للظاهرة المراد دراستها. (انظر ركمان 2008، Workman & Reader, 2008). على سبيل المثال، يجد معظمنا في التجارب المؤلمة وغير السارة للغاية دافعًا للخروج عن الطريق لتفاديها، ومن ناحية أخرى نسعى راغبين خلف التجارب الممتعة؛ مثل الجنس، وبحماسة كبيرة. يمكن أن نفسر هذه السلوكيات من خلال وسائط فيزيولوجية، عن طريق الكيفية التي يستجيب فيها الجهاز العصبي إلى الظواهر ذات الصلة من محفزات مؤلمة وجنس، أو يمكننا أن نسأل الناس لماذا يتجنبون الألم، ويسعون نحو الجنس، وحتى نتوصل إلى استنتاج واضح: فالجنس يشعرهم بالارتياح، والألم على العكس من ذلك. رغم أن مثل هذه التفسيرات المباشرة مهمة وتسهم في فهمنا للطبيعة البشرية، إلا أنها لا تقدم شرحًا

وافيًا. وبعبارة أخرى، هذه التفسيرات لا تعلل السبب الذي وجدت من أجله هذه السلوكيات في المقام الأول، أو لماذا نشعر بالألم؟ ولماذا نحن نندفع ساعين نحو الجنس؟

الجواب يكمن في تلك القوة الدافعة العمياء؛ اللاشعوية، المنتشرة في كل مكان وراء التنوع البيولوجي على وجه الأرض: الانتقاء الطبيعي. فقط من خلال النظر في العقل بوصفه منتجًا للانتقاء الطبيعي يمكن أن نصل إلى شرح وافٍ، وبمجرد أن نفعل ذلك، يمكننا الحصول على فهم أكبر للسلوك البشري؛ فالسرور الذي يستمد من السلوك الجنسي، فضلًا عن الألم الذي يستمد من مختلف المنبهات الضارة، هو نتاج أجزاء محددة من البناء المعرفي الموروث عن أسلافنا الذين من المرجح أن يكونوا قد استجابوا بطريقة جعلتهم أكثر عرضة للبقاء والتكاثر من أبناء جنسهم، في المعدل. البناء المعرفي الذي جعل تلك الردود ممكنة، سواء الاستجابة لممارسة الجنس مع المتعة، أو الاستجابة للمنبهات الضارة مع الألم وتجنبه، فقد أصبح خصائص (عامة للنوع). النهج التطوري لعلم النفس يمكن أن يقوم بأكثر من كونه (كاتلوجًا) للظواهر النفسية، ويصف أي الشروط التي يمكن أن تثير حالات عقلية خاصة؛ يمكن أن يُفسِّر هذا النهج سبب وجود هذه الحالات العقلية والنواحي السلوكية في المقام الأول.

ليس هناك من سبب من حيث المبدأ، لعدم إمكانية توسيع هذا النهج ليشمل موضوع الإرهاب الانتحاري، وحتى الإرهاب بشكل عام. مهما كانت الأسباب المباشرة لمثل هذا السلوك، يجب أن تكون هناك آليات أساسية متطورة بحيث تفتح هذه السلوكيات لتصل إلى عالم إمكانية الإنسان. والغرض من هذا الفصل هو مجرد استكشاف هذه الإمكانية عن طريق تقديم علم النفس التطوري إلى القراء العاديين، وشرح كيف يمكن لمثل هذا النهج أن يشكل قيمة في فهم الإرهاب الانتحاري.

أردنا أن نثبت أن أحد العوامل الرئيسة، إن لم تكن أهم العوامل المحفزة التي تقف خلف الهجمات الإرهابية الانتحارية هو المعتقد الديني. على الرغم من أننا لا نقول إن كل انتحاري بالضرورة دوافعه الإرهابية دينية، فثمة تداخل مهم بين الإرهاب الانتحاري والدين، فالغالبية العظمى من أولئك الذين يرتكبون الإرهاب الانتحاري يتبنون معتقدات دينية قوية. (انظر بداهزور، بيرلغر، واينبرغ، 2003؛ واينبرغ، بداهزور، وكانيتي، نيسيم، 2003)، وهم في كثير

من الأحيان أصوليون أو من طبيعة متطرفة، ومعظمهم من الإسلاميين (هاريس، 2004). هذا التداخل يشير إلى أن فهم علم النفس التطوري للدين يمكن أن يوفر أساسًا مفيدًا لاستكشاف علم النفس التطوري للإرهاب الانتحاري؛ لذلك بدأنا من خلال استكشاف كيف بدأ علم النفس التطوري في اختراق جذور الأسباب المرتبطة بالدين، ومن ثم تمديد النظريات الحالية حول الدين لتشمل ظاهرة الإرهاب الانتحاري.

## تطور الدين

الدين بأي حال من الأحوال موضوع جديد للدراسة في علم النفس (انظر جيمس، 1902)، وتطبيق نظرية النشوء والارتقاء على العقيدة الدينية والسلوك يمكن إرجاعه إلى داروين (1871) نفسه الذي اقترح أن (القدرات العقلية العالية نفسها التي جعلت الإنسان يعتقد في القوى الغيبية الروحية، ثم في الشهوة الجنسية، والشرك، وفي نهاية المطاف في التوحيد، ستقوده بطريقة لا يشوبها الخطأ. . . إلى مختلف الخرافات والعادات الغريبة). (ص 816). ولكن على الرغم من البصيرة التي يحمد عليها في تطبيقه النشوء والتطور على (القدرات العقلية) للمعتقد الديني، إلا أن النهج النفسي التطوري للدين هو جديد نسبيًا، وبدأ فقط في اكتساب المزيد من الزخم على مدى العقد الماضي.

على الرغم من أن هناك الكثير من العمل التجريبي الذي يتعين القيام به، إلا أن الإجماع الحالي بين علماء النفس التطوري والعديد من الباحثين الآخرين الذين لديهم مقاربات للدين من هذا المنظور، هو أن الدين جاء بوصفه منتجًا ثانويًا ناتجًا عن تفاعل العديد من الآليات النفسية التطورية، وبتلك الأسس الأولية التي تفاعلت مع التطور الثقافي، فقد أصبح الدين ما هو عليه اليوم (أتران، 2002؛ بيرينغ، 2005؛ بوير، 2001). إحدى هذه الآليات النفسية هو الـ (هاد) HADD، الذي اقترحته غوثري (1993)، مع أن من صك المصطلح هو باريت (2000، 2004)، وهو الذي توسع أيضًا في الفكرة.

البشر لديهم ميل للكشف عن القوة الموجودة في البيئة حتى عند وجود لا شيء، وقد افترض غوثري (1993) أن هذا الاستعداد السلوكي يمكن أن يكون له أساس تطوري. في معظم

التاريخ البشري التطوري، كانت الحيوانات المفترسة تشكل تهديدًا حقيقيًّا، ما يعني أن الكشف بنجاح عن الحيوانات المفترسة هو الفرق بين الحياة والموت، ومع ذلك كان من المرجح أن على أسلافنا تفسير المنبهات البيئية الغامضة في كثير من الأحيان (مثل سماع الضوضاء في الأدغال). وبالنظر إلى المنبهات الغامضة، فإن أولئك الذين ارتكبوا خطأ إيجابيًّا كاذبًا عانوا ملاءمة أقل كلفة من أولئك الذين ارتكبوا خطأ سلبيًّا كاذبًا، وبعبارة أخرى إساءة تفسير ضوضاء طبيعية غير مؤذية في الأدغال لحيوان مفترس، سوف يؤدي في معظم الحالات إلى هدر طاقة هروب من عدو متخيل، في حين أن إساءة تفسير المفترس الحقيقي للضوضاء غير مؤذية يمكن أن يؤدي إلى أذية شديدة أو الموت؛ ولذلك من المرجح أن يكون هناك ضغط اختيار للكشف عن قدرة الإحساس الشديد؛ لأن أولئك الذين ارتكبوا أخطاء إيجابية كاذبة كانت فرصة بقائهم أحياء وتكاثرهم أكثر من أولئك الذين ارتكبوا أخطاء سلبية كاذبة.

وقد أثبت العديد من الباحثين أن البالغين لديهم نزعة قوية لكشف القوة، حتى عند وجود لا شيء (بيري، ميسوفتش، كين، وبارون، 1992؛ وايت وميلن، 1999؛ انظر أيضًا بوير، 2001 وشول وتريمولت، 2000 للمراجعة)، وهناك أدب تنموي شامل يشير إلى أن هذا النزعة تبرز في مرحلة الطفولة (بيرينغ، 2005؛ & جيرجيلى. كزيبرا 2003؛ هاملين، وين، وبلوم، 2007؛ انظر أيضًا أتران، 2002 للمراجعة). هذه الآلية النفسية هي التي ربما تضع الأساس للمعتقد الديني، ومع أناس جاهزين لافتراض وجود قوى خارقة للطبيعة (على سبيل المثال، أشباح، أرواح، آلهة) لفئات معينة من المنبهات الغامضة، ومع ذلك هذه الآلية في حد ذاتها ليست كافية لتفسير وجود معتقدات دينية معقدة.

الاعتقاد بوجود قوىً خارقة للطبيعة قد يظهر بوصفه منتجًا ثانويًّا لـ (الهاد)* hyperactive agent– detection device (HAAD)، لكن هذا لا يفسر الخصائص التي منحت لهذه القوى من قبل أولئك الذين يؤمنون بها. لتقديم الدعم الإضافي لفرضية المنتج الثانوي للمعتقد الديني، فقد افتُرض أن تصميم نظام ذاكرتنا يؤثر بصورة مهمة، وأكثرهم على وجه التحديد

* هاد: هو التفسير الأكثر قبولًا للمعتقد الديني في علم الأحياء وعلم النفس وعلم الاجتماع، فهو يقدم لنا تفسيرًا طبيعيًّا لأصل المعتقدات التي تشكل الأساس لكل دين.

بوير (2001) الذي يشير إلى أن الناس عرضة بشكل خاص لتذكر ما أسماه باريت (2004) المفاهيم المناقضة للحدس في الحد الأدنى (MCI)، وأن القوى الخارقة للطبيعة هي مثال على هذه المفاهيم. المفاهيم المناقضة للحدس في الحد الأدنى يمكن وصفها بإيجاز بأنها مفاهيم انتهكت فيها أعداد صغيرة نسبيًّا من الافتراضات، ومن ثم لفتت انتباهنا (انظر إلى باريت، 2004، للمزيد من الوصف التفصيلي). ومع ذلك، ليست المفاهيم كلها المناقضة للحدس في الحد الأدنى جديرة بالتذكر. بعد إجراء العديد من التجارب لتحديد درجة التذكر بين مفاهيم مناقضة للحدسية متفاوتة. يوضح لنا بوير (2001):

> وجدتُ أنا وباريت كذلك، أن انتهاكات التوقعات الأنطولوجية -كما وجدت في قوالب للمفاهيم الخارقة للطبيعة- يمكن استحضارها بشكل أفضل مما لو نظرنا إليها على أنها (مجرد شذوذ)؛ على سبيل المثال: الرجل الذي خرج من الجدار (انتهاك أنطولوجي) يمكن أن نتذكره بشكل أفضل من تذكر رجل بستة أصابع (انتهاك للتوقعات، لكن ليس من تلك التوقعات التي تحدد الصنف الأنطولوجي للشخص). (ص 80).

بالإضافة إلى ذلك، وجدت هذه التجارب أن المفاهيم ذات الافتراضات الكثيرة المنتهكة لم يتم استذكارها وكذلك MCIS، وهو اكتشاف تم تكراره من قبل باريت ونايهوف (2001). أما بوير ورامبل فقد قدما (2001) دعمًا عابرًا للثقافات لهذه الميول التذكرية.

باختصار، وصف مختصر لمسألة المنتج الثانوي في المعتقد الديني أنه يركز في المقام الأول على HADD وMCIS؛ فالقوى الخارقة للطبيعة تنشأ بوصفها منتجًا ثانويًّا من HADD، وتستمر خصائص القوى الخارقة للطبيعة في مجتمع معين لأنها الأسهل في التذكر؛ لأن المنتج الثانوي لنظم ذاكرتنا هي قابلية التأثير بـ MCIS. ومع ذلك، لا يتفق جميع الباحثين الذين يدرسون الدين من منظور تطوري مع مسألة المنتج الثانوي؛ ولذا فمن الإنصاف أن تقدم استعراضًا موجزًا عن فرضيات التكيف adaptationist hypotheses للمعتقد الديني.

فقد اقترح ويلسون (2002) أن الدين قد يكون التكيف لأنه طوال تاريخنا التطوري، سمحت المعتقدات الدينية للجماعات أن تعمل بشكل أكثر نجاحًا و(خارج المجموعات المنافسة) التي ليس لديها معتقدات دينية. ويلسون هو داعية الاختيار على مستوى المجموعة التي ترى

أنه بالإضافة إلى العمل على مستوى الأفراد، يمكن أن يعمل الانتقاء الطبيعي على مستوى المجموعات. غير أن الاختيار على مستوى المجموعة دحضه بقوة وبشكل قاطع وليامز (1966)، والإجماع الحالي بين الباحثين التطويريين هو أن اختيار مستوى المجموعة مستبعد جدًّا إلا في ظروف محددة جدًّا ونادرة. أيضًا، يقدم ويلسون شيئًا من الدعم التجريبي لمزاعمه، وإلى أن يقدم ويلسون وغيره هذا الدعم التجريبي، فإن اختيار مستوى المجموعة سيظل على الأرجح وجهة نظر الأقلية.

اقترح بعض الباحثين أن الاعتقاد الديني، وخاصة حضور الكنيسة، قد يكون له تأثير إيجابي في صحة الفرد (كونيغ & فيلان، 2009؛ كونيغ وآخرون، 1999؛ & ماكولو لارسون، 1999؛ ماكولو، لارسون، هويت، كونيغ، وثوريسين2000)، والذي يبدو أنه يؤيد الرأي القائل بأن الدين له الصفات التكيفية. ومع ذلك، على الرغم من العلاقات الإيجابية التي تم اكتشافها، اعترف هؤلاء الباحثون بما يكفي حول إمكانية تفسيرات بديلة، كالتي تفيد صحة الفرد من الشعور بالانتماء والقبول في مجموعة ضيقة متماسكة، فالمشاعر ليست حكرًا على المنظمات الدينية؛ على سبيل المثال، بارك، وفنستر، وسوريش، وبليس (2006) كتبوا عن أهمية الدعم الاجتماعي العام في تسهيل تعديل إيجابي لدى السكان الذين يعانون المرض المزمن، وقدموا أدلة على أن الدعم الاجتماعي هو مؤشر كبير على من انخفضت مشاعر الاكتئاب لديهم ممن يعانون فشل القلب الاحتقاني (CHF). علاوة على ذلك، ميربرغ وبرو (2001) كتبا أن العزلة الاجتماعية ينظر إليها المرضى الذين يعانون CHF بأنها هي المؤشر الكبير على الموت. من ناحية أخرى، العلاقات الإيجابية بين حضور الكنيسة والصحة تم اكتشافها حتى بعد السيطرة على متغيرات التواصل الاجتماعي (كونيغ وآخرون، 1999). ومع ذلك، هذا لا يتناول ما إذا كان الناس الذين ينتمون لبعض الجماعات غير الدينية قد يستفيدون بطرق مشابهة. ومع أن التأثير على التدين أو حضور الكنيسة ليس ملائمًا، إلا أنه يجب القيام بمزيد من البحوث لتحديد ما إذا كانت هذه الفوائد الصحية ناتجة عن العوامل التي لا تقتصر على التدين، أو في حالة وجود هذه العوامل في بيئات أخرى.

يمكن القول إن تفسير التكيف الأكثر إلحاحًا للدين يشير إلى أن المعتقد الديني يؤدي إلى درجة أكبر من السلوك التعاوني أو الاجتماعي داخل المجموعات (الكورتا وسوسيز، 2005، بيرينغ، ماكلويد، وشاكلفورد، 2005؛ بولبوليا، 2004؛ بيرزكي & سوسيز، 2009). على الرغم من أن هذا يمكن أن يفسر على أنه اختيار مستوى المجموعة، ويمكن أن ينطبق أيضًا على اختيار على مستوى الأفراد؛ لأن الأفراد الأعضاء في مجموعة إيجابية اجتماعيًّا لابد لهم بشكل عام من الاستفادة من هذه الاتجاهات في الإخلاص الاجتماعي. بمراجعة ما كتب حول أدبيات المعتقد الديني والإخلاص الاجتماعي من قبل نورنز ايان وشريف (2008)، أوصل الكتّاب إلى الاستنتاج بأن الاعتقاد الديني في الحقيقة لا يزيد السلوك الاجتماعي الإيجابي، إلا أن مثل هذه الزيادة تعتمد إلى حد كبير على البيئة السائدة context–sensitive. الأفراد المتدينون على وجه التحديد، هم عرضة لإظهار إخلاص اجتماعي تجاه أفراد آخرين من مجموعتهم أكثر من إخلاصهم تجاه (الغرباء). فضلًا عن أن الزيادة في السلوك المخلص اجتماعيًّا تحدث في المقام الأول عندما تؤثر الحالة في السمعة الاجتماعية لشخص في المجموعة. أخيرًا، لم يلاحظ زيادة موثوقة في الإخلاص الاجتماعي إن لم تكن المعتقدات الدينية للفرد ولا سيما تلك المعتقدات الإلهية المعنية بالأخلاق بارزة معرفيًّا، في اللحظة التي يكون فيها سلوك الإخلاص الاجتماعي ممكنًا. هذه النتائج تشير إلى دور التكيف الممكن للمعتقد الديني، لكنها لا تتخلص من إمكانية أن يكون الدين منتجًا ثانويًّا. ربما أفضل ما يوصف به المعتقد الديني هو أن يكون التكيف المسبق exaptation (غولد، 1991؛ بص، هاسلتون، شاكلفورد، بلسكي، وويكفيلد، 1998)، في الأصل نتيجة ثانوية لـ HADD، ومن نظام ذاكرتنا، والآليات النفسية الأخرى، وفي نهاية المطاف يخدم وظيفة التكيف لتسهيل التعاون بين الأفراد في المجموعة.

وأخيرًا، فمن الجدير بالذكر أن علم التطور الثقافي، الذي هو نهج تطورية آخر لفهم المعتقدات الدينية، لا يندرج تمامًا في فئة المنتج الثانوي أو التكيف. دوكينز (1976) صاغ مصطلح (ميمي)، وأشار إلى أن الأفكار، أو الميمات، قد تتطور بطريقة مشابهة للجينات، ويمكن عدُّ الأفكار كما لو أنها تتنافس مع بعضها للحصول على الإقامة في عقول الناس، وتلك الأفكار التي هي الأكثر نجاحًا في أن يتذكرها المرء سوف يكتب لها البقاء على قيد الحياة، وتنتشر، وربما

تتغير (أي تتطور) مع مرور الوقت. منذ ظهوره في عام 1976، تم توسيع علم التطور الثقافي من قبل العديد من الكتاب (بلاكمور، 1999؛ برودي، 2009)، وتمت مناقشته صراحة في إشارة إلى الدين من قبل دينيت (2006). ومع ذلك، وفي هذه المرحلة، لا يزال علم التطور الثقافي يتعرض للمضاربة ومثيرًا للجدل بوصفه نهجًا لفهم التطور الثقافي وانتشار الأفكار (انظر أونغر، 2000). ومع ذلك، فينشر وثورنهيل (2008) قدما بعض الدعم غير المباشر من منظور وحدة المعلومات الثقافية (memetic)، في دراستهما لدرجة التنوع الديني في جميع أنحاء العالم من حيث صلته بانتشار مسببات المرض (pathogen prevalence)؛ فقد افترض فينشر وثورنهيل وجود انتشار مسببات المرض طرديًّا مع التنوع الديني. على الرغم من أنه لم تحدث هذه الدراسة من منظور وحدة المعلومات الثقافية (memetic)، إلا أن نتائجهما تفهم ضمن هذا الإطار؛ إذا كان ضغط العوامل المسببة للمرض يقيد من الاتصال بين المجموعات، فإن هناك منافسة مباشرة أقل بين المعتقدات الدينية المختلفة، وهو ما يعني أن المعتقدات سوف تستمر في البقاء على قيد الحياة. على العكس، التوتر المرضي المنخفض يمكن أن يترجم إلى نقل الثقافة أكثر، ويؤدي إلى المنافسة بين المعتقدات، وفقط المعتقدات (الأصلح) هي التي تبقى.

ولَّد المنظور النفسي التطوري الكثير من الفرضيات المثيرة للاهتمام فيما يتعلق بالمعتقد الديني، وهذه الفرضيات مما لا شك فيه أنها سوف تتم تنقيتها بوصفها عملًا تجريبيًّا إضافيًّا ينفذ. واليوم يمكن أن نوجه اهتمامنا إلى كيفية استخدام هذا المنظور لفحص الإرهاب الانتحاري.

## تطبيق علم النفس التطوري على الإرهاب الانتحاري

مثله مثل الدين، فقد تمت دراسة الإرهاب الانتحاري على نطاق واسع من المنظور النفسي (انظر بونغار، بنى، بيوتلر، بريكنريدج، وزيمباردو، 2007؛ ستيرن، 2003). ومع ذلك، كان التركيز على هذه البحوث -إلى حد كبير- لتحديد أسباب الإرهاب الانتحاري وفهمه. على الرغم من أن هذا البحث مهم، ونحن نساجل بأن إضافة منظور النفسي التطوري له القدرة على زيادة فهمنا للإرهاب، بشكل عام، والإرهاب الانتحاري على وجه الخصوص، من خلال شرح لماذا تجد الميلَ إلى مثل هذا السلوك في المقام الأول.

وقد ساجلنا بأن المعتقد الديني هو العامل الأساسي في حدوث الإرهاب الانتحاري، لهذا من الضروري توضيح هذ الجدل قبل محاولة ربط النظريات النفسية التطورية للدين بالإرهاب الانتحاري. نحن لا نساجل بأن التدين هو المؤشر القوي للإرهاب الانتحاري؛ لأن عدد الناس المتدينين في العالم هائل ويفوق عدد الراغبين في الانخراط في الإرهاب الانتحاري. ومع ذلك، هناك بعض المعتقدات الدينية التي قد تسهل مثل هذا الاستعداد (على سبيل المثال، الإيمان بالآخرة، تأييد الاستشهاد، وتصور بعض الناس لأنفسهم ضمن مجموعة ما بأنهم (الناس النخبة، وتشويه سمعة الزنادقة والملحدين). على الرغم من أن التدين قد لا يتنبأ بشكل إيجابي باستعداد الشخص للتورط في الإرهاب الانتحاري، إلا أن نقص التدين (أي عدم وجود معتقدات دينية معينة) يجب أن ينبئ أن المرء ليس لديه الرغبة في التورط في الإرهاب الانتحاري.

لسنا أول من يقترح وجود صلة بين المعتقدات الدينية والإرهاب (دوكينز، 2006؛ هاريس، 2004؛ شتيرن، 2003)، ولكن هناك نقص قوي في البيانات التجريبية التي تدعم هذا الرابط، وإنما البيانات المقدمة التي تدحض هذا الرابط لا تزال غير مقنعة (جنجس، هانسن، ونورزايان، 2009، ليدل، ماتشلوف، وشاكلفورد، 2010). قد يشير الناس إلى جبهة نمور تحرير التاميل، أو نمور التاميل، وذلك لعدم تأكيد العلاقة بين الدين والإرهاب الانتحاري ليتم التعرف عليها بوصفها منظمة علمانية، ومع ذلك هذه التسمية لا تزودنا بمعلومات عن معتقدات معينة عند نمور التاميل الذين هم على استعداد لارتكاب أعمال إرهابية انتحارية. يمكن للمرء أن تكون لديه معتقدات خارقة للطبيعة من دون الانتماء إلى تنظيم ديني (زوكرمان، 2008)، وما لم نستطع أن نقرر أن غالبية نمور التاميل الراغبين في ارتكاب الإرهاب الانتحاري يفتقرون إلى المعتقدات التي من المرجح أن تسهل مثل هذا الإرهاب (على سبيل المثال، الإيمان بالآخرة)، فالهوية العلمانية للمنظمة ككل ليست حجة مقنعة.

كما هو الحال، فإن وجود صلة مباشرة بين المعتقدات الدينية ورغبة المرء في الانخراط في الإرهاب الانتحاري يبقى مفتوحًا للنقاش؛ لأنه ليس هناك أي دليل قوي بما فيه الكفاية لتأكيد فاعلية أو عدم فاعلية هذه الفرضية، ومع ذلك فإن نظريات الدين التي ذكرناها سابقًا تقدم

توضيحًا مفيدًا لتطبيق علم النفس التطوري، ومبادئ علم النفس التطوري نفسها التي بدأت في إزالة الغموض عن المعتقد الديني يمكن تطبيقها في قضية الإرهاب الانتحاري.

كما هو الحال مع العقيدة الدينية، تتطلب منا وجهة نظر علم النفس التطوري النظر فيما إذا كان الإرهاب الانتحاري ينتج بوساطة تكيفات نفسية متخصصة، أو أنه منتج ثانوي لآليات نفسية أخرى. وإن بدا مثل هذا السلوك للوهلة الأولى سيئ التكيف مع المجتمع، وذلك بسبب فقد حياة المرء في هذه العملية، إلا أن هناك فرضيات تكيفيّة واعدة تستحق الدراسة، ولعل الفرضية الواعدة الأهم هي أن مثل هذا السلوك يمكن الحفاظ عليه عن طريق اختيار ذوي القربى.

إن نظرية اختيار ذوي القربى*، التي اقترحها أصلًا هاميلتون (1964)، توضح كيف أن الصفات التي هي ليست بالضرورة مفيدة لكائن حي، مع ذلك يتم اختيارها له، وهكذا يتم التخلص من هذا التناقض الظاهري عندما يحوِّل المرء تركيزه من الفرد إلى الجين؛ فالسمة التي قد تكون ضارة للفرد يمكن أن تكون مفيدة بما فيه الكفاية لأقاربه؛ لأن الضرر -من وجهة نظر الجين- يقابله منافع للآخرين الذين من المحتمل أن يحملوا الجينات نفسها. إن استخدام هذه النظرية من قبل علماء النفس التطوري كان مفيدًا بشكل خاص في توفير تفسير جزئي للسلوك الإيثاري (انظر بص، 2004).

على الرغم من أن السلوك الإيثاري غالبًا ما ينطوي على تكلفة للمحب، فإن الآليات النفسية التي تسمح بحدوث مثل هذا السلوك يمكن اختيارها إذا كان السلوك موجهًا للأقارب من ذوي الجينات نفسها؛ فجينات الإيثار هي التي من المرجح أن تبقى حتى لو كان صاحب الإيثار يعاني؛ لأن هذه الجينات نفسها من المحتمل أن تكون موجودة لدى الأقارب الذين يستفيدون من السلوك.

على صعيد الإرهاب الانتحاري، من الممكن أن يظل مثل هذا السلوك قائمًا؛ لأنه يوفر فوائد لأقارب الإرهابيين (فيكتوروف، 2009)، بداهزور وآخرون. (2003). وعند النظر إلى التركيبة السكانية للانتحاريين الفلسطينيين، نستخلص أن هؤلاء المقاتلين (روابطهم الأسرية) قليلة

* الاختيار الطبيعي للسلوك الذي يقوم به الأفراد ويقلل من فرص بقائهم على قيد الحياة، لكن يزيد من فرص بقاء ذويهم (الذين يتقاسمون جزءًا من مورثاتهم).

جدًّا؛ لأن 2 .84% من العينة المأخوذة يتألف من العزاب، ومع ذلك، جاء 81 في المئة من هؤلاء المقاتلين من الأسر التي لديها ثمانية أفراد على الأقل (بلاكويل، 2005). لذلك، بالرغم من أن غالبية هؤلاء المقاتلين كانوا على ما يبدو غير ناجحين في تمرير الجينات بشكل مباشر، فأسرهم الكبيرة من ذوي القربى الوراثية أتاحت فرصة كبيرة لأن يقع اختيار القربى، إذا استفاد أقاربهم من العمل الانتحاري. إضافة إلى تصاعد المنزلة والشرف الذي تحلت به أسر هؤلاء الانتحاريين الفلسطينيين، فقد كانت هذه الأسر تتلقى مبالغ مالية تتراوح بين 10000 دولار و25000 دولار من قبل حماس، تأتي على شكل رواتب شهرية بحدود 1000 $ (بلاكويل، 2005). ونظرًا إلى الفوائد التي تسبغ على القريب الجيني (الوراثي) لهؤلاء الانتحاريين، فإن العدد الكبير من الأقارب بالوراثة الموجودين في المكان تتلقى مثل هذه الفوائد، والعمل الانتحاري الذي يبدو أنه غير متكافئ يمكن أن يثبت أنه يتكيف من خلال تدابير اختيار الأقارب، ورغم أن هذه البيانات لا تشير إلى جميع أعمال الإرهاب الانتحاري، إلا أنها توفر الدعم لاختيار الأقارب بوصفه قوة دافعة وراء القتال الانتحاري الفلسطيني، مشيرًا إلى إمكانية أن تكون هناك قوة دافعة مماثلة موجودة في مناطق أخرى.

في الوقت الذي تقدم فيه نظرية انتقاء الأقارب تفسيرا تكيفيًّا للإرهاب الانتحاري، يمكن أن توفر النظرية نفسها قاعدة مفيدة أيضًا ننظر من خلالها إلى التفسيرات الثانوية. أحد الاحتمالات أنه في الحالة التي لا يستفيد فيها الأقارب بالوراثة من هذه الأعمال الإرهابية، فإن هذه الآليات النفسية الموجهة نحو مساعدة القريب تكون مسلوبة. وبطريقة مماثلة، كما ينتج الإيثار تجاه الغرباء من الفشل في توجيه الآليات المصممة لإفادة الأقارب، فالإرهاب الانتحاري قد تثيره أحيانًا مشاعر مجموعة بعينها (أي منظمة إرهابية أو طائفة دينية) على الرغم من عدم وجود قرابة جينية. بعبارة أخرى، يمكن عدُّ مجموعة ما (أقارب متخيلين)، ما يؤدي إلى تفعيل بشكل لا شعوري للآليات التي تولد سلوكًا عادة ما يتجه نحو إفادة الأقارب وراثيًّا. في الواقع، المنظمات التي تجند الأفراد لتنفيذ الإرهاب الانتحاري تعزز المشاعر التي من شأنها أن تؤدي إلى الفشل في توجيه آليات اختيار الأقارب. غوتس وجيمس (2004، ص 155) يصفان الحالة على الشكل الآتي:

الخلية الإرهابية الصغيرة تعمل بوصفها بديلًا ذا معنى عن الأسرة، ولذلك ليس من المستغرب أن ينتهي الأمر بأعضائها إلى تشكيل روابط عاطفية قوية مع بعضهم، فضلًا عن ميول التضحية النموذجية كما لو أنها أسرة واحدة. قادة المنظمات الإرهابية يجنون ثمار التعامل مع هذه العواطف والروابط في الخلية الواحدة بتوجيهها تجاه الأهداف السياسية للمنظمة الإرهابية.

وعلاوة على ذلك، تشير البيانات إلى أن 39 مجندًا في منظمة متحالفة مع تنظيم القاعدة ((يعتقدون جميعهم أنهم من خلال التضحية بأنفسهم يساعدون على تأمين مستقبل أسرهم من القربى المتخيلة*)). (أتران، 2003، ص 1537). بالإضافة إلى المنظمات الإرهابية، الطوائف الدينية التي يمكن أن يخرج منها إرهابيون انتحاريون هم أيضًا من المشتبه بهم جدًّا في الفشل في توجيه آليات اختيار الأقارب، العديد من أنظمة المعتقدات الدينية، مثل اليهودية والإسلام والمسيحية، التي تعتمد بشكل كبير على المصطلحات، غالبًا ما تحفظ من أجل الأقارب بالوراثة (أتران، 2002). باختصار، فكرة الإرهاب الانتحاري الناجمة عن الفشل في توجيه الآليات النفسية تستحق المزيد من الاهتمام التجريبي أيضًا؛ لأن اكتشاف العوامل التي تسهم في فشل التوجيه قد تساعد على توجيه الإجراءات الرامية إلى منع هذه الآثار أو عكس مسارها.

أما فيما يتعلق بآليات اختيار القربى لتحفيز الإرهاب الانتحاري، سواء نُشطت هذه الآليات بالفوائد المتوقعة لذوي القربى الجينية (الوراثية) أو القربى المتخيلين، فإن الفائدة للشخص الحي وتكاثر أقارب أحدهم يجب أن تفوق كلفة تضحية الانتحاري بنفسه، وهذا يوفر فرصة أخرى لكي تلعب المعتقدات الدينية دورها في تسهيل الإرهاب الانتحاري. دون الاعتقاد بأن حياة المرء سوف تستمر بعد الوفاة (الاعتقاد بأن الشهيد سوف يكافأ في الآخرة)، فإن حساب التكلفة والفائدة غير الواعية التي تحفز إلى حد كبير السلوكيات المرتبطة باختيار الأقارب من شأنه على الأرجح أن يحفز إرهابيين انتحاريين مفترضين للقيام بأعمال انتحارية. الحياة بعد الموت، ولا سيما حياة المكافآت في الجنة إلى الأبد، قد تؤثر في تعويض التكاليف المرتبطة بالإرهاب الانتحاري، ومن ثم (تحريك المقياس) لصالح الفوائد المتوقعة للأقارب. باختصار، حتى مع

* المتخيلة هنا يقصد بها القرابة غير الجينية أو الوراثية.

فوائد الأقارب المتوقعة، هنالك معتقدات دينية معينة قد تكون، عاملًا حيويًّا، لكنها عامل محفز غير كافٍ للإرهاب الانتحاري.

بالحديث عن المعتقدات، من الممكن لعلم التطور الثقافي (memetics) كما هي الحال مع الدين أن يسلط الضوء على ظاهرة الإرهاب الانتحاري، وقد تستمر ظاهرة الإرهاب الانتحاري؛ لأن الأفكار والمعتقدات التي تنشرها المنظمات الإرهابية وبعض الطوائف الدينية لأتباعها تقوم بـ (التطفل) على الدماغ. كما وصف بداهزور وآخرون (2003): (في مجتمع يكون فيه الشرف من بين أعلى الفضائل، تجد هناك ضغوطًا اجتماعية قوية تقف وراء قرار انتحار الانتحاري) (ص 420). إن (الفضائل) التي تتحلى بها المجموعات التي تعزز النشاط الإرهابي يمكن عدُّها ميمات (memes)،* لهذا الإرهابي الذي يعمل لخدمة هذه الميمات ويقوم بنشرها. وبشكل أكثر تحديدًا، الاعتقاد بالحياة الأبدية في الجنة يمكن أن يكون ميميًّا قويًّا للغاية، وقد يكون أحد الأسباب الرئيسة التي تجعل الإرهاب الانتحاري يقوم به في أحايين كثيرة أفراد ذوي معتقدات دينية قوية، والواضح أن معتقدات الإرهابيين هي عنصر حاسم عند محاولتهم تفسير تصرفاتهم، ومن الممكن لهذه المعتقدات أن تفهم بشكل أفضل في إطار علم التطور الثقافي.

على سبيل المثال، في كثير من الأحيان عندما تواجه القصص الإسلامية عن الإرهاب الانتحاري، يسارع المسلمون لشرح أن أعمال الإرهابيين التواء في المعتقدات الإسلامية وإساءة لتفسير القرآن الكريم. هذه التفسيرات يمكن أن يكون لها معنى جديد تمامًا من منظور علم التطور الثقافي. البقاء التفاضلي واستنساخ المعتقدات الدينية (الميمات) يجب أن يكون ذا صلة بالمعتقدات الأكثر (نجاحًا) في بيئة معينة؛ فالمعتقدات الإسلامية التي تعزز الشهادة، وتشجب البدعة والردة، وعدم الإيمان، وتسلط الضوء على المكافآت في الآخرة لمن يقتل (أعداء الإسلام) يتم التركيز عليها من قبل أولئك الذين يجندون ويدربون، وينخرطون في الإرهاب الانتحاري أو يدعمونه. وبالمثل، فإن هذه المعتقدات تلقى عدم التشديد من قبل المسلمين المعتدلين، الذين يؤكدون بدلًا من ذلك المعتقدات الإسلامية التي تعزز السلام والتسامح مع ذوي المعتقدات الدينية المختلفة، ويدينون الأعمال الاستشهادية. المجموعتان كلاهما يمكن أن تجدهما في

* الميمات: هي الفكرة والسلوك والأسلوب الذي ينتشر من شخص إلى آخر ضمن الثقافة الواحدة.

القرآن الكريم (هاريس، 2004)، لكن من حق المسلمين المعتدلين أن يميزوا (إسلامهم) عن الإسلام الذي يروج له الإرهابيون. إن السؤال ما إذا كان الإسلام هو دين سلام أم دين حرب هو نوع غير صحيح من الأسئلة، ويمكن لعلم التطور الثقافي توضيح لماذا: فالإسلام، كغيره من نظم الأديان، فيه طوائف تمارس معتقدات غير متجانسة؛ فقد تطور الإسلام إلى طوائف عديدة، ولكل طائفة معتقداتها الخاصة التي ترجع بها إلى السلف الصالح أو إلى القرآن. هذه الطوائف الإيمانية هي ناتجة عن ضغوط الانتقاء المختلفة، وبذلك فالمجموعات المختارة المختلفة تؤكد وتنقل تلك المعتقدات التي تناسب احتياجاتهم. من خلال اعتماد منظور علم التطور الثقافي يمكن أن نتوصل إلى فهم أفضل عن سبب الاختلاف الكبير بين إسلام الإرهابيين الانتحاريين والإسلام المعتدل، وكيف يمكن لمجموعات مختلفة من المعتقدات الأساسية أن تؤثر في وقوع الإرهاب الانتحاري.

## اتجاهات للبحوث في المستقبل

لقد وفرنا الأساس النظري للتفكير في الإرهاب الانتحاري من منظور النفسي التطوري، ولكن مثل هذا المسعى مفيد فقط إذا فتح آفاقًا جديدة للدراسة التجريبية. نحن نقدم اليوم بعض الأمثلة حول كيفية تطبيق النهج النفسي التطوري للإرهاب الانتحاري في البحوث المستقبلية.

كما ذكرنا سابقًا، قد يكون اختيار الأقارب قوة تحفيزية في الإرهاب الانتحاري، وبالنظر إلى البيانات عن الإرهابيين الانتحاريين الفلسطينيين والفوائد التي تلقاها أقاربهم الجينيون (بلاكويل، 2005)، ستكون الخطوة التالية للتحقيق في ما إذا كان الأقارب الوراثيون يتلقون فوائد مماثلة في الشعوب الأخرى التي يوجد فيها الإرهاب الانتحاري؛ هل غالبية الإرهابيين الانتحاريين في الشعوب الأخرى من العزاب؟ هل هؤلاء الأفراد ينحدرون من عائلات كبيرة؟ هل أقاربهم حصلوا على مكافآت نقدية أو تحسين أوضاع بعد العمل الإرهابي؟ إذا كان الأمر كذلك، هل المكافآت النقدية أو الزيادات ترتبط بدرجة القرابة (أي الآباء والأشقاء من الإرهابيين الانتحاريين تتلقى فوائد أكبر من أبناء العمومة)؟ تراكم البيانات المتعلقة بهذه الأسئلة يقطع

شوطًا طويلًا في تحديد إذا ما كان اختيار ذوي القربى يؤثر في تحفيز الأفراد على المشاركة في الإرهاب الانتحاري.

بالإضافة إلى (أو بدلًا من) الاستفادة من القربى الوراثية، الإرهابيون الانتحاريون جرى تحفيزهم بدافع انتماءاتهم مع (قريب متخيل)، والتي بسببها أُسيئ استخدام آليات اختيار الأقارب. طريقة واحدة للتحقيق في هذا الأمر يمكن توجيه السؤال مباشرة إلى الإرهابيين الانتحاريين، وذلك باستخدام الاستقصاءات أو المقابلات لتحديد المدى الذي يرون فيه الآخرين في منظمتهم، سواء كانت طائفة دينية، أو مجتمع، وما إلى ذلك من درجات القرابة، ومقارنة ردودهم بتلك من عموم الناس. مع ذلك، هذا يقودنا إلى واحدة من أكبر الصعوبات في محاولات دراسة هذه الفئة من السكان: إن الباحثين سيواجهون صعوبة في إيجاد مجموعة أكثر تقبلًا للتحلل من الإرهابيين الانتحاريين، الفئة الوحيدة المتاحة للاستجواب أولئك الذين هم في التدريب أو أولئك الذين لم تكلل مساعيهم بالنجاح، فقط الأشخاص من هذا الصنف يرغبون في الرد على الاستطلاعات أو المشاركة في اللقاءات المنتظمة وهم قلة بطبيعة الحال. مع ذلك، فإن مثل هذه المقابلات ممكنة (انظر ستيرن، 2003)، ولكن هناك خيارات أخرى متاحة كذلك.

أحد الخيارات قياس دعم الإرهاب الانتحاري بين الأفراد الذين ليسوا إرهابيين انتحاريين أنفسهم. وعلى الرغم من أن الناس الذين يدعمون الإرهاب لا يماثلون الناس الذين يمارسون الإرهاب، ومن المرجح أن يكون هناك بعض التداخل في علم النفس بين هاتين المجموعتين؛ على سبيل المثال، جنجس وآخرون. (2009) وجدوا علاقة إيجابية بين حضور الخدمة الدينية ودعم الهجمات الانتحارية، وهو ما يتسق مع إمكانية سوء استخدام آليات اختيار ذوي القربى، لأن حضور الخدمات الدينية يمكن أن يعزز شعور المرء بالاتصال بالمجتمع (زوكرمان، 2008). وينبغي إجراء بحوث إضافية من هذا الطراز، ومقارنة دعم الإرهاب الانتحاري والتصورات الوهمية عن ذوي القربى. ويمكن أن يتم ذلك من خلال الدراسات الاستقصائية، فضلًا عن أساليب أخرى، مثل التحقق فيما إذا كانت مفاهيم القربى تؤثر في مستوى دعم الإرهاب الانتحاري. بصورة أوضح، دراسة الأفراد الذين يدعمون الإرهاب الانتحاري لا ينبغي أن ينظر

إليها على أنها بديل لدراسة الانتحار الفعلي للإرهابيين، ولكن يمكن للمجموعة السابقة إبلاغ فهمنا عن العوامل المرتبطة بالإرهاب الانتحاري.

وسيلة أخرى مهمة للبحث المستقبلي هي اختبار العلاقة المفترضة بين التدين والإرهاب الانتحاري؛ صحيح أن هناك صعوبات ترتبط في محاولة التقييم على الصعيد التجريبي لهذه العلاقة، لكن كما ذكرنا آنفًا، التدين من غير المرجح أن يكون له قوة تنبؤية؛ لأن هناك أناسًا متدينين أكثر بكثير من الإرهابيين الانتحاريين في العالم، ومع ذلك بحث العلاقة بين التدين والإرهاب الانتحاري ليس قضية خاسرة؛ يمكن للمرء أن يولد فرضيات تتعلق بتلك المعتقدات الدينية التي من المحتمل أن تسهل الإرهاب الانتحاري؛ على سبيل المثال: الإيمان في الآخرة من المرجح أن يكون له تأثير قوي في (ربما اللاواعي) تحليل تكاليف وفوائد الانخراط في الإرهاب الانتحاري بالتقليل من التكاليف المتوقعة، أيضًا المعتقدات الدينية التي تعزز الروابط ضمن المجموعة، وتخلق شعورًا (بالقربى المزيفة)، إلى جانب المعتقدات التي تعزز العداء لكل من هو خارج المجموعة، قد تفعل الآليات النفسية المتعلقة باختيار ذوي القربى وتحمي الفرد في المجموعة (التي تتألف في معظمها من ذوي القربى الجينية طوال تاريخنا التطوري)، ومن ثم يحفز السلوك الذي ينظر إليه على أنه مفيد للأفراد داخل المجموعة ويؤذي من هم خارج المجموعة، مثل الإرهاب الانتحاري.

قائمة من المعتقدات الدينية المعينة، كتلك المذكورة أعلاه، تسمح لنا بتوليد فرضيات أكثر تحديدًا. ضمن إرهابيي المنظمات، أو بين الأفراد الذين يدعمون الإرهاب الانتحاري، يجب أن يكون هناك تركيز على تعزيز هذه المعتقدات الدينية المتصلة بالمعتقدات الأخرى من الدين نفسه. بعبارة أخرى، المعتقدات الدينية التي يرجح أنها تسهل الإرهاب الانتحاري يجب النظر إليها على أنها أكثر أهمية من المعتقدات الأخرى داخل الدين نفسه، لكن هذا النمط لا ينبغي أن يكون موجودًا بين الناس من السكان نفسهم الذين لا يدعمون الإرهاب الانتحاري، ولا يرغبون المشاكلة فيه. بتناول معتقدات دينية بعينها، وبدلًا من التدين بشكل عام، قد يكون عندنا الفرصة الأفضل للكشف عن العلاقة بين التدين والإرهاب الانتحاري، في حالة وجود مثل هذه الصلة.

## الخلاصة

الإرهاب بجميع أشكاله، هو ظاهرة يتعين علينا أن نحاول فهمها قدر استطاعتنا، على أمل أن نتمكن من تقليص حدوثها، ولا يمكن تحقيق هذا المستوى من الفهم إلا من خلال جهود متعددة التخصصات؛ فقد وصلنا إلى النقطة التي نقترب فيها من توضيح الإرهاب فيها على نحو جلي، لكن في نهاية المطاف لم يتم متابعة التفسيرات النهائية أو التطورية حتى الآن بحماس مماثل، ونعتقد أن المنظور النفسي التطوري لديه القدرة على تقديم مثل هذه التفسيرات في نهاية المطاف.

لأغراض هذا الفصل، اقتصرنا في تحليلنا على الإرهاب الانتحاري، وقد وفَّر لنا ظهور البحوث النفسية التطورية حول الدين في العقد الأخير نقطةَ انطلاق قوية لفحص أعمال الإرهاب التي يبدو أنها بدافع بعض المعتقدات الدينية. ومن خلال استعراض بعض الطرق التي أثرت من منظور تطوري في البحوث الحالية حول الدين، سعينا لتوضيح كيف يمكن أن يكون التطور إطارًا مفيدًا للبحث في الإرهاب الانتحاري. وبتطبيق المبادئ التطورية في اختيار ذوي القربى، وربما علم التطور الثقافي، على الإرهاب الانتحاري كان له قدرات كبيرة، ولكن البحث في الإرهاب من منظور تطوري لا يقتصر بأي حال على الأفكار المطروحة هنا. ونحن أخيرًا نشجع الباحثين على الاستفادة من مبادئ علم النفس التطوري عند دراستهم الإرهاب الانتحاري أو الإرهاب بشكل عام، على أمل أن يكشف هذا النهج معلومات قيمة حول هذا السلوك.

## المراجع

## REFERENCES

Alcorta, C. S., & Sosis, R. (2005). Ritual, emotion, and sacred symbols.

Human Nature, 16(4), 323–359.

Atran, S. (2002). In gods we trust: The evolutionary landscape of religion.

New York: Oxford University Press.

Atran, S. (2003). Genesis of suicide terrorism. Science, 299(5612), 1534–1539.

Aunger, R. (2000). Darwinizing culture: The status of memetics as a science. New York: Oxford University Press.

Barrett, J. L. (2000). Exploring the natural foundations of religion. Trends in Cognitive Sciences, 4(1), 29–34.

Barrett, J. L. (2004). Why would anyone believe in god? Lanham, MD: AltaMira Press.

EVOLUTIONARY PSYCHOLOGICAL SCIENCE OF SUICIDE TERRORISM 57

Barrett, J. L., & Nyhof, M. (2001). Spreading non natural concepts: The role of in–tuitive conceptual structures in memory and transmission of cultural materials. Journal of Cognition and Culture, 1(1), 69–100.

Bering, J. M. (2005). The evolutionary history of an illusion: Religious causal beliefs in children and adults. In B. J. Ellis & D. F. Bjorklund (Eds.), Origins of the social mind: Evolutionary psychology and child development (pp. 411–437). New York: The Guilford Press.

Bering, J. M., McLeod, K., & Shackelford, T. K. (2005). Reasoning about dead agents reveals possible adaptive trends. Human Nature, 16(4), 360–381.

Berry, D., Misovich, P., Keen, R., & Baron, S. (1992). Effects of disruption of struc–ture and motion on perceptions of social causality. Personality and Social Psy–chology Bulletin, 18 (2), 237–244.

Blackmore, S. (1999). The meme machine. New York: Oxford University Press.

Blackwell, A. D. (2005). Terrorism, heroism, and altruism: Kin selection and so–cio–religious cost–benefit scaling in Palestinian suicide attack.

Poster session presented at the 17th Annual Human Behavior and Evolution Soci–ety Conference, June 1–5, Austin, TX.

Bongar, B., Brown, L. M., Beutler, L. E., Breckenridge, J. N., & Zimbardo,

P. G. (2007). Psychology of terrorism. New York: Oxford University Press.

Borum, R. (2004). Psychology of terrorism. Tampa: University of South Florida.

Boyer, P. (2001). Religion explained: The evolutionary origins of religious thought. New York: Basic Books; Harper Collins.

Boyer, P., & Ramble, C. (2001). Cognitive templates for religious concepts: Cross–cultural evidence for recall of counter–intuitive representations. Cognitive Science, 25(4), 535–564.

Brodie, R. (2009). Virus of the mind: The new science of the meme. Carlsbad, CA: Hay House.

Bulbulia, J. (2004). The cognitive and evolutionary psychology of religion. Biology and Philosophy, 19(5), 655–686.

Buss, D. M. (2004). Evolutionary psychology: The new science of the mind, 2nd ed. Boston, MA: Allyn & Bacon.

Buss, D. M., Haselton, M. G., Shackelford, T. K., Bleske, A., & Wakefield, J. C. (1998). Adaptations, exaptations, and spandrels. American Psychologist, 53(5), 533–548.

Darwin, C. (2006 [1871]). The descent of man, and selection in relation to sex, 1st ed. In E. O. Wilson (Ed.), From so simple a beginning: The four great books of Charles Darwin (pp. 767–1248). New York: Norton.

Dawkins, R. (1976). The selfish gene. Oxford: Oxford University Press.

Dawkins, R. (2006). The god delusion. London: Bantam Press. 58 JAMES R. LID–DLE AND TODD K. SHACKELFORD Dennett, D. C. (2006). Breaking the spell: Re–ligion as a natural phenomenon. New York: Penguin Books.

Fincher, C. L., & Thornhill, R. (2008). Assortative sociality, limited dispersal, in–fectious disease and the genesis of the global pattern of religion

diversity. Proceedings of the Royal Society: Biological Sciences, 275(1651), 2587–2594.

Gergely, G., & Csibra, G. (2003). Teleological reasoning in infancy: The naive theory of rational action. Trends in Cognitive Sciences, 7(7), 287–292.

Ginges, J., Hansen, I., & Norenzayan, A. (2009). Religion and support for suicide attacks. Psychological Science, 20(2), 224–230.

Goetze, G. B., & James, P. (2004). Evolutionary psychology and the explanation of ethnic phenomenon. Evolutionary Psychology, 2, 142–159.

Gould, S. J. (1991). Exaptation: A crucial tool for evolutionary psychology.

Journal of Social Issues, 47(3), 43–65.

Guthrie, S. E. (1993). Faces in the clouds: A new theory of religion. New York: Oxford University Press.

Hamilton, W. D. (1964). The genetical evolution of social behavior, II.

Journal of Theoretical Biology, 7(1), 17–52.

Hamlin, J. K., Wynn, K., & Bloom, P. (2007). Social evaluation by preverbal infants. Nature, 450(7169), 557–559.

Harris, S. (2004). The end of faith: Religion, terror and the future of reason.

New York: W.W Norton & Company.

Hoffman, B. (1999). The mind of the terrorist: Perspectives of social psychology.

Psychiatric Annals, 29(6), 337–340.

Hronick, M. S. (2006). Analyzing terror: Researchers study the perpetrators and the effects of suicide terrorism. National Institute of Justice Journal, (254), 8–11.

James, W. (1902). The varieties of religious experience. A study in human

nature. New York: The Modern Library.

Koenig, H. G., Hays, J. C., George, L. K., Larson, D. B., Cohen, H. J., McCullough M., et al. (1999). Does religious attendance prolong survival?

A six–year follow–up study of 3,968 older adults. The Journals of Gerontology, 54(7), M370–M376.

Koenig, L. B., & Vaillant, G. E. (2009). A prospective study of church attendance and health over the lifespan. Health Psychology, 28(1), 117–124.

Liddle, J. R., Machluf, K., & Shackelford, T. K. (2010). Understanding suicide ter–rorism: Premature dismissal of the religious–belief hypothesis.

Evolutionary Psychology, 8(3), 343–345.

McCullough, M. E., & Larson, D. B. (1999). Religion and depression: A review of the literature. Twin Research, 2(2), 126–136.

EVOLUTIONARY PSYCHOLOGICAL SCIENCE OF SUICIDE TERRORISM 59 Mc–Cullough, M. E., Larson, D. B., Hoyt, W. T., Koenig, H. G., & Thoresen, C. (2000). Religious involvement and mortality: A metaanalytic review. Health Psychology, 19(3), 211–222.

Murberg, T. A., & Bru, E. (2001). Social relationships and mortality in patients with congestive heart failure. Journal of Psychosomatic Research, 51(3), 521–527.

Norenzayan, A., & Shariff, A. F. (2008). The origin and evolution of religious pro–sociality. Science, 322(5898), 58–62.

Park, C. L., Fenster, J. R., Suresh, D. P., & Bliss, D. E. (2006). Social support, ap–praisals, and coping as predictors of depression in congestive heart failure pa–tients. Psychology and Health, 21(6), 773–789.

Pedahzur, A., Perliger, A., & Weinberg, L. (2003). Altruism and fatalism: The char–acteristics of Palestinian suicide terrorists. Deviant Behavior, 24(4), 405–423.

Purzycki, B. J., & Sosis, R. (2009). The religious system as adaptive:

Cognitive flexibility, public displays, and acceptance. In E. Voland & W. Schiefen–hvel (Eds.), The biological evolution of religious mind and behavior (pp. 243–256). New York: Springer.

Ross, J. I. (1996). A model of the psychological causes of oppositional political ter–rorism. Peace and Conflict, 2(2), 129–141.

Scholl, B. J., & Tremoulet, P. D. (2000). Perceptual causality and animacy.

Trends in Cognitive Sciences, 4(8), 299–309.

Stern, J. (2003). Terror in the name of god: Why religious militants kill.

New York: Harper Collins.

Victoroff, J. (2009). Suicide terrorism and the biology of significance.

Political Psychology, 30(3), 397–400.

Weinberg, L., Pedahzur, A., & Canetti–Nisim, D. (2003). The social and religious characteristics of suicide bombers and their victims. Terrorism and Political Vio–lence, 15(3), 139–153.

White, P. A., & Milne, A. (1999). Impressions of enforced disintegration

and bursting in the visual perception of collision events. Journal of Experimental Psychology: General, 128(4), 499–516.

Williams, G. C. (1966). Adaptation and natural selection. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Wilson, D. S. (2002). Darwin's cathedral: Evolution, religion, and the nature of society. Chicago, IL: The University of Chicago Press.

Workman, L., & Reader, W. (2008). Evolutionary psychology: An Introduction, 2nd ed. New York: Cambridge University Press.

Zuckerman, P. (2008). Society without god: What the least religious nations can tell us about contentment. New York: New York University Press.

# 4

# الإرهاب الانتحاري بصفته ضوضاء اجتماعية: منظور تواصلي

جوناثان ماتوسيتز

يحلل هذا الفصل الإرهاب الانتحاري من منظور تواصلي خاص: الضوضاء الاجتماعية. مصطلح صاغه سمونسون (2001)، ويشير إلى الضوضاء الاجتماعية لقدرتها على خطف الانتباه، وهي طريقة لأن تكون ملحوظًا بشكل لا يصدق من خلال الضجيج، الرسم، والأعمال الاستفزازية أو المثيرة للجدل. الضوضاء الاجتماعية هي أداة تواصل يرسل من خلالها الإرهابيون الانتحاريون الرسائل، علاوة على أن الهجوم الانتحاري هو وسيلة في حد ذاته، ولا يتم نقله إلى الهدف المباشر فقط، وإنما إلى جماهير متعددة تتجاوز حدود الهدف المباشر، فضلًا عن أن هناك هدفًا آخر رئيسًا للإرهاب الانتحاري بصفته ضجيجًا اجتماعيًّا هو إحداث تغيير في مواقف الجمهور أو في آرائهم. وبفضل وسائل الإعلام المعاصرة، مثل الصور التي تنقل من خلال الميديا الجماهيرية وأشرطة الفيديو المحملة على الشبكة (الإنترنت)، فوسائل اتصال الإرهاب لا حدود لها، وتسمح للجماعات الإرهابية بأن تكون أكثر قدرة على الإدلاء بالتصريحات والبيانات، وتوصيل جدول أعمالهم، أو بث مظالمهم إلى العالم بأسره، والنتيجة النهائية للإرهاب الانتحاري بصفته ضوضاء اجتماعية أنه يسبب الإخلال بالنظام العام، وينتشر إلى مسافات بعيدة.

يبدأ هذا الفصل بوصف الإرهاب بصفته عملية اتصال، وحتى يكون هناك فهم حاسم للكيفية التي تعمل بها الضوضاء الاجتماعية لصنع الإرهاب للجمهور، فقد وضع المؤلف نموذجًا لمفهوم محدد كشكل من أشكال الاتصال. وما سيأتي لاحقًا هو جوهر هذا التحليل: الإرهاب الانتحاري بوصفه نوعًا من الضوضاء الاجتماعية. وتم التأكيد أيضًا في هذا الفصل على الاستشهاد في الفكر الإسلامي المتطرف. وفي قطار الأفكار نفسه الذي يحمل أهمية خاصة

تجد تأثير الإرهاب الانتحاري في الجمهور، بالإضافة إلى تقديم وصف دقيق لما يعنيه مصطلح الجمهور، ويحلل المؤلف دراسة حالة الإرهاب الانتحاري: التفجير الانتحاري 1983 لحزب الله ضد مشاة البحرية الأمريكية في بيروت. في هذه الحالة بالذات، ثمانية أنواع من الجمهور تم تحديدها.

## الإرهاب بوصفه عملية تواصلية

الإرهاب في الأساس عملية تواصل، ينتشر من خلال التواصل الجماهيري، ويعرض من خلال وسائل الاتصال العامة. الإرهاب هو (فعل) تواصلي؛ لأنه يستهدف جمهورًا أكبر من الجمهور المباشر المستهدف. هدف الإرهاب هو إنتاج الخوف وعلامات الخوف. وبشكل عام، الهجمات الإرهابية تقتل الناس أقل مما كان مخططًا له، ولكن الهجمات تترك آثارًا، ورسائل، وصورًا في عقل الجمهور. هم يخلقون تدخلات وتلك هي الضوضاء الداخلية التي وصفها ديفيد وبيرلو (1960) في نموذج الاتصالات. نموذج بيرلو يصف لنا كيف تكون الاتصالات عملية ديناميكية بين المرسل والمتلقي، وكيف ترتبط ببعضها من خلال الترميز، والتشفير، والتغذية الراجعة. الجمهور الإرهابي في تواصل مع بعضه على المستوى الفردي والجماعي وبصورة مباشرة وغير مباشرة؛ فالعملية التواصلية برمتها يتم تضمينها في حلقة أكبر، وهذه الحلقة تزوِّد الإرهابيين بالمعلومات. على العموم، التفاعلات بين الجماهير كانت موجودة قبل أن يُنشئ الإرهابيون الحلقة الأكبر من خلال الرسائل المتبادلة. (ميلر، ماتيوستز وأوهير واكشتاين، 2008).

الإرهابيون لديهم رسالة يريدون إرسالها، والعنف هو وسيلة بحد ذاته، ويتم نقله إلى الهدف الفوري، ويكون عادة بآثار مدمرة. من هذا المنظور، الإرهاب هو أقرب إلى التواصل بين الأشخاص؛ لأن المبدأ هو نفسه بإرسال لكمة إلى وجه شخص ما أو توصيل رسالة إليه. بوصفه نوعًا من التواصل بين الأشخاص، يتطلب الإرهاب قتل أو تشويه الضحية من أجل أن يظهر فاعليته. ومع ذلك، فالهدف من الإرهاب ليس فقط مجرد القتل، وإنما يهدف إلى إجراء تغيير، في كثير من الأحيان، تغيير في مواقف الجمهور أو في الآراء؛ لذا فالإرهاب يهدف إلى تغيير المواقف أو آراء الجمهور. (ويليامز، 1998).

## اتصالات الإرهاب: ضوضاء اجتماعية

بالنسبة إلى شميد ودي غراف (1982)، (أفضل فهم للإرهاب هو النظر إليه على أنه إستراتيجية التواصل العنيف؛ فهناك المرسل الإرهابي، ومولد الرسالة، والضحية، والمستلم، والعدو وعامة الناس). (ص. 15). تقليديًّا كان الإرهاب ذا قوة مقيدة في نشر رسائله بطريقة تختلف كثيرًا عن الطرق الحديثة. وقبل ظهور التلفاز والاتصالات المرئية، لم يظهر الإرهاب من خلال وسائل الإعلام التي كانت سائدة في تلك الأيام، ولهذا قليل من الأفراد الذين يشاهدون الهجمات الإرهابية، وهذا الوضع يماثل جمهورية أفلاطون، حيث اقتصرت حضارته المثالية على عدد من المواطنين الذين يمكن التواصل معهم من خلال صوت بشري واحد فقط. في العصور الوسطى، كانت المنطقة المحيطة بالأبرشية الإنجليزية تحددها الضوضاء المنبعثة من أجراس الكنيسة، كما بنى المستوطنون في أمريكا الشمالية مزارعهم ضمن المدى الذي يسمع فيه صراخهم (شافر، 1994). وفي جميع الحالات، وكما هي الحال بالنسبة إلى معظم الهجمات الإرهابية، من السهل شرح الحقيقة: إن التواصل محدود بسبب أن القدرة على انتشار الرسائل كانت محدودة أيضًا.

تعيَّن على الإرهابيين تطوير الطرق التي يمكن من خلالها توصيل رسائلهم إلى أكبر عدد من الجماهير. وأفضل طريقة هي (خطف الانتباه)، التي أسماها سمونسون (2001) الضوضاء الاجتماعية؛ فالضوضاء الاجتماعية وسيلة لأن تكون في دائرة الضوء من خلال الأفعال الصاخبة أو المثيرة للجدل. عندما تسبب الضوضاء الاجتماعية إخلالاً بالنظام العام، فإنها تنتشر إلى مسافات بعيدة، ومن خلال التسبب بإثارة الكراهية أو الحساسية لدى الجمهور، فسوف تؤثر في الحياة الاجتماعية عاجلًا أو آجلًا. تبرز الضوضاء الاجتماعية أحد أهم جوانب الاتصالات العامة: لديها المقدرة على استيعاب أو ترويع الجمهور من خلال الشكل والمضمون على حد سواء. في هذا الوقت، الضوضاء الاجتماعية أشبه ما تكون بالصدمة الإعلانية لعالمنا المعاصر، وهي نوع من الدعاية التحريضية، والتشغيلية، والبيانية. (سوندرز، 1998).

الضوضاء الاجتماعية توحي بفكرة أن الإرهاب في جوهره إيماءة تواصلية. من خلال الضجيج الاجتماعي يبث الإرهابيون التهديد، ويدخلون مشاعر القلق، حتى عندما يكون الجمهور بعيدًا عن الموقع المستهدف لهذه المأساة. لتحقيق الضوضاء الاجتماعية، استخدم الإرهابيون

تكتيكات مختلفة؛ على سبيل المثال: من الناحية التاريخية، استغل الإرهابيون سلاحًا واحدًا بعينه لنشر رسائهم: الديناميت. بفضل اختراع ألفريد نوبل الديناميت في عام 1866، انتشر الإرهاب بسهولة أكثر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (ماتيوستز، 2012). وأصبح الديناميت اليوم السلاح الديموقراطي الفاعل، التوازن الكبير الذي مكن الثوار من التغلب على القوة الهائلة للدولة. وقد أطلق عليه الإرهابيون فلسفة القنبلة هذه الفلسفة التي تقول إن قتل الأعداء بالديناميت، هو النمط الممكن الوحيد من خلال الضوضاء الاجتماعية، وهو النمط الذي يمكن أن يحدث فيه التغيير الاجتماعي. (كارلسون، 1995).

ارتفعت أفعال الإرهابيين في العدد، كما رأينا في قتل الساسة وزعماء العالم؛ الرئيس الأمريكي وليام ماكينلي قتل في عام 1901. ليون كولغوش، الرجل الذي قتل الرئيس، كان مدفوعًا بمزايا خلق الضوضاء الاجتماعية (كاهم، 2002). إذا ما أصبح الضجيج الاجتماعي لدى المجموعة الإرهابية عملًا روتينيًّا، بمعنى إذا بقيت التكتيكات نفسها عند المجموعة فإن مثل هذا الضجيج الاجتماعي سيصبح السمة التي يعرفون بها. وبعبارة أخرى، فإن الضجيج الاجتماعي المتكرر للمجموعة الإرهابية يصبح مرتبطًا بشكل واضح بالأنشطة العملية لهذه المجموعة، ومن خلال هذا النوع من الضوضاء الاجتماعية، ومع مرور الوقت، تترك المجموعة الإرهابية علامة تتحدث عن فكر هذه المجموعة ومقصدها (مارتن، 2010). هذا التحليل يمكن إسقاطه على الهجمات الانتحارية التي شنها حزب الله في عام 1983 على مشاة البحرية الأمريكية في بيروت، فالإرهاب الانتحاري هو نوع الضجيج الاجتماعي الذي ينم عن الهدف الذي تسعى إليه المجموعة.

## الإرهاب الانتحاري بصفته ضوضاء اجتماعية

الإرهاب الانتحاري نوع من الضوضاء الاجتماعية؛ فالإرهاب الانتحاري بالتعريف يشير إلى قتل الشخص لنفسه (لأغراض أيديولوجية أو سياسية) وغيره من الناس في هذه العملية. بالنسبة إلى الإرهابيين، الإرهاب الانتحاري وسيلة مفيدة لأنه يبدو أسهل، وبالتأكيد أرخص من معظم التكتيكات العسكرية التقليدية. لا يعد الإرهاب الانتحاري أقل كلفة على صعيد الأرواح فقط، ولكن أن يفجر أحدهم نفسه يبدو أنه عملي أكثر من استهداف الجنود (بيداهزور، 2004)؛ فالإرهابي يستخدم جسمه سلاحًا، ويحوله إلى شظايا يقتل به الآخرين. موراي (2006) يدعو هذه

الظاهرة بالسياسة الحيوية، حيث تتحول أجزاء الجسم الممزقة للإرهابي إلى قذائف مدمرة. يلاحظ موراي (2006) أن جسم المهاجم يتحول إلى سلاح بحرفية الكلمة؛ كِسر العظام تصبح شظايا بشرية (ص 207). هذا العمل العنيف، بدوره يتم بثه من خلال صور تلفازية، الوسيلة فعالة لخلق الضجيج الاجتماعي.

في دوائر معينة من المجتمع الفلسطيني، اكتسب الإرهاب الانتحاري رمزية خاصة، وهو نوع من تحديد الهوية الاجتماعية؛ فقد أصبح الوسام الذي يفخر فيه، ويزيد من موقعه الاجتماعي (تشيرينغتون، 1994). وعدد قليل من الفلسطينيين المحظوظين الذين يشار إليهم بالشهداء (أي الانتحاريين) ويُحتفى بهم كأبطال؛ فالبنية الثقافية بمجملها والمؤلفة من الأقارب والأصدقاء، والمدارس، والمعلمين، والمنظمات الدينية، ووسائل الإعلام، والمؤسسات السياسية تسهم وتنشر نظامًا إيمانيًّا شديدًا حول الاستشهاد من أجل القضية ([كركي]، 2002). بوصفه نوعًا من الضوضاء الاجتماعية، يصبح الإرهاب الانتحاري نوعًا من ممارسة الطقوس لدى الفلسطينيين: عن طريق قتل الكافر كالإسرائيلي مثلًا - يمارس الفلسطيني نوعًا من الطقوس التي يظهر من خلالها أنه قادر على فعل أي شيء لتحقيق هدفه، والكثير من الفلسطينيين من إخوة وأخوات يعرفون بهم من خلال هذا العمل الاستشهادي (هاريفين 1983).

لقد أصبح الإرهاب الانتحاري هو العمل المعياري خلال العقود الثلاثة الماضية؛ فقد تنامى معدل التفجيرات الانتحارية من متوسط 3/4 عمليات سنويًّا في عقد الثمانينيات إلى 180 عملية سنويًّا بين 2000 و2005، ومن 81 عملية في عام 2001 إلى 460 عملية في عام 2005، وقد تلقى الإرهاب الانتحاري مزيدًا من الفضائح منذ هجمات 11 سبتمبر2001 الإرهابية، أي أن يفجر أحد نفسه من خلال طائرات تصطدم بالمباني، التي أسفر عنها مقتل ما يقرب من 3000 شخص، وتفجيرات لندن الانتحارية في الحافلات ذات الطابقين في 7 يوليو 2005، ما أسفر عن مقتل 52 مدنيًّا (أتران، 2006). فقد أصبح الإرهابيون الانتحاريون قدوة لعدد من الشباب ذوي الجذور الإسلامية (سيغمان، 2008). في الواقع، خلال الانتفاضة الثانية التي انطلقت في سبتمبر 2000، كان هناك الكثير من المرشحين الذين تقدموا بطلباتهم ليكونوا شهداء، حتى إن المجندين والكشافة كانت لديهم حشود غير مسبوقة من المتقدمين، وقد اعترف أحد المجندين بأنهم تلقوا سيلًا من الطلبات. (شفايتزر، 2007)

الهدف الرئيس من الإرهاب الانتحاري هو تحقيق النجاح من الضوضاء الاجتماعية، كما هو موضح في القول المأثور، (رجل واحد مستعد أن يضحي بحياته يكفي لترويع ألف)، وينسب هذا الاقتباس لوو تشي؛ الفيلسوف العسكري الصيني، ويشبه العبارة (اقتل رجلًا واحدًا، لتروِّع ألفًا) التي كان يرددها ماو. إن الإرهابيين الانتحاريين يحبون محاكاة طريقة توقيع المجموعة الإرهابية للضوضاء الاجتماعية، من خلال توجيه هجماتهم نحو أهداف رمزية أو اقتصادية محددة، وهو نهج يدعو إليه أسامة بن لادن بشدة في خطبه المسجلة، وادعى بيب (2005)، وهو خبير في التفجيرات الانتحارية، أن 95 في المئة من الهجمات الانتحارية منذ فجر القرن الحادي والعشرين قد أرسلت الرسالة نفسها إلى الأمة (إلى المجتمع الإسلامي العالمي): إن الجيوش والقوى التي تحتل الأراضي المتنازع عليها يجب أن نفك الارتباط بها اليوم، والتفجيرات الانتحارية وقتئذ تهدف إلى خلق الضجيج الاجتماعي من أجل إضعاف المعنويات لمختلف الجماهير، لا سيما الأهداف المباشرة، وحكومة أعداء الإرهابيين.

## تواصل الإرهاب الانتحاري: نموذج

بناءً على دراسة الإرهاب من وجهة نظر تواصلية، طوّر دومان (2003) نموذجًا للإرهاب بوصفه عملية تواصلية: الإرهابي يبث رسالة للجمهور (الجمهور الكبير، الحكومة، منظمة، إلخ) من خلال ارتكاب فعل عنيف، وليست هذه هي الرسالة التي تشكل العنف، بل إن العنف يتم ترميزه داخل هذا النشاط الإرهابي نفسه، ويعمل الإرهاب الانتحاري أيضًا من خلال عملية الاتصال، وله ميزة بلاغية منفصلة عن القوة البسيطة (أو الترويع) المرتبطة بالعنف لذاتها. الإرهاب الانتحاري قد يعمل بشكل جيد لتوليد خطاب بين الجماهير المستهدفين، فعملية الترميز تعتمد على السياق: الطابع الرمزي للتفجيرات الانتحارية والقدرة على استغلال وسائل الإعلام المختلفة لإرسال مثل هذه الرسالة، وفي المقابل يترجم الجمهور المستهدف هذه الرسالة، ويعتمد أيضًا على السياق: الوسائل والأدوات التي يمتلكها الجمهور لفهم الوضع أو استيعابه، والذي أشار إليه دومان (2010) بأنه ((بناء إحساسه الخاص بالواقع)). (ص. 19).

الإرهابيون الانتحاريون ليسوا مجرد مرتكبي جرائم انتحار؛ فهم يستغلون الموت لأهدافهم (الخاصة بهم) بوصفه تواصلًا أو لفتة رمزية، ويصبح الموت أداة لنقل الأفكار والأيديولوجيات.

وفي حالة عدم وجود رسالة واضحة، يكون الفعل لكل ما هو قائم. وبالحاجة إلى تواصل مفيد أو ذي صلة يتكشف الحدث في حدثه الخاص به، ويصبح كما أشار إليه المحللون النفسيون التصرف بدافع. إن رسالة الإرهاب الانتحاري تتضمن في العمل نفسه في معظم الأحيان؛ فالموت هو منهجه ومغزاه (دوزيناس، 2008). بحكم التعريف السابق، التصرف بدافع هو آلية دفاعية؛ حيث يتواصل المرء بالصراعات العاطفية والمشاعر من خلال الأفعال وليس من خلال الكلمات. (ماسترسون، 1981).

كما هو مبين في الشكل 4. 1، المقتبس من نموذج الإرهاب الأصلي لدومان (2003)، نجد أن الهجوم الإرهابي الانتحاري لا ينفذ من خلال عملية اتصال في اتجاه واحد، بدلًا من ذلك، رسالة الإرهاب الانتحاري هي رسالة باتجاهين ذات بعد تفاعلي؛ لأن الرسالة الأولى تخلق استجابة سوف تُنقل إلى الإرهابي إما بصورة مباشرة (أي من خلال الانتقام الحكومي، أو من خلال الخطاب العام، إلخ) أو بصورة غير مباشرة (أي من خلال تفسير وسائل الإعلام لتصرفات الحكومة، وما إلى ذلك).

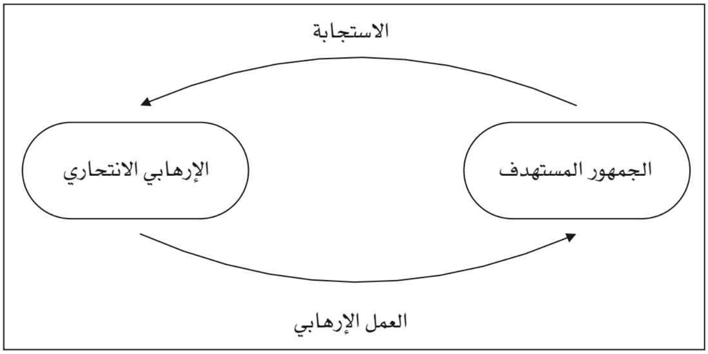


الشكل 4.1

نموذج الإرهاب الانتحاري بصفته عملية تواصلية

المصدر: مقتبس من دومان (2003).

في بعض الأحيان، يحاول الإرهابيون الانتحاريون أن يزرعوا الخوف والذعر والفوضى، أو لفت الانتباه إلى القضايا التي أقصتها وتجاهلتها أو منحتها وسائل الإعلام والمؤسسات السياسية، أو المؤتمرات الأكاديمية قليلًا من الأهمية، وفي أحيان أخرى يحاول الإرهابيون

الانتحاريون أن يجعلوا الحكومة أو المؤسسة (التي ضربت لتوها أو تعرضت لعمل من أعمال العنف) تستسلم وتخنع للمطالب التي تقدمت بها مجموعات إرهابية محددة. (دومان، 2003). في ظل هذه الظروف، يكون الهدف هو إقناع الجماهير بأن الفوضى والخوف سيكونان نتيجة حتمية، وإقناعهم أن يأخذوا المسألة (التي طالما تم تجاهلها) على محمل الجد، أو إقناعهم بإصدار قرارات لم يتخذوها من قبل. (دومان، 2010).

## الاستشهاد بصفته ضوضاء اجتماعية

هناك مثال سيئ السمعة على الإرهاب الانتحاري وهو أن الاستشهاد نافذة كبيرة لفرصة لفت انتباه العالم؛ الاستشهاد يعني الموت أو المعاناة كبطل. وبالنسبة إلى الغرب، فالشهيد الانتحاري هو إرهابي، لكن بالنسبة إلى الجماعات الإرهابية (والمتعاطفين معهم) فهو بطل. (بيداهازور، 2004). بعد اتباع قيادة يوسف القرضاوي، لم تعد جماعة حماس الإرهابية التفجيرات الانتحارية ( انتحارًا)، وبدلًا من ذلك أشارت إلى أولئك الذين ينفذون هذه الأعمال بالشهداء، وإلى التفجيرات الانتحارية بالعمليات الاستشهادية (حماس تمجد فضائل شهدائها، وتكافئهم بأشرف وأعظم طقوس دفن المسلمين).

توفر المجموعة الإرهابية أيضًا الاحتياجات المالية كلها لأسر الشهداء. (سعد، 2001)، وقد أجريت العديد من المقابلات الحصرية مع الفلسطينيين وزوجات الشهداء الأفغان اللواتي أشدن بأزواجهن الشهداء وبالقرارات التي اتخذوها ليصبحوا شهداء. هذا النوع من الضوضاء الاجتماعية هو مهارة في حد ذاته؛ فهناك الكثير من الاستعدادات المطلوبة، وعادة ما يتم التخطيط له بنجاح. بعد أشهر من التدريب، يتم تعيين هدف لكل شهيد، ليفجر نفسه من أجله، يقتل (كثير) من المدنيين في هذه العملية، ويلفت اهتمام الرأي العام لقضيته. بالإضافة إلى ذلك، ولمنع جمهورهم من أن تصعقه كثير من المعلومات أو الخطاب السياسي والديني الروتيني، يعمد المنظمون الإسلاميون إلى تبسيط رسائلهم من خلال الروايات العاطفية التي تبني صورة لا تنسى عن الشهيد البطل. (حافظ، 2007). على هذا النحو، يمكن تحقيق الضوضاء الاجتماعية من خلال أشرطة الفيديو على الإنترنت، والسير الذاتية عن الشهداء، والتسجيلات الصوتية

والدوريات الشهرية، والصور المنشورة على الإنترنت. هذه القصص عن الأبطال توظف أساسًا لإثارة موضوعات لها قدسية لديهم مثل التخلص من الإذلال، وتعزيز الولاء الروحي، والبحث عن الخلاص وتصوير خصومهم بأنهم سيئون، وتحفز جمهور المسلمين على التضحية بالنفس بوصفها عملًا بطوليًّا.

إن تصوير الشهداء في أشرطة الفيديو، وكتابة السير الذاتية هي أدوات دعائية بامتياز، وعادة لا ترمز إلى مجمل دوافعهم؛ فالمجموعات الإرهابية تحب أن تحقق درجة عالية من الضوضاء الاجتماعية عن طريق التلاعب بالقصص، عدا عن أن هذه الأساطير تصور الدوافع الحقيقية للشهداء. (حافظ، 2006، 2007).

فيديو استشهادي تجدر مشاهدته، وهو تسجيل لأحد المتشددين الإسلاميين يشجع على المشاركة في الهجمات الانتحارية والموت كـ (بطل) خلال العملية، يحتوي الفيديو على كلمة من قبل الشهيد يدعو فيها إلى الاستعداد للموت شهيدًا، وأن يموت بشرف من أجل قضيته. ومع أن أشرطة الفيديو من النوعية الرديئة، إلا أن بعض الأشرطة تتضمن النص، والموسيقى، ومقاطع عاطفية، حيث يجلس الشهيد أو يقف وخلفه علم إسلامي أسود.

في هذا الصدد، يصبح الضجيج الاجتماعي نموذجًا للخطاب البصري، وفن الإقناع البصري، والاتصالات البيانية، والصور. الوضع الذي يجعل بصرية البيان للتأثير في الجمهور. (أولسون، فينيجان، والأمل، 2008). ولأسباب دعائية تنشر المجموعات الإرهابية أشرطة الفيديو الاستشهادية لتصل إلى الناس كلهم، وخاصة بعد الهجوم الانتحاري نفسه. والهدف من هذه الأشرطة أن يبقى الشهداء في ذاكرة الجمهور، وأن يشيدوا بأعمالهم. وقد أعدت أشرطة الفيديو أيضًا لتأكيد أن الشهداء ظلوا ملتزمين، وقاموا بأداء واجبهم المقدس على أكمل وجه؛ فالإرهابيون الانتحاريون يقدمون تعهدًا لا يمكنهم التراجع عنه. (ديورودي، 2007).

عند النظر إلى أشرطة الفيديو الاستشهادية الجهادية، يبدو جليًّا أن الصور، والمواقع الإلكترونية، والخطب تهدف إلى تشجيع الشباب على تبني أقصى أشكال الفكر الجهادي،

والمونتاج السينمائي الذي أعدَّ لقنَّاص بغداد على سبيل المثال، والذي أطلق عليه القنَّاص الإسلامي، ظهر في فيديوهات دعائية بأنه قد نفَّذ عمليات قنص لأكثر من 600 جندي أمريكي.

هذه الأشرطة كلها تهدف إلى التركيز الشديد على الروايات المثيرة للعواطف التي تزخر بالنداءات العاطفية، وغالبًا ما تكون مدعمة بالصور. في هذا السياق، ومن أجل زيادة حالة الاستياء داخل العالم الإسلامي، تقوم هذه الروايات العاطفية بتأطير المسلمين على أنهم ضحايا الإذلال وسوء المعاملة، وغالبًا ما تترافق هذه المناشدات العاطفية مع صور ثابتة لمسلمين يحاربون الجنود الأمريكيين في العراق وأفغانستان، أو مقاومة القوات الحكومية في الصراعات مثل تلك الموجودة في الشيشان وكشمير، ويبقى الهدف نفسه: التحريض على الردود العاطفية وتحويلها إلى أجندة سياسية. (رايت نيفيل وسميث، 2009).

القصص المنتشرة عن الاستشهاد في أشرطة الفيديو، والموسيقى التصويرية، والسير الذاتية، وما إلى ذلك تدور حول ثلاثة محاور، وغالبًا ما تظهر كثيرًا بشكل متسلسل (كأنها مسرحية من ثلاثة فصول). في الفصل الأول، يقوم الراوي بوصف الذل الشديد والمعاناة التي يعيشها المسلمون (على سبيل المثال، في العراق ودول أخرى). ويشير إلى المؤامرة (التي يقوم بها الصليبيون) الغربيون لتدمير المسلمين، وجعلهم مسؤولين عن المحن التي يتعرضون لها. في الفصل الثاني، يؤكد الراوي عجز الحكومات الإسلامية المعاصرة وتواطؤها مع الغرب، وهذا يشير إلى أن هذه الحكومات تضع العالم الإسلامي في خطر من خلال الرد على سادتهم الغربيين.

في الفصل الثالث والأخير، يعد الراوي المسلمين بالنصر بفضل الشهداء الذين تدربوا جيدًا ليبعدوا الحزن والذل والهوان عن إخوتهم وأخواتهم، حيث يؤكد الراوي في هذه العملية أهمية الإيمان بالله، والتضحية في سبيل الجهاد، والمنزلة العالية التي أكرم الله فيها الشهداء. وفي بعض الأحيان، تأتي الروايات الثلاث بصورة منفصلة، وفي أحيان أخرى تقدم جميعها لفضح قضية كبرى، وجذور المشكلة، وما يمكن عمله لحل المشكلة. (حافظ، 2007). ومن خلال رفع الشهداء إلى منزلة الأرواح الأبدية الذين يضحون بحياتهم في سبيل الله والمجتمع المسلم، فإن الإرهابيين الجهاديين يولدون الضجيج الاجتماعي من خلال:

1. صرف النظر عن سيئات اقترفوها بأنفسهم.
2. تجاهل الضحايا التي وقعت بين أيديهم.

## تأثيرات الإرهاب الانتحاري على الجمهور

يصف هذا القسم تأثير الإرهاب الانتحاري على الجمهور ككل، بالإضافة إلى تقديم لمحة شاملة عما تعنيه كلمة (الجمهور)، يرى المؤلف أهمية الإنعام في النظر إلى هذا المفهوم إلى أبعد حد، من خلال دراسة الحالة: التفجير الانتحاري لحزب الله ضد مشاة البحرية الأمريكية في بيروت عام 1983؛ في هذه الحالة بالذات، تم تحديد ثمانية أنواع من الجمهور.

**الجمهور: تعريف**

هناك مبدأ أساسي لأي مشروع تواصل هو فهم مفهوم الجمهور؛ فالجمهور على وجه العموم، يشير إلى مجموعة أفراد يشاركون في حدث معين، وهم إما يتفاعلون معه بشكل سلبي (من خلال حضورهم الحدث أو مشاهدتهم رسالة بعث بها مرسل)، أو بشكل إيجابي (من خلال المشاركة عمدًا في الحدث أو تقديم تغذية راجعة إلى مرسل الرسالة). في أي حال، الجمهور يمثل المجتمع التفسيري الذي يتفاعل أو يستجيب للرسالة (كومر وكيندال، 2007).

جاء السجال في الفصول السابقة بأن الإرهاب الانتحاري ضمنيًّا رسالة تواصلية؛ فالإرهابيون الانتحاريون يتواصلون عن طريق الأفعال التي يقومون بها، والتواصل الذي يجري بين الإرهابيين وجمهورهم يشكل نوعًا من الحوار، وهذا الحوار يرسي الأساس لما يريد أن يقوم به الإرهابيون أو ما سيقولونه. الإرهابيون الانتحاريون يشاركون في الحوار مع جمهورهم على نحو يتجاوز أهدافهم المباشرة، سواء كان ذلك داخل المجموعة أو خارجها. (غريسانغ، 2001). وكما كشفت دراسة حالة التفجير الانتحاري لعام 1983 الذي قام به حزب الله أن رسالة الإرهابيين تنزع إلى التغيير حسب نوع الجمهور، حتى وإن نُفِّذ عمل إرهابي واحد.

بدء الحوار مع الجمهور أو مع مختلف الجماهير هو إشارة إلى أن الإرهابيين-بشكل عام- يحاولون إحداث تغيير؛ على سبيل المثال، هم ربما يحاولون تغيير السياسات، أو الضغط على

عمل بعينه أو سلسلة من الأعمال، أو تأخير أو منع تشريع سياسات، أو لحشد الدعم أو التعاطف، أو إقناع الناس لكي يتصرفوا بطرق معينة، أو لوضع الجمهور في حالة من الجمود. تواصل الإرهابيين مع الجمهور له موقف وضعي positivist attitude، هم يتوقعون أن تصل رسالتهم وتُفهم ويتم العمل على أساسها، وحتى ينخرطوا بهذا النوع من الحوار، يعتمد الإرهابيون على التفاعل مع الجمهور. (غرسنانغ، 2001).

من هنا، يصبح الجمهور الشخصية العامة للإرهاب؛ فالإرهاب الانتحاري يأخذ سمة العمل العام المذهلة؛ لكي يؤثر في الحالة النفسية والعاطفية للجمهور الذي يراقب الهجوم، والهدف هو إثارة حالة من القلق أو الشعور بالرعب لدى الجمهور، حيث يصبح الجمهور الطرف الثاني (الهدف المباشر من الرسالة)، والطرف الثالث (الهدف الذي يتجاوز الهدف المباشر من الرسالة) للإرهاب، ويمكن أن تنفَّذ الهجمات الانتحارية عمدًا ضد الطرف الثالث الذي لا علاقة له بالمجموعات الإرهابية وأجنداتها؛ نقول مرة أخرى إن نوايا الجماعات الإرهابية هي الضغط على الحكومات أو غيرها من المؤسسات من أجل تلبية مطالب الجماعات الإرهابية. (فاسيلنغو، 2005).

**دراسة حالة: تفجيرات حزب الله الانتحارية في ثكنات الولايات المتحدة في بيروت**

في 23 أكتوبر 1983 خلال الحرب الأهلية اللبنانية، شن مفجرون انتحاريون من حزب الله، وهي جماعة إرهابية شيعية مقرها في لبنان، هجومين انتحاريين بالشاحنات المفخخة، انفجرت في مشاة البحرية الأمريكية في ثكنة تقع في بيروت، ما أسفر عن مقتل 241 جنديًا من الولايات المتحدة و58 جنديًا فرنسيًا (جابر، 1997). عندما يحدث مثل هذا الضجيج الاجتماعي، يمكن للمتلقي أن يكون جمهورًا كبيرًا، وفي كثير من الأحيان العديد من الجماهير الغفيرة.

هاجم الانتحاريون سرًا الجنود الغربيين لخلق حالة عقلية مخيفة لدى جمهور تختلف عن الضحايا المباشرين، وكما تظهر دراسة هذه الحالة، الإرهاب الانتحاري بصفته ضوضاء اجتماعية يشكل تفاعل التقاط الأنفاس ذا الطابع الاجتماعي مع جماهير متعددة ذات مغزى.

التفجير الانتحاري لحزب الله في الثكنة الأمريكية في بيروت ولَّد ثمانية أنواع من الجماهير؛ الجمهور الأول كان المتلقي الفوري لهذا الانتحار القاتل (هؤلاء الجنود الأمريكيون الـ 241 والفرنسيون الـ 58 الموجودون بشكل فعلي في ثكنات مشاة البحرية الأمريكية ). (نورتون، 2009). الجمهور الثاني، كان الجمهور اللبناني، وهو الجمهور المحلي الذي شاهد المشهد، وصدم بالصور المتواصلة التي شكلت رسائل يتلقونها بوساطة التلفاز، والإذاعة، والصحافة (أي الصحف والمجلات). كان الجمهور اللبناني يتألف من جمهور متفرجين؛ جمهور كبير في موقع الهجوم الإرهابي. شاهد هؤلاء المتفرجون ديناميات الحادث، وردود الفعل العامة على المأساة، والتقييمات السياسية والإعلامية التي بدأت تقييم هذه المأساة. (هامل، 1985). في الواقع، وفقًا لدياز ونيومان (2006)، استطاع الركاب في مطار بيروت الدولي مشاهدة سحابة الدخان المتصاعد من ركام الثكنة الذي يبعد أميالًا من الموقع المأساوي.

تألف الجمهور الثالث من ممثلين مهمين لحكومة الولايات المتحدة الذين شعروا أنهم مضطرين إلى الرد على الهجوم الانتحاري لحزب الله، عن طريق إرسال رسائل تدعو الشعب الأمريكي للهدوء ورباطة الجأش. يتألف الجمهور الثالث أيضًا من مختلف المسؤولين في وزارة الدفاع كاسبار واينبرغر والرئيس الأمريكي رونالد ريغان (يوشيهارا، 2010). الجمهور الرابع كان الأفق الكامل للمؤسسات الإعلامية. وشملت استجابة وسائل الإعلام تغطية وتقييم الرسالة التي يريد أن يبعث بها الإرهابيون، فضلًا عن الخطاب الداخلي حول الروايات عن التفجير الانتحاري، وكيف ينبغي أن تبث، وكيف يجب إيصالها إلى الجمهور. الوسائط الإعلامية كانت من النقاد والمحللين الذين قدموا تفسيراتهم للهجوم الانتحاري، وكانوا لاعبين أساسيين؛ لأنهم عرضوا وجهات نظر مختلفة عن المأساة، وعرضوا شعارات تبين من هو اليوم (عدو الشيعة)، وحتى في سياق الإرهاب، تجد الصحفيين دائمًا في حالة تفاعل مع جماهير متعددة. (ماتوسيتز، 2012). وبحسب ما روى دورتي (1992)، فإن حجم التقارير الإخبارية على قناة CBS وCNN حول الهجوم الانتحاري الذي نفذه حزب الله في عام 1983، كان عاليًا جدًّا، بحيث إن 50 بالمئة من الأخبار اليومية المسائية خصصت لهذه المأساة، واستمرت لمدة أسبوع.

أما الجمهور الخامس فقد تألف من حلفاء الولايات المتحدة (على سبيل المثال، فرنسا والمملكة المتحدة) أو البلدان التي قد تكون محايدة في موضوع الإرهاب (على سبيل المثال، السويد). بعد العمل الإرهابي الانتحاري، شنت فرنسا غارة جوية على وادي البقاع شرق لبنان. (موتلي، 1986).

الجمهور السادس كان من أعضاء حزب الله نفسه، فقد عزَّز الهجوم مكانة ونمو حزب الله، واليوم ينظر كثير من الناس إلى الجماعة الإرهابية الشيعية على أنها (رأس الحربة في الجهاد الإسلامي المقدس ضد الاحتلال الأجنبي). (رانستورب 1997، ص. 38).

أما الجمهور السابع فهو مجموعة من المنظمات الإرهابية المتنافسة؛ حيث إن التخطيط الذي يقوم به الإرهابيون لتنفيذ مؤامرة متعددة الجمهور، يأخذ أيضًا في الحسبان المنافسة بين المجموعات؛ فالمنظمات الإرهابية تميل للمنافسة في تحقيق أهداف ذات صلة، والتنافس على الأموال والدعم، ومحاولة كسب الاهتمام، والائتمان، والمكانة، وكسب أعضاء جدد؛ فالمهمة الكبيرة كتلك التي نفذها حزب الله في عام 1983 ستصبح بكل تأكيد تكتيكًا إرهابيًّا يُحتذى به من قبل جماعات إرهابية أخرى. أصبح حزب الله -في العالم الإسلامي المعاصر- المبتكر في مجال الإرهاب الانتحاري، وبعد سنوات قليلة، أرسل تنظيم القاعدة بعض أعضائه إلى حزب الله لتلقي التدريب الكافي هناك؛ فالتعاون بين القاعدة وحزب الله هو اليوم نقطة تحول خطيرة في نشر الهجمات الانتحارية في جميع أنحاء العالم. (هورويتز، 2010).

الجمهور الثامن هو المجتمع المسلم في جميع أنحاء العالم؛ حزب الله ينظر إلى نجاح هجومه الانتحاري بوصفه منصة لإيصال أجندته الإسلامية العالمية، وعن طريق تحويل الهجوم الانتحاري إلى الضوضاء الاجتماعية، أرسل حزب الله رسالة قوية لـ (الأمة)؛ هذا المصطلح الذي يعني في اللغة العربية (الأمة الإسلامية). (برشمان، 2008). كانت الرسالة دعوة إلى وضع حد للهيمنة الغربية في جميع أنحاء العالم، والاستعاضة عنها في نهاية المطاف بالخلافة العالمية. (بول، 2011). وبحسب ما يرى فيسك (2002)، كان الدافع الرئيس وراء الهجوم الانتحاري هو الغضب الذي عبَّر عنه المسلمون اللبنانيون، وخاصة الشيعة الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة في بيروت الغربية وحول المطار، حيث اتخذت قوات المارينز من المكان مقرًّا

لها، فرأوا أن وجود مشاة البحرية الأمريكية محاولة لتجاور الطائفة الكاثوليكية (الموارنة) لكي يسيطروا على لبنان، وهذا بحد ذاته انتهاك لأراضي المسلمين المقدسة.

## الخلاصة

ما أثبته هذا التحليل هو أنه، من خلال مفهوم الضوضاء الاجتماعية، من المفيد أن ننظر إلى الإرهاب الانتحاري من منظور تواصلي بحت. إن كان بعض المقالات تقوم بتحليل تواصل الإرهاب الانتحاري على أساس البلاغة والرموز، فإن بعضها الآخر يميل إلى التركيز فقط على الإرهاب وتأطير الجماهير. هذا جيد، لكنه يفشل في النظر إلى جوهر الاتصالات؛ على سبيل المثال، دراسة الحالة الآنفة الذكر، كشفت أن هذا الإرهاب الانتحاري لحزب الله أصبح رسالة تواصلية مهمة، وعلى مدى السنوات الـ 30 الماضية أو نحو ذلك، الإرهاب الانتحاري بصفته ضوضاء اجتماعية كان (السمة) التي عُرف بها حزب الله، لدرجة أنه أثر في مجموعات إرهابية أخرى مثل تنظيم القاعدة.

الإرهابيون الانتحاريون يتواصلون من خلال الأفعال التي يقومون بها. بفضل النموذج الذي قاموا بتطويره في هذا التحليل، وأصبح لدى القراء اليوم فهم أفضل حول عمل الإرهابيين الانتحاريين في إرسال رسالة جماعية (على سبيل المثال، لقد اضطهدنا الغرب)، وكيف أصبح الجمهور المستهدف، والجماهير المتعددة اللاحقة أجهزة استقبال جماعي لرسائل الإرهابيين- الجماهير يفسرون الحادث عندئذ على أنه هجوم إرهابي. وكما مرّ معنا، وبوصفه نوعًا من الإرهاب الانتحاري، يلخص الاستشهاد مفهوم الضوضاء الاجتماعية. ولأغراض دعائية فإن أشرطة الفيديو التي تحتوي على عمليات استشهادية يتم توزيعها بأعداد كبيرة من قبل الجماعات الإرهابية مثل حماس، وخاصة بعد تنفيذ الهجوم الانتحاري، فالاستشهاد هو فعل تواصلي يهدف إلى إحداث استجابة. هدفان اثنان رئيسان يثيران العالم الإسلامي، ويرسلان رسالة تهديد أو تحذير للكافرين، وطالما أن التواصل عملية تفاعلية بين المرسل والمتلقي، فإن الانتحاري الإرهابي هو الذي يخلق الضوضاء الاجتماعية، والجمهور المستهدف هو المستقبل للفوضى

العامة، فأشكال مختلفة من الاتصال يمكن أن تعمل كما الناقل لدوافع انتحار الإرهابيين، ومن الأمثلة على ذلك الصور، وأشرطة الفيديو التي تُحمَّل على الإنترنت وغيرها.

يأمل المؤلف أن يكون هذا الفصل قد أطلع القرّاء على هذا المنظور الجديد لبحث الإرهاب الانتحاري. ما لم نعترف ونفهم أولوية الاتصالات ضمن الإرهاب الانتحاري، فلن نعي بشكل كامل تأثير هذا التواصل في وجودنا.

## المراجع

## REFERENCES

Atran, S. (2006). The moral logic and growth of suicide terrorism. The Washington Quarterly, 29(2), 127–147.

Berlo, D. K. (1960). The process of communication: An introduction to theory and practice. New York: Holt, Rinehart and Winston.

Brachman, J. M. (2008). Global jihadism: Theory and practice. New York: Rout–ledge.

Cahm, C. (2002). Kropotkin: And the rise of revolutionary anarchism, 1872–1886. Cambridge: Cambridge University Press.

Caracci, G. (2002). Cultural and contextual aspects of terrorism. In C. E.

Stout (Ed.), The psychology of terrorism: Theoretical underpinnings and perspec–tives (pp. 57–83). London: Praeger.

Carlson, J. R. (1995). The future terrorists in America. American Journal of Police, 14(3), 71–91.

Cherrington, D. J. (1994). Organizational behavior. Boston, MA: Allyn and Bacon.

Comer, J. S., & Kendall, P. C. (2007). Terrorism: The psychological impact on youth. Clinical Psychology: Science and Practice, 14(3), 179–212.

Diaz, T., & Newman, B. (2006). Lightning out of Lebanon: Hezbollah terrorists on American soil. New York: Presidio Press.

Dougherty, B. J. (1992). Media handling of sensitive military information.

Washington, DC: National Defense University.

Douzinas, C. (2008). July 2, July 7 and metaphysics. In A. Closs Stephens & N. Vaughan–Williams (Eds.), Terrorism and the politics of response (pp. 190–210). Abingdon, Oxfordshire: Routledge.

Durodi, B. (2007). Fear and terror in a post–political age. Government & Opposition, 42(3), 427–450.

Fisk, R. (2002). Pity the nation: The abduction of Lebanon. New York: Nation Books.

Gressang, D. S. (2001). Audience and message: Assessing terrorist WMD potential. Terrorism and Political Violence, 13(3), 83–106.

Hafez, M. M. (2006). Suicide terrorism in Iraq: A preliminary assessment of the quantitative data and documentary evidence. Studies in Conflict and Terrorism, 29(6), 591–619.

Hafez, M. M. (2007). Martyrdom mythology in Iraq: How jihadists frame suicide terrorism in videos and biographies. Terrorism and Political Violence, 19(1), 95–115.

Hammel, E. (1985). The root: The marines in Beirut, August 1982– February 1984. New York: Harcourt.

Hareven, A. (1983). Victimization: Some comments by an Israeli. Political Psychology, 4(1), 145–155.

Horowitz, M. C. (2010). Nonstate actors and the diffusion of innovations:

The case of suicide terrorism. International Organization, 64(1), 33–64.

Jaber, H. (1997). Hezbollah: Born with a vengeance. New York: Columbia University Press.

Martin, G. (2010). Understanding terrorism: Challenges, perspectives, and issues. Thousand Oaks, CA: SAGE.

Masterson, J. F. (1981). The narcissistic and borderline disorders: An integrated developmental approach. New York: Routledge.

Matusitz, J. (2012). Terrorism & communication: A critical introduction.

Thousand Oaks, CA: SAGE.

Miller, C., Matusitz, J., O'Hair, D., & Eckstein, J. (2008). The role of communica– tion and the media in terrorism. In D. O'Hair, R. Heath, K.

Ayotte, & G. R. Ledlow (Eds.), Terrorism: Communication and rhetorical perspec– tives (pp. 43–66). Cresskill, NJ: Hampton Press.

Motley, J. B. (1986). International terrorism: A challenge for U.S. intelligence.

International Journal of Intelligence and Counter Intelligence, 1(1), 83–96.

Murray, S. (2006). Thanatopolitics: On the use of death for mobilizing political life. Polygraph: An International Journal of Politics and Culture, 18, 191–215.

SUICIDE TERRORISM AS SOCIAL NOISE 75 Norton, A. R. (2009). Hezbollah: A short history. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Olson, L. C., Finnegan, C. A., & Hope, D. S. (2008). Visual rhetoric: A reader in communication and American culture. Thousand Oaks, CA: SAGE.

Pape, R. A. (2005). Dying to win. New York: Random House.

Pedahzur, A. (2004). Suicide terrorism. New York: Polity.

Poole, J. J. (2011). Global warrior: Averting WWIII. Chevy Chase, MD: Posteri– ty Press.

Ranstorp, M. (1997). Hizb'allah in Lebanon: The politics of the western hostage crisis. New York: Palgrave Macmillan.

Saad, R. (2001, December 13). Weapons of the weak. Al–Ahram Weekly, Issue No. 564, p. A1. Retrieved from http://www./weekly.ahram.org. eg/2001/564/index. htm

Sageman, M. (2008). A strategy for fighting international Islamist terrorists.

Annals of the American Academy of Political and Social Science, 618(1), 223–231.

Saunders, D. (1998). Shock in advertising. London: B.T. Batsford.

Schafer, R. M. (1994). The soundscape: Our sonic environment and the tuning of the world. Rochester, VT: Destiny Books.

Schmid, A. P., & de Graaf, J. (1982). Violence as communication: Insurgent terror–ism and the Western news media. Beverly Hills: SAGE.

Schweitzer, Y. (2007). Palestinian Istishhadia: A developing instrument.

Studies in Conflict & Terrorism, 30(8), 683–685.

Simonson, P. (2001). Social noise and segmented rhythms: News, entertainment, and celebrity in the crusade for animal rights. The Communication Review, 4(3), 399–420.

Tuman, J. S. (2003). Communicating terror: The rhetorical dimensions of terror–ism, 1st ed. Thousand Oaks, CA: SAGE.

Tuman, J. S. (2010). Communicating terror: The rhetorical dimensions of terror–ism, 2nd ed. Thousand Oaks, CA: SAGE.

Vasilenko, V. I. (2005). The concept and typology of terrorism. Statutes and Deci–sions, 40(5), 46–56.

Williams, J. J. (1998). The failure of terrorism as mass communication.

Turkish Journal of Police Studies, 1(4), 37–52.

Wright–Neville, D., & Smith, D. (2009). Political rage: Terrorism and the politics of emotion. Global Change, Peace & Security, 21(1), 85–98.

Yoshihara, S. (2010). Waging war to make peace: U.S. intervention in global con–flicts. Westport, CT: Praeger

# 5

# أنموذج مومباي: استكشاف مفهوم

مارك ديتشيسني

بالنسبة إلى بعضهم، أصبحت الصورة مقترنة بأحدث التهديدات التي يشكلها الجهاديون في جميع أنحاء العالم (على سبيل المثال، كروملي 2008، هايدن، 2012). وبالنسبة إلى آخرين، يمكن وصفها بدقة أكثر (عن طريق تحديد عدد المهاجمين، والأسلحة، والتكتيكات والأهداف (NCTC 2012). لكن سواء كان هذا صحيحًا أم غير صحيح، ومنذ أيام مومباي الإرهابية التي وقعت في الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر عام 2008، برز (نموذج مومباي) بوصفه مفهومًا بارزًا في تحليل الإرهاب في العصر الحديث. وقد وصف رسميًّا على النحو الآتي:

> الانتحار، بمعنى أن يجند الشباب لتنفيذه، يقوم بكل بتهور، اختراقات، رش بالبندقية ومن النوع الذي يجعل من غير المحتمل أبدًا أنهم سوف يبقون على قيد الحياة. كما أن الاعتداءات عادة لا تنطوي على خطط للهرب أو إستراتيجيات خروج تكتيكي أخرى غير الشهادة. وفي الوقت نفسه، فإن هذه ليست (هجمات انتحارية) بمعنى أن المهاجمين لا يربطون أجسادهم بالأسلاك كقنابل بشرية. المخربون سوف [. . . ] يقاتلون ما دام في وسعهم القتال، وأخيرًا هم يقبلون بمصيرهم على أيدي قوات الأمن المضادة. (كول، 2008)

بالنظر إلى هذه الميزات، أسلوب مومباي الذي وصف بالهجمات الفدائية، يشكل تحدِّيًا ليس فقط لقوات الأمن والمخابرات، وإنما أيضًا لعلماء الاجتماع الذين يحاولون فهم القوى الدافعة وراء أعمال العنف الشديدة والتضحية، أو الاثنتين معًا، وكما تشير ستيف كول في كلماتها: من المنطقي جدًّا أن نربط كلا الهجومين الفدائيين بأشكال أخرى من الإرهاب الانتحاري، ومع ذلك فمن المنطقي أيضًا عدم وضعهما في كفة ميزان واحدة مع غيرهما، سواء من وجهة نظر تكتيكية أو نفسية. هذا الفصل، في ضوء الهدف العام لهذا الكتاب يأتي لفهم الإرهاب الانتحاري، ويسعى لفعل ذلك: لتحديد موقع (أسلوب مومباي) وسط الإرهاب الانتحاري والإرهاب غير الانتحاري،

ويسعى بذلك إلى الإسهام في فهم مغزى هذا التكتيك الإرهابي المروع، وتطوير التدابير المضادة والفاعلة ضده.

## ستون ساعة من الرعب في مومباي

في مساء 21 نوفمبر 2008، غادرت السفينة الهندية كوبر ميناء كراتشي وعلى متنها طاقم من 10 أعضاء من منظمة لاشكار طيبة المسلحة (LET)، بعد مضي يومين في البحر تقريبًا، قام الأعضاء العشرة باختطاف السفينة، ما أسفر عن مقتل أربعة من أفراد طاقمها، وتوجهت بعد ذلك إلى مومباي. في 26 تشرين الثاني، وعلى مقربة من الساحل الهندي، قتل الخاطفون العشرة ملاح السفينة، واستخدموا زوارق نفخ سريعة لينفذوا إنزالًا على اليابسة بالقرب من كوفي، مومباي. انقسم المسلحون إلى مجموعتين؛ خمسة في كل مجموعة، واستمرت اتصالات المجموعتين مع بعضهما ومع مخططي الهجمات في باكستان.

بعد قرابة أكثر من ساعة من وصولهم اليابسة، أول فريق وصل إلى مقهى ليوبولد بسيارة أجرة. المقهى هو بار ومكان استراحة معروف للسياح الأجانب. استخدمت المجموعتان بنادق آلية من نوع (AK– 47) وقنابل يدوية لمهاجمة الحضور المطمئنين، وقد أسفر الهجوم عن مقتل 11 شخصًا، وإصابة 28 إصابات خطيرة. بعد ذلك توجهت المجموعتان إلى فندق تاج محل، ودخلتا الفندق من المدخل الخلفي، وقد زرعت المجموعتان قبل هجومهم على مقهى ليوبولد وبعده، متفجرات من العبوات الناسفة، (IED) المصنوعة من قبل إدارة البحوث المتفجرة (RDX) . العبوات التي زرعت بعد الهجوم على المقهى انفجرت بنجاح، لكن العبوة الناسفة التي زرعت في سيارة الأجرة التي نقلتهم إلى المقهى انفجرت في وقت لاحق، وأسفرت عن مقتل اثنين من الركاب وسائق سيارة الأجرة، وإصابة 19 من المارة.

في فندق تاج محل، التقى الاثنان مع الفريق الثاني الذي دخل من المدخل الرئيس للفندق، وتحرَّك النشطاء الأربعة في الفندق، واستخدموا (AK–47S) وقنابل يدوية لقتل أكبر عدد ممكن من نزلاء الفندق، واستخدموا أيضًا متفجرات (RDX)، ما أدى إلى تلف القبة المركزية المميزة للفندق، وأضرموا النار في الطابق السادس. قتل المسلحون 36 من نزلاء الفندق، وخلفوا وراءهم

28 مصابًا، وقد أصبحت الأحداث في فندق تاج محل محور اهتمام وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم. وبحسب لائحة الاتهام رقم 1 التي قدمتها شرطة مومباي في هجمات مومباي، فقد استمر الرعب في فندق تاج محل لمدة 59 ساعة، قبل أن تتمكن الوحدات الخاصة في حرس الأمن الوطني، وعلى حساب العديد من أعضائه، من إخضاع المسلحين وتأمين المكان.

عند الهبوط، وصل فريق ثالث إلى ناريمان هاوس سيرًا على الأقدام؛ مركز ناريمان هاوس سمي بتشاباد هاوس بعد أن أصبح مالكوه من اليهود الأرثوذكس، وهو بمثابة مركز ثقافي للمجتمع اليهودي في مومباي. قبل أن يدخلا المبنى، زرع اثنان من المسلحين عبوتين ناسفتين؛ واحدة على الطريق الرئيس قرب ناريمان هاوس، والأخرى في الطابق الأرضي من المبنى، وقد انفجرت كلتاهما، وتمكن المتشددون من احتجاز بعض السكان رهائن، وأجبروا أحد الرهائن على التحدث إلى السفارة الإسرائيلية بوساطة الهاتف، وسعى المسلحون أيضًا إلى إجراء اتصالات مع وسائل الإعلام، وزعموا أنهم حصلوا على تغطية مباشرة من قبل التلفاز الهندي. في الوقت الذي كانت فيه عيونهم مفتوحة على رهائنهم، فتحوا نار أسلحتهم AK-47S والقنابل اليدوية التي بحوزتهم على الناس في المباني المجاورة، فقُتل خمسة من السكان الذين احتجزوا رهائن وجميعهم من الإسرائيليين خلال الهجمات، في حين قُتل أربعة من الهنود، بما في ذلك قائد حرس الأمن الوطني خارج المبنى، وأصيب سبعة أشخاص آخرين بجروح.

فريق رابع شن هجماته على فندق ترايدنت وفندق أوبروي في مومباي، وهما مبنيان منفصلان، فندق ترايدنت وفندق أوبروي متصلان بوساطة ممر. الفريق المسؤول عن الهجمات على هذه المباني وصل عن طريق القوارب القريبة من الفندقين، ودخل القاعة الرئيسة للفندق ترايدنت، وقد فشل في محاولته تفجير عبوة ناسفة بالقرب من مدخل الفندق، قتل الاثنان العديد من الضيوف وموظفي الفندق عند دخولهم إلى القاعة الرئيسة، ومن ثم شقا طريقهما إلى الطوابق العليا من الفندق؛ حيث قاتلا لمدة 42 ساعة قوات الأمن حتى لقيا حتفهما. خلال المعركة، حافظا على اتصال منتظم مع المخططين في باكستان، في حين انتشرت أيضًا معلومات كاذبة عن نية المسلحين الاتصال بوسائل الإعلام. وقد قتل خمسة وثلاثون، وأصيب 24 في هذا الجزء من الهجوم.

أما الفريق الخامس فقد أوقع أكبر عدد من الضحايا؛ فلدى نزوله ومع المسلح الباقي على قيد (الحياة أجمل قصاب من بينهم) تنقلوا من موقع نزولهم إلى محطة السكك الحديدية CST مستخدمين سيارة أجرة، وفي أثناء وجودهم فيها، زرعوا عبوة ناسفة تحت مقعد السائق، ولدى وصولهم إلى المحطة زرعوا عبوات ناسفة أخرى قبل دخولهم القاعة الرئيسة للمحطة، ثم أطلقوا نيران بنادقهم AK–47 وقنابل يدوية ليقتلوا 52 من الحرس والمدنيين، وأصابوا 108 آخرين. بعد إطلاق نار آخر في المحطة غادروا محطة القطار، واستمروا في تبادل إطلاق النار وسط المدنيين الأبرياء، ثم دخل الاثنان مستشفى كاما الذي يقع بالقرب من محطة القطار، فقتلوا سبعة أشخاص وأصابوا عشرة، بينهم ضباط الشرطة المكلفون بحماية المستشفى، وبعد ذلك غادر المتشددون المستشفى، وتبادلوا إطلاق النار مع الشرطة العليا، فقتل ثلاثة وأصيب أربعة. هذا القصف أيضًا أدى لجرح أجمل قصاب، ثم تمكن الاثنان من الاستيلاء على سيارة الشرطة وتوجها بها إلى مركز المدينة في بومباي، وفي إطلاق رصاصهم العشوائي تمكنوا من قتل تسعة وإصابة سبعة آخرين، وعندما فقدوا السيطرة على السيارة بسبب هبوط العجلات، خطف الاثنان سيارة مدنية من نوع سكودا وتابعا طريقهما، في هذا الوقت استطاعت الشرطة تحديد السيارة، فوضعت الحواجز على الطرق لوقفها، عند أحد الحواجز، في غرغوم تشوباتي، توقفت سيارة سكودا، وبعد تبادل إطلاق نار نتج عنه وفاة شرطي هندي، وإصابة المسلحين، حيث تم اعتقالهما. كان أجمل قصاب هو الوحيد الذي بقي على قيد الحياة، والذي يمكن أن يقدم وصفًا مباشرًا للأحداث، ناهيك عن أن العبوات الناسفة التي زرعت تحت مقعد سيارة الأجرة انفجرت أيضًا، وأسفرت عن مقتل السائق وأحد الركاب.

## ماذا وراء الهجمات؟

الهجمات المروعة في نوفمبر 2008 في مومباي تركت 166 من المواطنين القتلى و304 من المصابين، فخلال العقد الذي شهد وصول الإرهاب إلى طليعة الوعي العام، برزت هجمات مومباي من حيث الوحشية، وتعقيد العملية، وجنبًا إلى جنب مع عمليات إرهابية أخرى عرفت بقتلها ووسائل إعلامها والتغطية العلمية لها (راجع- على سبيل المثال- تقرير راند بوساطة

راباسا وآخرون، 2009). أيضًا بالمقارنة مع هجمات أخرى، هناك عدد كبير من المصادر المتاحة لتحليل خلفية الهجمات. أولًا، من خلال اعترافات المسلح الذي بقي على قيد الحياة هو أجمل قصاب، حصلنا على معلومات عن الاستعدادات التي أجريت للعملية والدوافع، وعلى ذهنية المسلحين المتورطين في العملية. ثانيًا، من خلال الاستخبارات، تم تسجيل معظم المحادثات بين المسلحين والمخططين في باكستان، ما وفر رؤية فريدة في العملية وعقلية المتشددين. ثالثًا، نظرًا إلى حدوث هجمات مومباي بعد سبع سنوات من الهجمات الانتحارية في نيويورك وواشنطن DC، فقد أثارت هذه العملية اهتمامًا عالميًّا في موضوع الإرهاب، وقد جاءت الرؤى العلمية متطورة لدرجة أن هجمات مومباي يمكن وضعها في منظور أوسع.

**الجاني الفرد**

من خلال التحقيقات الأولية مع أجمل قصاب، حصلنا على فهم للدوافع الفردية للجناة (على سبيل المثال، خيتان، 2009) قصة قصاب يمكن تعميمها بشكل أو بآخر على جميع المسلحين المتورطين في عمليات القتل في مومباي.

ولد الطفل الأوسط بين خمسة أشقاء، وقد تربى وترعرع قصاب في بلدة صغيرة في إقليم البنجاب الباكستاني. مثله مثل غيره في القرية، كان والده يجد صعوبة في تأمين متطلبات العيش. وبعد أن ترك المدرسة في سن 13 عامًا، عمل قصاب في بداية الأمر في قريته ثم غادرها إلى لاهور للبقاء مع أخيه، ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى إلى قريته، ثم انتقل إلى لاهور ثانية. في هذه المدينة الكبيرة، وجد قصاب وظيفة له لكنه فشل في كسب لقمة عيشه، وبدأ يتطور على نحو متزايد في جرائم صغيرة. وقد قال في اعترافاته لفرع مكافحة الجريمة التابع لجهاز شرطة مومباي، إنه قرر الانضمام إلى منظمة LET الإرهابية؛ من أجل الحصول على الأسلحة التي تسمح له أن يكون أكثر فاعلية في الغارات التي ينفذها، لكن ليت LET قدمت له أكثر من مسألة التدريب على السلاح؛ فهي تعلم النموذج المتطرف من الإسلام، كما قامت بتقديم الدعم لأعضائها ولأسرهم، والأهم من ذلك قدمت لهم الروايات التي تشرعن لهم الإرهاب. وبحسب ما أدلى به قصاب، فإن زعيم التنظيم، حافظ سعيد، يحاضر بالمجندين (المسلمون في جميع أنحاء

العالم يحتاجون إلى النهوض إلى الجهاد ضد الكفار، وإذا [هم] ماتوا في الجهاد، فإن وجوههم سوف تتوهج (مثل القمر)، وأجسادهم سوف ينبعث منها رائحة كالمسك، و[هم] سيذهبون إلى الجنة). (خيتان 2009، ص 165؛ النص الأصلي يستخدم نحن بدلًا من هم). لكن أجندة سياسية أكثر محلية توجد أيضًا خلف الجهاد العالمي، وبحسب ما يروي قصاب، يعلن الداعية الجهادي في مركز التدريب: (أنتم مسلمون وعليكم التخلص من الفقر، انظروا إلى الهند؛ فقد سبقونا بأشواط طويلة، وهم يقتلون شعبكم، عليكم أن تعلنوا الجهاد ضدهم).

**المنظمة**

في تطور ملحوظ للأحداث، تم تسجيل المحادثات بين المسلحين في مومباي ومدربيهم في باكستان، وهذه التسجيلات وفرت رؤى فريدة حول عقلية القتلة على الأرض؛ (انظر على سبيل المثال إلى زكريا وآخرين، 2010). علاوة على ذلك، فقد بينت هذه التسجيلات مستوى التطور لهذه الهجمات، إذ يمكن للمرء أن يستنتج من بينها، أن الهجمات كانت قد نظمت وخطط لها ورصدت من مسافات بعيدة، وهناك أيضًا مؤشرات أخرى لهذا الغرض. تقرير الطب الشرعي الصادر عن إدارة شرطة نيويورك (كيلي، 2009)- على سبيل المثال- يلاحظ الآتي:

> كانت رماياتهم النارية منضبطة ومسيطرًا عليها، وعندما جال رجال الارتباط لدينا الفنادق ومحطات القطار، رأوا من الثقوب التي أحدثها الرصاص أنه أُطلق من قبل ثلاث مجموعات، وكان بمستوى الرأس. مع أقل الرماة خبرة، كنت ترى ثقوب الرصاص في السقف والأرضية، أما هذه المجموعة فقد كان لديها ممارسة واسعة النطاق، وعدد الضحايا يبين ذلك؛ فقد تمكن عشرة إرهابيين من قتل أو جرح أكثر من 500 شخص، وقد شهدت أنهم يعملون معًا كوحدة متكاملة؛ على سبيل المثال: استخدموا إشارات اليد للاتصال عبر المساحات الصاخبة والمزدحمة، وكانت منضبطة بما فيه الكفاية لمواصلة هجومهم لساعات عديدة، وكان لهذا تأثير بزيادة مخاوف الجمهور، وإبقاء الحادث الذي وقع في دورة نشرات الأخبار لمدة أطول من الوقت.

يؤيد هذه الملاحظة أيضًا اعتراف قصاب (انظر إلى خيتان، 2009) الذي ألمح إلى اتساع التدريب على مراحل، بدءًا بالتعاليم الدينية والأسلحة الأساسية، إلى التدريب للمزيد من الممارسة التكتيكية والعملانية المتقدمة.

لا ينبغي أن يشكل مستوى التطور في الهجمات وإعدادها مفاجأة، إذا أخذنا بالحسبان أن المنظمة التي قامت بها هي منظمة ليت LET. يتتبع تانكل أصول هذه المنظمة التي ترجع إلى عام 1986 عندما تأسس مركز حزب الدعوة والإرشاد (مركز للدعوة والإرشاد) في أفغانستان من قبل اثنين من المتمردين الباكستانيين ضد السوفييت؛ زكي الرحمن لاهاكفي وحافظ سعيد، وقد سعى الاثنان لتوحيد الحركة الإسلامية الباكستانية، ودعيا أهل الحديث من خلال توفير الخدمات الاجتماعية للأعضاء، والكفاح المسلح ضد الكافرين.

الوحدة المسلحة للمنظمة التي سميت ليت (LET) (جيش الأنقياء) تم تأسيسها رسميًّا في عام 1990، ومع أنها كانت مكرسة للجهاد العالمي، إلا أن جل تركيزها كان النزاع على كشمير. خلال عقد التسعينيات بأكمله، أصبحت ليت LET أداة بيد المخابرات الباكستانية المشتركة (ISI)؛ للمضي قدمًا في مطالبات الباكستان حول كشمير، ووفقًا لتانكل، فإن ليت LET تتلقى دعمًا كبيرًا من وكالة الاستخبارات الباكستانية لإعداد الخدمات الاجتماعية في الباكستان (ومن ثم زيادة الدعم الاجتماعي)، وتحسين المهارات العسكرية التكتيكية والعملانية، كما سمحت (ISI) لهم باستخدام باكستان ملاذًا آمنًا لهم يعملون من خلالها. وسائل الدعم هذه، بالإضافة إلى الخبرة القتالية والتدريب الجيد للكثير من أعضاء ليت خلال الصراع في أفغانستان في الثمانينيات من العقد الماضي، جعلت من منظمة ليت جيشًا عرمرمًا. (انظر أيضًا كول، 2004).

**نمط الهجوم**

على الرغم من وصفها بأنها نمط مومباي، إلا أن العسكرية المعقدة لعملية منظمة ليت التي نفذت في مومباي كانت قد استخدمت من قبل، وعلى قاعدة رنا (2004)، فقد أعلنت تانكل (2011) أنها ظهرت بوصفها ردًّ فعل على محادثات السلام بين الهند والباكستان في أعقاب نزاع كارجيل عام 1999. (انظر إلى مروة، 2009)؛ فقد شكلت محادثات السلام تلك تهديدًا وجوديًّا لها، حيث تدين بوجودها إلى النزاع في كشمير. في الثاني عشر من يوليو 1999، قامت فرق قوامها بين اثنين إلى خمسة من الفدائيين بتنفيذ هجوم على الحدود الهندية على معسكر قوات الأمن في الوادي الشمالي لكشمير، مستخدمين القنابل اليدوية والرشاشات الآلية، واستمر

القتال حتى وفاتهم؛ كان الهدف من الفرق الهجومية هو تحقيق أقصى قدر من الضرر، وغرس الخوف في النفوس. (تانكل 2011)، وفي سياق إستراتيجي أوسع، كان الهدف هو التصعيد، في ذلك الوقت، بعد أن انخفض التصعيد في كشمير على نحو واضح، وقد ساعدت هجمات ليت على كسب التأييد لها، ودخلت مجموعات أخرى بقصد المنافسة في هجمات كبيرة وقاتلة، أبرزها جيش محمد الذي ذهب إلى أبعد مما ذهبت إليه ليت، بإدخال الهجمات الانتحارية في نزاع كشمير، وفي السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، قامت منظمة ليت بتنفيذ هجمات فدائية عدة رفيعة المستوى، بما في ذلك الهجوم على الأرض الواقعة بالقرب من القلعة الحمراء في نيودلهي في ديسمبر 2000، وحدثت خلال الأشهر التالية هجمات على المطار ومركز للشرطة في سريناجار، ما أسفر عن مقتل خمسة هنود أو أكثر في كلتا الحادثتين. في هذه الحالات كلها، استخدم المنفذون هجومًا منسَّقًا بالقنابل اليدوية والرشاشات لإلحاق أكبر عدد من الإصابات.

**أسلوب مومباي في منظور أوسع**

هجمات مومباي يمكن وصفها بأنها نموذج متطور يحمل بصمات منظمة ليت، وقد حذر بعضهم من تسمية تشير إلى وجود رابط بين نوع الهجوم وبين المكان أو المجموعة؛ يقول المركز القومي لمكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية الأمريكية في بيان له NCTC)، 2012) إن:

> الهجمات الإرهابية التقليدية يمكن وصفها بدقة بتحديد عدد المهاجمين، والأسلحة، والتكتيكات، والأهداف، بدلًا من استخدام مصطلحات مثل (الكوماندوز) أو( أسلوب مومباي)، وتقديم جدول هجمات (مماثل)، بما في ذلك الاعتداء على أفراد الجيش الأمريكي في فرانكفورت في 2011، وهجوم شنه (أقل من خمسة مهاجمين) على فندق في مقديشو في عام 2010، والهجوم على مدارس بيسلان المتوسطة واحتجاز رهائن من قبل 30 من المهاجمين في عام 2004.

ومع ذلك، من خلال الجدول، ليس هناك ما يشير إلى وجود رابط مباشر بين هذه الحالات جميعها، من حيث الأسلحة المستخدمة، والأهداف، أو الوصف العام للهجمات.

## ما هو إذن أسلوب مومباي؟

تصنيف الأحداث في مومباي كان ولا يزال خاضعًا لمزيد من النقاش؛ فقد أشار بعضهم إلى أن الهجمات يمكن تصنيفها ضمن فئات أوسع؛ على سبيل المثال: (اعتداء مسلح أو إعطاء عدد الإصابات، أو إرهاب الضحايا الشامل)، ومع ذلك تكاد هجمات مومباي تكون حالة استثنائية على العديد من الأبعاد، وقد يكون أكثر دقة أن نعطي تسمية منفصلة لهذه الهجمات، بدلًا من عدِّها حالة استثنائية من الصنف العام للأعمال الإرهابية، فكيف لنا أن نصف أسلوب مومباي؟ على أساس التحليل السابق، أقترح أنه بجمع الخصائص الأربع نجعل من الهجوم حالة فريدة من نوعها، هذه الخصائص يمكن أن نميزها بأربع ميزات هي: الإيمان الراسخ، والتنسيق في الهجمات، والجمع بين أساليب للهجوم، والاتصالات.

### الإيمان الراسخ

ثمة سمة واضحة لهجمات مومباي هي عزم وإرادة المنفذين على القتال حتى وفاتهم، ونظرًا إلى قوة المهاجمين بالمقارنة مع المدافعين عن المدينة، يبدو أن الموت أو الأسر هي النتيجة الوحيدة الممكنة. وبالفعل، فإن كلمة فدائيين تعني باللغة العربية أولئك الذين يضحون بأنفسهم، وهي عنصر أساسي في هذه الهجمات. إذن، هو الإيمان الراسخ بأن أفعال المرء تفوق تضحياته الكبيرة، وقد أشار إلى ذلك أحد أهم المنظرين في منظمة ليت، وهو عبدالرحمن مكي (2004)، الذي قال لدى مناقشته هجمات الفدائيين ما يأتي:

> فنشاط الفدائيين يشكل إطلاق هجوم قوي على العدو وتحدِّيًا حقيقيًّا له، وبهذا يظهر ثبات الإيمان، ليدل على الشجاعة والبسالة التي يضحي بها المؤمن بحياته من أجل قضية الإسلام. هذا الشعور الذي لا مثيل له من التضحية وحب الاستشهاد يعد رادعًا للعدو، ويجبره بالقوة على التراجع.

### تنسيق الهجمات

السمة الثانية من ملامح (مومباي) هي تنسيق الهجمات؛ فقد شمل التنسيق بين مهاجمين داخل فريق الهجوم، والتنسيق بين فرق الهجوم المؤلفة من خمسة مهاجمين، والتنسيق بين فرق

الهجوم كلها والمخططين لها في باكستان؛ التنسيق بين العناصر كانت مزاياه التكتيكية واضحة؛ لأنه يتيح الإبقاء على الجريمة لمدة طويلة. أيضًا في تحليلات هجمات مومباي، وفي كثير من الأحيان لاحظت قوات الأمن أن هناك صعوبة في اتخاذ القرار من حيث الجهة التي يتعيَّن التوجه إليها بسبب تزامن الهجمات (على سبيل المثال، راباسا وآخرون، 2009). وعلاوة على ذلك، فالهجوم المنسق يظهر التخطيط والمداولات والالتزام، ومن ثم يسهم في مصداقية المنظمة.

## مزيج من أساليب الهجوم

السمة اللافتة الثالثة لهجمات مومباي تلك التي تتعلق بمزيج من الأسلحة المستخدمة؛ حيث تشارك بنادق آلية، عبوات ناسفة وقنابل يدوية. بعض المتفجرات انفجرت بعد مدة طويلة من زرعها من قبل المهاجمين، بينما سقط العديد من الضحايا قبل إطلاق النار المباشر، وبالإضافة إلى ذلك، تضمنت الهجمات عمليات قتل وخطف، وحركة بالقوارب وسرقة سيارات، وكذلك التحصن لمدد طويلة، والواقع أن الهجمات يبدو أنها تشمل الذخائر الكاملة المتاحة للإرهابيين وربما باستثناء ملحوظ أسلحة الدمار الشامل.

## الاتصالات

آخر السمات هنا، ولكن بالتأكيد ليست سمة قليلة، فقد أثَّرت الاتصالات بصورة خطيرة وبطرق متعددة في هجمات مومباي؛ أولًا: كان الاتصال حاسمًا في تنسيق الهجمات، والتخطيط للمتابعة من قبل المخططين والمهاجمين على الأرض. ثانيًا، سمح للمخططين باستخدام الإبلاغ في التلفاز لتقديم المشورة التكتيكية والتشجيع. ثالثًا، استخدام المهاجمين الاتصالات للوصول إلى الممثلين الدبلوماسيين والجمهور العام. الخاطفون في تشاباد هاوس كانوا قادرين على الاتصال بممثلين عن إسرائيل من السلك الدبلوماسي، وظهروا على شاشة التلفاز الوطني. رابعًا، خلال هذه الاتصالات، نُشرت المعلومات المضللة لزيادة الإرباك بين صفوف قوات الأمن والجمهور العام.

## أسلوب مومباي ذو صلة بالانتحار ومن أصناف الإرهاب الأخرى

الآن وقد تم تعريف أسلوب مومباي من حيث الخصائص الأربع التي حددناها، يمكن أن ننتقل إلى المسألة التي أثيرت في بداية هذا الفصل: ما هو موقع أسلوب مومباي في أوساط الإرهاب الانتحاري وغير الانتحاري؟ أقترح أن يكون أفضل تحديد لهذا الموقع التركيز على الاختلافات إلى جانب الأبعاد التي تم تحديدها.

لأول وهلة، يبدو أن أسلوب مومباي فيه من القواسم المشتركة مع الإيمان الراسخ الذي يشتمل عليه الإرهاب الانتحاري أكثر من الإرهاب غير الانتحاري التقليدي، ومن المؤكد أن الإيمان يؤثر في جميع أشكال الإرهاب؛ فالإرهاب الذي يعرَّف على نطاق واسع بأنه العنف لأغراض سياسية أو أيديولوجية ينطوي دائمًا وبشكل عملي على الاستعداد لإيذاء الآخرين؛ بغرض خدمة المثل العليا للمرء، الأمر الذي يتطلب قدرًا كبيرًا من القناعة بأن للمرء مصالحه التي تفوق رفاه الآخرين، ومع ذلك فإن درجة التضحية بالنفس لخدمة هذا الإيمان الراسخ تختلف، وكما أشار إليه من قبل المنظر لدى منظمة ليت الإرهابية عبدالرحمن مكي، بأن أسلوب مومباي ينطوي على شعور لا مثيل له من التضحية وحب الاستشهاد، وربما أكثر من الإرهاب الانتحاري حيث الموت السريع بدلًا من الموت الذي يأتي بعد قتال طويل.

ومع ذلك، ينبغي التأكيد أن أسلوب مومباي لا يشبه الإرهاب الانتحاري؛ فقد كتب عبدالرحمن مكي (2004) ما يأتي: العمل الفدائي ليس عملًا انتحاريًّا، فهو لم يقتل نفسه، إنه فقط أسلوب قتال. ثم يضيف:

> ثمة فرق أساسي بين الفدائي المسلم والعقل الانتحاري؛ حيث إن الفدائي في ظل أحلك الظروف يرغب بأن يقتل على يد كافر أو ملحد.

وهكذا، فإن الفرق الحاسم بين الإرهابي الانتحاري والإرهابي المتورط في أسلوب مومباي هو أن الأول يقتل نفسه، بينما يتجنب هذا الأخير الموت حتى يفرضه الآخرون عليه. على صعيد مصطلحات علم النفس التحفيزي المعاصر (هيغنز، 1998)، عندما يتعلق الأمر بالقتل، يتصرف الإرهابي الانتحاري من خلال التركيز على الترويج، في حين يهدف الإرهابي في أسلوب مومباي إلى منع الموت.

هذه المناقشة ترتبط بملاحظة قدمت في تقرير راند (راباسا وآخرون، 2009) بشأن هجمات مومباي، وتشير إلى الاختلافات في تأطير الإرهاب الانتحاري وأسلوب مومباي؛ ففي الحالة الأولى (الإرهاب الانتحاري)، عادة ما يؤطر عمل الإرهابي على أنه تضحية دينية يقوم بها المؤمن، بينما في الثانية يؤطر على أنه تصرف جندي يحمل إيمانًا راسخًا (ومن السخرية أن تكون الهجمات التي يقوم بها الفدائيون منسجمة مع تعاليم الإسلام، في حين أن الإسلام يحرم الانتحار). بالنظر إلى الانتحار والإرهاب غير الانتحاري (التقليدي)، نجد أن أسلوب مومباي يشترك مع الإرهاب الانتحاري بتركيزه على الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع، في حين يشترك مع الأشكال غير الانتحارية بتركيزه على الشكل العسكري بدلًا من الشكل الديني للعمل البطولي.

على الرغم من أن تنسيق الهجمات يمكن عدُّه ميزة في أسلوب مومباي، إلا أن هذه الفكرة قد لا تكون مفيدة بشكل خاص في تمييزه عن الشكلين الآخرين للإرهاب اللذين تم تناولهما؛ فقد أصبحت الهجمات المنسقة سمة مميزة للإرهاب الجهادي المنظم والمستلهم، ولكنها ليست حكرًا على هذه الفئة من الإرهاب؛ يمكن للمرء أن يرى هذا التنسيق بين المنظمات الأخرى غير الجهادية، وأبرزها القوات المسلحة الثورية في كولومبيا (فارك FARC) والشايننغ باث (الدرب المضيء) في البيرو. كونها فرضية، ربما كان التنسيق على درجة من الأهمية للإرهابيين الانتحاريين من أسلوب مومباي أكثر من الأشكال الأخرى من الإرهاب؛ إذ يبين علم النفس الاجتماعي أن مثل تلك العقليات من التفكير تؤثر بصورة حاسمة في تعزيز المعتقدات (فيستنغر، 1954، وكروغلانسكي، 2004)، وبالنظر إلى التضحيات الكبيرة التي يقدمها الإرهاب الانتحاري وأسلوب مومباي، فإن تقاسم الهجمات مع الآخرين من العقلية ذاتها قد يكون أداة قوية في تعزيز الإيمان اللازم لتقديم هذه التضحية، فالمحادثات المسجلة بين المهاجمين في مومباي ومدربيهم في باكستان تكشف عن أن الدعم النفسي والتشجيع في الواقع من السمات البارزة.

في حين أن أسلوب مومباي قد يكون فيه من القواسم المشتركة مع الهجمات الانتحارية أكثر من الهجمات التقليدية عندما يتعلق الأمر بالتنسيق، من حيث الجمع بين الأسلحة المستخدمة، إلا أن أسلوب مومباي لديه الكثير من القواسم المشتركة مع الهجمات التقليدية، فالطبيعة الخاصة لعمل الإرهاب الانتحاري تفرض قيودًا كبيرة على الأسلحة التي تختارها، فجمع العديد

من الأسلحة خلال العملية الانتحارية يبدو غير عملي (وله متطلبات سيكولوجية كبيرة)؛ فالإرهاب الانتحاري -مع استثناءات نادرة- ينطوي على استخدام المتفجرات فقط، ومن المفيد ملاحظته أن هجمات مومباي يمكن أن تحدث لأن تركيز قوات الأمن الهندية كان على القنابل (راباسا وآخرون، 2009)، من ناحية: ردًّا على تفجيرات قطارات مومباي في يوليو 2006. ومع هذه المعاينة المتزايدة للتهديد بوجود قنبلة، يمكن أن نعدَّ أن التفجيرات الانتحارية أقل جدوى لدى مخططي هجمات عام 2008، وهكذا فإن الجمع في استخدام الأسلحة التقليدية ربما أسهم في إمكانية تنفيذ أسلوب مومباي.

التشابه بين أسلوب مومباي والهجمات الإرهابية التقليدية، والاختلاف بين أسلوب مومباي والإرهاب الانتحاري قد يكون أكثر وضوحًا عندما يتعلق الأمر بدور الاتصالات؛ فبالمقارنة، ليس هناك أي اتصال في الإرهاب الانتحاري، وبالمقابل، في الإرهاب التقليدي، وعلى الأخص في حالة احتجاز الرهائن، يمكن أن تؤثر الاتصالات بصورة مهمة. في أسلوب مومباي، وعلى النحو المبين سابقًا كان للاتصالات دور أساسي؛ فخلال 60 ساعة من هجوم مومباي، قدمت الاتصالات للمهاجمين مزايا كبيرة، وقدمت مرونة تكتيكية، ومن خلال خطوط الاتصال بين المهاجمين على الأرض ومدربيهم تم رصد الأحداث على شاشات التلفاز. كما قدمت للمهاجمين الفرصة لترجيح وجهة نظرهم، في حين سعى البث العام إلى فهم الأحداث، وإرباك قوات الأمن. وأخيرًا، في بيت تشاباد، التواصل مع الممثلين الدبلوماسيين أوجد تفاوضًا، وعرقل الهجوم المضاد لقوات الأمن.

باختصار، يمكن عدُّ أسلوب مومباي أسلوبًا أقرب إلى الإرهاب الانتحاري منه إلى الإرهاب التقليدي عندما يتعلق الأمر بالإيمان الراسخ، وإن كانت هناك اختلافات واضحة، ومع ذلك عندما يتعلق الأمر بالجمع بين استخدام الأسلحة والاتصالات، فإن أسلوب مومباي يبدو أقرب إلى الإرهاب غير الانتحاري، وفي هذا الصدد يبدو أن هذا التحليل يلتقي مع فكرة أن أسلوب مومباي هو (إرهاب ينصهر فيه التمرد وحرب العصابات (كروملي 2008)؛ فهو يجمع بين الحماس النفسي المرتبط بالإرهاب (الديني) مع كفاءة تكتيكية عسكرية مرتبطة بالتمرد وحرب العصابات).

## كيف نحارب أسلوب مومباي؟

سعت المساهمة الحالية لوضع الأسلوب المرتبط بالهجمات على مومباي في 11/26 عام 2008 في منظور مرتبط بالإرهاب الانتحاري والإرهاب غير الانتحاري؛ فتحليل الأحداث، والمنفِّذون والمنظمة المسؤولة، والاتجاهات في مجال بحوث الإرهاب، أدى إلى توصيف أسلوب مومباي في أربع خصائص: إيمان راسخ، وهجمات ذات تنسيق دقيق، والجمع بين الأسلحة المستخدمة والمتعددة مع استخدام الاتصالات. ينبغي أن يكون واضحًا أنه لا يمكن لتكتيك منفرد أن يحارب بشكل فعال هذه المجموعة المعقدة من الخصائص، في الواقع ما يأتي لا يتفق مع التطلعات الإستراتيجية لمكافحة الإرهاب بشكل كامل ضد أسلوب مومباي؛ لهذا أقترح في النهاية أن التحليل الذي قدمناه في هذا الفصل لا يشير إلى ثلاث قضايا يمكن أن تؤخذ في الحسبان عند تطوير هذه الإستراتيجية.

1. **أهمية الإسناد:** منذ أيام نوفمبر عام 2008، تحذيرات الهجوم من أسلوب مومباي كثيرًا ما ظهرت في التقييمات الحكومية للتهديدات وفي وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم، غير أنه في غياب الوصف الواضح لمفهوم أسلوب مومباي، ظلت هذه التحذيرات تقدم القليل من الإرشاد حول كيفية مواجهة هذا التهديد. وبوصفه مفهومًا، استخدم أسلوب مومباي لوصف التهديدات التي تتراوح بين إطلاق النار بهدف الاستمتاع من مجموعات الذئب المنفلت التي تطلق النار عشوائيًّا على المارة الأبرياء ودون تمييز (على سبيل المثال، هايدن، 2012)، لكن في مثل هذه الحالات، قد يكون إسناد التهديد إلى أسلوب مومباي ضارًّا؛ لأن العديد من الخصائص التي تشكل أسلوب مومباي غير متوافرة، فضلًا عن أن تطور أسلوب مومباي سيجعل من غير المناسب التصدي له بتدابير مماثلة، تُستخدم لمكافحة الذئاب المنفلتة أو ضد المجموعات التي تطلق النار بشكل عشوائي؛ خذ على سبيل المثال حالة الذئب المنفلت؛ لا يتوافر فيها الاتصال والتنسيق، وهما خاصيتان أساسيتان في أسلوب مومباي. وكما سوف نلاحظ لاحقًا، قد تكون هذه الميزات حاسمة في التعامل مع أسلوب مومباي، والخلط معًا بين أسلوب مومباي، وإطلاق النار بدافع المتعة من قبل الأفراد، قد يكون له ضرر

كبير للتدخل الفاعل؛ لهذا يبدو من المفيد جدًّا التوصل إلى إسناد دقيق عند التعامل مع ظهور تهديدات إرهابية؛ فالتصور الأوضح لأسلوب مومباي ضروري في هذا السياق، ويمكن عدُّ هذا الفصل خطوة في هذا الشأن.

2. **التواصل:** هو جزء من المشكلة، لكن قد يكون جزءًا من العلاج: التحليلات الواردة في هذا الفصل وضعت جل تركيزها على الاتصالات، وقد تم تحديدها بوصفها سمة رئيسة من أسلوب مومباي؛ فالاتصالات تتيح التنسيق بين فرق الهجوم وتبادل المعلومات التكتيكي بين المهاجمين والمدبرين، ونشر المعلومات المضللة لقوات الأمن، واختلاق الروايات للعالم الخارجي. وبالنظر إلى الدور المركزي للاتصالات في أسلوب مومباي، قد يتساءل المرء ما إذا كان بذلُ مزيدٍ من الجهد لتعطيل الاتصالات يمكن أن يكون وسيلة فاعلة في مكافحته. في هذا السياق، قد يفكر أحدنا بضرورة تعطيل خطوط الاتصال بين المهاجمين، وبين المهاجمين ومدربيهم، علاوة على أن نشر المعلومات المضللة يمكن أن تعطل فاعلية التنسيق في الهجوم، وتقوِّض مصالح المهاجمين. وهكذا، في مواجهة أسلوب مومباي، قد يكون وضع إستراتيجية شاملة للاتصالات مفيدًا وعامل نجاح حاسمًا.

3. **التخطيط للطوارئ:** خلافًا للإرهاب الانتحاري، ينطوي أسلوب مومباي على القتال لمدد طويلة، ولهذا السبب يعد التخطيط الإستراتيجي للطوارئ عنصرًا حاسمًا آخر في مواجهة الحدث. في الواقع، أحداث مومباي التي استمرت ستين ساعة يمكن عدُّها سمة إضافية من سمات أسلوب مومباي؛ فوصول المدربين إلى التغطية المباشرة للأحداث بالإضافة إلى القدرات التي يمتلكها المدربون والمهاجمون على صعيد الاتصالات، سمحت لهم بضبط الخطة الهجومية مع تطور الأحداث، وهذا ما يجعل أسلوب مومباي مختلفًا، وربما لذلك السبب قد يكون له ضرر أكبر من الإرهاب الانتحاري. التخطيط الدفاعي لحالات الطوارئ يمكن أن يوقف هذا النوع من التهديد، مع أنه غير واضح في الوقت الحاضر، كيف سيكون شكل هذا التخطيط، وبالتأكيد الدخول إلى أذهان منفذي الهجوم سوف يكون من الأشياء الرئيسة في هذا السياق.

## استنتاج

بدأ هذا الفصل بملاحظة أن أسلوب مومباي برز بوصفه مفهومًا بارزًا في تحليل الإرهاب في العصر الحديث، وفي المواثيق العلمية حول الإرهاب الانتحاري، أسلوب مومباي هو المقيد؛ لأنه يشترك بخصائص كل من الإرهاب الانتحاري وغير الانتحاري. قبل معالجة أوجه الشبه والاختلاف مع هذين النوعين من الإرهاب، كان من المهم أن ننظر أولًا إلى خصائص أسلوب مومباي: الإيمان الراسخ، وتنسيق الهجمات، والجمع بين أساليب الهجوم، والاتصالات.

أدَّت مقارنة أسلوب مومباي مع فئات انتحارية وغير انتحارية من الهجمات الإرهابية إلى استنتاج مفاده أنه عندما يتعلق الأمر بالإيمان الراسخ، فإن أسلوب مومباي أقرب إلى الإرهاب الانتحاري، ولكن عندما يتعلق الأمر بالجمع بين استخدام الأسلحة والاتصالات، قد يكون أسلوب مومباي أقرب إلى الإرهاب غير الانتحاري؛ إن الأسباب الأربعة لأسلوب مومباي توفر أيضًا بعض نقاط الاهتمام في تطوير الإجراءات المضادة، فضلًا عن أن الإسناد أمر بالغ الأهمية لتحديد ما إذا كانت فكرة أسلوب مومباي قابلة للتطبيق، فإذا كانت قابلة للتطبيق، فإن وضع إستراتيجية اتصالات شاملة وتخطيط للطوارئ يمكن أن يشكل مكونًا أساسيًّا لاستجابة فعالة.

## المراجع

## REFERENCES

Baweja, H. (2009). 26/11: Mumbai attacked. New Delhi: Lotus Collection.

Coll, S. (2004). Ghost wars: The secret history of the Cia, Afghanistan, and Bin Lad–en, from the soviet invasion to September 10, 2001. New York: The Penguin Press.

Coll, S. (2008, November 28). Decoding Mumbai. In The New Yorker.

Retrieved on October 15, from http://www.newyorker.com

Crumley, B. (2008, November 29). The Mumbai attacks: Terror's tactical shift. In Time. Retrieved from http://www.time.com/time/printout/0,8816,1862795,00.html

Festinger, L. (1954). A theory of social comparison processes. Human Relations, 7(2), 117–140.

Hayden, T. (2012, September 3). Mumbai changed British anti–terror tactics.

In Poliquicks. Retrieved from http://poliquicks.com/2012/09/03/mum–bai–changed–british–anti–terror–tactics

Higgins, E. T. (1998). Promotion and prevention: Regulatory focus as a motiva–tional principle. In M. P. Zanna (Ed.), Advances in experimental social psychology (Vol. 30, pp. 1–46). New York, NY: Academic Press.

Kelly, R. (2009). Lessons from the Mumbai. Testimony of police commissioner Raymond W. Kelly for the Senate Committee on Homeland Security & Govern–mental Affairs. Retrieved on October 15, 2012, from http://www.nyc.gov/html/nypd/html/pr/lessons_from_mumbai_ terror_attacks.shtml

Khetan, A. (2009). Inflicting maximum damage and don't be taken alive: Karachi to Mumbai: Terror, step by step. In Harinder Baweja (Ed.), 26/11: Mumbai attacked (pp. 116–137). New Delhi: Roli Books.

Kruglanski, A. W. (2004). The psychology of closed mindedness. New York: Psy–chology Press.

Makki, A. (2004). Fedai missions. Retrieved on October 26, 2012, from http://www.alhonain.com/english_lect/fidai_mission/fidai_missions_iii.htm

Marwah, V. (2009). India in turmoil: Jammu & Kashmir, the Northeast and left ex–tremism. New Delhi: Rupa & Co.

Mumbai Police. (2009, February 25). Text of the charge sheet filed by the Mumbai terror attacks cases. In R. Basrar, T. Hoyt, R. Hussain, & S. Mandal (Eds.), The 2008 Mumbai terrorist attacks: Strategic fallout

(RSIS Monograph No. 17). Retrieved from http://www.rsis.edu.sg/publications/monographs/Monograph17.pdf

NCTC. (2012). Alternatives to “Mumbai–style” attacks. Retrieved on October 15, 2012, from http://www.nctc.gov/site/technical/alternatives.html

92 MARK DECHESNE

Rabasa, A., Blackwill, R., Chalk, P., Cragin, K., Fair, C., Jackson, B., et al. (2009). The lessons of Mumbai (RAND occasional series paper).

Retrieved on October 15, 2012, from http://www.rand.org/pubs/occasional_pa–pers/2009/RAND_OP249.pdf

Rana, M. (2004). Gateway to terrorism. New Delhi: Minerva Press India Pvt Ltd.

Tankel, S. (2011). Storming the world stage: The story of Lashkar–e– Taiba. New York: Columbia University Press.

Zakaria, F., Matthews, E., Zaidi, H., Ronowicz, S., Appleby, T., Jackson, S., et al. (2010). Terror in Mumbai [Television Broadcast]. New York: HBO.

Obeikan Investment Group

إحدى شركات

Obeikan Publishing

# أحدث الإصدارات

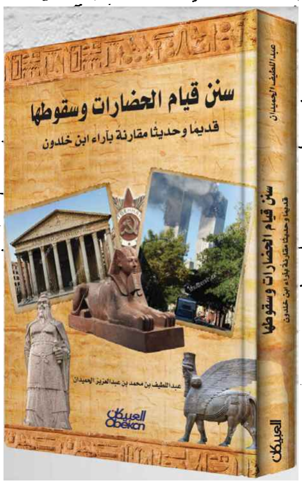

Follow Us

obeikn reader

obeikanpub

obeikanstores

متجرنا على

وادي wadi

كتبنا الإلكترونية

Google Play

amazon kindle

كتبنا الصوتية

Kitab Sawti
www.kitabsawti.com

دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

# 6

# التفجيرات الانتحارية: مقتل القاتل أم سلاح حرب؟

رياض حسن

المنظر السياسي الأمريكي البارز مايكل والزر (2004، 2006) يصف التفجيرات الانتحارية وقتل القاتل أسوأ من الناحية الأخلاقية من القتل في الحرب:

> الإرهابيون قتلة في حالة من الهياج، إلا أن هذا الهيجان ليس فقط تعبيرًا عن الغضب أو الجنون: إنه الغضب المقصود والمبرمج. . . إن شيطان الشر الغريب للإرهاب لا يهدف فقط لقتل الأبرياء، ولكنه أيضًا يسرب الخوف إلى الحياة اليومية، وينتهك الأغراض الخاصة، ويعدم الأمن في الأماكن العامة، ويصنع القهر الذي لا نهاية له من الاحتراز والتحوط.

كانت كتابات والزر مؤثرة جدًّا في تأطير النقاش حول التفجيرات الانتحارية والانتحاريين في وسائل الإعلام. والزر، مع ذلك، ليس وحده من يرى التفجيرات الانتحارية على أنها قتل للقاتل (بيركو، 2007). في هذا الفصل، يجب دراسة ما إذا كانت التفجيرات الانتحارية قتلًا للقاتل كما يزعم والزر، أم أنها سلاح في الحرب؟ هذا الفحص يشمل استكشاف أسئلة مترابطة عدة: هل التفجير الانتحاري شكل من أشكال السلوك الانتحاري؟ وإذا لم يكن، فهل ينبغي النظر إليه بوصفه عملًا من أعمال القتل أم سلاحًا في الحرب؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، يجب علينا أيضًا التأكد من طبيعة الحرب والقتل في الحرب، والتمييز بين قتل الحرب والجريمة. الإجابات عن هذه الأسئلة سوف تساعد على الإجابة عن السؤال، ما إذا كان التفجير الانتحاري يقتل القاتل أم هو من أسلحة الحرب؛ هذه الأسئلة سيتم استكشافها في المناقشة الآتية.

## الانتحار والتفجيرات الانتحارية

هناك إجماع بين العلماء على أن الهجمات الانتحارية تختلف نوعيًّا عن الانتحار، فبعد مراجعة شاملة للأدبيات ذات الصلة بظاهرة التفجيرات الانتحارية، استنتج أبتر، وكيركوف (2006) أن العمليات الاجتماعية مثل ديناميكية المجموعة، والتلقين، والعوامل السياسية تكون حاسمة في تحليل هذه المشكلة، فهم يؤكدون أن الانتحار في التفجيرات الانتحارية يكون ذرائعيًّا في سياق الحرب، وليس في سياق علم النفس المرضي؛ ففعل القتل في الحرب أكثر أهمية لفهم الإرهاب الانتحاري من فعل الانتحار.

في استعراض شامل آخر للموضوع، يخلص تاونسند (2007) إلى أن الإرهاب الانتحاري له مجموعة من الخصائص التي تظهر بالفحص الدقيق أنها مختلفة عن غيرها من السلوك الانتحاري:

> الإرهابيون الانتحاريون ليسوا انتحاريين حقًّا، ومن يحاول إيجاد قواسم مشتركة بين الإرهابيين الانتحاريين وغيرهم ممن يموتون انتحارًا، من المرجح أن يكون قد اتخذ مسارًا غير مفيد لأي مسار من مسارات الذين يرغبون في تعزيز فهم السلوك الانتحاري. المساواة في الأفعال والدوافع بين الإرهابيين الانتحاريين مع تلك من حالات الانتحار الأخرى، ربما تكون مسيئة لأولئك الأفراد الذين يموتون بهدوء؛ وحيدون ومن غير أي قاتل عن قصد.

الطبيبة النفسية البريطانية الفلسطينية نادية الدباغ (2005) في دراستها للانتحار في فلسطين تُبيِّن أن السلوك الانتحاري في المجتمع الفلسطيني، مثله مثل الانتحار في مجتمعات أخرى، ناجم عن نسبة درجة الاندماج الاجتماعي، والتنظيم والعزلة، وكذلك السيطرة الاجتماعية والثقافية، والقهر الذي يقع على الأفراد في المجتمع، لكن التفجيرات الانتحارية من قبل منظمات مثل حماس والجهاد الإسلامي تستهدف أعمال المقاومة، وهي سلاح الضعيف ضد المحتل الظالم المكروه لما ينظر إليه الفلسطينيون على أنه وطنهم.

على عكس الانتحار الذي يثير مشاعر الشفقة والحزن على الضحايا، الهجمات الانتحارية تثير مشاعر النفور والخوف والغضب، وعدم التصديق أن الإنسان يستطيع أن يقتل بدم بارد الناس الأبرياء الذين لم يفعلوا أي ضرر للجاني، الفرق الرئيس بين التفجير الانتحاري والانتحار

هو أن الغاية الأساسية من الفعل هي القتل في التفجير الانتحاري، في حين أن السمة الأساسية للانتحار هي غياب النوايا القاتلة. في الواقع، يمكن أن يُنظر إلى الإرهابي الانتحاري بأنه منتج ثانوي للهجوم؛ فالهجمات الانتحارية تشمل ضحايا غير معروفين للقاتل، والأكثر من ذلك، معظم الهجمات الانتحارية تقرر بعناية في وقت مبكر مع صريح النية بقتل الآخرين الذين ليس لهم علاقة سابقة مع الانتحاري (الدباغ، 2005). العمليات الانتحارية أيضًا تختلف عن القتل والانتحار؛ بسبب التباعد الزمني لأعمال القتل والانتحار. في التفجير الانتحاري تقع الأفعال في وقت واحد (براكلا ووهاريس، 2002؛ مرزوق، تارديف، وهيرش، 1992).

## الحرب والقتل في الحرب

وفقًا لأدلة الحرب الإثنوغرافية، فإن العنف القاتل المنظم الذي ينطوي على مجموعات مكانية واجتماعية متميزة ينجم عن عوامل اقتصادية (الأرض والموارد، والنهب)، وعوامل اجتماعية (الهيبة، الشرف)، والانتقام (للمعاناة)، والدفاع. ترتيب الدوافع من الأكثر شمولًا إلى الأقل شمولًا: السيطرة السياسية، المكاسب الاقتصادية، الحالة الاجتماعية، والدفاع (أتربين، 1970؛ رايت، 1942). ويبدو أن الدوافع للذهاب إلى الحرب تختلف وفقًا لطبيعة النظام السياسي؛ فالأنظمة السياسية المركزية (دول ومشيخات) تذهب إلى الحرب لأغراض تحقيق السيطرة السياسية، والقهر، والسيطرة على الأرض وسكانها لاستخراج الفوائد الاقتصادية. في المقابل، القبائل والعصابات والجماعات غير الحكومية لا تشن الحرب لتحقيق السيطرة السياسية، وإنما لمزيج من الأهداف التي تشمل الانتقام، والدفاع، والأرض، والشرف، والهيبة. (كيلي، 2000).

في النظرية السياسية الحديثة، الحرب هي عنف منظم وأداة للدولة، وهي نشاط قانوني عندما تُستوفى شروط معينة مثل الدفاع عن النفس، والإيفاء بالالتزام التعهدي تجاه الدولة التي تتعرض للهجوم، أو التدخل الإنساني لحماية وجود مجتمع سياسي مهدد إما بالقضاء على الشعب وإما التحول القسري في أسلوب حياتهم، ولا يعد أي من هذه الإجراءات مقبولًا أخلاقيًّا. ضمن

هذه الشروط، تعد الحرب قانونية ومبررة، ولكن فقط حين تصبح الملاذ الأخير وتكون البدائل كلها قد استنفدت. بالإضافة إلى ذلك، إدارة الحرب دائمًا عرضة للنقد الأخلاقي،

وأنها يجب ألا تستهدف المدنيين والبنى التحتية الاقتصادية، ويجب أن تكون متناسبة. (والزر، 2004).

هذه المعايير تعطي الشرعية لأنواع معينة من العنف، وتشجب أنواعًا أخرى بموجب القانون الدولي، لكن -كما ساجل أسعد أو أسد (2007)- ما يثير السخرية من النظرة الغربية الليبرالية للحرب أنها:

> من ناحية، حاجة الدولة إلى إضفاء الشرعية على العنف المنظم ضد عدو جماعي (بما في ذلك المدنيين)، ومن جهة أخرى الرغبة الإنسانية في إنقاذ الأرواح البشرية، في حين أن الحرب والإرهاب هما شكلان واضحان في التعامل مع الموت، وهذا المعيار يجعل القتل في الحرب مشروعًا، وقتل الإرهاب غير قانوني (والزر، 2004).

كثير من الانتقادات للإرهاب جاء من هذه المبادئ الأساسية للحرب في النظرية السياسية. في الحرب والإرهاب، يتم قتل الأبرياء، لكن ما تدينه النظرية السياسية الليبرالية في الحرب هو الإفراط، وفي الإرهاب تجد جوهره، أما جيوش الدولة فتقتل فقط أولئك الذين يمكن قتلهم بصورة مشروعة، وفي حدود ما تسمح به قواعد الحرب. (أسد، 2007). في حين أن الحرب، وفقًا لوالزر، هي طريقة الملاذ الأخير، فالمسلحون الذين ينفذون أعمالًا إرهابية ضد المدنيين لم يتبعوا الخطوات اللازمة لتبرير أعمالهم بأنها الملاذ الأخير، ومن ثم فهم غير مكرهين على هذا الإجراء. من وجهة نظر والزر، ليس من السهل الوصول إلى الملاذ الأخير. للوصول إلى هناك، لا بد في الواقع من محاولة كل شيء، وليس مرة واحدة فقط ولكن مرارًا وتكرارًا؛ السياسة بعد كل شيء هي فن التكرار. (والزر، 2004).

باختصار، الحرب عنف منظم يكون فيها موت (الآخر) قد أخذه بالحسبان في التخطيط، وهي حق شرعي وقانوني للدولة في ظل ظروف معينة، وترتكز شرعيتها على السلطة الحصرية للدولة لفرض العقوبات داخليًّا وخارجيًّا؛ فالعنف جزء لا يتجزأ من مفهوم الحرية الذي هو في صميم العقيدة الليبرالية حول تأسيس المجتمع السياسي، الذي يتطلب من الدولة التمكين للدفاع عنه، ويفترض هذا المفهوم الحق الطبيعي للفرد المستقل أخلاقيًّا أن يستخدم العنف في الدفاع عن النفس، لكن هذا الحق بات ملكًا للدولة التي تصبح هي الحامي الوحيد للحريات الفردية،

منكرة هذا الحق على أي عوامل أخرى أو وكلاء غيرها، فهي التي من حقها أن تقتل في الداخل وفي الخارج. (توك، 1999). الحق في القتل هو الحق في التصرف بطرق عنيفة ضد المواطنين الذين ينقضون العهد الأصلي، وضد الآخرين غير الحضاريين الذين يشكلون تهديدًا للنظام الحضاري القائم وقتلهم يوفر الأمن، ويتم ذلك باسم الدفاع عن النفس. مبررات الحروب الاستباقية والوقائية (مثل تلك الموجودة في العراق وأفغانستان) التي تمارسها الدولة الحديثة هي جزء لا يتجزأ من هذه العقيدة.

تنص عقيدة الشرعية الأخلاقية وقانونية الحرب أيضًا على أن الدولة تكون مجبرة على فعل هذا الإجراء بوصفه الملاذ الأخير بعد استنفاد البدائل كافة. علاوة على ذلك، فإن جيوش الدولة التي تشارك في الحرب لا تستهدف المدنيين غير المقاتلين؛ هل ينطبق منطق الحرب هذا على الإرهابيين المتمردين المتورطين في التفجيرات الانتحارية؟ دراسات الحالتين التاليتين، واحدة من الأراضي الفلسطينية والأخرى من المنظمات الإرهابية السريلانكية، قد تساعدنا على الإجابة عن هذا السؤال.

## فلسطين

في حالة فلسطين، المنظمات الإرهابية التي تستخدم العمليات الانتحارية تدعي في تورطها في أعمال عنف انتقامية للدفاع عن مجتمعها السياسي الذي يهدد بقاؤه الاحتلال الإسرائيلي وتوسعه. إذا استمر هذا الوضع، فإن هذا سيؤدي حتمًا إلى نزع ملكية الوطن الفلسطيني وإلى إزالته وإزالتهم شعبهم وطريقتهم في الحياة، وتزعم المنظمات الإرهابية الفلسطينية أنهم متورطون في العنف المنظم من خلال التفجيرات الانتحارية فقط بوصفه ملاذًا أخيرًا وتحت الضرورة المطلقة.

بالنسبة إلى معظم الفلسطينيين، العنف هو الخيار الوحيد لتحقيق هدفهم في إقامة دولة مستقلة، ونقلًا عن جندي ومدرب فلسطيني للانتحاريين يقول: ((الجهاد والمقاومة تبدأ بالكلمة، ثم بالسيف، ثم بالحجر، ثم بالبندقية، ثم بزرع القنابل وتحويل جسد الإنسان إلى قنابل)). (بلوم، 2005). الشعور السائد بالعجز بين الفلسطينيين جعل العنف رمزًا للشرف،

وعلى مستوى دلالي عميق، فإن الاستشهاد هو في النهاية بيان لا مِراء فيه، تُعبِّر فيه المجموعة عن كرامتها وحقها أمام الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، وكما قال الزعيم الراحل لحماس؛ الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، ما تقوم به السياسة الإسرائيلية من قتل مستهدف للقادة الفلسطينيين، تعتقد حماس والمجتمع الفلسطيني بشكل عام: ((أن تصبح شهيدًا من خلال التفجير الانتحاري هو من بين أعلى مراتب الشرف إن لم نقل أعلاها على الإطلاق)). (آرغو، 2003).

وفيما يتعلق بموت المدنيين في فلسطين من خلال التفجيرات الانتحارية، يبدو أنه ليس هناك اهتمام يذكر لحصانة المدنيين؛ فبالنسبة إلى معظم الفلسطينيين، ليس هناك حصانة للمدنيين في إسرائيل بسبب التجنيد الشامل من الرجال والنساء. أي مدني هو إما جندي حالي، أو في الماضي، أو جندي في المستقبل، ومن هذا المنظور، جميع الإسرائيليين متواطئون في الاحتلال غير الأخلاقي وغير القانوني في الضفة الغربية وقطاع غزة. (بلوم، 2005).

أخيرًا، التفجير الانتحاري هو أحد الأسلحة التي استخدمتها فقط ثلاث منظمات فلسطينية تعمل في التفجيرات الانتحارية ضد إسرائيل؛ حماس، والجهاد الإسلامي الفلسطيني، وكتائب شهداء الأقصى، وهذه المنظمات تلقى الدعم الجماهيري الواسع في المجتمع الفلسطيني؛ فمن خلال المواجهات العنيفة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي أصبحت هذه المنظمات ذات تنظيم جيد، وهذا ينطبق بشكل خاص على منفذي التفجيرات الانتحارية التي يُخطَّط لها جيدًا قبل تنفيذها. من هذا الوصف، يبدو أن العنف الفلسطيني ضد إسرائيل تجتمع فيه سمات الحرب كلها باستثناء سمه واحدة، وهي أنها لا تنفذ نيابة عن الدولة وإنما نيابة عن المجتمع السياسي، الذي يرى في وجودها طريقة للحياة تحت تهديد الاحتلال الإسرائيلي. باستخدام مصطلحات والزر في (2004)، يواجه القادة الفلسطينيون شرًّا محتملًا، وهم يردون على الشر من أجل حماية مجتمعهم السياسي.

التفسيران الأكثر شيوعًا للتفجيرات الانتحارية الفلسطينية هي أنها:

1. أعمال تضحية ذات دوافع دينية على شكل عملية استشهادية.
2. أعمال الخلود العلماني، وهي تمثل طرفي نقيض لتدنيس المقدس.

وهناك عرض بليغ للتفسير الأول يمكن العثور عليه في عمل سترينسكي (2003)، واستنادًا إلى مدرسة دوركهايمين، يقترح أن تفهم ظاهرة التفجيرات الانتحارية بشكل أفضل من خلال المفاهيم الدينية كالتضحية بالنفس، أفضل من فهمها من خلال النظريات التي تسعى لتفسيرها بالانتحار؛ التضحية ليست مجرد عمل اجتماعي، ولكن لها صدى ديني قوي يحولها إلى شيء مقدس؛ يقول سترينسكي: في التفجير الانتحاري، تتم التضحية بالنفس بوصفها هدية للأمة أو المجتمع السياسي الذي يقدس ذلك. جميع الفلسطينيين يعتقدون أن الانتحاريين كانوا يقدمون حياتهم للأمة الفلسطينية؛ وعليه، فإن تحليل سترينسكي يدل على أنه ما دامت التضحية هي جوهر الخضوع الديني فإن العنف جزء مكمل لها.

يمكن للمرء أن يأخذ اثنتين على الأقل من تلك القضايا التي وصف بها سترينسكي التفجير الانتحاري؛ أولًا: حجته المخالفة لموقف دوركهايم، وكان المنظر الأول الذي حدد المحددات الاجتماعية للانتحار، وهو الذي صنف التفجير الانتحاري ضمن فئة الانتحار الإيثاري. ثانيًا: وصفه للدافع من حيث التضحية يقدّم نموذجًا دينيًّا يمكن من خلاله النظر إلى التفجيرات الانتحارية على أنها (إرهاب ديني). تلك التسمية تعرّف الانتحاري بأنه شخص غير متطور على الصعيد الأخلاقي، ومن ثم فهو شخص يعيش عصر ما قبل الحداثة عند مقارنتهم بالأشخاص الذين تشير حالتهم المتحضرة جزئيًّا إلى سياساتهم العلمانية ودينهم الخاص؛ وعليه، يكون العنف من حيث المبدأ منضبطًا، ومعقولًا، وعادلًا. (أسد، 2007).

التفسير الثاني الذي وصف التفجيرات الانتحارية الفلسطينية بأنها أعمال الخلود العلماني قدمته جيوسي (2004)، التي ربطت بين أنواع مختلفة من أعمال العنف بوصفها تجليات لأنواع مختلفة من الذوات؛ جيوسي تربط بين الانتحاري الفلسطيني وبين نوع معين من الذاتية السياسية التي تشكلت في سياق علاقتها مع هياكل سلطة معينة، واعتمادًا على فكرة كارل شميت عن (الدولة الاستثناء)، وهومو ساسر لدى جورجيو أغامن، فهي تركز على تطوير حقل سياسي إيديولوجي أكبر، يشمل سياسات الاحتلال الإسرائيلي والاستيطان، والمقاومة الفلسطينية والتنمية الدولية مثل الثورة الإيرانية واتفاق أوسلو.

تساجل الجيوسي بأن اتفاق أوسلو كان محاولة لإقامة سلطة محلية على الفلسطينيين نيابة عن الدولة الإسرائيلية المحتلة، وبموجب اتفاق أوسلو، أصبح الشعب الفلسطيني بأكمله رهينة لأداء شرطة السلطة الفلسطينية، وبما أنها السلطة الشاملة للدولة، فقد كانت إسرائيل في وقت واحد خارج المناطق الفلسطينية، ومع ذلك تمارس السيادة عليها، فالسلطة الفلسطينية في ظل هذه الظروف وقعت في تناقض غير قابل للحل؛ فمن جهة تسعى إلى السيادة الوطنية، ومن ناحية أخرى تورطت إلى أجل غير مسمى في الاحتلال بالموافقة دون قيد أو شرط لتنفيذ وظيفة الشرطة، وفي ترتيب السلطة هذا، ظهر شيء جديد مع اتفاق أوسلو للسكان الفلسطينيين؛ شيء تسميه جيوسي الحرية الوهمية. (جيوسي، 2004).

وهمية الحرية هذه جعلت اتفاق أوسلو مقبولًا للفلسطينيين على الرغم من شكوك الكثيرين، كما أدى إلى التراجع الكبير في دعم الحركات الإسلامية المتشددة؛ ففي عام 1999، أيَّد أكثر من 70 في المئة من الفلسطينيين عملية السلام الفلسطينية بقيادة السلطة، وانخفض دعم التفجيرات الانتحارية إلى 20 في المئة، ومع حلول 2003-2004، أصبح من الواضح أن التناقضات المتأصلة في أوسلو لا تنتج شروط تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي، والمفارقة أنها زادت الإذلال اليومي لهم في نقاط تفتيش تابعة للجيش الإسرائيلي، ولم يتوقف توسيع المستوطنات اليهودية، فتغيرت المواقف نحو السلطة الفلسطينية بشكل دراماتيكي كبير؛ الفلسطينيون عدُّوا السلطة الفلسطينية غير قادرة على الوقوف في وجه القوة الإسرائيلية، وتراجع التأييد لها في أوساط الفلسطينيين إلى 22 في المئة، وازداد الدعم للتفجيرات الانتحارية مرتفعًا إلى 75 في المئة. (بلوم، 2005).

كانت النتيجة شعورًا بالغضب بسبب أن أوسلو خلقت أملًا بتغير الظروف ولكنها لم تتغير؛ كان الغضب الفلسطيني نتيجة حجب الوسائل السياسية الشرعية لتحريرهم، وكما أشار أرندت (1969) عندما يتم حظر الوسائل السياسية القانونية، فإن إمكانية التصرف سياسيًّا الذي يجعل الناس على صعيد الأفراد والجماعات بشرًا، يتم حظرها أيضًا؛ فقد أدى هذا الغضب إلى عمل قدم لهم شكلًا علمانيًّا من الخلود؛ فظاهرة التفجير الانتحاري الفلسطيني هي بالتالي تعبير عن علمانية الخلود هذه، وليست حماسًا دينيًّا.

## سيريلانكا

العداوات العرقية التي نشأت عن تحريض الأقلية التاميلية السريلانكية من أجل المساواة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أدت تدريجيًّا إلى نهوض القومية السنهالية والتاميلية العرقية الشوفينية بعد وقت قصير من الاستقلال، عندما تنكر القوميون السنهاليون الطابع المتعدد الأعراق والأديان للمجتمع السريلانكي، ورفضوا قبول الحقوق الجماعية لجماعة الأقليات. أصبح التمييز المؤسسي في الدستور الجديد في الستينيات 1960 يستبعد التاميل من الحكومة ووظائف أخرى للسلطة، ويحد من التوظيف في الحكومة ووظائف أخرى، من 41 في المئة في عام 1949 إلى 7% في عام 1963، بينما زادت نسب السنهاليين في المدة نفسها من 54 إلى 92 في المئة، وفرض نظام الحصص على الطلاب التاميل في دخول الجامعات.

ردَّ التاميل سياسيًّا من خلال الحزب الاتحادي ومن خلال الاحتجاجات السلمية التي سميت ساتياغراها، لكن هذه الجهود فشلت في تلبية مطالبهم. وبدءًا من عام 1970 بدأ التاميل يستنهضون الهمم من أجل إقامة وطن مستقل لهم، وأصبحت الاحتجاجات العنيفة تتزايد. في عام 1980 حققوا بعض التنازلات وبعض الحقوق السياسية، ولكن التمييز ظل واضحًا. من بين المنظمات التي ظهرت في هذه المدة مجموعة متطرفة أسمت نفسها نمور التاميل الوطنية تحت قيادة فيلوبيلاي برابهاكاران، وسميت لاحقًا نمور التاميل إيلام؛ كان الهدف الرئيس من نمور التاميل هو إنشاء وطن لهم في المحافظات الشمالية والشرقية من سريلانكا.

ردت الحكومة السريلانكية على زيادة تشدد التاميل بإصدار قانون منع الإرهاب (PTA) في 1979، وبدلًا من تخفيف حدة العنف صعد القانون (PTA) من حدة العنف في عقد الثمانينيات، وردت الحكومة بمزيد من الإجراءات القمعية أدت إلى زيادة دوامة القتل الوحشي المتبادل. (بلوم، 2005). ردًّا على اغتيال أحد قادة نمور التاميل، نصب عناصر نمور التاميل كمينًا لقافلة من الجيش أسفر عن مقتل 13 جنديًّا سنهاليًّا في جافنا، ونتج عنه أعمال عنف على نطاق واسع من الغوغاء، أسفرت عن مقتل مئات من التاميل. لوائح تنظيمية طارئة أعطت صلاحيات واسعة لقوات الأمن في قتل الإرهابيين المشتبه بهم ودفنهم دون أي تحقيقات قضائية، فيما عدَّت

الجبهةُ هذه التطوراتِ مذبحةً ضد التاميل، وحظرت الحكومة -بعد أعمال الشغب- الحزب السياسي الرئيس للتاميل، ما دفع نمور التاميل لأن تصبح صوتهم الرئيس.

برز تمرد التاميل بعد فشل أشكال أخرى من الصراع السياسي؛ الدولة السريلانكية القوية التي تهيمن عليها الأغلبية السنهالية استخدمت الجيش لقمع المجتمع التاميلي. و(الأوطان) التقليدية للأقلية التاميلية أصبحت تدريجيًّا (مناطق حرب)، وأصبحت الحياة قاسية في تلك المناطق على نحو لا يطاق، وأدى هذا إلى تصور واسع النطاق بين التاميل أن وجودهم المميز عرقيًّا وثقافيًّا قد يتعرض للتهديد؛ بدأت الجبهة بتوظيف التفجيرات الانتحارية بشكل فعال من عام 1987؛ استجابة لهذه التطورات وبوصفه أسلوبًا من أساليب الملاذ الأخير، وعلى الرغم من أن نمور التاميل LTTE هزمت أخيرًا في أوائل عام 2009 من قبل الجيش السريلانكي، لكن هذه الهزيمة لم تفقد المصداقية للأيديولوجية التي أدت بالتاميل إلى التمرد.

توضح هذه الدراسات أن العنف في التفجيرات الانتحارية كان أسلوب الملاذ الأخير في كلتا الحالتين، وباستخدام مؤشرات ما يشكل الحرب من دراسات الحالة المشار إليهما أعلاه، يمكننا أن نستنتج أن جبهة (منظمة) نمور تحرير التاميل LTTE والمنظمات الفلسطينية تستخدم التفجيرات الانتحارية ضد سريلانكا وإسرائيل على التوالي، وهم متورطون في العنف المنظم الذي أقرب ما يكون إلى الحرب؛ الهدف في كلتا الحالتين هو حماية المجتمع السياسي، حيث يواجه أسلوب حياته تهديدًا قاتلًا من خصومه، وفي كلتا الحالتين تمَّ التخطيط والتنظيم للعنف بحيث يصبح قتل العدو له رمزية خاصة؛ فالتفجيرات الانتحارية في هذه الصراعات المنظمة العنيفة استخدمت بوصفها سلاحًا في الحرب، وكانت تحدِّيًا عسكريًّا، ومن ثم فإن الوفيات الناجمة عن المقاتلين والمدنيين هي أقرب إلى ضحايا الحرب.

المثير للدهشة أن والزر (2004) لم يطبق في حالة الحرب الشروط الصارمة على الدولة كتلك التي فرضها على الإرهابيين؛ فالدول الحديثة لديها القدرة والإمكانية لقتل حياة الإنسان وتدميرها أكثر بكثير من أي منظمة إرهابية في العالم؛ على سبيل المثال: القصف الجوي للمدنيين الألمان الذي قامت به قوات الحلفاء الجوية خلال الحرب العالمية الثانية كان مشروعًا،

ولكن التفجير الانتحاري يعد إرهابًا، وبما أنه إرهاب فهو شر ليس بحاجة إلى التحليل أو الفهم، وإنما الإدانة الأخلاقية والرد العملي الصارم.

يعتقد والزر (2004) أن التفجيرات الانتحارية في إسرائيل غير أخلاقية، وهي الشر؛ لأنها جزء من المهمة الفلسطينية لتدمير المجتمع السياسي السيادي، وعدَّ اعتداءات الجيش وقصف سلاح الجو الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عملية استباقية للدفاع عن النفس، ومن ثم فالعملية شرعية ومبررة. (بهذا المنطق هجمات الجيش السريلانكي على التاميل مشروعة ومبررة).

وبنية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في هذه الشروط هي مثال نموذجي للكيفية التي ينظر فيها المثقفون الليبراليون للفرق بين الحرب والإرهاب؛ فتاريخ الصراع طوال قرن من الزمن، الذي ينطوي على التوسع من جانب واحد وتجريد الملكية للجانب الآخر، تم وضعه جانبًا، ليتم توجيه الاهتمام بدلًا من ذلك إلى المشاعر الحالية. بكل ما تملك إسرائيل من قوة عسكرية يتم تصوير الإسرائيليين على أنهم ضعفاء أمام الفلسطينيين الذين كانت سنوات الاحتلال بالنسبة إليهم سنوات من العار.

هذا البناء يستثمره أيضًا الجيشان السريلانكي والإسرائيلي مع هالة من المدافعين عن حقوق الإنسان، في حرب عادلة ضد الانتحاريين الفلسطينيين والسريلانكيين الانتحاريين. إن المبدأ القائل إن المجتمع السياسي الذي يعاني هجمات قاتلة ويواجه تحوّلًا قسريًّا في طريقة حياته، وله الحق في الدفاع عن نفسه، لا يبدو أنه ينطبق على ردود الفعل الفلسطينية والتاميلية؛ فمقاومتهم ينظر إليها على أنها تنخرط في عنف غير مقبول أخلاقيًّا؛ لأنه حتى بعد 50 عامًا (وفي حالة الفلسطينيين لمدة أطول) من الصراع غير المتكافئ، لا يتحتم عليهم الوصول إلى حالة الملاذ الأخير لكي يستخدموا العنف. (بلوم، 2005).

## القتل في الحرب والإرهاب

كما ذكرنا سابقًا، فإن الفرق بين القتل في الحرب والتفجير الانتحاري هو أن القتل في أثناء الحرب تغطيه الشرعية القانونية، ولكن عندما يمارس القتل من قبل الإرهابيين غير الشرعيين

وغير المرخصين فهو ليس شرعيًّا، ويعاقب عليه القانون؛ ولكن: ماذا عن الجنود الذين يتعلمون أيضا كراهية الأعداء المطلوب منهم قتلهم؟ فحقيقة القتل التي يعاقب عليها قانونيًّا هي مسألة غير مجردة؛ هناك في الواقع أوجه شبه بين القتل في الحرب والقتل في الإرهاب.

تتطلب كل حرب جعل آلة قتل الإنسان ذات كفاءة وفاعلية، ووفقًا للمؤرخ جوان بورك (1999)، التعليم الأساسي يهدف في التدريب العسكري إلى جعل الجنود أكثر وحشية:

كانت أعتى أنظمة التدريب تلك التي أجرتها مشاة البحرية الأميركية، ولكن حتى في الفروع الأخرى للقوات المسلحة، كان العنف عنصرًا مشتركًا في تدريب الجيش. في جميع برامج التدريب هذه، كانت العملية الأساسية واحدة: كان لا بد من كسر قيمة الأفراد وأن يُعاد بناؤهم في كفاءة الرجال القتالية. المبادئ الأساسية شملت تبدد الشخصية، والزي الموحد، وعدم الخصوصية، والعلاقات الاجتماعية الإجبارية، والجداول الزمنية الضيقة، وقلة النوم، والارتباك وتليها الطقوس أو إعادة هيكلة الجيش وفقًا لرموز وقواعد تعسفية، والعقوبات الصارمة. هذه الأساليب من الوحشية كانت مشابهة لتلك التي تجري في أنظمة كانت تعلم رجالها على تعذيب الأسرى: الفرق في درجة العنف المعنية، وليس في طبيعته.

تقرير آخر قدمه نوردستروم (2004) يصف الفظائع التي ارتكبها الجنود السريلانكيون بحق المدنيين في الحرب مع نمور التاميل؛ قال قائد الجيش السريلانكي نوردستروم:

من الجنون، إنه الجنون تمامًا أن لا أستطيع السيطرة على قواتي؛ إنه لأمر منكر هناك؛ أحد الجنود (الحكوميين، إلى حد كبير من السنهاليين) يتم إطلاق النار عليه من قبل عصابات (التاميل)، أو أنه يعمل على أرض من الألغام، أو تنفجر به قنبلة، ويذهبون كما المكسرات؛ إن الأمور تتراكم وتتراكم، فيغدون أكثر وحشية. منذ مدة طويلة اختفى المسلحون ولم يبقَ لهم أثر، والجنود يصبون جام غضبهم على أول هدف متاح لهم.

بطبيعة الحال، الناس الوحيدون الموجودون هم من المدنيين، يفتحون النار على الجميع، يدمرون كل شيء أمامهم، يغتصبون، يعذبون الناس الذين يقبضون عليهم في الشارع أو في بيوتهم، يطلقون القنابل على المنازل والمدارس، وفي أسواق المدينة وشوارعها. لقد حاولت منعهم؛ في محاولة للسيطرة على هذا الوضع. أنا لا أستطيع؛ لا أحد منا القادة يستطيع على الرغم من أن الله وحده يعلم أن بعضهم لا يحاول؛ القوات تتصرف بمثل هذا وليس هناك من يوقفها، نحن لا يمكننا تأديبهم، ولا يمكننا محاكمتهم، ولا فصلهم، لو كنا فعلنا لما بقي لدينا جيش؛ الوضع في الشمال تمامًا خارج السيطرة، وليس هناك أي شيء يمكننا القيام به حيال ذلك.

أحد أغراض الحرب هو توقع الدمار لدى العدو، تفجير قنابل النابالم في فيتنام في أثناء حرب فيتنام كان مدمرًا، وكان هناك الإذلال والتعذيب في سجون (أبو غريب)؛ كانت السجون في العراق أي شيء إلا الأعمال الإنسانية، الهدف من التكنولوجيا الحربية المتطورة التي تستخدم اليوم على نحو متزايد من قبل الولايات المتحدة وحلفائها في الحروب في العراق وأفغانستان، هو تحديد الأهداف بشكل أكثر دقة للحد من الأضرار الجانبية، وقبل كل شيء للحد من خسائرهم الخاصة. (هذا يعني أن القلق الإنساني الذي كان يلاحق الجنود في ذهابهم إلى الحرب وإمكانية موتهم لم يعد قائمًا، فهم بدلًا من ذلك مستعدون فقط للقتل). (الأسد، 2007).

باختصار، الحرب والإرهاب كلاهما يقتلان المدنيين والمقاتلين، والفرق بين القتل في الحرب والقتل في الإرهاب هو أنه بموجب القانون الدولي يتم فرض عقوبات قانونية وأخلاقية على الحرب، في حين أن الأعمال الإرهابية ليست كذلك، الجنود أيضًا مدربون على القتل وتشويه صورة العدو من خلال التدريب العسكري، ويذهبون إلى الحرب في المقام الأول للقتل؛ الحرب والإرهاب يتشكلان وفقًا لمعايير منطقية مختلفة، أحدهما يستمد وجوده من مسألة شرعية والآخر من مشاعر الضعف والخوف؛ ولذلك لا يستبعد أحدهما الآخر، فليس صحيحًا القول بأن الإرهاب هو الشر الوحيد الذي يقتل المدنيين، ويثير الخوف في إيقاع الحياة اليومية الذي يفرض (القهر الذي لا نهاية له)؛ لأن الحرب سواء كانت عادلة أو غير عادلة، تفعل ذلك أيضًا. (أسد، 2007).

## القتل في الحرب والجريمة

لفهم طبيعة الفعل الذي- كما أشرنا سابقًا- دائمًا ينطوي على مقتل مدنيين من غير المقاتلين، على المرء أن يسأل عما إذا كانت الوفيات الناجمة عن ذلك قتلًا جرميًّا أم ضحايا حرب؛ فالقتل الجرمي هو قتل شخص آخر إما عن قصد أو غير قصد. أما فعل القتل في المجتمعات البشرية فيعد جريمة في أنحاء العالم كلها، وفي كثير من الحالات يعاقب بالإعدام؛ المنطق الكامن وراء عقوبة الإعدام هو التخلص من الأفراد الذين ارتكبوا الفعل الذي يعده أعضاء المجموعة ضارًّا أو مهددًا لهم ولمجتمعهم، ومن ناحية أخرى تنظيم الحرب عنف

قاتل بين جماعات مختلفة مكانيًا فيه يتوقع موت أشخاص آخرين سلفًا؛ لذلك فإن قتل أعضاء المجموعة الأخرى التي هي عدو في الحرب، يعد عملًا مبررًا، ومن ثم لا يعد القتل جريمة يستحق عقوبة الإعدام. (أتربين، 1986).

لتحديد ما إذا كان الهجوم الانتحاري وما نتج عنه من وفاة غير مقاتلين يعد جريمة قتل أو ضحايا حرب، يتطلب ترسيم الحدود بين الحرب والجريمة، في حين أن المشاركين في بعض أشكال المهاترات والنزاعات قد يستخدمون أسلحة فتاكة لقتل الآخرين، فإن الحرب هي النشاط الوحيد الذي ينطوي على أعمال العنف القاتلة التي تنظم وتنفذ بشكل جماعي، وثمة مفتاح آخر وربما الميزة الفريدة للحرب، وهي (أن وفاة أشخاص آخرين متصورة سلفًا، ويتم ترميز هذا التصور في الفعل الهادف من استخدام الأسلحة الفتاكة). (بورك، 1999؛ كيلي، 2000).

كما العنف المنظم، تتطلب الحرب تخطيطًا مسبقًا، وتنطوي على تقسيمات معقدة للعمل على أساس التخصصات المختلفة لأنواع الأنشطة التي تسهم في الحرب؛ فالحسابات العقلانية والتخطيط والتنظيم تجعل الحرب على الصعيد الذرائعي لها دور فعال، يختلف عن الأشكال الأخرى ذات الصلة من العنف؛ مثل المشاجرات وأعمال الشغب التي تستمد طبيعتها من عفويتها وتلقائيتها الوجدانية، وتختلف الحرب أيضًا عن القتل والأشكال الأخرى المرتبطة بالعنف، إذ إن استخدام الأسلحة والقوة الفتاكة يعد مشروعًا بالكامل من قبل الجماعة التي تلجأ إلى الحرب. (كيلي، 2000؛ أتربين، 1986؛ والزر، 2004).

مدى الملاءمة الأخلاقية جزء لا يتجزأ من نشاط شن الحرب، ويتم تجنيد أعضاء المجموعة علنًا في مشروع التسبب في مقتل أشخاص آخرين على أرضية أنه عمل شرعي ومناسب القيام به (أودونوفان، 2003؛ والزر، 2004)؛ لأن الحرب دائمًا تعاقب بشكل جماعي، فإن المشاركة في الحرب تُعدُّ مفخرة وطنية وتستحق بالغ الثناء. رجال ونساء من القتلة المحتملين أو الفعليين الذين يموتون في الحرب، يعترف بهم شهداء وأبطالًا قوميين، وتتباين هذه الخصائص المميزة للحرب بشكل حاد مع القتل الذي يلقى قيمة سلبية من قبل الجماعة الاجتماعية التي تشكل المجموعة المرجعية للقاتل، ومن ثم يعد عملًا إجراميًا غير شرعي يتطلب القصاص وليس الاعتراف الاجتماعي؛ القتل على الصعيد الثقافي مرفوض، ويُشجب بدلًا من أن يحترم، ويقع في

مكان ما على طول مقياس التقييم الذي يمتد من المؤسف إلى شنيع؛ فالقتل في الحرب والقتل في غير الحرب متشابهان بطرق عدة، كلاهما ينطويان على عنف مميت، ويجلبان الحزن للأطراف المتضررة؛ فالعقوبة التي تفرض على الجريمة، والعقوبة التي تفرض على العدو في القتل في أثناء الحرب تعد مناسبة من الناحية الأخلاقية ومبررة وأعمالًا مشروعة؛ لأنها تشكل الوفاء بالواجب المدني، لكن هناك فرق حاسم جدًّا بين العقاب على القتل ومعاقبة العدو في الحرب؛ عقوبة الإعدام، وهي قاعدة العقاب العالمية على القتل، لا تطبق إلا على شخص معين، وهو القاتل الذي يمحو بوفاته المسيء من المجتمع؛ فالحرب لا تقتل القتلة من المجتمع بل تستهدف بدلًا من ذلك الأفراد الآخرين الذين هم أبرياء، ولا يتحملون المسؤولية المباشرة عن القتل السابق. وفي الحرب، يعد قتل أي فرد من أفراد مجموعة العدو مشروعًا.

فالحرب ترتكز على تطبيق مبدأ الاستعاضة الاجتماعية، ومن ثم يحكمها منطق مميز غريب تمامًا عن القتل. في الحرب، قتل الفرد ينظر إليه على أنه إصابة في جماعته أو لها؛ لأن منطق الحرب يستند إلى المسؤولية الجماعية، ما يجعل أي عضو من جماعة القاتل هدفًا مشروعًا للانتقام. في الحرب، الغضب الناتج عن عملية قتل سابقة أو عمل سابق يتوجه إلى شخص مختلف تمامًا وهو غافل مطمئن لا علاقة له بشيء، وأن المبدأ القائل بأن أحد أعضاء المجموعة يستعاض عنه بآخر في سياق الحرب يكفل المفاهيم المترابطة التي تتعلق بالإصابة لأحد أفراد المجموعة، وهو مسؤولية المجموعة لتوجيه ضربة، ومسؤولية جماعية في القصاص، ومن ثم فإن الحرب من الناحية المعرفية ومن الناحية النظرية، والسلوكية تقع بين المجموعات وليس بين الأفراد. القتل من ناحية أخرى هو دائمًا تصور عن العنف المميت بين أفراد الجماعة نفسها. (كيلي، 2000).

النتيجة العامة للقتل هي عقوبة الإعدام (واليوم عقوبة السجن مدى الحياة في بعض البلدان) التي تفرض اجتماعيًّا وتبرر أخلاقيًّا من قبل مجتمع المشاركين، وتنفذ أيضًا بعد عملية تقاضي منظمة اجتماعيًّا ومنظمة من قبل أفراد معينين في المجتمع.

يمكن أن نستخلص مما سبق أن هناك أوجه تشابه لافتة للنظر بين القتل في الحرب والقتل مع فارق حاسم واحد. (كيلي، 2000؛ أتربين، 1970)؛ في الحرب، يوجه القتل ضد أي عضو من الطرف المخالف، ولكن في القتل العمل يجب أن يكون موجَّهًا فقط ضد الجاني الفعلي.

هل الإصابات من الهجمات الانتحارية قتل أم أنها تندرج ضمن ضحايا الحرب؟ إن النقاش والملاحظات السابقة تشير إلى أنه يمكن -على الصعيد الاجتماعي- تصنيف العمليات الانتحارية على أنها أسلحة حرب والوفيات الناجمة عنها هي ضحايا حرب؛ فالجماعات المشاركة في تنظيم الهجمات الانتحارية ورعايتها في العالم الحديث تتمتع بمستويات دعم متفاوتة من مجتمعها. (أتران، 2003؛ حسن، 2001؛ أوليفر وشتاينبرغ، 2005؛ بيب، 2005)؛ فهم منخرطون في صراع نتيجة احتلال وطنهم من قبل جيش أجنبي، ونتيجة لذلك فهم يشعرون اجتماعيًّا أنهم محرومون ومهانون اقتصاديًّا. احتلال الوطن ينظر إليه على أنه تدنيس للمقدسات وخطر قاتل على المجتمع السياسي والقيم المقدسة وطريقة الحياة. (أتران، 2006؛ جنجيز أتران، ميدين، والشقاقي، 2007). وكما الحرب، التفجير الانتحاري يتم التخطيط له، ويؤخذ في الحساب -بشكل مسبق- وقوع العديد من الوفيات. (بلوم، 2005؛ جامبيتا، 2005؛ حافظ، 2006؛ بيب، 2005؛ تاونسند، 2007). وكما الجنود الذين يسقطون في الحرب، يعد الانتحاريون من قبل مجموعاتهم شهداء وأبطالًا ضحوا بحياتهم من أجل الوطن. (عبد الخالق، 2004؛ حافظ، 2007؛ حسن، 2001؛ أوليفر وشتاينبرغ، 2005؛ روبرتس، 2005).

## الموت الحميد والموت الخبيث

وفقًا للمذهب الليبرالي، أحد الشروط الأساسية لتأسيس المجتمع السياسي أن تقوم الدولة بالسيطرة على العنف واحتكاره، وهذا يفترض أخلاقيًّا أن يكون حق الفرد الطبيعي في الدفاع عن النفس خاضعًا للدولة، وهذا يجعل الدولة الحامي الوحيد للحياة والحرية، وبعبارة أخرى من أجل مجتمع قابل للحياة، يجب حرمان الأفراد من سلطاتهم في قتل أنفسهم أو قتل الآخرين؛ فالمجتمع يمكِّن بعض المؤسسات من التسبب في موت الآخرين في الداخل والخارج، ما يجعل من هذه المؤسسات وسطاء الموت ومديري مسارات الموت، والموت في المجتمع. وكما ذكرنا

سابقًا، الحق في القتل هو الحق في التصرف بطرق عنيفة ضد مواطنين ينقضون العهد الأصلي، و(الآخرين) غير الحضاريين الذين يشكلون تهديدًا لوجود المجتمع السياسي، والحفاظ على النظام الاجتماعي، ويوفر قتلهم الأمن. (إلياس، 2000؛ الثنية، 1999). هذا المبرر الرئيس للحروب وكذلك القتل القضائي في المجتمعات الحديثة.

تشير وساطة الموت إلى أنشطة السلطات التي تجعل الموت معياريًّا وثقافيًّا. في المجتمعات البشرية، المؤسسات الطبية والدينية تؤديان وظائف الوساطة الأساسية للموت؛ إنهم يسيطرون على عملية الموت والوفاة من خلال خبراتهم ومن خلال إدارة الكيفية التي يموت بها الناس ومتى. توفر الدواء والمعرفة العلاجية احتكار تحديد سبب الوفاة الذي يضفي شرعية على سلطتها بشأن متى وكيف ستحدث الوفاة، واستدعاء الدين لمواثيق العهود الإلهية المتعلقة بالموت الحميد (معاقب دينيًّا)؛ هاتان المؤسستان هما المركزيتان في التفاوض على المعاني والملاءمة الثقافية للموت، وحال الموت بين الفرد والمجتمع.

الموت الحميد ينطوي دائمًا على إدارة عملية الموت من خلال التخفيف من حدة الأعراض، والاهتمام بالاحتياجات الدينية، والاجتماعية والثقافية للذين يموتون وأحباءهم لتحقيق الهدف المعياري للموت الوشيك. (كوبلر روس، 1969؛ تيمرمانز، 2005). الموت الحميد، بعبارة أخرى، ينطوي على نزع القوة من الشخص المحتضر فيما يتعلق بجميع القرارات المرتبطة بالموت وعملية الموت، أما الموت الخبيث بالمنطق نفسه عندما تكون هذه الخصائص غائبة، ويسيطر الفرد على كيف ومتى يموت أو يقتل؛ على سبيل المثال، الموت الذي يتم التفاوض عليه من خلال الإجراءات العلاجية يديره موظفون طبيون مصرَّح لهم هو موت مناسب ثقافيًّا، ومن ثم هو موت حميد، على الرغم من أن الشخص المحتضر ليس لديه سلطة على عملية الموت، وأنا أسميه (الموت الذي نزعت منه السلطة). الموت الذي يحدث في ظل ظروف يكون فيها الشخص المحتضر لديه بعض السيطرة على عملية الموت وتوقيت الوفاة، هو نوع من الموت المتمكن، وهو الموت غير المناسب اجتماعيًّا وثقافيًّا وهو الموت الخبيث، فالموت الحميد هو موت طبيعي، ويثير ردود فعل عاطفية إنسانية مناسبة وفي الغالب هي من الحزن والأسى، والموت الخبيث من ناحية أخرى هو غير طبيعي، ومن ثم، مخزٍ ويثير مجموعة متنوعة من ردود الفعل العاطفية التي تتراوح

بين الكفر، والغضب، والنفور. السبب في أن التفجير الانتحاري مخزٍ، ويثير نوعًا من ردود الفعل العاطفية التي تقع وراء توصيفه بأنه قتل غير أخلاقي، وينزع إلى قتل الآخر، وهو بهذا يجمع بين نوعين من الموت الخبيث، الانتحار والقتل.

## ملاحظات ختامية

هل التفجير الانتحاري نزوع لقتل الآخر أم أنه سلاح في الحرب؟ على ضوء النقاش السابق، يمكننا أن نقول إن التفجيرات الانتحارية ليست انتحارًا، ويبدو أن هناك توافقًا في الآراء بين العلماء على أن الانتحار التفجيري أمر مختلف عن سلوك الانتحار. عالميًّا، الانتحار يحمل وصمة عار، في حين أن التفجيرات الانتحارية مثل الحرب، يصادق عليها ويدعهما المجتمع الذي تعود إليه.

ما الفرق بين القتل في الحرب والتفجير الانتحاري؟ في النظرية السياسية، الحرب مقبولة من الناحية القانونية، وهي عنف منظم يضفي الشرعية على القتل الذي يأتي لاحقًا، لكن القتل الذي يمارسه الانتحاريون يعد غير قانوني؛ لأنه شر غريب في استهداف المدنيين الأبرياء والأسوأ من ذلك لأنه يدخل الخوف وانعدام الأمن في الحياة اليومية، ويقوِّض النظام الاجتماعي، ويعرض المجتمع إلى (أخذ الحيطة مكرهًا لدرجة لا حدود لها)، ويعد أيضًا غير قانوني؛ لأنه يختلف عن الحرب، فالمسلحون الذين ينفذون الإرهاب ضد المدنيين لا يمكن عدُّهم وصلوا إلى الملاذ الأخير، ومن ثم هم غير مرغمين على القيام بفعلتهم، وقد ساجلت بأن المدنيين يموتون أيضًا في الحرب. وفي الواقع، إن جيوش الدول هي أكثر قدرة على القتل من أي منظمة إرهابية، والحرب تضخ أيضًا انعدام الأمن في المجالين الخاص والعام؛ كما يتعلم الجنود الكراهية وقتل مقاتلي العدو والمدنيين؛ فحقيقة القتل التي يعاقب عليها قانونيًّا هي مسألة غير مجردة؛ هناك في الواقع أوجه شبه ملحوظة بين الحرب والإرهاب.

دراسات حالة فلسطين وسريلانكا تقدم لنا الأدلة بأن إستراتيجية التفجيرات الانتحارية المستهدفة كانت طريقة الملاذ الأخير في كلتا الحالتين، وتعليقًا على عقلانية المنظمات الإرهابية، أشار كرينشو (1990) إلى أن الفاعلية هي المعيار الأساسي الذي يقارن به الإرهاب

مع غيره من الطرق التي تسعى لتحقيق أهداف سياسية. الإرهاب الانتحاري نادرًا، بل لم يكن قط إستراتيجية الخيار الأول، لكنه يميل إلى اتباع إستراتيجيات أخرى تعد أقل فاعلية من خلال عملية التجريب والخطأ. (تصل المنظمات إلى أحكام جماعية حول الفاعلية النسبية لمختلف الإستراتيجيات. . . على أساس الملاحظة والخبرة، بقدر ما تستند إلى مفاهيم إستراتيجية مجردة مستمدة من الافتراضات الأيديولوجية- التي تسمح بالتعلم الاجتماعي).

عندما تُمنع جميع الوسائل القانونية لطلب الإنصاف، يتفاعل البشر مع الغضب واللجوء إلى العنف، كما لاحظ أرندت (1969)، حين تلجأ إلى العنف حين تواجه بأحداث أو أوضاع شنيعة فهذا شيء مغرٍ لدرجة كبيرة بسبب فوريته المتأصلة فيه وسرعته من أجل وضع العدالة في كفتها الراجحة مرة أخرى. المعاناة التي لا تطاق والوصول إلى الخلود من أجل المجتمع السياسي هو الدافع إلى تنفيذ التفجيرات الانتحارية. كما هي الحال بالنسبة إلى الجنود الذين سقطوا، فالموت يشكل فوزًا وانتصارًا لهم. في هذا الصدد، جينولوجيا الفعل هي حديثة العهد إلى درجة كبيرة، وهذه الدنيا وليس دنيا أخرى.

إن مزاعم الديموقراطيات الليبرالية بأن لها الحق في الدفاع عن نفسها ولو تطلب ذلك استخدام السلاح النووي والتي بدأ يتقبلها المجتمع الدولي، هي في الواقع تأكيد بأن الحرب الانتحارية يمكن أن تكون مشروعة أيضًا. بهذه الطريقة، الانتحاري ينتمي إلى التقليد الغربي الحديث للنزاع المسلح في الدفاع عن المجتمع السياسي الحر، وإذا أردت أن تنقذ أمة (أو تؤسس دولتها) من خلال مواجهة عدو يتربص بها، فقد يكون من الضروري أن تتصرف دون أن تلزم نفسك بقيود أخلاقية عادية، أو كما يرى والزر (2004):

> الزعيم القوي أخلاقيًّا هو الشخص الذي يفهم لماذا هو خطأ قتل الأبرياء، ويرفض ذلك، يرفضه مرارًا وتكرارًا، حتى إذا هبطت السماء على الأرض، ومن ثم يصبح المجرم الأخلاقي الذي يعرف أنه لا يستطيع القيام بما يتعين عليه القيام به- ثم يقول بفعل ذلك في النهاية.

بهذا المنطق، هل يمكن أن يكون قتل الأبرياء بخطف حياتهم الخاصة هو الإيماءة الأخيرة لزعيم قوي أخلاقيًّا؟ (أسد، 2007).

فيما يتعلق بقتل الحرب والجريمة، ثمة من يقول إن التفجيرات الانتحارية هي فعل، وهي سلاح من أسلحة الحرب بسبب مبدأ الاستعاضة الذي يميز القتل في الحرب، ومع ذلك يمكن بموجب قوانين الحرب الدولية، أن تصنف الهجمات على أنها (جرائم حرب). المادة 147 من البند الرابع لاتفاقية جنيف تعرف جرائم الحرب على النحو الآتي:

> القتل العمد، والتعذيب أو المعاملة اللاإنسانية، بما في ذلك. . . تعمد التسبب بمعاناة شديدة أو إصابات خطيرة بالجسم أو الصحة، والنفي أو النقل غير المشروع أو الحبس للشخص المحمي، وإكراه الشخص المحمي على الخدمة في قوى معادية، أو تعمد حرمان شخص محمي حقَّه في محاكمة عادلة ونظامية. . . أخذ الرهائن، والتدمير المفرط ومصادرة الممتلكات على نحو لا تبرره الضرورة العسكرية وينفذ بطرق غير مشروعة وتعسفية.

لكن هذا، بطبيعة الحال، لا ينطبق فقط على المجموعات التي تنظم وترعى التفجير الانتحاري، وإنما أيضًا على تصرفات جيوش الاحتلال وقادتها العسكريين والسياسيين.

أخيرًا، الموت هو تأكيد الطبيعة على الثقافة. في الطبيعة، الموت والوفاة أحداث غير أخلاقية تمامًا، ولا يعني سوى النهاية الفيزيائية لكائن بيولوجي، لكن في الثقافات الإنسانية، الموت هو جزء من الرموز والمعاني، ويصنف بالحميد والخبيث على أساس دور وسطاء الموت المعاقبين اجتماعيًّا بسبب حدوثه. في المجتمع الإنساني، الموت الناتج عن أعمال مثل التفجير الانتحاري قد يكون الدافع لحدوثه إيثاريًّا، لكن يبقى هذا الموت مُدانًا؛ لأنه ينتهك إحدى الضرورات الاجتماعية الأساسية لوجود البشرية والمجتمع وبقائهما: إن الأفراد غير مخولين لسلب حياتهم أو سلب حياة شخص آخر. هذه الوصمة هي فحص طبيعي من شأنه أن يكبح جماح انتشار التفجيرات الانتحارية. ومن وقت لآخر، قد تكون بعض الظروف التاريخية المحددة مفيدة في بروز ظواهر مثل التفجيرات الانتحارية، بل تعطي شكلًا من أشكال الدعم المجتمعي، ولكن التفجيرات الانتحارية ستبقى حدثًا نادرًا شأنها في ذلك شأن الأشكال الأخرى للوفيات المدانة. والأكثر من ذلك، هذه التفجيرات ستظل تثير انتقام الدولة الشديد ضد منفذيها؛ لانتهاكهم المعايير الحتمية التي تعمل أيضًا بمثابة مراجعة قوية حول مسألة حدوثها ونشرها وانتشارها.

التفجيرات الانتحارية، بحكم طبيعتها، ليست أفعالًا عامة فحسب، وإنما هي أيضًا أعمال أداء عام؛ حيث تتحول فيها الهيئات والإيديولوجيات إلى نصوص تصدر بين المؤلف والجمهور. ويستلزم استكشاف معاني هذه النصوص أدوات نظرية ومفاهيمية، وتفسيرية لا تشوِّه معانيها؛ هذا الفصل هو مساهمة متواضعة نحو تحقيق هذا الهدف.

التفجيرات الانتحارية، بحكم طبيعتها، ليست عامة الأفعال فقط ولكنها أيضا أداء علني تصبح به الأجساد والإيديولوجيات نصوصًا صادرة من المؤلف للجمهور. واستكشاف معاني هذه النصوص يتطلب النقد النظري، الأدوات المفاهيمية، والتفسيرية التي لا تشوه بها المعاني. هذا الفصل هو مساهمة متواضعة نحو تحقيق هذا الهدف.

## المراجع

## REFERENCES


Abdel–Khalek, A. (2004). Neither altruistic suicide nor terrorism but martyrdom: A Muslim perspective. Archives of Suicide Research, 8(1), 99–113.

Argo, N. (2003). The banality of evil: Understanding today's human bombs. Un–published Policy Paper, Preventive Defence Project, Stanford University.

Arendt, H. (1969). On violence. London: Allen Lane.

Asad, T. (2007). On suicide bombing. New York: Columbia University Press.

Atran, S. (2003). Genesis of suicide terrorism. Science, 299(5612), 1534– 1539.

Atran, S. (2006). The moral logic and growth of suicide terrorism. The Washington Quarterly, 29(2), 127–147.

Barraclough, B., & Harris, C. (2002). Suicide preceded by murder: The epidemi–ology homicide–suicide in England and Wales. Psychological Medicine, 32(4), 577–584.

Berko, A. (2007). The path to paradise: The inner world of suicide bombers and their dispatchers. Westport: Praeger Security International.

Bloom, M. (2005). Dying to kill: The allure of suicide terror. New York: Columbia University Press.

Bourke, J. (1999). An intimate history of killing: Face to face killing in twentieth century warfare. New York: Basic Books.

Crenshaw, M. (1990). The logic of terrorism: Terrorist behaviour as product of strategic choice. In Walter Reich (Ed.), Origins of terrorism: Psychologies, ideolo–gies, theologies, states of mind. New York: Cambridge University Press.

Dabbagh, T. S. (2005). Suicide in Palestine: Narrative of despair.

Northhampton, MA: Olive Branch Press.

Elias, N. (2000). The civilizing process: Sociogenetic and psychogenetic investiga–tions. Oxford: Blackwell.

Gambetta, D. (2005). Making sense of suicide missions. Oxford: Oxford Univer–sity Press.

Ginges, J., Atran, S., Medin, S., & Shikaki, K. (2007). Sacred bounds on rational resolution of violent political conflict. Proceedings of the National Academy of Science of the USA, 104(18), 7357–7360.

Grimland, M., Apter, A., & Kerkhof, A. (2006). The phenomenon of suicide bomb–ing: A review of psychological and non–psychological SUICIDE BOMBINGS: HOMICIDAL KILLING OR A WEAPON OF WAR? 113 factors. Crisis: The Journal of Crisis Intervention and Suicide Prevention, 27(3), 107–118.

Hassan, N. (2001). An arsenal of believers: Talking to 'human bombs'.

New Yorker. Retrieved from http://www.newyorker.com/archive/2001/11/19/011119fa_FACT1

Hafez, M. (2006). Manufacturing human bombs: The making of Palestinian sui–cide bombers. Washington, DC: United States Institute of Peace.

Hafez, M. (2007). Suicide bombers in Iraq: The strategy and ideology of martyr–dom. Washington, DC: United States Institute of Peace.

Jayyusi, M. (2004). Subjectivity and public witness: An analysis of Islamic militancy in Palestine. Unpublished paper for the SSRC Beirut Conference on Public Sphere in the Middle East.

Kelly, R. C. (2000). Warless societies and the origin of war. Ann Arbor:

The University of Michigan Press.

Kubler–Ross, E. (1969). On death and dying. New York: Macmillan.

Marzuk, P. M., Tarddiff, K., & Hirsch, C. S. (1992). The epidemiology of mur–der–suicide. JAMA, 267(23), 3179–3183.

Nordstrom, C. (2004). Shadows of war: Violence, power, and international profi–teering in the twenty–first century. Berkeley: University of California Press.

O'Donovan, Oliver. (2003). The just war revisited. Cambridge: Cambridge Uni–versity Press.

Otterbein, K. F. (1970). The evolution of war: A cross cultural study. New Haven: HRAF Press.

Otterbein, K. F. (1986). The ultimate coercive sanction. New Haven: HRAF Press.

Oliver, A. M., & Steinberg, P. (2005). The road to martyrs square: A journey into world of the suicide bomber. Oxford: Oxford University Press.

Pape, R. (2005). Dying to win: The strategic logic of suicide terrorism.

New York: Random House.

Roberts, M. (2005). Savaite symbols, sacrifice and Tamil tigers. Social Analysis, 49(1), 67–93.

Strenski, I. (2003). Sacrifice, gift, and the social logic of Muslim 'human bombers'. Terrorism and Political Violence, 15(3), 1–34.

Timmermans, S. (2005). Death brokering: Constructing culturally appropriate deaths. Sociology of Health and Illness, 27(7), 993–1013.

Townsend, E. (2007). Suicide terrorists: Are they suicidal? Suicide and Life–Threatening Behaviour, 37(1), 47.

Tuck, R. (1999). The rights of war and peace: Political thought and international order from Grotius to Kant. Oxford: Oxford University Press.

Walzer, M. (2004). Arguing about war. New Haven: Yale University Press. 114 RIAZ HASSAN

Walzer, M. (2006). The ethics of battle: War fair. The New Republic, 15(2).

Wright, Q. (1942). A study of war. Chicago, IL: University of Chicago Press.

# القسم الثاني

# الإرهاب الانتحاري: العملية

# 7

# علم نفس الهجمات الإرهابية الانتحارية*

جيرولد م. بوست، وفرحانة علي، وشويلر جورج هندرسون، وستيفن شانفيلد، وجيف فيكتوروف وستيفان ويني.

أحداث 11 سبتمبر، أثارت تساؤلات مرعبة للجمهور حول طبيعة العدو حالما أعلن الرئيس بوش (الحرب على الإرهاب). أي نوع من الناس هذه الصواريخ البشرية الموجهة، وهذه البشر التي كادت أن تصنع من أجسادها قنابل ذكية؛ يضحون بحياتهم لقتل الآلاف من المدنيين؟ وأي صبي هذا الذي يرتدي حزامًا ناسفًا ويفجر نفسه في محل للبيتزا؛ ليقتل ويصيب أكثر من عشرين صبيًّا؟ وأي أم تلك التي تفجر نفسها وتقتل العشرات في مركز للتسوق؟ وما هذه التفجيرات اليومية في العراق؟ وما هذه التفجيرات التي تتزايد وتيرتها في أفغانستان؟ الافتراض السائد هو أن الخاطفين الانتحاريين، والانتحاريين يجب أن يكونوا من المتعصبين المجانين.

هذه الأسئلة لا بد أن توجَّه إلى الأطباء النفسيين. بعد كل شيء، خبرتنا في مجال علم النفس الانتحاري التي تبحث في الدوافع التي تجعل الناس يضعون حدًّا لحياتهم الخاصة، هي واحدة من السمات المميزة لمهنتنا، ويجب أن نكون قادرين على تفسير هذه الظاهرة المرعبة.

الغرض من هذه الورقة هو استعراض التفاهمات الحالية لسيكولوجية الإرهاب الانتحاري للأطباء النفسيين، وغيرهم من العاملين في مجال الصحة النفسية؛ لمساعدتهم على فهم أفضل لهذه الظاهرة المرعبة. في البداية، لا بد من رفض وصف الانتحاريين بالمجانين، ما يبدو

---

* نشرت لأول مرة في الأصل في عام 2009 في الطب النفسي، 72 (1)، 13 -31. © شركة جيلفورد للنشر، أعيد طبعها بإذن من شركة جيلفورد للنشر.

غير مفهوم في شخص آخر كثيرًا ما يوصف بال (جنون) أو (مجنون). وينبغي أن يكون مفهومًا أن مثل هذه الأوصاف للانتحاريين ليس لها سند طبي نفسي. في الواقع، إن الجماعات الإرهابية تحاول حجب المجند المختل عقليًّا بعد كل شيء، فهم يمثلون خطرًا أمنيًّا (هورغان، 2005؛ لاكير والكسندر، 1987؛ سيلك، 2003).

مارثا كرينشو، خبير دولي بارز في الإرهاب، لاحظ أن السمة المشتركة لدى جميع الإرهابيين هي وضعهم الطبيعي. (كرينشو، 1981). وجد ماكولي وسيغال، في استعراضهما الكبير لعلم النفس الاجتماعي للجماعات الإرهابية أن أفضل توثيق معمم هو سلبي؛ فالإرهابيون لا تظهر عليهم أي أعراض نفسية ملفتة. (ماكولي وسيغال، 1987). وليس الغرض من النظر في أدوار الفرد، والجماعة، وعلم النفس الاجتماعي هو إنكار القوة أو الشرعية أو التنصل من مجموعة واسعة من العوامل المساهمة في تطوير الانتحاريين، وإنما لنفهم على أكمل وجه ممكن السلوك الإنساني الشائع والمميت على نحو متزايد.

قد يكون من المغري أن نفترض أن كل الذين يقتلون أنفسهم يتقاسمون بعض الخصائص السيكولوجية الأساسية، كأن يتصرفوا بدافع من اليأس النفسي، إنما هناك أطر أخرى مختلفة تمامًا، فقد ميَّز دوركهايم بين الانتحار الإيثاري، الذي يهدف إلى نفع المجتمع، والانتحار الناشئ عن اليأس الشخصي. (دوركهايم، 1951). وقد أثار بيدازور وزملاؤه مسألة ما إذا كان (الإرهاب الانتحاري) أفضل في هذا الإطار السوسيولوجي، وهو مستقل عن أي صفات نفسية (بدازهور، 2005). تبحث هذه الورقة مختلف النماذج النفسية التي قد تقدم مساهمة في تفسير التفجيرات الانتحارية، ومن ثم تنظر في مختلف المجالات التي يمكن أن يكون للطب النفسي قدرة فيها على المساهمة في فهم متعدد التخصصات لهذا الفعل.

## التعاريف والمفاهيم الرئيسة

(الإرهاب) و(الإرهابي) اصطلاحان مختلف عليهما (بول، 2006؛ الأمم المتحدة، 2004). كما يلاحظ بروس هوفمان، غالبًا ما تعكس التعاريف وجهات نظر الوكالة التي تقوم بالتعريف (هوفمان، 1998، ص 38). لذلك، فتعريفات وزارة الخارجية الأمريكية تعكس الطبيعة السياسية

للأفعال؛ وتعكس تلك القادمة من وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي الطبيعة الإجرامية غير المشروعة للفعل. (وزارة العدل الأمريكية، 2001)؛ في حين أن وزارة الدفاع تعرف الإرهاب بوصفه جزءًا من طيف صراع منخفض الكثافة؛ في حين يركز قانون باتريوت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2001، على طبيعة السكان المستهدفين؛ أي المدنيين مقابل أهداف عسكرية. من المهم التمييز بين الإرهاب وحرب العصابات والتمرد؛ فالفارق الأساسي لدى العديد من الخبراء هو أن الإرهاب رمزي، ويسعى لتقويض سلطة القوة المهيمنة، لكنه يفتقر إلى القوة العسكرية للإطاحة بالحكومة. هدف التمرد عادة هو الإطاحة بالنظام السياسي، والتمرد يسعى إلى احتلال أراضٍ يسعى من خلالها إلى التوسع. من الجدير بالملاحظة أن مصطلح المقاومة المسلحة هو تعريف آخر يستخدمه الإرهابيون لشرعنة أفعالهم العنيفة التي تعد غير شرعية لعدد من السكان المستهدفين، وما هو مهم هو أن نتذكر أن هذه المصطلحات تستخدم من أجل قوتها البلاغية والإعلامية من الجانبين.

أليكس شميد، في كتابه **الإرهاب السياسي الكلاسيكي** (شميد، 1983)، استعرض ما يقارب 109 تعاريف للإرهاب، وحدد العناصر المشتركة بين هذه التعريفات. وأحد أهم الفروق التي قدمها هي الهدف من العنف (أي الضحية البريئة أو غير المقاتلة)، وأهداف الاهتمام التي تحدد منها ثلاثة هي:

1. الهدف من الإرهاب، مشيرًا إلى أعضاء من الفئة نفسها كونهم هدف العنف.
2. هدف الإكراه، الهدف الذي يهدد الإرهابيون من خلاله؛ على سبيل المثال، (ما لم تستجب الحكومة لمطالبنا سنقتل هؤلاء الرهائن.
3. هدف التأثير، وعادة ما يكون الغرب أو المؤسسة.

كما دعت العديد من التعاريف التي استعرضها أيضًا إلى الانتباه إلى (الطبيعية الزائدة) للفعل، إنه انتهاك هادف لقواعد (الحرب العادلة) من خلال استهداف المدنيين، وذلك باستخدام وسائل مثل قطع الرؤوس الذي يهدف لبث الرعب في النفوس، وعشوائية الفعل على صعيد الزمان والمكان، وكلها مصممة بشكل مقصود لإثارة الرعب.

ثم إن الإرهاب يعترف به بشكل عام، وليس على نحو شامل بأنه العنف أو التهديد بالعنف ضد السكان غير المقاتلين من أجل الحصول على هدف سياسي أو ديني، أو أيديولوجي من خلال الخوف والترويع؛ إنه عمل إجرامي غالبًا ما يكون رمزيًّا في قصده؛ فالهدف من العنف يختلف عن أهداف إثارة الاهتمام.

إن مصطلح الانتحار نفسه موضع خلاف. في مقابلة مع الفلسطينيين المحتجزين، وجه سؤال كيف يفجر الانتحاري نفسه باسم الله، مع أن القرآن يحرم الانتحار؟ الأمر الذي أثار غضب من أجاب: (هذا ليس انتحارًا؛ الانتحار ضعف، الانتحار أنانية، واختلال عقلي؛ هذا استشهاد [الاستشهاد أو التضحية بالنفس في سبيل الله]). (بوست، سبرنزاك، ودني، 2003). وهكذا قام المتطرفون بإعادة تأطير هذه العمليات بصفتها (عمليات استشهادية). وخلافًا للرهبان البوذيين في فيتنام الذين أحرقوا أنفسهم احتجاجًا على حرب فيتنام، قاموا بهذه الأفعال ولم يقتل أو يصاب أي شخص، في حين أن (الانتحاريين) المعاصرين يقتلون أنفسهم من أجل قتل الآخرين، مما دفع بعض المعلقين في الولايات المتحدة وإسرائيل إلى استخدام مصطلحات تركز على الآثار الكبيرة للهجمات وما خلفته من قتل لأشخاص آخرين، واصفين إياهم بالانتحاريين القتلة (homicide bombers)، وقد أطلق عليهم رافائيل إسرائيلي (الإسلاميكاز (Islamikaze): تجليات الاستشهاد الإسلامي (الإسرائيلي، 2003)، مشبهًا الانتحاريين بانتحاريي الكاميكاز اليابانيين في نهاية الحرب العالمية الثانية، وهذا يؤكد الهدف من الإصابات الجماعية العنيفة من قبل الانتحاريين. كما أدخل مايكل شيرمر مصطلح (جريمة القتل (murdercid)، مؤكدًا مرة أخرى أن العنصر الانتحاري له دور أساسي في فعل القتل (شرمر، 2006).

بالإضافة إلى الإرهابيين الانتحاريين المرتبطين بالإسلام المسلح، والذي سوف نناقشه بشيء من التفصيل، من المهم أن نلاحظ أن الإرهاب الانتحاري غير مستوحًى في مجمله من الدين التقليدي، ولا يمثل كل القتل باسم الله؛ فهناك على وجه الخصوص ثلاث مجموعات غير دينية مرتبطة بالإرهاب الانتحاري: نمور التاميل إيلام سريلانكا، وحزب العمال الكردستاني (PKK) في تركيا، والانفصاليون الشيشان؛ فحزب العمال الكردستاني، ونمور التاميل، والجماعات الانفصالية الشيشانية. باتت مسألة إنشاء دولتهم المنفصلة (كردستان لحزب

العمال الكردستاني، والتاميل لنمور التاميل، ودولة الشيشان المستقلة) مسألة إيمان، ولا بد (للمؤمنين الحقيقيين) أن يهبوا حياتهم من أجلها، وهذا يعكس بدوره التأثير القوي الذي يؤديه قادة هذه الأحزاب الذين يتمتعون بشعبية كبيرة بين أتباعهم، عبدالله أوجلان في حزب العمال الكردستاني وفيلوبيلاي برابهاكاران من نمور التاميل، فهم جميعًا يتمتعون بمكانة إلهية بين أتباعهم. (بوست، 2007، ص. 67).

الإرهاب الانتحاري المرتبط بالجماعات الإسلامية بات بارزًا في الخطاب الغربي والأوروبي، مما يدل أيضًا على أن تصرفات بعض الجماعات الإرهابية مثل تنظيم القاعدة وما تخلفه من أعمال، ينشر الخوف في أوساط الشعوب الغربية. علاوة على ذلك، ممارسة الإرهاب الانتحاري من قبل هذه الجماعات يشكل تهديدًا أمنيًّا كبيرًا يربك العمليات العسكرية الأمريكية وقوات التحالف في العراق وأفغانستان، ويستمر في زعزعة الاستقرار في قضية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

## الإرهاب الانتحاري في السياق الإسلامي*

لذلك من المهم في البداية أن نقدم ملخصًا عن الإرهاب الانتحاري في سياق إسلامي، كما يؤكد محمد حافظ في دراسته الممتازة عن الإرهاب الانتحاري الإسلامي. تصنيع القنابل البشرية، له ثلاثة محظورات في القرآن متعلقة بموضوع الإرهاب الانتحاري: الحظر الانتحاري المفروض، ضد قتل الأبرياء، وضد قتل المسلمين (حافظ، 2006). وسوف نناقش العديد من المفاهيم التي تصورها هذه المحظورات ضد الإرهاب الانتحاري: الجهاد، وعودة الخلافة والسلفية.

* هذا القسم من الورقة يشرح الصراع داخل الإسلام والطريقة التي استخدم فيها المتطرفون الجهاد لتبرير الإرهاب الانتحاري، وهو مستمد من مقال كبير عن الإسلام في العالم المعاصر كتبته فرحانة علي؛ أحد كبار المحللين في مؤسسة راند، التي تعمل مستشارة للفريق؛ من أجل النهوض بلجنة الطب النفسي.

**الجهاد**

غالبًا ما يدمج الإرهاب الانتحاري بمفهوم الجهاد، الذي يعد أيضًا مرادفًا لعبارة (الحرب المقدسة والتطرف)، ومع ذلك يساجل الإمام محمد ماجد من آدمز؛ الإمام في المسجد والمركز المجتمعي في سترليني فرجينيا، بأنه (لا يوجد في أي مكان في القرآن ذكر للحرب المقدسة المنسوبة إلى الجهاد. (ماجد، 2006).

فالجهاد هو عمل يتعلق بالعبادة الإسلامية، وهو مشتق من الفعل بالعربية جهد، ويعني الجهد والكفاح. (أبو الرب، 2002، ص. 78-79). في حين أن هناك العديد من أشكال الجهاد التي تم تعريفها عن طريق مجموعة من القواعد، وكثيرًا ما يفسر الجهاد بوصفه وسيلة للدفاع عن النفس: الدفاع ضد الإغراء، والدفاع ضد إغواء الشيطان، والدفاع ضد الظلم؛ فهناك أربعة أشكال من الجهاد تعد مهمة، وهي: جهاد النفس الذي يطلب من المسلمين أن تكون قلوبهم نقية طاهرة من الشر، وجهاد اللسان الذي يطلب من المسلمين الاستماع إلى الأحاديث النبوية، وجهاد العمل الذي يطلب من المسلمين عمل الصالحات من أجل الأمة، والمجتمع الإسلامي الملتزم، وأخيرًا جهاد السيف الذي يطلب من المسلمين رفع السيف ضد أولئك الذين يحملون السيف ضد المسلمين، ويعد جهاد السيف الجهاد الدفاعي، وهذا هو الجهاد الذي فسر غالبًا على أنه الحرب المقدسة.

برَّر بعض رجال الدين المسلمين استخدام العنف ضد أهداف مدنية وعسكرية عن طريق إصدار فتاوى (تصريحات) منح إذن للقتال خارج المعايير الأصلية للفقه الإسلامي، حيث يقول هؤلاء العلماء إن الحرب اليوم غير متكافئة، وهو ما يتطلب قواعد جديدة للحرب، مع إستراتيجيات وأساليب جديدة لإلحاق الهزيمة بأعداء، ومن ثم يسمح بعض العلماء باستخدام التفجيرات الانتحارية، لكل من الرجال والنساء المسلمين.

وكما هي الحال مع كلمة (إرهابي) و(انتحاري)، أضيفت كلمة (الجهاد) للاستخدام السياسي؛ يقول خالد أبو الفضل الفقيه والباحث الإسلامي البارز في الولايات المتحدة إن (الإحباطات الاجتماعية والسياسية لا تؤدي إلى استخدام العنف)، بل خطاب التحارب الذي نشأ في دول مثل مصر والمملكة العربية السعودية، وباكستان كان قادرًا على (استغلال خطاب

متطرف بالفعل، مع توقع حصول صدى له نتيجة الإحباطات الاجتماعية والسياسية للشعب). (أبو الفضل، 2005).

## العودة إلى الخلافة*

في محاولتهم إعادة إحياء الإسلام بوصفه طريقة إجمالية للحياة، ظهرت العديد من الشخصيات الرئيسة لاستنبات إسلام سياسي جديد يستعيد عهد الخلافة، وهذا يشير إلى الحقبة التي أعقبت وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، عندما أراد أتباعه من الخلفاء الاستمرار في حمل إرث النبي محمد وشرعه. الحكام المسلمون الأقوياء، بما في ذلك حقبة الإمبراطورية العثمانية، حكموا العالم الإسلامي إلى أن جاء مؤسس الدولة الحديثة في تركيا؛ الرئيس مصطفى كمال أتاتورك، وألغى دولة الخلافة في عام 1924؛ كان هذا هو الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران عام 1979 بقيادة آية الله روح الله الخميني. أسامة بن لادن بدوره وجد أن استعادة الخلافة هي الحل للمسلمين الذين يعيشون في ظل الحكومات الغربية ورموزها القانونية؛ فقد استخدم هذا المصطلح لمخاطبة المسلمين المحرومين، والبحث ليعيد لهم هويتهم التاريخية ضمن السياق الاجتماعي السياسي الحديث في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين. يستخدم بن لادن في خطاباته- في كثير من الأحيان- عبارة (قبل ثمانين عامًا)، في إشارة إلى حقبة الإمبراطورية العثمانية الماضية التي كانت تحكم قبل الانقلاب السياسي الذي قام به أتاتورك؛ فقد ذكر بن لادن على سبيل المثال، في خطاب مسجل بعد 9/11 بأن:

> ما تذوقه أمريكا اليوم هو شيء ضئيل بالمقارنة مع ما كنا قد ذقناه لعشرات السنين؛ أمتنا [العالم الإسلامي] ذاقت هذا الذل والمهانة لأكثر من ثمانين عامًا، وقتل أبناؤها، وسفكت دماؤهم، وهوجمت مقدساتهم، ولا أحد يسمع ولا أحد يهتم. (AlJazeeraTV, 2001)

* العصر الذهبي للخلافة يشير إلى حكم خليفة منتخب ديموقراطيًّا حتى سقوط الدولة العثمانية في عام 1924.

**السلفية**

المتمردون والشبكات المتطرفة، وأنصارهم يعكسون على نحو متزايد تعاليم السلفية الجهادية، وهم يستمدون المعتقدات الأساسية الخاصة بهم من السلفية، وهو مذهب يدعو إلى العودة إلى الأيام المجيدة من الإسلام التي عاشها المسلمون وفقًا لمبادئ السلف الصالح. (علي، 2000، ص. 11). بالعودة إلى الإيمان خلال الأيام الأولى من الإسلام، يقدم السلفيون نظرة عالمية تعد بإقامة مجتمع إسلامي موحد، مع (الإسلام والمعرفة التي هي خاصية يتمتع بها جميع المسلمون). إدراك هذا أمر بالغ الأهمية لسببين:

1. يتحدى السلفيون البيئة الاجتماعية السياسية الحالية من خلال دعوة المسلمين لقبول التعاليم الصحيحة للسلف الصالح*.
2. الإيديولوجية السلفية الجهادية وهي فرع عنيف من العقيدة السلفية من المرجح أن تتغلب على حركة ما بعد القاعدة.

السلفيون – الجهاديون يشكلون مجموعة صغيرة من المتطرفين لكنها قوية؛ فهم يدعمون هدف القاعدة في إقامة خلافة إسلامية لتحل محل الحكم الديموقراطي المفروض من الغرب والأنظمة الإسلامية الاستبدادية أو المرتدة، وعلى الرغم من أن السلفية أقلية في العالم الإسلامي، إلا أن السلفيين الجهاديين يحتفظون بشبكة دعم واسعة عابرة للقوميات، تحدت الناشطين المسلمين السلميين في قبولهم الوضع الراهن، و/ أو اختيارهم الانضمام إلى العملية السياسية للتعبير عن مخاوفهم، بدلًا من المشاركة في الجهاد لاستبدال الجاهلية (الهمجية أو من صنع الإنسان) بحكومة الحاكمية** (أو الصالحين الواعين لحكم الله)؛ فالسلفيون الجهاديون يؤكدون أن هذه القوانين الوضعية التي جاءت بها الحكومات العلمانية أو القومية تتعارض مع شرع

* جاء ذكر السلف في القرآن والسنة، وتسمى أيضًا الحديث، وهو كل ما قاله وفعله النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– الذي تم تدوينه من قبل علماء المسلمين. العلماء المعروفون أكثر في الحديث هما اثنان؛ البخاري ومسلم. وفقًا للبخاري، قال النبي لابنته فاطمة ((في الواقع، أنا بالنسبة إليك السلف المبارك)). (رقم 2652). في القرآن الكريم، وصف السلف كما في (الآية 2: 137) بالمهتدين.

** يتم وصف هذه الاصطلاحات بشكل واضح في عمل الثائر المصري سيد قطب؛ ففي كتابه **في ظلال القرآن الكريم**، كتب سيد قطب: فالإنسان على مفترق طرق، وعليه الخيار بين الإسلام أو الجاهلية... جاهلية الأسلوب –الحديث في المجتمعات الصناعية في أوروبا وأمريكا مشابهة بشكل أساسي للجاهلية القديمة لبعض الوقت في الوثنية والعربية البدوية؛ في كلا النظامين، الرجل تحت سيادة الإنسان بدلًا من الله.

الله. في كتابه **فرسان تحت راية النبي**، لأيمن الظواهري؛ الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، يؤكد هذا الحق في إقامة دولة إسلامية في قلب العالم الإسلامي*، وهو هدف تتقاسمه المجموعات السلفية الأخرى الذين يتفقون على أن الجهاد هو الأداة التي تحمي مصالح المسلمين، وتحقق النتائج المرجوة لهم. في مقابلة أجريت في صحيفة الحياة الأردنية في تموز- يوليو 2005 (الحياة، 2005) المُنظِّر الأردني أبو محمد المقدسي يدعم الجهاد بوصفه أحد الواجبات التي يمليها إيماننا. . . ومن خلال تجربتنا السابقة في الجهاد في أفغانستان والشيشان والبوسنة، وجدنا أن بركات الجهاد تشمل إحياء شباب هذه البلدان وخلق الصحوة المباركة هناك.

من خلال التواصل مع الروايات التي تركز على النهضة الإسلامية، نجد أن السلفية الجهادية تقدم إجابات قوية عن الأسئلة والمخاوف الحديثة (هيكل، 2005)؛ فهي تقدم شكلًا بديلًا من أشكال المقاومة،** تعتمد في هذا على أعمال العنف لتحقيق أهدافها الإستراتيجية والتكتيكية. وبوصفها الطليعة الانتهازية في الإسلام، فإن رواياتها تتجذر في إنقاذ الأمة الإسلامية من الفساد الأخلاقي والتدخل الغربي؛ فهي على مسافة قصيرة من مطلب العنف، سعيًا لتحقيق العدالة للشعوب الإسلامية، وصولًا إلى رجال الدين الإسلامي متشددين؛ مثل آية الله فضل الله، المرشد الروحي لحزب الله، مستشهدًا بمعاناة المسلمين الكبيرة لتبرير الأفعال مثل الانتحار الذي يحرمه القرآن الكريم في الأوقات العادية، وكان فضل الله هو الذي أجاز تفجير الشاحنة المفخخة في السفارة الأمريكية وفي ثكنات المارينز في لبنان في عام 1983، ومنذ ذلك الحين تخلى حزب الله عن تكتيك الإرهاب الانتحاري لصالح حرب العصابات.

* الترجمة التي قدمها فينسكي، وإبراهيم (2003). بالنسبة إلى الظواهري، معنى الجهاد هو (إزالة الحكومة الحالية [السادات] من خلال مقاومته، وتغيير النظام الحالي لإقامة حكومة إسلامية بدلًا من ذلك. من كتابه **الطريق إلى القاعدة** (الزيات، 2004، ص. 42-43).

** مهندسو الفكر الإسلامي الذين يمتلكون حجة قوية قدموا لغة تناسب المقاومة. وإدراكا منها لمشاعر المسلمين خلال حقبة الاستعمار، وتأثير حركات الاستقلال التي يدعمها الغرب، وضعوا برنامج عمل، مستفيدين من الإحباط الذي يعانيه المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت؛ النضال من أجل الاستقلال في عالم ما قبل الاستعمار وما بعده ولّد مجموعة متنوعة من القوميات ذات البعد المحلي والمناطقي التي من خلالها . . . نحافظ على استمرار الإسلام وديمومته في العالم الإسلامي.

## سيكولوجية الإرهاب

فهم سيكولوجية الإرهاب الانتحاري يجب أن يكون متأصلًا في فهم سيكولوجية الإرهاب، في إطار التحضير للقمة الدولية حول الديموقراطية والإرهاب، والأمن، الذي عقد في مدريد، إسبانيا، في مارس 2005، وفي الذكرى السنوية الأولى لتفجير محطة القطارات في مدريد على يد متشددين إسلاميين، تم تشكيل عدد من اللجان لاستكشاف جذور الإرهاب*، وقد قدمت اللجنة المختصة في الجذور السيكولوجية للإرهاب وثيقة بالإجماع تؤكد بأن:

> التفسيرات على مستوى علم النفس الفردي غير كافية، وليس من المبالغة التأكيد أن الإرهابيين هم نفسيًّا (طبيعيون)؛ بمعنى أنهم غير مصابين بمرض ذهاني سريريًّا؛ فلا هم من المصابين بالاكتئاب، أو المضطربين عاطفيًّا، ولا هم متعصبين لدرجة الجنون. (بوست، 2005b، ص. 7-12).

ذهب تقرير اللجنة ليخص بالذكر الدور الحاسم لعلم النفس الجماعي والتنظيمي، مؤكدًا أهمية (الهوية الجماعية):

> يوجد إجماع واضح على أنه ليس علم النفس الفردي بل علم النفس الجماعي والتنظيمي والاجتماعي الذي يوفر أكبر قدر من القوة التحليلية في فهم هذه الظاهرة المعقدة؛ فقد أخضع الإرهابيون هويتهم الفردية إلى الهوية الجماعية، ذلك أن ما يخدم المجموعة أو التنظيم أو الشبكة يكون له أهمية رئيسة عندهم. بالنسبة إلى بعض الجماعات، وخاصة الجماعات الإرهابية الوطنية الانفصالية، فقد أنشئت هذه الهوية الجماعية في وقت مبكر جدًّا: الكراهية (تجري في دمائهم)، وهذا بدوره يؤكد السياق الاجتماعي والثقافي الذي يحدد التوازن بين الهوية الجماعية والهوية الفردية. (بوست، 2005c).

وبقبول أنه لا يوجد نموذج واحد يمكن أن يفسر الإرهاب الانتحاري، يكون هدفنا الآن هو استعراض المساهمات النفسية لفهم الإرهاب الانتحاري، الذي هو ظاهرة متعددة العوامل التي يجب النظر فيها من منظور متعدد التخصصات.

---

* ملاحظة: عمل ثلاثة أعضاء من لجنة GAP حول الإرهاب والعنف السياسي، جيرولد بوست، جيف فيكتوروف، وستيفان ويني في لجنة الجذور النفسية للإرهاب التي ترأسها جيرولد بوست.

# مجموعة نماذج توضيحية للإرهاب الانتحاري

تتشكل الهويات الجماعية داخل الأوساط الاجتماعية والثقافية التي تتطور فيها؛ جيسيكا ستيرن، التي أغنت المعرفة المتعلقة بالإرهاب من خلال مقابلاتها المفتوحة تقول إن (اليأس والحرمان، والحسد، والإذلال يولِّد الموت، وتصبح الجنة أكثر جاذبية)، ونقلت عن مقيم عجوز في جنين قوله لمراسل كان قد زارهم: (انظر كيف نعيش هنا، وبعد ذلك عليك أن تفهم لماذا هناك دائمًا متطوعون للاستشهاد؛ فكل مسلم جيد يفهم أنه من الأفضل أن يموت مقاتلًا من أن يعيش بلا أمل). (جاكوبسون، 2001، P. 38)، وهكذا من خلال العمل الاستشهادي، يتحوَّل اليأس إلى أمل- وهو اعتقاد واسع الانتشار في المجتمع الفلسطيني؛ فالهوية الجماعية والمجموعة والعمليات الاجتماعية التي تعزز هذه الهوية الجماعية تؤثر بصورة حاسمة في دفع الشباب المسلم نحو طريق الإرهاب، وفي إعادة صياغة الانتحار ليصبح استشهادًا.

**مدخل على مسار الإرهاب**

الجهاد والمقاومة تبدآن بالكلمة، ثم بالسيف، ثم بالحجر، ثم بالبندقية، ثم بزرع القنابل، ثم بتحويل الأجساد إلى قنابل بشرية. منير المقداح؛ مدرب الهجمات الانتحارية (بلوم، 2005، ص 27).

يلتحق الناس بالجماعات الإرهابية في مراحل مختلفة من الحياة، غير أن المدخل إلى طريق الإرهاب كثيرًا ما يسبق الانتساب إلى عضوية المجموعة بوقت طويل. بالنسبة إلى بعضهم، يبدأ في مرحلة مبكرة جدًّا، هذا ما توضحه البيانات التجريبية المتعلقة بالإرهابيين الانتحاريين الفلسطينيين ومُرسليهم. في الأراضي الفلسطينية القبول بالتفجير الانتحاري والاحتفال به واضح منذ سن الطفولة وما بعدها، كما يتضح من صور الرضع والأطفال الذين لديهم أحزمة تفجير انتحارية؛ فالأطفال يستمعون إلى قصص آبائهم عن الإذلال، والسخط، والخسارة. وفي مقابلات مع الفلسطينيين المحتجزين، أشار الجميع تقريبًا أنهم كانوا في المسجد عندما سمعوا لأول مرة عن الطريقة التي نزعت بها ملكية ذويهم، عندئذ وضعوا خطواتهم الأولى على طريق

الإرهاب والاستشهاد. (بوسط وآخرون، 2003). (يتم التركيز هنا على المجموعات الفلسطينية بسبب توافر البيانات؛ ولا تنطبق هذه الملاحظات بالضرورة على مجموعات أخرى).

حياة الطفل تمتد إلى أبعد من العائلة، وبخاصة إلى المدارس؛ فهناك كتابات على جدران روضة أطفال تديرها حماس تقول: ((إن أطفال الروضة هم شهداء الغد)). (كيلي، 2001). في مدرسة إسلامية في مدينة غزة تديرها حركة حماس، يقول طالب يبلغ من العمر 11 عامًا:

> سأجعل جسدي قنبلة تنفجر بلحم الصهاينة، أبناء الخنازير والقرود... وسوف أمزق أجسادهم إلى قطع صغيرة، وأسبب لهم ألمًا لم يعرفوه من قبل.

وبحسب هذه المقالة التي ذكرت في الحلقة، رد زملاؤه (الله أكبر). المعلم صاح قائلًا وهذا يدل على أن النظام بأكمله يشارك في هذه الثقافة، (فلتهنأ مع الحواري)، مشيرًا إلى إحدى المكافآت التي تنتظر الشهداء في الجنة، في حين ابتسم مدير المدرسة، وعبَّر عن موافقته. قيمة الشهادة يستمر التأكيد عليها في مراحل التعليم كلها وصولًا إلى المرحلة الجامعية. وعبارات كتبت في الفصول الدراسية في جامعة النجاح في الضفة الغربية، وفي الجامعة الإسلامية في غزة، تقول: ((إسرائيل لديها القنابل النووية، ونحن لدينا القنابل البشرية)). (كيلي، 2001).

وبالمثل، الممارسة النهائية للمخيمات الصيفية التي ترعاها السلطة الفلسطينية، يلبس فيها الشباب أقنعة أو كوفيات لفَّت حول وجوههم، اقتحام موقع استيطاني وهمي، والمعسكر الذي يتمكن من (قتل) جندي إسرائيلي مفترض يفوز بجائزة؛ لا يجري تدريبهم ليكونوا إرهابيين، بل ليكونوا جنودًا يلتحقون بالثورة.

**محمد رزاق، مثالًا على الانتقال عبر الأجيال**

بالنسبة إلى محمد رزاق؛ أحد إرهابيي أبي نضال، ولدى محاكمته في المحكمة الفيدرالية في واشنطن، D. C، بتهمة الاختطاف في عام 1997، انتقلت إليه مرارة الأجيال وكراهيتها قبل أن يولد (بوسط 2000). كانت والدته عمرها ثماني سنوات في عام 1948 في حرب الاستقلال، التي يسميها الفلسطينيون (النكبة)، عندما اضطرت عائلتها إلى ترك يافا، وهي ضاحية تقطنها

أغلبية مسلمة من ضواحي تل أبيب، فذهبت إلى مزرعة جدها في الضفة الغربية. وفي حرب عام 1967، عندما كان محمد رزاق صغيرًا يبلغ من العمر ثماني سنوات، اضطرت عائلته إلى ترك الضفة الغربية وانتهى بها المطاف في مخيم للاجئين في الأردن، وقد عبرت والدته عن كراهيتها للإسرائيليين حين أشارت بمرارة: ((هذا هو النزوح الثاني الذي أتعرض له)).

في مدرسة في مخيم اللاجئين، وبدعم من اليونسكو، تعلم محمد رزاق على يد عضو في منظمة التحرير الفلسطينية الذي قال له ولزملائه الطلاب: ((الطريقة الوحيدة لتصبح رجلًا هي الانضمام إلى الثورة، واسترداد الأرض المسروقة من والديك وأجدادهم)). وعندما نفذ العمل الإرهابي الذي أوكل إليه ويكون بذلك قد حقق هدفه. في النهاية كان يفعل شيئًا لنصرة قضية الشعب الفلسطيني في استعادة وطنه. محمد رزاق هو نموذج للطريقة التي تتفاعل بها القوى التاريخية، والتاريخ العائلي، والثقافة المجتمعية؛ لتجعل منه جنديًّا للثورة، حيث تدفع الشباب المحبطين الممتلئين بالنفور واليأس ليضعوا خطواتهم على طريق الإرهاب.

وأحد الجوانب المثيرة للاهتمام التي انبثقت عن التاريخ المفصل لـ محمد رزاق ودخوله ومشاركته جماعة أبي نضال الإرهابية، يتعلق بلقائه طبيبًا نفسيًّا فلسطينيًّا. بعد أن نجا محمد رزاق من الموت بأعجوبة في انفجار وقع في مقهى غادلره للتوفي لبنان خلال (حرب القنابل)، شهد محمد رزاق بعض أعراض الاضطراب العابرة لمرحلة ما بعد الصدمة. عرض على لجنة الجذور النفسية للإرهاب اللجنة المكلفة من قبل الجماعات الإرهابية التي تقوم بغربلة الأفراد المضطربين عاطفيًّا؛ فقد أرسل محمد رزاق لإجراء هذا التقييم لدى طبيب نفسي فلسطيني؛ حيث أقر بأن وضعه مستقر على الصعيد العاطفي ولا مانع من عودته إلى الخدمة.

## علم نفس المراهقين والإرهاب الانتحاري

كان الانتحاريون التفجيريون عادة من المراهقين المتأخرين أو من الشباب، وقد كشفت دراسة إسرائيلية أجريت بعد موت 93 من الانتحاريين (أجريت بعد الانتفاضة الأولى، 1993-1994) - إعادة تأهيل حياة الانتحاريين - أنهم مجموعة من الشباب غير المتعلمين الذين تتراوح أعمارهم بين 17-22 سنة، وغير المتزوجين ومن العاطلين عن العمل، وشباب لم ينضج

شبابهم بعد. وفي الآونة الأخيرة - حين اتسعت الفئة العمرية- انضمت بعض النساء إلى صفوف الانتحاريين، لكن لا تزال المجموعة الأساسية من الذكور في سن المراهقة المتأخرة. (مواري، 2005).

المراهقة والشباب هي وقت التجريب، وقت تشكيل الهوية والنضال من أجل الاستقلال الذاتي، ووقت التعامل مع قضايا الحميمة. (انظر كينيستون، 1972؛ سميتانا، كامبيون بار، وميتزجر، 2006؛ شتاينبرغ وشيفيلد موريس، 2001). كلما تفككت الروابط مع الآباء والأمهات، زاد تأثير ثقافة الأقران؛ كشفت دراسة أنات بيركو عن الفشل الانتحاري الفلسطيني عن أهمية ثقافة الأقران (بيركو، 2007)، وعلاوة على ذلك، في هذه الحقبة التنموية، يتم البحث عن مصادر بديلة للسلطة، غير أن المراهقين المسلمين الذين يسعون لترسيخ هويتهم يتلقفهم القادة المتاجرون بالكراهية، بما في ذلك الأئمة المتشددون، الذين يحددون الأسباب الخارجية لبؤس حياة الشباب. ( ليس نحن، إنهم هم؛ هم المسؤولون عن مشكلاتنا ). في هذا الإطار، عدم ضربهم لا يعد عملًا غير أخلاقي وحسب، وإنما يصبح واجبًا أخلاقيًّا، وخصوصًا عندما يلقى عليهم بوصفه واجبًا مُقدَّسًا، كما هي الحال بالنسبة إلى الأعضاء الشباب من حماس، وحزب الله والقاعدة، والجماعات التابعة لها والأفراد المماثلين لهم بالتفكير.

قبل دخولهم إلى المسار النهائي للإرهاب الانتحاري يدخل الشباب مسار التطرف (الردكلة - المترجم)، الذي وسمه آرييل مراري بـ (خط التجميع) الانتحاري؛ فقد أشارت تقارير مَنْ أُجريت معهم مقابلات كيف شعروا بالقوة بعد أن كانوا يعيشون حياة لا معنى لها؛ فقد أجاب أحد أعضاء حركة فتح في السجن عند سؤاله عن معنى التظاهر والإضراب ضد العدو:

> كنت أعدُّ الأعمال المسلحة أمرًا أساسيًّا؛ فهي المرتكز الأساسي لمنظمتي، وأنا واثق أن هذا ينطبق على غيرها من المنظمات الفلسطينية؛ كان الهدف أن نتسبب بوقوع مذبحة بأكبر قدر ممكن، والشيء الأهم هو كمية الدم؛ فالعمل المسلح يقول إنني هنا، أنا موجود، أنا قوي، أنا في السيطرة، وأنا في الميدان، أنا على الخريطة. العمل المسلح ضد الجنود هو العمل الأكثر إثارة...؛ فالأعمال المسلحة، ونتائجها هي الأداة الوحيدة التي يمكن من خلالها اختراق الوعي العام. (بوسط وآخرون، 2003، ص 18).

لذلك هو قوة لمن لا قوة لهم، أهمية لمن لا أهمية لهم، وقد تمثَّل ذلك في المقابلات التي أُجريت من قبل نيكول أرغو، والتي استشهد بها حافظ. (حافظ، 2006، ص. 50). وفقًا لأحد الأشخاص الذي أصبح انتحاريًّا، أكد أن الطبيعة الإيثارية هي من الدوافع المعلنة. ((أنا فعلت هذا بسبب معاناة الشعب الفلسطيني. سقوط الشهداء [الذين استشهدوا على يد القوات الإسرائيلية]. وتدمير في كل مكان في فلسطين. . . أنا فعلت هذا من أجل الله والشعب الفلسطيني)). وقال آخر:((أعتقد أن العملية تؤذي العدو. أيضًا [أ] مهمة ناجحة تؤثر إلى حد كبير في المجتمع؛ فهي ترفع من معنويات الشعب؛ إنهم سعداء؛ لأنهم يشعرون بالقوة)). وفي هذا السياق، فإن الرسائل التي يتلقاها المراهقون، بتمجيد الخلود الطوباوي والمتعال عند الانتحاري، قد تكون جاذبة لهم بشكل خاص. في سياق الضغط الاجتماعي والاقتصادي المتعدد، الوعود بأن يكتب الله له الشهادة، وأن يميته ميتة الأبطال، ويحرره من الصراع، وأن يدخله الجنة، هي الموضوعات الجاذبة للكثير من المراهقين الشباب.*

برنامج بحثي يستخدم مقابلات شبه منظمة مع 35 إرهابيًّا سجينًا من الشرق الأوسط، سواء من القوميين العلمانيين من حركة فتح والجبهة الفلسطينية لتحرير فلسطين، أو من المتطرفين الدينيين من حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، وجدت أن أهم معلومة مؤثرة في قرار الانضمام إلى منظمة هي البيئة الاجتماعية، كما أشار أحد الإرهابيين إلى أن ((الجميع كان مُنظَّمًا)). (بوسط وآخرون، 2003). وكانت مجموعة الأقران لها أكبر تأثير في ذلك، وفي كثير من الحالات كان الصديق أو أحد المعارف في المجموعة هو الذي يسعى

* ملاحظة: بين الفلسطينيين، هناك نسبة عالية من البطالة؛ الشباب الفلسطيني لم يكن قادرًا على استخدام تعليمه أو كسب لقمة العيش في عالم أوسع. المقابلات الأخيرة التي أجريت مع الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية تكشف كثيرًا من اليأس. وبالمثل، في مصر والشرق الأوسط؛ فالزواج بوابة الاستقلال، يتم تأجيله بسبب البطالة، وعدم قدرة الحكومة على توفير التعليم الملائم، واقتصاد بلا عمل. في مصر، متوسط العمر الذي يتزوج به الرجال اليوم 31 عاماً، وتُشكل نسبة غير المتزوجات في إيران 38 في المئة للبالغات من العمر 25 –29. ارتبطت البطالة وعدم القدرة على الزواج باليأس الظرفي على نطاق واسع، والذي يرتبط بدوره بالتوجه نحو الدين. الشباب أحلامهم تخنق، فقد تحول الشباب المصري إلى الحماس الإسلامي. في عام 1986 كان هناك مسجد واحد لكل 6031 شخص، أما اليوم وقد تضاعف عدد سكان مصر إلى الضعف تقريبًا، فمسجد واحد لكل 745 نسمة. (م. سلاكمان). الأحلام تخنق، وشباب مصر تتجه نحو الحماس الإسلامي. (واشنطن بوست، 17 فبراير 2008، القاعدة، ص. 12، 13). لكن المصاعب الاقتصادية لا يبدو أنها تفرق بين الإرهابيين والانتحاريين في الجزء الأكبر من الشباب، وبالفعل وجد بيركو أن فشل الانتحاريين الذين تمت مقابلتهم جاء من الظروف الاقتصادية المريحة نوعًا ما، وكانت أعمالهم قد وصفت من حيث الإيثار، كما يجري للشعب الفلسطيني.

لتجنيده، وغالبًا ما تتفاجأ الأسرة بقرار الدخول في طريق الإرهاب، وتعزيز ملاحظة بيركو بأن عائلة الإرهابي الانتحاري كانت في كثير من الأحيان آخر من يعلم أن ابنهم على طريق الانتحار.

ذكر أكثر من 80% من أعضاء الجماعة العلمانية ترعرعوا في مجتمعات ذات أصول راديكالية، أن معظمهم قالوا إنهم اكتسبوا وعيهم السياسي لأول مرة من خُطب المساجد التي كانوا يسمعونها وهم أطفال، وقد أفاد أحد العناصر المنتمين لفتح:

> إنني أنتمي إلى جيل من الاحتلال؛ عائلتي لاجئة من حرب عام 1967، فالحرب وحالة اللجوء كانا حدثين شكّلا الوعي السياسي عندي، وأوجدا الحافز لدي لبذل كل ما بوسعي لاستعادة حقوقنا المشروعة في بلدنا المحتل.

تكشف استطلاعات الرأي التي أجريت على الشباب الفلسطيني عن جيل لديه دعم للنضال المسلح والإرهاب أكثر من آبائهم، على الرغم من أنه في مرحلة لاحقة من بلوغهم رفض بعضهم المعتقدات التي كانوا يحتفظون بها وهم في سن الشباب. (إرلانجر، 2007).

## التناقض بين الانتحاريين الفلسطينيين والخاطفين الانتحاريين في 11/09

كانت المناقشة حول هذا الموضوع متعلقة بشكل خاص بالإرهاب الانتحاري الفلسطيني. كان الانتحاريون الفلسطينيون في سن الشباب غير المكتمل، وكانوا عازبين، غير متعلمين وعاطلين عن العمل، وما إن يدخلوا بيتًا آمنًا، حتى يرافقهم أحد خشية أن يتراجعوا، وتتم مرافقتهم إلى العملية.

في المقابل، كان الخاطفون الانتحاريون لتنظيم القاعدة في هجمات الحادي عشر من أيلول في سن 28-33؛ عطا -مثلًا- وهو زعيمهم كان في سن 33 عامًا، وينحدر من عائلة ميسورة من الطبقة الوسطى، وكثير منهم نال التعليم العالي، عطا واثنان من زملائه كانوا في برامج درجة الماجستير في الجامعة التكنولوجية في هامبورغ، وكانوا بمفردهم في الغرب، في بعض الحالات لمدد تصل إلى أكثر من سبع سنوات، مظهرهم لا يوحي، بما تحمله دواخلهم مثل شعاع الليزر؛ فقد كانت مهمتهم أن يضحوا بحياتهم من أجل قتل آلاف الضحايا. نراهم بالغين مكتملين،

سخَّروا فرديتهم لقضية مجموعة تتبنى الإسلام الراديكالي بالشكل الذي صاغه القائد الجذاب المدمر أسامة بن لادن.

مارك سيغمان، في دراسة أجريت على 400 شخص من تنظيم القاعدة، وجد أن ثلاثة أرباع الأعضاء تأتي من الطبقة الوسطى والطبقة العليا، مع 63% منهم حضر الكلية (سيغمان، 2004). كما لاحظ، وكانت هذه (الأفضل والأذكى)؛ أن ثلاثة أرباعهم من المهنيين أو شبه المهنيين، ومعظمهم من خريجي التخصصات العلمية.

إن مؤامرة (الأطباء) الأخيرة في بريطانيا العظمى تسلط مزيدًا من الضوء على هذا الوصف، ومن النتائج المثيرة للاهتمام التي تتناقض مع الافتراض العادي هو أن العدد القليل كانوا من ذوي الخلفيات الدينية. ويقف التحليل الديموغرافي في تناقض حاد مع الانتحاريين الفلسطينيين؛ حيث 73% منهم من المتزوجين، ومعظمهم من الذين لديهم أطفال.

## القاعدة، نسخة ثانية

ثمة اتجاه جديد حدث في العقد الماضي، وتسارع بسبب الحرب في أفغانستان في أعقاب أحداث 9/11، والذي دمَّر أساسًا تنظيم القاعدة الإصدار 1. 0 بقيادتها وتحكمها المركزي، ومواردها المالية، وتدريبها، وتخطيطها العملاني؛ فقد تحوَّلت من تنظيم القاعدة الإصدار 1. 0 إلى تنظيم القاعدة الإصدار 0 .2 الذي يتميز باللامركزية، وبشبكة تتمتع باستقلال ذاتي تعمل من خلال المحاور والعقد، ذلك أن القاعدة توفر المظلة الفضفاضة، وتقدم الدعم والتماسك الأيديولوجي، ولكن ليس لديها سيطرة مباشر على العمليات.

مصدر القلق الكبير لقوات الأمن الغربية جاء من المجندين الجدد من السلفية الجهادية العالمية، القادمة من الجيل الثاني والثالث من السكان المهاجرين / الشتات الذين هاجروا إلى أوروبا أصلًا من جنوب آسيا وشمال أفريقيا، والذي فشلوا في الاندماج الثقافي، وقد تطرفوا داخل هذه الدول، من خلال المساجد الراديكالية. نفذت في مدريد تفجيرات محطة القطار في شهر مارس 2004 على أيدي أفراد من الشتات الجزائري، ونفذت تفجيرات لندن في 2005/7/7

من قبل مواطنين بريطانيين ينحدرون من جنوب شرق آسيا (باكستانيين)، كما أحبطت خطة منسقة لاختطاف طائرة في أغسطس 2006. في الحالة الأخيرة، لم يكن الإرهابيون (محليين)، وإنما كانوا على صلة وثيقة بجذورهم الباكستانية، وقادة الجماعات الذين تلقوا تدريباتهم على استخدام المتفجرات والعمليات من تنظيم القاعدة في باكستان.

كما لوحظ في البيان الذي صدر بالإجماع في قمة الإرهاب، على الرغم من أن معظم المهاجرين المسلمين واللاجئين ليسوا (عديمي الجنسية)، إلا أن الكثير منهم يعانون الشعور بالفقدان الوجودي والحرمان والاغتراب في البلدان التي يعيشون فيها، وغالبًا ما يتعرضون للأيديولوجيات المتطرفة التي تجعلهم متطرفين، وتُعبِّد لهم الطريق للدخول في مسار الإرهاب (بوست، 2005b، ص 9)؛ فاستطلاع الرأي الذي قام به معهد بيو قد عزز حالة الضيق التي يشعر بها مجتمع الشتات (22 يونيو 2006)، وقد أظهر علم النفس أن قضية المهاجرين / الشتات كانت مصدرًا رئيسًا للتطرف الإرهابي.

في حين أن الغرض من هذه الورقة ليس تقديم مراجعة شاملة لأدبيات علم النفس الإرهابي وسيكولوجية الإرهاب الانتحاري، وإنما التوسع في وجهة نظر الخبراء في سيكولوجيا الإرهاب الذي أوجزناه سابقًا، مع الإشارة بوجه خاص إلى الإرهاب الانتحاري، وسوف نعلق على العديد من النظريات الاجتماعية النفسية والاجتماعية العملية التي تسهم في رأينا إسهامًا مفيدًا في فهم الظاهرة.*

## نظريات النفسية الاجتماعية والعملية الاجتماعية

### نماذج العملية الاجتماعية

الطاقة النشطة توصل الناس إلى سلسلة من الخيارات الأخلاقية الصعبة. ما إن يتخذ الخيار، حتى يصبح من الصعب الرجوع عنه. آرييل ميراري؛ وهو باحث إسرائيلي بارز في

* ملاحظة: للاطلاع على استعراض شامل للبحث النفسي في الإرهاب، انظر جيف فيكتوروف (العقل الإرهابي: مراجعة ونقد المناهج النفسية)، مجلة حل النزاعات، 49، 3–42، 2005.

مجال الإرهاب، وقد تناول (خط التجميع للتفجير الانتحاري)؛ حيث يصف الطريقة التي يتقدم بها الفرد بدءًا من تجنيده وصولًا إلى تعريفه علنًا بأنه الشهيد الذي يمشي على قدميه، ثم (الميت الحيّ)، وصولًا إلى الشهادة النهائية، حيث يصور بالفيديو وهو يمسك البندقية الآلية (كلاشينكوف) في يد والقرآن في يد أخرى قبل تنفيذ العملية الاستشهادية، فمن الصعب للغاية أن يتراجع في اللحظة الأخيرة بعد أن يكون قد وصل إلى نقطة لا رجعة عنها؛ وإلا فالذل والعار سيكونان ثقيلين عليه جدًا، في الطريق الذي يؤدي إلى الإرهاب، يتناول الباحث فتحالي مقدم كيف يتم التقدم نحو الإرهاب بصفته سلسلة من الخطوات على الدرج يضيق، مع كل خطوة تخطوها إلى الأمام يصعب عليك الالتفات إلى الخلف، وكلما تقدم تضيق عليه الخيارات المتاحة أمامه حتى يشعر بانعدام الخيارات، وينضم إلى المجموعة. (مقدم، 2005). ومن ضمن ذلك، وفي درج لا يزال يضيق، هناك سلسلة من الخطوات من إرهابي إلى إرهابي انتحاري، وطرق أخرى يتصورها ميراري في (خط التجميع التفجير الانتحاري).

وقد أكد حافظ ثلاثة شروط للقيام بحملة تفجيرات انتحارية إرهابية، هي: ثقافة الاستشهاد، (قرار إستراتيجي من قبل المجموعة لاستخدام هذا التكتيك، واستعداد للمتطوعين). (حافظ، 2006). وأكد عدد من العلماء أهمية التنشئة الاجتماعية والبيئة الاجتماعية التي تحدث فيها التنشئة الاجتماعية؛ ميراري يؤكد أن تصبح إرهابيًا شيء (طبيعي) في البيئة الثقافية الفلسطينية.

### آلية فك الارتباط الأخلاقي

ألبرت باندورا طبق نظريات فك الارتباط الأخلاقي الذي كان رائدًا في استخدامها على شريحة خاصة من الإرهابيين (باندورا، 1990). لا يختلف عن التنشئة الاجتماعية للجنود، فإن شيطنة العدو وتجريده من إنسانيته يسهل تحويل الفعل الذي ينتهك مبادئهم الأخلاقية إلى عمل له قيمة مجتمعية؛ لننظر -على سبيل المثال- إلى التوصيف التالي للإسرائيليين من قبل إرهابي فلسطيني مسجون الذي على الرغم من أنه لم يلتقِ اسرائيليًا قط سوى على حواجز التفتيش، إلا أنه متأكد تمامًا من طبيعتهم الشريرة:

أنتم الإسرائيليون نازيون في نفوسكم وفي سلوككم، في احتلالكم لا تميزون أبدًا بين رجل وامرأة، أو بين كبار السن والأطفال؛ أنتم الذين اعتمدتم أساليب العقاب الجماعي، وكنتم من اقتلع النازحين من وطنهم ومن ديارهم وطاردهم إلى المنفى؛ أطلقتم الذخيرة الحية على النساء والأطفال، أنتم حطمتم جماجم المدنيين العزل، قمتم بإعداد معسكرات الاعتقال لآلاف الأشخاص في ظروف لا تليق بالبشر؛ أنتم دمرتم المنازل، وحولتم الأطفال إلى يتامى؛ أنتم منعتم الناس من كسب العيش؛ أنتم سرقتم ممتلكاتهم، ودستم على شرفهم. ونظرًا لهذا النوع من السلوك، فليس هناك من خيار سوى ضربكم من دون رحمة بكل وسيلة ممكنة. (بوسط وآخرون، 2003، ص 12).

ينبغي التأكيد أن الإسرائيليين أيضًا لديهم مشاعر مماثلة تجاه الفلسطينيين على أنهم شريرون؛ فالاعتقاد لدى كل طرف بأن أعضاء الطرف (الآخر) في الصراع هم شريرون هو مثال على خطأ الإسناد الأساسي؛ المصطلح يشير إلى الميل إلى المبالغة في تقدير أهمية العوامل المزاجية أو الشخصية كأسباب للسلوك الملاحظ من قبل أشخاص آخرين. في المقابل، يشير التباين بين الفاعل والمراقب إلى ميل الضحية لتبرير أفعاله على النحو الذي يقتضيه الطرف (الآخر).* وهكذا الفلسطيني المذكور أعلاه يشعر أن فعله مبرر تمامًا، كما يشعر بعض مسؤولي مكافحة الإرهاب الإسرائيليين أن لهم ما يبرر أفعالهم؛ فكل طرف كأنه الضحية، وهو مجبر على أفعاله بوصفها ردًّا على سلوك الآخر.

**نظرية العلاقات بين المجموعات، العداوة داخل المجموعة مقابل العداوة خارج المجموعة**

يؤكد الباحث فاميك فولكان في كتابه الحاجة إلى الأعداء والحلفاء على (القيمة) النفسية للأعداء في بناء الهوية الاجتماعية؛ فمن خلال الأسرة والشخصيات الاعتبارية التي حولنا، مثل المعلمين، نقوم بالتواصل معهم اجتماعيًّا فنشعر بالراحة معهم، أما غيرهم نتعامل معهم بريبة ونشعر كما لو أنهم غرباء. (فولكان، 1988). فتبلور تقاسم الارتياح بين ما هو مألوف يعد الأساس النفسي لتشكل القومية، والخوف من الغريب هو الأساس النفسي لمفهوم العدو.

---

* انظر إلى روس ونيسبت (1991). إيرفينغ جانيس تضمن هذا التمييز في مفهومه (جماعة التفكير) التي قدمت في جانيس (1972).

**سيكولوجيا العلاقات بين الزعيم الكاريزمي وأتباعه**

قام الباحث بوست بتشخيص العلاقة القوية بين القادة الذين بجاذبية قوية وبين أتباعهم (بوست، 1986؛ آخر، 2004). وكما وصلنا إلى فهم رغبة الانتحاريين التضحية بحياتهم من أجل قضية بعينها، فإن إخضاع الهوية الفردية إلى الهوية الجماعية، على النحو الذي يحدده القائد الكاريزمي المدمر، هو أمر بالغ الأهمية بالنسبة إلى العديد من الإرهابيين المتدينين، ولا ينطبق هذا فقط على أتباع الزعماء الكاريزميين المتدينين مثل أسامة بن لادن، وزعيم حركة حماس السابق الشيخ أحمد ياسين، بل ينطبق أيضًا على (المؤمنين الحقيقيين) في القضية العلمانية القومية الكردية، الذين يوالون عبدالله أوجلان بشكل مطلق، وكذلك نمور التاميل الذين يسعون لاستقلال التاميل بقيادة فيلوبيلاي برابهاكاران.

**تقويض الفردية**

يرتبط هذا المفهوم ارتباطًا وثيقًا بسلطة الحركات الكاريزمية المدمرة، وقد تناول الكثير من العلماء السيكولوجيا الاجتماعية للأفراد في الحياة الجماعية، والطريقة تعمل بها المعايير الجماعية لتسيطر على الأخلاق الفردية. تقترح نظريات تقويض الفردية حالة ذاتية من تقويض الفردية تسبب في تجاوز المعايير الاجتماعية العامة. زيمباردو الذي كان رائدًا في استخدام مصطلح (تقويض الفردية) deindividuation، فقد تباينت عنده الفردية والعقل، والنظام عن نقيضها تقويض الفردية والاندفاع والفوضى (زيمباردو، 1969). وشدد دينر على عدم وجود الذات حينما يكون الفرد جزءًا لا يتجزأ من المجموعة (دينر، 1980). أما كيف يسهم تأثير علم النفس الجماعي في السلوك المعادي للمجتمع، فقد قدم الباحثان بوستنز وسبيرز مساهمة قيمة في هذا المجال (بوستنز وسبيرز، 1998). وقد وجد تحليلهما لنظرية تقويض الفردية كشرح للسلوك الجماعي والمناقض للمعايير بأن الجماعات والأفراد يتطابقون أكثر مع المعايير الخاصة بحالات معينة حينما يتم (تقوض فرديتهم) لدعم نموذج الهوية الاجتماعية من تأثيرات تقويض الفردية. هذا التأكيد لأهمية الهوية الاجتماعية يتفق مع النتيجة التي تم التوصل إليها بتوافق

الآراء في بيان اللجنة المختصة بالجذور النفسية للإرهاب الذي ذكرناه سابقًا. (بوست، 2005b، ص. 7-12).

## نماذج فردية تفسيرية للإرهاب الانتحاري

كان هناك إجماع واضح بين خبراء في علم النفس الإرهابي في القمة الدولية حول الديموقراطية والإرهاب، والأمن؛ ذلك أن العوامل التفسيرية الأهم للإرهاب كانت تلك التي يمكن العثور عليها على المستوى الجماعي، لعدم وجود عوامل فردية تعريفية توضح كيف للمرء أن يصبح إرهابيًّا، ولعدم وجود عقلية إرهابية فريدة من نوعها. ومع ذلك، فقد تركنا السؤال المثير للقلق حول السبب في أن أعدادًا كبيرة من الناس يعيشون في بيئة مشتركة، ولا يصبح إرهابيين انتحاريين إلا العدد القليل منهم. من المهم التأكيد أن غالبية أعضاء اللجنة كانوا من الأطباء، وهم مستعدون لتقديم تفسيرات سيكولوجية فردية للعثور على التفسيرات النفسية الفردية، ولكن في هذا الاستعراض الرئيس لم نحدد ببساطة العوامل السيكوباثيولوجية الفردية التي تميّز كل واحد منهم؛ فهناك الاكتئاب الظرفي المهم، والخلفية المرتبطة بالصدمة لدى السكان الذي ظهر منه الانتحاريون كانت واضحة، لكننا لم نتمكن من تحديد العوامل التي تميز القطاع الواسع من السكان عن العدد الصغير من التفجيريين الانتحاريين.

مهاجم انتحاري قابله بيركو طالب بتجنيد (الشباب الحزانى). (بيركو، 2007، ص 7). وهذا يشير من الوهلة الأولى إلى أن الأفراد المكتئبين يجري البحث عنهم، ولكن طالما تتبع بيركو هذا الأمر؛ فقد كشفت المقابلة أن المقصود بـ (الشباب الحزانى) ليس الأفراد المكتئبين، ولكنهم كانوا من أولئك المهمشين اجتماعيًّا وليس لديهم أي وضع، لكنهم قد يحصلون على اعتراف بهم من خلال الموت، أولئك الذين تدنّى احترامهم لذواتهم. . . الرجال والنساء الذين لديهم صعوبة في العثور على أنفسهم. . . المرارة. . . من تهميشهم. . . الذين هم على استعداد لمحاولة بذل أي شيء يشعرهم أن لهم قيمة للفوز برضى المجتمع وأسرهم (هم في واقع الأمر، الخاسرون).

رافائيل إسرائيلي أكّد قضية تدني احترام الذات والعواقب الوخيمة التي تحول دون أن يصبح إرهابيًّا انتحاريًّا، حيث خلص الباحث رافائيل إلى أن هذا الفعل أعطاهم (الفرصة لتوسيع الأنا الخاصة بهم، والرفاقية المكتسبة حديثًا تحافظ على احترام الذات). (إسرائيلي، 2003). هذا المفهوم من (الأنا الموسعة) يتعلق -بطبيعة الحال- بعلم النفس الجماعي المرتبط بالعلاقة بين الزعيم الكارزمي وأتباعه الذي سبق أن تحدثنا عنه؛ لم يعد فشل الفرد معزولًا، اليوم يتم تحديده بما يتمتع به الشهيد من تقدير جماعي، وقد أفاد ميراري أن قرابة ثلث الشهداء الذين تم اعتراضهم، فُحصوا في إسرائيل، وأظهروا اكتئابًا في أثناء الحبس، لكنهم ربما أظهروا هذا الاكتئاب بسبب السجن أو فشلهم في تنفيذ العملية الاستشهادية.

أفادت سبيكهارد وزملاؤها أن جميع الانتحاريين الشيشان عانوا تجارب مؤلمة شديدة، حولت -بالطبع- حياتهم نحو التفجير الانتحاري، ولكن المعدل الأساسي من الصدمة مرتفع جدًّا بين الشيشان، بنسبة تضاهي ما هي عليه لدى من هم ليسوا مفجرين انتحاريين. فيكتوروف وزملاؤه وجدوا أن الاكتئاب كان مرتبطًا بشكل كبير بالدعم الذي قدَّمه الصبية من اللاجئين في غزة للإرهاب وهم في سن المراهقة، ولكن كما يعترف فيكتوروف، هناك فجوة كبيرة بين أن تدعم الإرهاب وأن تصبح انتحاريًّا إرهابيًّا، والأكثر من هذا أنه يبدو من المستحيل إجراء دراسات بحثية ذات شواهد صارخة، تقارن أولئك الذين لا ينفذون العمليات الإرهابية الانتحارية مع الذين يدعمون القضية ولكنهم لا ينفذون العمليات الاستشهادية. (فيكتوروف، 2005).

هناك تقارير غير مؤكدة أن السبب لكثير من الإرهابيين الانتحاريين، في انتقالهم من كونهم مؤيدين للقضية إلى المشاركة في القضية، كان وفاة صديق أو أخ في تنفيذ عمل إرهابي؛ فقد وجد سيغمان أن جميع الإرهابيين الانتحاريين تقريبًا كان لهم قريب أو صديق واحد على الأقل قتل أو أصيب، أو أساء الأعداء معاملته. (سيغمان، 2004). ويذكر بيركو أن الإرهابيين الانتحاريين في معظمهم ليست لديهم مشكلات اقتصادية، وأنهم لا يعانون اضطرابات عاطفية شديدة، على الرغم من أن العديد منهم كانت لديهم الأوهام من أسرهم ومجتمعهم فيما يتعلق بـ (الأبطال الشهداء). (سيغمان، 2004، ص 9).

إحدى الحكايات المثيرة للاهتمام التي كتبتها بيركو أن (الانتحاريين المحتملين يصفون الإحساس بأنهم صاعدون، وهو نوع من الإغواء عندما يصلون إلى قرار الاستشهاد، وهذا يعني أنك ستصبح من الشهداء). (سيغمان، 2004، ص. 10). سوف يعترف الأطباء ذوو الخبرة بهذا البيان أن ثمة شيئًا يشبه السلام والفرح الذي يتجلى عند الأفراد المكتئبين فعلًا، عندما يلزمون أنفسهم بقرار الانتحار، لكن يخطئون إذا ظنوا أن هذا سيعكس تحسُّنًا سريريًّا لهم، ومع ذلك كانت بيركو تصرُّ في مناقشاتها مع المؤلف الرئيس على أن استكشافاتها لأسر الانتحاريين وأصدقائهم أشارت إلى أنه لا توجد تغيرات في المزاج؛ فالاكتئاب ليس واضحًا، وأن أطفالهم / إخوتهم/ أصدقاءهم بدوا عاديين قبل تنفيذ العملية التي صدموا وفوجئوا فيها.

## الأسئلة الرئيسة وملاحظات ختامية

هذا الاستعراض للعوامل الاجتماعية والنفسية ذات الصلة بالإرهاب الانتحاري يتركنا نتصارع مع الأسئلة الصعبة؛ على سبيل المثال، واحدة من المعضلات الحالية أنه مع كل إرهابي يقتل أو يعتقل، هنالك عشرة على قائمة الانتظار في الطابور للتطوع.

نصرة حسن، وهي صحفية مسلمة باكستانية من الأمم المتحدة، أجرت مقابلات مكثفة مع مسؤولي الإرهاب ومع (القنابل البشرية) وعائلاتهم، وأفادت أن أحد قادة حماس قال لها: ((المشكلة الكبرى لدينا هي في جحافل الشباب الذين يطرقون أبوابنا، يطالبون بإرسالهم، فمن الصعب اختيار سوى عدد قليل؛ أولئك الذين نستبعدهم يكررون العودة مرارًا وتكرارًا، يشكلون مضايقه لنا، ويتوسلون أن نقبلهم)). (حسن، 2001). ما الذي يمكن عمله لتقليل التجنيد؟ كيف يمكننا مواجهة التعبئة والتطرف من الأعضاء المحتملين؟

إذا كان صحيحًا أن الأطفال يدخلون طريق الإرهاب والاستشهاد في وقت مبكر، فمع نهاية سن المراهقة يتعرضون لتأجيج روح الكراهية المريرة ومتطلبات الانتقام، وتمجيد قيمة الشهادة، ويستمر هذا في بعض الحالات، حتى يصبحوا في الخامسة عشرة من عمرهم؛ فالمواقف تتغير ببطء شديد، أما المواقف المطلقة فتبقى منيعة ويصعب تغييرها، والتدخلات يجب أن تحدث

قبل أن تتصلب تلك المواقف المطلقة؛ فكيف يمكن تعبئة الآباء والأمهات لمنع دخول أطفالهم في هذا الممر القاتل؟

الحزن واليأس ليسا دائمًا مسالك نفسية مرضية، لكن الأطباء النفسيين لديهم تاريخ طويل من العمل مع الناس الذين يعانون هذه المشاعر، فما الآثار المترتبة على انتشار التفجيرات الانتحارية لمنع أشكال التعبير العام عن الحزن بعد هذه التفجيرات؟ ما الآثار المترتبة على الاحتفال بهذه الوفيات؟ ماذا يحدث عندما يكون هناك قمع للتعبير العلني عن الشعور بالخسارة المؤلمة؟ ذكرت مقابلة نصرة حسن مع أم تحزن لفقد ابنها في عملية استشهادية، أنها لو كانت تعرف، لقطعت قلبها بالساطور وفتحته، لتحشو ابنها في الداخل، ثم تخيطه عليه لتحميه حسب قولها، ما يشير إلى الفجوة الكبرى بين متطلبات الجمهور للاحتفال بهذه العملية وبين الحزن الخاص الذي تعبر عنه الأم على سبيل المثال. (حسن، 2001، ص 41).

كما لاحظنا، هناك على الأقل ثلاثة محظورات ضد الانتحار في القرآن الكريم، وحتى الآن لم يتم التصدي لمنع المتطرفين الإرهابيين الانتحاريين من (العمليات الاستشهادية)؛ ما الذي يمكن عمله ليكون علماء الدين الإسلامي والمعلمون والقادة السياسيون معتدلين لمواجهة إعادة صياغة هذا التطرف؟ ما الخطوات التي يمكن اتخاذها لمساعدة بعض الدول ولا سيما المهددة بالتطرف على الاعتدال في أنظمتها التعليمية، وفتح مجتمعاتها؟

السؤال الأساسي هو: هل يمكن أن نمنع الإرهاب الانتحاري؟ ليس بالمعنى المطلق، ولكن بذل الجهود للحد من هذه الظاهرة هو بكل وضوح ذو أهمية قصوى، هذه الجهود يجب أن تستمد من فهم هذه الظاهرة؛ هناك تقارير مشجعة عن الآثار الإيجابية لاستخدام الإرهابيين السابقين للحد من تطرف المسلحين (كورلانتزيك، 2008)، وقد سجلت أندونيسيا -على وجه الخصوص- نجاحًا باهرًا في كسب قلوب المتشددين وعقولهم بإرسال أعضاء سابقين من الجماعة الإسلامية، (المنظمة الإرهابية الإسلامية الأندونيسية المسلحة الرئيسة)، إلى السجون الأندونيسية؛ لتبعد المتطرفين عن الإرهاب. في عام 2004، وضعت المملكة العربية السعودية برنامجًا مناهضًا للتطرف، وقدَّم أحكامًا مخفضة لمتشددين مسجونين خضعوا لجلسات الفصول الدراسية المكثفة، ووضعت مصر وسنغافورة وماليزيا والأردن برامج مماثلة أيضًا، ويعمل برنامج الاتصال

في بريطانيا العظمى مع الجماعات الإسلامية المحلية هناك؛ للمساعدة على الحد من تطرف المتشددين الإسلاميين المحتملين.

إذا افترضنا أن الإرهاب الانتحاري هو نتيجة تعقد المسار النفسي للشخص، فلا بد من وضع برامج لمنع الأفراد من دخول هذا الطريق في المقام الأول، وتسهيل الخروج منه، ويجب أن تتضمن عناصر هذا البرنامج التأكيدات التي أبلغت عنها المجموعة السيكولوجية/ الاجتماعية المذكورة أعلاه، لتشمل:

1. منع الإرهابيين المحتملين من الانضمام إلى المجموعة في المقام الأول.
2. إنتاج الشقاق في الجماعة.
3. تسهيل الخروج من الجماعة.
4. خفض الدعم للمجموعة ونزع الشرعية عن القيادات.*

هناك حاجة إلى مزيد من العمل، وجميع الأطراف سوف توافق على أن هذا العمل يجب أن يكون متعدد التخصصات؛ هناك قضايا مهمة تتعلق بالحقوق الاجتماعية والسياسية والبشرية التي يمكن للأطباء النفسيين أن يضيفوا إليها صوتهم، ومن الواضح أن هذه الدعوة إلى مبادرات سياسية كبرى تتجاوز حدود الطب النفسي التقليدي، لكن فهمنا للعمليات التي تقود الشباب إلى هذا المسار القاتل يمكن أن يسهم في تدخلات مركزة، ومن المساهمات التي يمكن أن يقدمها الأطباء النفسيون في المجتمعات التي تعاني ضغوطًا تتمثل في تحسين فرص الحصول على الخدمات النفسية، مثل الخدمات التي يقدمها برنامج الصحة المجتمعية في غزة، وهذا قد يقلل من معدلات الضوائق النفسية، ويزيد من انتشار الأمل، ويحد من جاذبية التدمير الذاتي باسم أيديولوجية متشددة.

إحدى الطرق لإعادة صياغة الإرهاب، استنادًا إلى هذه المنظورات المتنوعة، تتمثل في النظر إليه على أنه استجابة شاملة تنبثق من العديد من الصراعات والقرارات والخيارات؛ الإرهابيون قد يقولون في نهاية المطاف أنهم يواجهون حتمية بسيطة واحدة (على سبيل المثال،

* لتوسيع هذه العناصر في برنامج عمليات المعلومات راجع بوسط (2005A).

الرغبة في إلحاق الضرر والانتقام ضد ما يعدونه قوة محتلة)، ولكن للوصول إلى هذه النقطة يتطلب التفاوض على مختلف الأدوار والالتزامات الاجتماعية، فضلًا عن العديد من التفسيرات الممكنة لهذه الأدوار والالتزامات، وبعضها قد يكون صاخبًا (مثل ما إذا كان ابن صالح يريد أن يتخلى عن والديه بالموت، أو ما إذا كان ابن صالح ملزمًا بالانتقام من إهانة وجهت لوالديه،... إلخ).

وقبل أن ينخرط في الإرهاب، يجب على الإرهابي التنقل في التسلسل الهرمي لقيم التوتر، ويمكن أن يشمل هذا الانتقال الشعور بالفردية عكس الشعور بالانتماء لمجتمع؛ والسلطة المتصورة وصحة دينهم مقابل الإذلال المتصور لهذا الدين من قبل الآخرين، ومن أجل هذه المسألة، فالصراعات داخل هذا الدين؛ وطرق الحكم على الخطأ والصواب، وإثبات البراءة والشعور بالذنب، والمفاهيم الاجتماعية والسياسية المحددة لنا، مقابلها شعور شخصي بالفخر مقابل الإذلال، والرغبات الدنيوية مقابل السماوية، ويضع الفرد سلسلة من الخيارات استنادًا إلى هذه العوامل كلها، ومن ضمنها مسائل الهوية والانتماء، ما يؤدي في نهاية المطاف إلى ترك الخيار للفرد فيما إذا سيشارك في العمل الانتحاري أم لا، ثم يعاد رسم هذه الأعمال الإرهابية الانتحارية بوصفها حلًّا شاملًا (اعتداء على القيم الغربية، على الحرية والسياسات، وما إلى ذلك)، سواء من قبل الجناة ومن قبل أولئك الذين يستجيبون لمثل هذه الهجمات.

إن جزءًا لا يتجزأ من تطوير إرهابي انتحاري هو إجراء عملية توازن، وتفاوض، أو رفض هذه التوترات والقيم، والسبب في أهمية ذلك، هو الاعتراف بوجود أبعاد ثقافية واجتماعية وسياسية للاختيار في كل مرحلة من مراحل تطوير الانتحاري، فضلًا عن الخيارات النفسية الفردية؛ على سبيل المثال، يُحدَّد مدى التضحية بالنفس للمجتمع الواحد من خلال العلاقات الاجتماعية السياسية، والتاريخية، والفردية مع ذلك المجتمع، فضلًا عن البناء الاجتماعي والسياسي والتاريخي لذلك المجتمع.

ومن ثم، فإنه من التبسيط القول بأن إرهابيًّا يرفض -بسهولة- الهويةَ الفرديةَ من أجل المجتمع، أو مجرد قراءة كتاب الإسلام أو إساءة فهمه، وبدلًا من ذلك، إذا أراد المرء أن يفهم

كيف يصبح شخص إرهابيًّا انتحاريًّا، فإنه يضطر إلى دراسة هذه المسارات المختلفة، بدلًا من قبول العمل النهائي المدمر فقط.

النتيجة الفورية لهذا الإطار هي أن الجهود الرامية لمنع الإرهاب الانتحاري يجب أن توجه إلى جميع العوامل الضرورية ولكن غير الكافية التي تؤدي إلى الإرهاب الانتحاري، الإطار السياسي قد لا يفسر السبب الذي يدفع هذا الشخص للتضحية من أجل المجتمع، في حين شخص آخر ليس كذلك، والإطار الاجتماعي الثقافي قد لا يفسر السبب الذي يجعل أحدهم يقاوم، بينما لا يفكر الآخر القيام بذلك؛ فالإطار النفسي قد لا يكون قادرًا على تفسير المظالم الاقتصادية والتاريخية. إن فهم كيف تتم هذه الاختيارات (الطريقة التي تسرد بها وتفهم محليًّا) أمر ضروري كما هو فهم أسباب اختيار هذه الاختيارات (الولاءات المحلية، مفاهيم الاختيار، طريقة استخدام المنطق، دور المعلمين ورموز السلطة، وما إلى ذلك)، وهكذا، في حين أن النماذج الأنثروبولوجية والنفسية والسياسية والأخلاقية كلها قد يكون لديها ما تضيفه، لكن لا يمكن أن يعمل نموذجًا بمفرده، ويبدو أن التعاون بين التخصصات له ما يبرره، بل هو مطلوب.

وبالنظر إلى العدد المتزايد من الأفراد الضعفاء في المجتمعات المهاجرة والشتات، فإن التدخلات التي تحترم الاختلافات الثقافية في الوقت الذي تساعد فيه على دمج اللاجئين بالمجتمع المضيف سيكون أمرًا مهمًّا؛ فالتدخلات المجتمعية التي تهدف إلى تعزيز المستوى المجتمعي والفردي، والتغيرات التي من شأنها أن تدعم إدماج اللاجئين والشتات من الشباب في الثقافة السياسية للديموقراطيات الليبرالية الغربية يمكن أن تقلل بشكل كبير من تدفق المهاجرين المسلمين المغتربين إلى الجهاد السلفي عالميًّا.

## المراجع

## REFERENCES

Abdul–Khaliq, & Abdur–Rahman, S. (2004). The Scientific Basis of the Salafi Da'wah. New Delhi, India: Millat Book Center.

Abou El Fadl, K. (2005). Islam and the theology of power. Islam For Today. Retrieved on September 10, 2005, from Islam for Today Web site: www.islamfortoday.com/elfadl01.htm.

Abualrub, J. (2002). Holy wars, crusades, jihad. Columbia, MD: Madinah Publishers.

Al–Jazeera TV. (2001). In Osama bin Laden's own words: October 17, 2001. Retrieved December 2007 from September 11 News Web site: http://www.september11news.com/OsamaSpeeches.htm

Ali, M. M. (translator) (2000). A statement and clarification of al–Salafiyyah: Concepts and principles, by Shaykh 'Abd al–'Aziz ibn 'Abd Allah ibn Baz. Suffolk: UK: Jam'iat Ihyaa' Minhaaj al–Sunnah.

Bandura, A. (1990). Mechanisms of Moral Disengagement. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, states of mind (pp. 161–191). New York: Cambridge University Press.

Berko, A. (2007). The path to paradise: The inner world of suicide bombers and their dispatchers. London: Praeger.

Bloom, M. (2005). Dying to kill: The allure of suicide terror. New York: Columbia University Press.

Crenshaw, M. (1981). The causes of terrorism. Comparative Politics, 13(4), 379–399.

Diener, E. (1980). Deindividuation: The absence of self–awareness and self–regulation in group members. In P. B. Paulus (Ed.), The psychology of group influence (pp. 209–242). Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

Durkheim, E. (1951). Suicide: A study in sociology. Glencoe, 111: The Free Press. Translation by J. Spaulding & G. Simpson.

Erlanger, E. (2007, March 12). Years of strife and lost hope scar young Palestin– ians. New York Times, http://www.nytimes.com/2007/03/12/ world/middlee–ast/12intifada.html 144 JERROLD M. POST ET AL.

Hafez, M. (2006). Manufacturing human bombs: The making of Palestinian sui– cide bombers. Washington, DC: United States Institute of Peace.

Hassan, N. (2001). An arsenal of believers: Talking to the 'human bombs'.

The New Yorker, 77(36), 36–41.

Haykel, B. (2005). Salafi Thought and Contemporary Islamic Politics. A paper pre– sented to a United States Government conference.

Hoffman, B. (1998). Inside terrorism. New York: Columbia University Press.

Horgan, J. (2005). The psychology of terrorism. London: Cass Publications.

Israeli, R. (2003). Islamikaze: Manifestations of Islamic martryotogy.

Portland, OR: Frank Kass Publishers.

Jacobson, P. (2001, August 19). Home–Grown Martyrs of the West Bank Reap Deadly Harvest. Sunday Telegraph, 20, as cited in Stern, J. (2003). Terror in the name of God: Why religious militants kill. New York: HarperCollins.

Janis, I. (1972). Victims of group think: A psychological study of foreignpoli– cy decisions and fiascos. Boston: Houghton–Mifflin. "Jordan jihad theoretician Al–Maqdisi views disagreement with Al–Zarqawi," Al Hay at website, London, in Arabic, July 10, 2005.

Kelley, J. (2001). The secret world of suicide bombers. Devotion, desire drive youths to 'martyrdom' Palestinians in pursuit of paradise turn their own bodies into weapons. USA Today, June 26, 2001, A01.

Keniston, K. (1972). Youth and dissent: The rise of a new opposition (pp. 3–69). New York: Harcourt.

Kurlantzick, J. (2008, January 6). Fighting terrorism with terrorists. Los Angeles Times, http://articles.latimes.com/2008/jan/06/opinion/op–kurlantzick6 La–queur, W., & Alexander, Y. (1987). The terrorism reader: The essential source book on political violence both past and present. New York: Meridian.

Magid, I. M. (2006). Personal communication to Farhana Ali, Spring 2006.

McCauley, C., & Segal, M. (1987). Social Psychology of Terrorist Groups.

In C. Hendrick (Ed.), Group processes and intergroup relations, Vol. 9 of Annual review of social and personality psychology. Beverly Hills, CA: SAGE.

Merari, A. (2005). Social, organizational and psychological factors in suicide ter–rorism. In T. Bjorgo (Ed.), Root causes of terrorism: myths, reality and ways for–ward (pp. 70–86). New York: Routledge.

Moghaddam, F. (2005). Psychological processes and "the staircase to terrorism." American Psychologist, 60(9), 1039–1041.

Pedazhur, A. (2005). Root causes of suicide terrorism: The globalization of mar–tyrdom. New York: Routledge.

THE PSYCHOLOGY OF SUICIDE TERRORISM 145 Post, J. (1986). Narcissism and the charismatic leader–follower relationship.

Political Psychology, 7(4), 675– 688.

Post, J. (2000). Murder in a political context: Profile of an Abu Nidal Terrorist. Bul–letin of the Academy of Psychiatry and the Law (Spring, 2000).

Post, J. (2004). Leaders and their followers in a dangerous world: The psychology of political behavior. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Post, J. (2005a). Psychological operations and counter–terrorism. Joint Force Quarterly, 37, 105–110.

Post, J. (2005b). Psychological roots of terrorism. Addressing the Causes of Ter–rorism, Vol. 1, The Club de Madrid Series on Democracy and Terrorism. Madrid, Spain: Club de Madrid.

Post, J. (2005c, August). When hatred is bred in the bone: The psychocultural foundations of contemporary terrorism. Political Psychology, 26(4), 615–636.

Poole, S. (2006). Unspeak: How words become weapons, how weapons become a message, and how that message becomes reality. London: Little Brown.

Post, J. (2007). The mind of the terrorist: The psychology of terrorism from the IRA to alQaeda. New York: Palgrave MacMillan.

Post, J., Sprinzak, E., & Denny, L. (2003). The terrorists in their own words: Inter–views with 35 incarcerated Middle Eastern terrorists.

Terrorism and Political Violence, 15(1), 171–184.

Postmes, T., & Spears, R. (1998). Deindividuation and anti–normative behavior: A meta–analysis. Psychological Bulletin, 123(3), 238–259.

Ross, L., & Nisbett, R. (1991). The person and the situation: Factors of social psy–chology. New York: McGraw Hill.

Sageman, M. (2004). Understanding terror networks. Philadelphia, PA: University of Pennsylvanian Press.

Schmid, A. (1983). Political terrorism: A research guide to concepts, theories, data bases and literature. New Brunswick, NJ: Transaction Books.

Shermer, M. (2006, January). Murdercide: Science unravels the myth of suicide bombers. Scientific American, p. 33.

Silke, A. (2003). Terrorists, victims and society: Psychological perspectives on ter–rorism and its consequences. West Sussex, England: Wiley Blackwell.

Smetana, J., Campione–Barr, N., & Metzger, A. (2006). Adolescent development in interpersonal and societal contexts. Annual Review of Psychology, 57, 255–284.

Steinberg, L., & Sheffield Morris, A. (2001). Adolescent development.

Annual Review of Psychology, 52, 83–110.

United Nations. (2004). A more secure world: Our shared responsibility.

Report of the Highlevel Panel on Threats, Challenges and Change.

146 JERROLD M. POST ET AL.

Retrieved January 2008, from United Nations: Official Site Web site: http://www.un.org/secureworloVreport2.pdf

United States Department of Justice. (2001). Terrorism 2000/2001.

Retrieved January 2008, from Federal Bureau of Investigation: Official Site. http://www.fbi.gov/publications/terror/terror2000_2001.htm

Venzke, B., & Ibrahim, A. (2003). The al–Qaeda threat: An analytical guide to al–Qaeda's tactics and targets. Alexandria, VA: Tempest Publishers.

Victoroff, J. (2005). The "mind of the terrorist": a review and critique of psycho–logical approaches. Journal of Conflict Resolution, 49(1), 3–42.

Volkan, V. (1988). The need to have enemies and allies: From clinical practice to international relationships. London: Jason Aronson.

Zayat, M. (2004). The road to Al Qaeda: The story of bin Laden's righthand man. London: Pluto Press.

Zimbardo, P. (1969). The human choice: Individuation, reason, and order vs. deindividuation, impulse and chaos. In W. J. Arnold and D. Levine (Eds.), Nebra ka Symposium on Motivation (pp. 237–307). Lincoln, NE: University of Nebras–ka Press.

العبيكان للاستثمار
Obeikan Investment Group

إحدى شركات

العبيكان للنشر
Obeikan Publishing

# أحدث الإصدارات

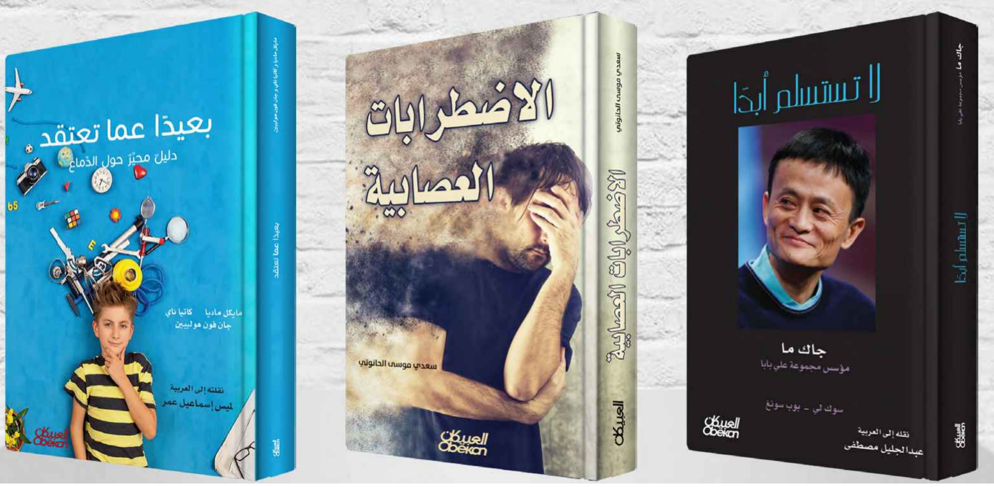


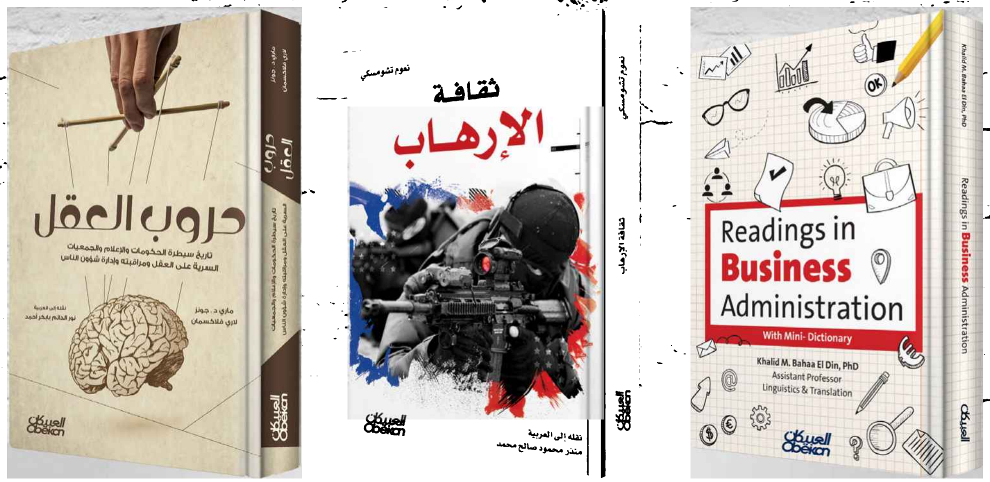


Follow Us
obeikn reader
obeikanstores
obeikanpub

متجرنا على
وادي wadi

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

كتبنا الصوتية
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

# 8

# الاستشهاد في الفكر الجهادي المتشدد بصفته قصير الأجل

آن سبيكهارد

## الإسعافات النفسية الأولية للصدمة والخسارة

الإرهاب ــ الذي هو عنف سياسي ويستهدف المدنيين- ظاهرة تعتمد على التفاعل بين أربعة أشياء:

1. مجموعة ذات أجندة سياسية تدعي أنها تمثل الأهداف السياسية لبعض شرائح المجتمع.
2. أيديولوجيا تستخدمها المجموعة لتبرير استخدامها للعنف ضد المدنيين.
3. الأفراد الضعفاء الذين يرددون صدى الجماعة وفكرتها بما يكفي للانضمام إلى أعمال الإرهاب والموفقة عليها.
4. بعض مستوى الدعم الاجتماعي الموجود للمجموعة، وأيديولوجيتها، وتصرفاتها العنيفة، وأعضائها. (سبيكهارد، 2012).

الأيديولوجيا الجهادية المتشددة - التي تستخدمها القاعدة والعديد من المجموعات التابعة لها - تُعزِّز لتنفيذ أعمال العنف من قبل الأفراد والجماعات الإرهابية، وتتكون من أعضاء مسلمين ضد الأعداء المعلنين؛ الحكومات الصليبية الغربية ومواطنوها، وكذلك مواطنو بلدانهم الذين ينظر إليهم نظرة على أنهم يحظون بدعم من الحكومات الغربية.

في حين يقتنع بعضهم بالأيديولوجيا الجهادية المتشددة، ويدافعون عنها عن طريق الحجج الدينية والمنطق الخطأ (الذي يقبل في التصريحات الدينية غير الصحيحة كما لو أنها

بديهيات؛ ومنطق الهجمات إرهابية ضد المدنيين بُني على هذا الأساس)، معظم الذين ينضمون إلى الجهاد المسلح يفعلون ذلك لأسباب أخرى غير منطقية، وكثير منهم يحملون السلاح على أسس عاطفية. بالنسبة إلى أولئك الذين انضموا إلى الجماعات الإرهابية بشكل فعلي، وسنوا الإرهاب الانتحاري على وجه الخصوص، تشكل الثغرات الفردية -عمومًا- الأساس الذي تستند إليه هذه الأيديولوجية التي تجد لها موطئ قدم في عقولهم ونفوسهم، وتقنع في نهاية المطاف الفرد بأن يكون على استعداد للتضحية بحياته لإنهاء حياة الآخرين. هذا الفصل يشرح كيف أنه في مناطق النزاع بشكل خاص، وفي غير مناطق النزاع أيضًا توجد نقاط ضعف نفسية عميقة بين المسلمين أو من اعتنقوا الإسلام، والأيديولوجية الجهادية المتشددة قادرة على تقديم مساعدات سيكولوجية أولية على المدى القصير، مع مراعاة الاحتياجات النفسية للشخص الذي يتبعها، وهي تقدم فقط علاجًا على المدى القصير؛ لأنه غالبًا ما ينتهي بموت الشخص الذي تبناها.

## الفكر الجهادي المتشدد

يدعي المتشددون الجهاديون أنهم يمثلون الإسلام الصحيح، وهم بذلك يختطفون المعتقدات الإسلامية السائدة من خلال دمج العديد من الكتب المقدسة، والمعتقدات، والتقاليد في النسيج الخاص بها.

في الواقع نحن اليوم نرى أن العديد من الشباب المسلمين، وبخاصة أولئك الذين ينشؤون في مناطق الصراع، أو المتأثرون بها، يتربون على مجموعة من المعتقدات المشتركة مع الجهاديين المتشددين، وهذه المعتقدات تغرس خلال التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة المبكرة، وأحد أخطر المنظرين بالكتابة نيابة عن الأيديولوجية الجهادية المتشددة، هو السوري الذي كتب أن القاعدة يجب أن تعمل بجد لنشر أيديولوجيتها على نطاق واسع؛ للحصول على مجموعة كبيرة من الأتباع في الجيل القادم الذي يمكن أن ينهض في نهاية المطاف، وربما حتى يتولى تنظيم نفسه بنفسه في خلايا لامركزية إذا لزم الأمر لتنفيذ هجمات خاصة بهم. (ليا 2008، باز، 2005A). وقد جاء أمله في بعض النواحي بشكل جزئي؛ فبشكل تدريجي كان هناك -على مر السنين- زيادة في قبول العديد من مبادئ الجهاد المسلح بين المؤمنين الإسلاميين؛ على سبيل

المثال، التفجير الانتحاري الذي يمقته في البداية معظم المسلمين، اليوم في كثير من الأحيان بات مقبولًا بوصفه وسيلة للدفاع الشرعي عن أولئك الفلسطينيين، خاصة الذين يعيشون تحت الاحتلال، ويمجده الكثيرون الذين لا يعدون الإرهاب (استشهادًا) إسلاميًّا، وبالمثل، مشاركة المرأة في الجهاد المسلح هي أيضًا مقبولة اليوم على نطاق أوسع، على الرغم من أنها في بعض الدوائر لا تزال تُقاوَم، كما أن استخدام سلاح من أسلحة الدمار الشامل (WMD) الذي كان في البداية مرفوضًا من قبل الجهاديين المسلحين، بات على نحو متزايد مقبولًا. (باز، 2005b).

فالعملية التي يأتي بها الأفراد لقبول الأيديولوجيا الجهادية المتشددة، والمضي قدمًا في شرعنة الإرهاب -أي التحرك على طول المسار الإرهابي- هي عملية متعددة الأوجه والسياقات طالما أن هناك أناسًا في هذا العالم، ومع ذلك يمكن للمرء أن يرى أن الحالات التحفيزية للمشاركة في الأعمال الإرهابية تختلف وفقًا لأولئك الذين يعيشون في مناطق النزاع وغير مناطق النزاع. (سبيكهارد، 2012).

## داخل مناطق الصراع

تعلمت من بحثي الذي أجريت من خلاله مقابلات مع متشددين وإرهابيين داخل مناطق الصراع، أن الذين ينضمون إلى الجماعات الإرهابية الجهادية المتشددة، ويتبنون الأيديولوجية الاستشهادية للمضي قدمًا في تنفيذ الهجوم الإرهابي الانتحاري، أنهم يقومون بذلك بدوافع الخسارة المؤلمة والفجيعة، وفقدان الموارد والأراضي ومن الغضب والرغبة في الانتقام، والرغبة في التعبير عن الغضب الفردي والجماعي، ومن التطلعات المحبطة؛ في الواقع أولئك الذين يتعرضون لصراع عنيف من الأشخاص وخاصة الشباب، غالبًا ما تتطور لديهم أعراض اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) وظواهر الفصام. (سبيكهارد، 2005، 2006، 2012؛ & سبيكهارد أخميدوفا، 2005b، 2006).

## اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)

الأفراد الذين يعانون اضطرابات ما بعد الصدمة عادة يواجهون أفكارًا دخيلة متكررة، أو استرجاع تجارب مؤلمة خضعوا لها، وهذه المعاناة المتواصلة من استعادة ذكريات ما بعد الصدمة المؤلمة هي التي تدفع الجسم للدخول في حالة من اليقظة المفرطة؛ ذلك أن الأفراد المصابين باضطراب ما بعد الصدمة PTSD غالبًا ما يعانون اضطرابات في النوم، وعدم القدرة على التركيز، وتسارع معدل ضربات القلب، وأحاسيس من الذعر، جنبًا إلى جنب مع العديد من الأعراض الأخرى التي تعوق بشدة الأداء النفسي العادي.

عمومًا، الأشخاص الذين يعانون اضطرابات ما بعد الصدمة يحاولون تجنب المثيرات التي تسبب استرجاع الذكريات، ويحاولون إغلاق الاجترار المستمر للتجربة المؤلمة لهم، وكسب الوقت للتعامل بعيدًا عنها؛ على أمل استعادة الحياة الطبيعية بإخضاع خبراتهم المؤلمة إلى منظور معين، لكن نادرًا ما يمكن تجنب مثيرات الصدمة في منطقة النزاع، ويمكن أن يعاد مكابدة ما بعد الصدمة، وعند تذكيرهم بما بعد الصدمة يقومون باسترجاع ذكريات الماضي، ويشعرون مرة أخرى بالإرهاب كما لو أنه حدث لتوه. في هذه الحالة، قد يشعر الفرد أنه أسير اجترار آلام الماضي، ويصبح غير قادر على الفصل بدقة ما بين الماضي والحاضر، فالتجربة لديه تصبح مختلطة حتى في استرجاع ذكريات الصدمة، ويمكن أن يسبب هذا الخلط للفرد التوجه إلى الضباب الفصامي؛ حيث إنه لا يستطيع التفكير بوضوح، ويشعر بالارتباك، كما يمكن للمرء أن يخرج فقط من استذكار ما بعد الصدمة فقط عند الدخول في الحالات الفصامية، حيث يميت الفرد نفسه، وبهذا يصبح مخدرًا عاطفيًّا ومنفصلًا عن الواقع.

## الانفصام الناتج عن الصدمة

الانفصام هو الفصل بين أفكار الشخص وذكرياته ومشاعره، والإجراءات، أو إحساسه بهويته. لدى الناس الأصحاء، يحدث الانفصام الطبيعي على طول الطيف، ويمكن أن يشمل تجارب مثل أحلام اليقظة وفقدان الوعي لمدة من الوقت في أثناء القيادة (كما في الحالة

الشبيهة بالنوم في أثناء القيادة على الطريق السريع)، التخبط في العمل أو الاستغراق في قراءة كتاب أو مشاهدة فيلم، وكلها تنطوي على فقدان اتصال الوعي بالمحيط لمدة قصيرة من الزمن.

الانفصام ما قبل الصدمة هو أيضًا ظاهرة طبيعية تحدث عند الأشخاص الأصحاء في أثناء الحدث الأليم أو بعد وقوعه بمدة وجيزة، وفي هذه الحالات قد يصبح المرء منقطعًا عن العواطف، أو الأفكار، أو الوظائف المعرفية الأخرى، وهذا أمر شائع جدًّا يأتي استجابة إلى التعرض للصدمة، لكنه يُحَل لدى معظم الناس خلال مدة قصيرة من الزمن؛ على سبيل المثال، خلال حادث سيارة، أو اعتداء شخصي أو كارثة طبيعية، كثير من الناس يفيدون بشعورهم أن الزمن يتباطأ، ثم يستعيدون سلسلة من ذكريات ما حدث لهم، إلى أن يتمكنوا من تجميع القطع المجزَّأة من شظايا الذاكرة، ويسردوا ما حدث لهم تحت الظروف المرعبة؛ حدوث الانفصام قبل الصدمة قد يكون مؤشرًا لبداية اضطراب ما بعد الصدمة PTSD.

الأشخاص الذين يعانون حالات رعب متكررة لمدة طويلة بعد حادث مؤلم قد لا يستطيعون دمج تجربتهم المرعبة في الوعي بشكل كامل، وتبقى ذكرياتهم منفصلة عن الإدراك الواعي المستمر العادي، إلا عندما يتم تحريض تذكيرهم بها؛ على سبيل المثال، الشخص الذي شهد موتًا عنيفًا، والذي لا يستطيع أن يدمج التجربة المروعة في وعيه العادي، قد يستمر بحالة جيدة إلى أبعد من الحكاية المؤلمة ليخضع إلى سلسلة من استعادة الذكريات، والاجتناب، وفرط الإثارة، أو استجابات جسدية مذعورة للمحفزات ومذكرات الصدمة الأصلية.

ومن ثم قد يصبح أسير حلقة من الاختلال، يتجنب فيها محفزات تذكيره بالصدمة المؤلمة وذكريات الماضي جنبًا إلى جنب مع عقل / جسم مستثار للغاية، لدرجة أن تصبح وظائفه العادية ضعيفة، وهذا هو جوهر اضطراب ما بعد الصدمة.

من خلال المقابلات التي أجريتها، وجدت أن الانفصام واضطراب ما بعد الصدمة هو مكون فاعل لخليط إرهابي، من حيث تحديد الضعف الفردي في الاستجابة لنداء الأيديولوجية الجهادية المتشددة للمجندين المحتملين، الذين يعيشون داخل مناطق النزاع؛ فالكم الهائل من الألم النفسي، إضافة إلى المقدرة على انفصال المرء عن عواطفه- وتقليص التركيز على مهمة

في متناول اليد والذهاب في خدر عاطفي، تبدو أنها متطلبات مسبقة للانتحار بشكل عام، وعلى قدرة الأفراد على العمل بوصفهم مهاجمين انتحاريين. (سبيكهارد وأخميدوفا، 2005A، 2006 سبيكهارد، 2005، 2006، 2012). سيتم الشرح بصورة أكثر لذلك في أقسام أخرى.

محمد Moh، فلسطيني من غزة؛ من الذين عانوا كثيرًا الصدمات الاجتماعية والعائلية، أعرب عن حالة اضطراب ما بعد الصدمة وعن الخدر النفسي بهذه الطريقة: ((أشعر وكأنني ليس لدي مشاعر، كأن قلبي يريد أن يصرخ، يصيح، يقاتل ويبكي، لكن جسدي على نحو ما يمنعه من ذلك، لكن ليس عن قصد)). في هذه الحالة، كان موح يائسًا من الخلاص من الألم النفسي الذي يعانيه، وجاهزًا تمامًا لكل من يستطيع أن يقدم له مهربًا منه - ربما حتى لو انطوى ذلك على انتحار، مع أنه هرب أخيرًا من غزة (سبيكهارد، 2012). إن القتل أو إصابة أحد الأحباء، والتعذيب، والسجن جميعها من الضغوطات المؤلمة التي تحدث في مناطق النزاع، والتي يمكن أن تعمل على حث الفرد للبحث عن مجموعة إرهابية مسلحة جهادية لعلاج المعاناة النفسية.

## الألم النفسي والصدمة والانفصام والتفجير الانتحاري

أدوين شنيدمان (1993) Edwin Shneidman؛ أحد أبرز علماء الانتحار في العالم، أظهر أنه يمكن التنبؤ بالسلوك الانتحاري على أساس مفهوم أسماه الألم النفسي، وقد عرفه بأنه ألم أو أذى نفسي لا يطاق. أولئك الذين يعانون ارهاصات الألم النفسي كانوا الأكثر عرضة للانتحار؛ يرى شنيدمان (1995) أن الانتحار وسيلة لوقف وعي المرء وإغلاق هذا الألم النفسي الذي لا يطاق.

بروس بونغر (2004) Bruce Bonger الذي درس الانتحار العادي، في بحثه عن كثير من الناس الذين يسجلون انتحارهم بشكل صوتي، أو من خلال شريط فيديو عرف الكثير عن حالتهم النفسية في اللحظات الأخيرة من خلال مراجعة هذه التسجيلات، التي وضعوا على إثرها حدًّا لحياتهم. في كل حالة تقريبًا اكتشف أن الشخص الانتحاري أصبح عمومًا مفصومًا عاطفيًّا وفي حالة من الهدوء الغريب، وذهب في حالة (فصامية) أو خدر عاطفي، كلما أقترب أكثر من لحظة الانتحار.

عندما يعبِّر المرء عن ألم نفسي كبير، من المنطقي أنه في مرحلة ما عندما يصبح ألمًا شديدًا، فإنه قد يتطلب استجابة (إغلاق)، وإذا لم يكن هناك وسيلة أخرى لإغلاقه سوى الانتحار - على الأقل في تصور الفرد- فربما تكون هناك حاجة إلى الدفاع الفصامي لكي ينخرط من أجل تنفيذ الانتحار.

في الواقع، يمكن للمرء أن يسأل دون القدرة على تخدير العواطف: كيف يمكن لشخص آخر التغلب على غريزة البقاء على قيد الحياة العادية من أجل ركلة كرسي، وسحب الزناد، أو في حالة وجود انتحاري، سحب الشريط الذي سيفجر فيه نفسه جنبًا إلى جنب مع جميع ضحاياه؟ دون الانفصام، فكرة الإقدام على إنهاء الحياة قد تكون رهيبة ما إن نفكر بها؛ شيء لا يمكن أن يحدث.

ويبدو أنه ليس فقط الدفاع الانفصالي فاعل، وإنما بالنسبة إلى بعضهم، هناك أيضًا شعور بالنشوة أو التمكين الذي ينطلق عند التفكير في الانتحار، وهناك علامة تحذير واحدة، أن الشخص الانتحاري هو شخص خطير في العادة، يمكن أن يستعيد حياته العادية في أي لحظة إذا ارتفعت عنه الكآبة فجأة، وظهر أنه شخص خفيف الظل، ولم يعد مثقلًا بالألم النفسي الكبير. في الواقع عندما يكون على أهبة الاستعداد وجاهزًا للخروج من هذه الحياة، قد يشعر في النهاية بنشوة عابرة؛ هذا الشعور بالنشوة قد يكون أيضًا دفاعًا عصبيًا أوتوماتيكيًّا إلى حد ما - ربما استجابة تخديرية على فزع التفكير وحتى على التخطيط الانتحاري النشط - خاصة إذا وقع ذلك بطريقة عنيفة. في مقابلي وبحوثي عن الانتحاريين الحقيقيين والمحتملين، وجدت هذه العلامات نفسها للسلوك الانتحاري موجودة أيضًا لدى الإرهابيين الانتحاريين. (Speckhard, 2005, 2006, 2012; Speckhard & Akhmedova, 2005a, 2005b).

## الانفصام، الشعور بالتمكين، والشعور بالنشوة لدى الانتحاريين الافتراضيين

بدءًا بالافتراضي، أنا (مع ثلاثة من طلابي) نفذنا (تجربة فكرية) مدروسة مع طلاب عاديين من جنسيات مختلفة في الجامعة الأوروبية؛ طلبنا منهم تخيل أنفسهم في مكان انتحاري فلسطيني فشل في الوصول إلى هدفه بعد أن كان يحمل قنبلة في ثيابه وتم القبض عليه قبل

التفجير، وما إن جرى استعدادهم للعب هذا الدور حتى طُلب من هؤلاء الطلاب، من بين أمور أخرى أن يتذكروا بأنهم يرتدون حزامًا ناسفًا، وما شعورهم وهم يرتدونه ويذهبون إلى هدفهم. بشكل مثير للدهشة، الطلاب الذين تصوروا أنفسهم في لعب دور من يرتدي الحزام الناسف أظهروا علامات الانتحار بما في ذلك علامات الانفصام، والنشوة، وخفة وجودهم؛ على سبيل المثال، طالبة شابة قالت وهي لا تزال تلعب الدور:

> لم يكن لدي أي خوف- [لقد واجهت] أكثر من الهدوء. . . . رحلة ارتداء حزام كانت مثل حلم، وأنا طفت جنبًا إلى جنب؛ أنا تفاعلت مع الناس ولكن كان رأيي ليس هناك؛ لم أكن فاقدة للوعي تمامًا، ولكنه كان مشهدًا صامتًا، ومبلد الحواس؛ شيء يشعر بالبهجة، كل شيء بدا سهلًا.
> وعندما سئلت عما كانت عليه عند إلقاء القبض عليها أجابت الطالبة: (مثل من استيقظ من الحلم). (سبيكهارد، جاكوش، وفانرومبيه، 2012) (Speckhard, Jacuch, & Vanrompay, 2012).

أكثر من النصف خلال تأديتهم لأدورهم دخلوا في حالة (فصامية) عند النقطة التي طلبوا منهم (أن يتذكروا) حالتهم حين كانوا يرتدون الحزام الناسف؛ وصفوا كيف جعلت منهم قنبلة أشخاص لا يقهرون، وكيف شعروا كما لو كانوا يعومون، أو أنهم أصبحوا خارج أجسادهم، لمجرد أن ربطت قنبلة عليه؛ وصف بعضهم النشوة التي أحسُّوا بها، ووصف آخرون الخدر العاطفي. (سبيكهارد وآخرون، 2012).

كان مدهشًا أن تجد طلابًا عاديين ليس لديهم معرفة بالتفجيرات الانتحارية، بعضهم لم يكن يعرف حتى أين تقع إسرائيل، أن يصفوا بعد تجربة لهم في الخيال الانفصام نفسه والآثار الفصامية نفسها التي يعانيها المهاجمون الحقيقيون، فتطفو نفوسهم خارج أجسادهم، ويشعرون بالخدر العاطفي، بالبهجة أو القوة بتمامها. ويؤكدون أنه إذا كانت هذه استجابة معارض يصل إليها حتى في لعب الدور مع طلاب طبيعيين، ونحن، بوصفنا بشرًا، يجب أن يكون لدينا شيء من الآلية الداخلية للفصل عن أنفسنا ومشاعرنا؛ لنكون قادرين على قتل أنفسنا، فلا بد من أن يكون الانفصام في الانتحار فطريًّا. (سبيكهارد وآخرون، 2012) (Speckhard et al., 2012).

## الانفصام والنشوة في محاولة تفجيرية انتحارية فاشلة

شهادة المفجرين الذين فشلت عملياتهم الانتحارية حملت هذا التأثير كذلك؛ أميّة دماج التي قابلتها (مع يورام شفايتسر) في سجن إسرائيلي، تذكرت كيف أنها شعرت بالبهجة وهي تنتظر لمدة 55 يومًا قبل أن يتم تهيئتها في مهمة انتحارية: (شعرت أنني أطير فوق الأرض). وطفح وجهها بالغبطة وهي تقول لي: ((شعرت أنني مجرد روح، كما لو كنت ألعب؛ شعرت بالسعادة؛ شعرت كأن هنالك شيئًا يركض أمامي - إنه قدري)). وكلما واصلت التذكر والدخول في هذه الحالة النفسية البيولوجية التي شهدتها في وقت سابق حين كانت تنتظر دورها في تنفيذ المهمة، كانت تقهقه مع شعور بالدوار كما لو أنها كانت في حالة ثملة؛ عندما سألتها عما إذا كانت تتزعزع طوال الوقت آنذاك، أشارت أمية،: ((لا أنا لم أتردد أبدًا؛ لم أرغب أبدًا في تغيير رأيي)). وبالفعل كلما أوغلت أمية أعمق في استدعاء ذلك الوقت، وتذكرت تلك النشوة التي شعرت بها بعد ذلك، اعترفت أنها شعرت بالسمو، على الرغم من أنها قد ادعت أنها لم تستخدم أي مواد للوصول لمثل هذه الحالة النفسية في ذلك الوقت. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

## الانفصام والنشوة لدى التفجيريين الانتحاريين

النتائج نفسها حملتها المقابلات التي أجريت مع الإرهابيين الحقيقيين؛ على سبيل المثال، في حالة الانتحارية (دارينا أبو عائشة) التي قابلت أفراد أسرتها، علمت من زميلي يورام شفايتسر أن مرسلها واسمه ناصر حين قابلته في السجن، قال لشفايتزر إن دارين كانت هادئة جدًا وسعيدة، رغم أنها كانت تستعد لتنفيذ مهمتها، ويشير أن دارين دخلت نفسيًا الحالة الفصامية، فكانت تبدو منفصلة عاطفيًا عن الرعب الذي كانت على وشك أن تنفذه، وربما كانت مبتهجة. (.Y شفايتزر، والاتصالات الشخصية، 2 نوفمبر 2007) (Y. Schweitzer, personal communication, November 02, 2007).

في غزة، أرملة تيسير العجرمي الذي فجر نفسه في عملية إرهابية، عندما سئلت كيف تصرف زوجها في الليلة التي سبقت تنفيذ العملية، قالت: (عند الساعة 09:00، مساء تقريبًا، بدأ ينظر في الناس، في وجوههم؛ في وجوه أطفاله، في وجه والدته، وفي وجهي). وأضافت: (تذكر

ابن عمه أيضًا حالته الفصامية قائلًا: كنت تشعر أنه قريب منك، لكن عقله ليس معك). (ويبدو أيضًا أن تيسير دخل حالة النشوة التي غالبًا ما يدعي الانتحاريون أنهم يدخلون بها عادة قبل الذهاب إلى تنفيذ مهامهم. وقالت زوجته لي:

> قبل يوم واحد، جاء من العمل إلى المنزل، وأدار شريطًا إسلاميًّا، ورقص مع الأطفال. وفي اليوم الذي غادر به قال له والده: (يبدو أنك سعيد جدًّا!)، وأخبر تيسير شقيقه: (أوصيك بزوجتي وأطفالي). ثم أضاف: (سيفقدون شيئًا واحدًا فقط، أنا أريد تفجير نفسي). وهذا ما يأخذ كل اهتمامي.

ابن عم تيسير أيضًا تذكر أنه في شريط الفيديو الخاص بـ(الشهيد)، (أنه كان سعيدًا جدًّا، كما لو كان في يوم زفافه أو قبل الذهاب في عطلة، وقال: (زوجتي العزيزة، أنا فقط أريد منك أن تكوني سعيدة، من فضلك لا تحزني علي). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

## الانفصام لدى متطوعين للقيام بمهام انتحارية

عندما قابلت الزعيم الفلسطيني لشهداء الأقصى اللواء زكريا الزبيدي في جنين في عام 2005، خلال الانتفاضة الثانية، حول العديد من الانتحاريين الذين أرسلهم في مهام انتحارية، فقدم لي تعليقات تنم عن رؤية ثاقبة حول انفصام الصدمة traumatic dissociation بين هؤلاء السكان أيضًا، مشيرًا: (إنهم مختلفون تمامًا عنا نحن المقاتلي؛ لديهم قرار واحد فقط، أما نحن فلدينا العديد من الخيارات. [للمقاتل] التفكير في الهروب متاح دائمًا، أفكار [المقاتل] دائمًا عدائية؛ نذهب ونطلق النار). لكنه أوضح، خلافًا للقتال، فالرد الذي شوهد لدى المقاتلين الذي قرروا أن يصبحوا (شهداء) هم بالفعل في العديد من الطرق قتلى في عقولهم. الزبيدي أوضح (بالنسبة إلى الشهيد الخلايا كلها في ذهنه قد لقيت حتفها فيما عدا واحدة). وعندما سئل عما إذا كان الناس الذين يتطوعون للقيام بمهام انتحارية شهدوا الكثير من الموت، أو تعرضوا لصدمة أو لاضطراب ما بعد الصدمة، أجاب الزبيدي: (هم يستذكرون الماضي طوال الوقت، وهم يرون أن الموت رحمة لهم). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

## الميت الحي والشعور بقصر الأجل في أوساط انتحاريين محتملين

في الواقع لقد سمعت تعليقات مأساوية حول (الميت الحي) من العديد من الفلسطينيين خلال الانتفاضة الثانية الذين أرهقهم الصراع، والحزن، وحالات فرط الإثارة اليومية واضطراب ما بعد الصدمة؛ فغالبًا ما تنطوي اضطرابات ما بعد الصدمة على شعور بمستقبل قصير، لدرجة أن المتألم لا يتوقع أن يعيش حياة طويلة، أو تنفيذ وظائف حياتية طبيعية مثل الانتهاء من المدرسة، والزواج، أو إنجاب الأطفال. هذا ما وجدته في المقابلات التي أجريتها مع أفراد مصابين بصدمات نفسية من الشيشان والعراق وكشمير، وفلسطين، وغيرها من مناطق الصراع؛ حيث كانوا غارقين في ألم نفسي رهيب، ولم يروا الكثير من المستقبل؛ شعروا بموت عاطفي، وكانوا يستخدمون الانفصام (الانفصال عن الواقع) بفاعلية بوصفه وسيلة دفاعية. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

لأولئك الذين يشعرون بالفعل أنهم موتى والذين لا يرون مستقبلا جيدًا أمامهم، تقدم لهم الأيديولوجية الجهادية المتشددة الانتحار في شكله المتألق؛ الاستشهاد الإسلامي، وهذا العرض في تركهم لحالتهم المؤلمة لما بعد الصدمة وحالتهم الفصامية حيث لا يشعر المرء أنه حيّ بمعنى الكلمة، تأتي المجموعة الإرهابية لتقدم له نقيض ذلك تمامًا؛ فالعيش في الجنة مع كل ما يحمله الشهداء من مكافآت الاستشهاد، التي تشمل الحياة المليئة بالمسرات، والإشباع الجنسي، والسلام، كما لا بد ألا يشعر المرء بالذنب تجاه من تركهم وراءه، وعائلته؛ لأنهم أيضًا سيُمنحون الجنة بحكم ما قام به أقاربهم من أعمال استشهادية. في حالة الإرهاب الانتحاري، كل ما يتطلب الأمر هو ارتداء حزام ناسف، وضغطة على زر، لكي ينتقل من هذا العالم إلى عالم آخر. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

لذلك، نرى قوة الأيديولوجية الجهادية المتشددة التي يمكنها أن تنقل شخصًا من حالة (الميت الحي) ومن حالة الألم العاطفي الشديد، ومن استعادة الذكريات الدائمة، وإثارة ما بعد الصدمة، والكوابيس المرعبة، وعدم القدرة على التركيز، وذنب الناجي الوحيد الذي فقد رفاقه، والشعور بمستقبل قصير من خلال تقديم مستقبل متخيل لهم في الآخرة، وهذا الطريق يمكن أن يسلكونه جزئيًا على الأقل، وهم مسؤولون عن القدر الذي يشعر به الناس الموجودون في

منطقة الصراع، لا أن يكونوا بيادق لا حول لهم ولا قوة. فهْم هذا المستقبل يعطي شعورًا عميقا من الهدوء، وربما النشوة حتى اللحظة التي يضغطون بها على الزر أو يسحبون الحبل، إذا كانوا يعتقدون أنهم يخرجون من هذا البؤس ويدخلون في عالم الأبدية، وبعملهم هذا هم يُعبِّرون أيضًا عن سخط جماعي، وفي حال بقي هناك ما يكفي من الدعم الاجتماعي ليتَّخذوا هذا القرار ويصبحوا (شهداء)، عندئذ يمكنهم أيضًا أن يتوقعوا الاحتفاء بهم وتمجيدهم، وتذكرهم من قبل عائلاتهم ومجتمعهم. (سبيكهارد، 2006، 2012) (Speckhard, 2006, 2012).

## الانفصام لدى مرسل الانتحاريين

الزبيدي؛ المرسل الفلسطيني للإرهابيين الانتحاريين ذكر في وقت سابق، أشار أيضًا في حديثه معي، أنه يعاني شخصيًّا حالة فصامية بعمق، والانتحارية بعينها في لحظة معينة من الأزمة عندما قرر أن يموت بدلًا من أن يعتقل ثانية ويعود إلى السجون الإسرائيلية؛ كان الزبيدي يشارك في العديد من الاشتباكات المسلحة مع الإسرائيليين، ولكنه وجد ذات مرة نفسه محاصرًا من قبل الجنود الإسرائيليين، وظن أنه أصبح في ورطة لا يستطيع الخروج منها، أشار إلى أنه في البداية قرر الخروج من مخبئه، وإطلاق النار على أكبر عدد ممكن من الأعداء؛ لأنه يعرف أنه سيموت بعد ذلك، قال إن قرار استشهاده بهذه الطريقة أدخله في نشوة فصامية عميقة، مكَّنته من فتح الباب والسير في اتجاه موته المؤكد، لكن وقتها أدرك أنه بخروجه من الباب يمكن أن يقاتل ويهرب. (يمكنك أن تقول عن هذه [حالة فصامية] حدثت في مرحلتين)، وأوضح الزبيدي، كانت عيناه السوداوان تومضان:

> هي مرحلة يمكن أن تصل إليها؛ كانت المرحلة الأولى عندما كنت بداخل الغرفة؛ ألقيت نظرة من النافذة، قررت أنني أريد أن أموت، ولكن عندما لقَّمت سلاحي وقفزت، قررت أن لا أموت؛ شعرت شعور المرء الذي يريد أن يستشهد عندما قفزت، لكن تغير الحال ما إن فتحت الباب؛ في ومضة واحدة تغيرت مشاعري من طالب شهادة إلى لاعن لها. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012)

## التصدي لحالات الفصام مع الغضب

من المثير للاهتمام بالنسبة إلي أن الزبيدي- مثل آخرين كثيرين قابلتهم- واجه حالته الفصامية بالغضب، فضلًا عن أنه ميَّز بين استجابته الانفصامية التي كانت مؤقتة وسرعان ما انتقلت من نشوة الانفصام المجمدة لشخص مصدوم إلى حالة قتال وهروب؛ استجابة للعقل الذي لا يزال يعمل لدى المفجرين الانتحاريين الذين وصفهم باستمرار بأنهم في حالة من (الموت النفسي) الانفصامي الذي يسهم في تطوعهم للخروج من هذا العالم. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

امرأة شابة أخرى قابلتها في فلسطين؛ ابنة زعيم إرهابي أمضى معظم حياته في السجن، أوضحت لي أنها غالبًا ما تواجه حالات فصامية كانت تفقدها وظائفها العقلية، وأوضحت حدوث الحالة على الشكل الآتي: (عندما أفقد شخصًا ما، أو عندما يتم القبض على شخص يصاب أو يقتل، أصل إلى حالة لا أستطيع التركيز فيها على أي شيء؛ أشعر بالضياع أيضًا). وعندما سئلت كيف تسترد نفسها، قالت إنها تواجه هذه الحالة؛ فالفصامية وفرط الإثارة هي صدمات شائعة لدى المصابين بالصدمات؛ فقدان التركيز وفقدان الذات. وعن الغضب قالت: (الغضب يدفعني إلى أكثر من ذلك؛ إنه يعطيني الأمل). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

## الانفصام لدى الإرهابيين منفذي الاغتيالات

عندما سألت حمدي القرعان؛ الفلسطيني قاتل وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي أن يخبرني عن الوقت الذي سبق مهمته، أشار لي: (كنت أعرف قبل شهرين بأنني سوف أفعل ذلك). وأصبحت عينا حمدي غير مركزتين عندما عاد بذاكرته إلى تلك المدة الزمنية التي تدرب عليها وبات كل شيء جاهزًا: (ذهبت مرتين إلى الفندق، نمت هناك، وألفت المكان). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

عندما سألته عن مشاعره خلال تلك المدة، قال: (الإحساس بالانتقام جعلني لا أشعر بأي شيء؛ كنت أركز حقًّا على النجاح، وبأي حال من الأحوال ألا أفشل). ذكرتني تصريحاته بالتجربة الفكرية البلجيكية- ظننت وقتها كما لو أنهم يصفون أنفسهم وهم ينفذون مهمة

انتحارية، فانحصر تركيزهم على تنفيذ المهمة والانتقام- العواطف الأخرى كلها انفصمت عن الوعي. حمدي بدوره أيضًا عنده ماضيه الصادم؛ فقد شهد الكثير من العنف، وفقد الكثير من أحبائه في الصراعات خلال الانتفاضتين الفلسطينيتين. (سبيكهارد، 2012) ,Speckhard) .(2012

حتى إذا كان إرسال أحد العناصر ليفجر نفسه فورًا، أو ليقاتل ويقتل في مهمة قد تكون انتحارية، يبدو أن الجماعات الإرهابية تعلم كيفية التعرف على أولئك الذين لم يعد غضبهم يمكِّنهم من البقاء في الحاضر، وما يعانونه من آلام نفسية كبيرة، أصبحت الحياة عبئًا على (الميت الحي). هؤلاء الأشخاص على استعداد للانتحار، لكن ربما لا يقوم هؤلاء بتنفيذ الانتحار الطبيعي؛ فهذا حرام في ثقافتهم وفي دينهم، ومع ذلك عندما تُسوَّق لهم فكرة استشهاد بوصفها نوعًا من الإسعاف النفسي السريع، تجد جماعات من المجندين على استعداد للتجارة في حياة مؤلمة مشوهة، ويغتنمون الفرصة بتفجير أنفسهم وقتل ضحاياهم من أجل العبور بنجاح إلى النعيم الذي طال انتظاره في الجنة، بالنسبة إلى بعضهم تقديم السلاح هو من أجل القتال والمخاطرة بالموت وتصبح شهيدًا.

## اضطراب ما بعد الصدمة، الصدمة الثكل، والرغبة بلم الشمل

الفاجعة الصادمة هي أيضًا المؤشر الخطير على ضعف التجنيد في الجهاد المسلح لتنفيذ مهمات استشهادية؛ الحزن العادي ينطوي على حالة من الإنكار، والمساومة، واليأس الذي يتطلب فيه فعل الحزن أن يتخلى الفرد في نهاية المطاف عن الماضي، ويقيم صداقات جديدة لتحل محل تلك التي كان يشغلها سابقًا المتوفى؛ ففي المدى القصير، من الطبيعي تمامًا لشخص يحس بالفجيعة أن يعبر عن رغبته بالموت، من أجل الانضمام مرة أخرى إلى أحد أفراد أسرته المتوفى.

غالبًا ما تكون حالة الحزن معقدة جدًا في حالة الصدمة المفرطة، وتنعدم حين يظهر اضطراب ما بعد الصدمة، وما ينبغي أن يكون حزنًا عاديًا يدخل في حلقة من الألم النفسي الشديد والاستثارة الجسدية العارمة؛ حيث يكابد الموت ثانية على نحو صادم عند استعادة الذكريات والكوابيس، والأفكار الدخيلة وغيرها، وما يرافق ذلك محاولات الإغلاق على هذه

الأشياء كلها في محاولة لتجنبها، وأحيانًا هناك فقدان الذاكرة بعد الصدمة لأجزاء من حدث الموت، كل هذا يعيق عملية الحزن العادي، ويجعل من الصعب الانطلاق مرة أخرى وإقامة صداقات جديدة.

عرين أحمد؛ مفجرة انتحارية فلسطينية فشلت في تنفيذ مهمتها وإلزا غازوييفا؛ مفجرة انتحارية شيشانية نجحت في مهمتها، كلتاهما تطوعتا ومضيتا في مهامهما بعد مدة وجيزة من الموت العنيف لأعزاء عليهما (على يد الإسرائيليين في حالة عرين، وعلى يد القوات الاتحادية الروسية في حالة إلزا). في كلتا الحالتين، تغيرت المرأتان بسرعة نتيجة الفجيعة (الصدمة)، تبنتا لباس الجماعات المتعصبة ومواقفها، وكلتاهما ذهبتا إلى المتطرفين، وتوسلتا أن تكونا مجهزتين للقيام بمهمة انتحارية للانتقام من أولئك الذين قتلوا أفرادًا من أسرتيهما. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).* في حالة إلزا سُحب زوجها وشقيقها من قبل القوات الاتحادية الروسية من المنزل، وتعرضا للضرب أمام عينيها، وعُثر على جثثها تحمل علامات التعذيب على أجسادها، وباتت إلزا في غضون ثلاثة أشهر مجهزة للقيام بالتفجير الانتحاري؛ حيث توجهت إلى الرجل العسكري المسؤول عن قتل أحبائها وفقدهم، وفجرت نفسها به وقتلته أيضًا. أما في حالة عرين، فأصبحت فجأة متطرفة في ملابسها ومعتقداتها؛ ذهبت إلى جماعة إرهابية تتوسل للحصول على قنبلة ردًا على وفاة خطيبها، فرحبت الجماعة الإرهابية بحالتها الداخلية من الفجيعة (الصدمة)، وأرسلتها في مهمة بالوقت المناسب بعد أسبوعين فقط.

إذا كانت إلزا قد أصيبت بالصدمة، إلا أنها لم تتعرض لأيديولوجية المجموعات التي تمجد أخذ حياة المرء الخاصة من أجل قتل الآخرين، وقد كانوا مستعدين وجاهزين لتجهيزها، وكانت من قبل غير مستعدة أبدًا لتنفيذ أي عمل انتحاري. وبدلًا من ذلك، ربما ظلت تتفجع وتجاهد لتشق طريقها من خلال توتر ما بعد الصدمة والفجيعة الصادمة لموت زوجها وشقيقها، وربما تصبح امرأة مدمرة نفسيًا، لكن في نهاية المطاف، من المرجح أن تدخل تعديلًا قابلًا للحياة على حزنها كما يفعل معظم الناجين من الحرب دون أن يصبحوا متطرفين. عرين أحمد أيضًا ما

* هناك بعض الخلاف حول ما إذا كان صديق عرين قد قتل بالفعل بصاروخ إسرائيلي، أو فجر نفسه بعبوة ناسفة في سيارته، ولكن تنسب عرين وفاته لإطلاق صاروخ إسرائيلي.

كان لها أن تقترب من الهجوم الانتحاري* لو لم يكن هناك جماعة إرهابية جاهزة مع الأيديولوجية التي تناسب حزنها والمدربين لتجهيزها، والذين كانوا على استعداد للاستفادة من حالة الفجيعة الصدمة عندها. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012). لذلك، نرى أنه يجب أن تكون جميع العناصر (الإسعافات الأولية) حتى يتم العمل، يجب أن تكون هناك مجموعة لتجهيز الشخص الضعيف الهش، بالأيديولوجية التي تناسبه أو تناسب آلامه، وتقدم له قدرًا من الدعم الاجتماعي لقبول أيديولوجية الجماعة بالوسائل والأهداف العنيفة.

## اضطراب ما بعد الصدمة، والسجن، والتعذيب

في مناطق النزاع، وخصوصًا عندما يكثر الإرهاب، غالبًا ما يلجأ الطرف الآخر إلى إلقاء القبض على المعتقلين لأسباب أمنية، والحبس لأعداد كبيرة من المتآمرين المحتملين والحقيقيين. وإذا اشتبه بوقوع هجمات وشيكة، فقد يتعرض بعض هؤلاء المعتقلين للتعذيب، ومع أن هذا قد يحبط الإرهاب على المدى القصير، لكنه يوفر أرضًا خصبة لكي تتجذر الأيديولوجيا الجهادية المتشددة؛ فالسجون في كثير من الأحيان تكون مراكز تجنيد وتلقين للجماعات الإرهابية التي دخلت المستشفى، وتعرضت لسوء المعاملة أو التعذيب هي في حد ذاتها نوع من الضغوط المؤلمة التي قد تسهم في دفع الأفراد لزيادة قابليتهم للجهاد المسلح. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

على سبيل المثال، عندما قال لي الزعيم الفلسطيني الزبيدي إنه يفضل أن يقتل، ومن ثم أن يكون شهيدًا بإطلاق النار على أكبر عدد ممكن من الإسرائيليين قبل أن يقتلوه بالرصاص، أو يعود إلى السجن، كان يلاحظ عليه الرعب الذي يكابده كما لو أنه حيوان وضع في قفص. ووصف ذلك على النحو الآتي: (الذهاب إلى السجن مثل الذهاب إلى قطعة من الجحيم. السجن وإن كان مجرد قفص، مع عدم وجود التعذيب، لكنه يخطف منك كل ما أنجزته. في لحظة واحدة كل شيء يختفي؛ فأنت دائمًا تتذكر الحياة في الخارج. . . وتبدأ بالهلوسة). ويتذكر أنه عندما يحاصره

* عرين أحمد حين لبست الحزام الناسف تراجعت عن مهمتها في آخر لحظة.

الإسرائيليون كان يفضل الموت على أن يعاد القبض عليه، ويستعيد الذكريات وأهوال السجن المرعبة: ([في تلك اللحظة] شريط الذكريات يعاد تشغيله مرة أخرى يستذكر السجن ومآسيه وكلها. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

بعد العديد من المقابلات مع الفلسطينيين الذين سجنوا في شبابهم، أو حتى في وقت لاحق في العشرينات من العمر، ومقابلات أيضًا مع الشيشان عن التعذيب والاعتقال لبعض أفراد أسرته، بدأت أفهم كيف أن الاعتقال والسجن هو مصدر ضغوط صادمة بالنسبة إلى الكثيرين. إن العجز الكامل، واليأس، والتوتر الناتج عن السجن، وخاصة إذا ترك التعذيب هؤلاء الأفراد يصابون بصدمات نفسية مع العديد من الأعراض الخطيرة لتوتر ما بعد الصدمة، هم في حاجة إلى المساعدة لتهدئتهم من الصدمة النفسية بعد الإفراج عنهم، لكن في كثير من الأحيان لا تجد أحدًا يمكن أن يساعدهم، وحتى الآباء والأمهات في كثير من الأحيان لا يستطيعون حماية أولادهم القصر في حالات كهذه، وفي كثير من الأحيان، يصاب الوالدان بالصدمة أيضًا لدى اعتقال أبنائهم المفاجئ، ولا يوجد لديهم إمكانية المساعدة النفسية لأبنائهم، وهذا يترك أولئك الذين تم سجنهم تحت رحمة الجماعات الإرهابية التي يمكن أن تقدم لهم أيدولوجية الاستشهاد؛ للدخول في حالة من النشوة هادئة، وتقوم بتجهيزهم بوسيلة من وسائل الانتقام. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

الفلسطيني حامد، وتحدث معي عن سجنه في إسرائيل رهن الاعتقال الإداري، وقال عن هذا الاعتقال (شيك مفتوح) فلا توجد إدانة أو قرار حكم؛ فشروطه في السجن امتدت أمامه دون نهاية واضحة في الأفق، وعندما أفرج عنه كان يعيش في خوف دائم من إعادة اعتقاله، وعن حالته قال لي: شعرت أن لا حياة لي على الإطلاق. كانت صدمته كبيرة في السجن وكنت أخشى أنه سيكون من السهل على أي فريق الاستفادة من خوفه المستمر من التعرض للسجن مرة أخرى، والشعور بأن حياته بالفعل نوع من (الموت الحي)، وقال إنه يمكن بسهولة التلاعب بحالته من قبل الإرهابيين لدفعه للتخلي عن حياته ليصبح (شهيدًا). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

قال لي والدا الفلسطيني نضال أبو شادوف، وهو انتحاري، إن ابنهما تطوع للقيام بمهمة انتحارية بعدما (استشهد) العديد من أصدقائه؛ البصمات العنيفة التي أدخلت ما يكفي من

اليأس إلى قلبه تريد أن تخطف منه حياته الخاصة، ووصفا لي أيضًا تجارب إسماعيل؛ شقيق نضال، الذي كان قد سجن بعد ذلك، وحدثنا عما حدث معه في السجن وسبب له اضطراب ما بعد الصدمة:

> مع إسماعيل [شقيق نضال أثناء وجوده في السجن]، جاء الإسرائيليون إليه بقطع من جثته لوضعه تحت ضغط الاعتراف، إضافة إلى تهديداتهم بتدمير منزله!. . . هم في الواقع، دمروا منزل والده، وتعذيبهم له كان بمستويات عالية؛ كانوا يضغطون على الأسرى بالأساليب النفسية؛ على سبيل المثال، يأخذون لك صورًا عند دخولك لأول مرة في السجن، وصورًا أخرى لك بعد شهر من دخولك، بعد أن تصبح في شكل بائس بعد شهر من التعذيب، ويجعلونك تشاهدها؛ إنها نوع من التعذيب النفسي. يريدون السجناء [أثناء الاستجواب] أن يروا فقط المحقق، وأن يستمعوا فقط إلى الموسيقى الصاخبة بحيث تشعر أنك وحيد في هذا العالم، وبالطبع يجلبون لك الأخبار الوهمية عن والديك. (لقد مات أبوك)، أو (توفي أخوك).

بالطبع الابن الذي يخرج من السجن بعد أن يتعرض لهذه الأنواع من التعذيب من غير المرجح أن يكون في حالة من الهدوء النفسي، وربما يجد عزاءه في البحث عن حياة أخرى بعد أن يرحل من هذه، ولو بوفاة عنيفة تهدف إلى إيذاء الآخرين. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

## اضطراب ما بعد الصدمة، فرط الإثارة، وأيديولوجيا الاستشهاد

مع اضطراب ما بعد الصدمة، يعاني المتألم عمومًا تكرر الأفكار، والمشاعر، وحالات من التذكر الكامل، لدرجة أنه يشعر كثيرًا كما لو أن ذاكرته فيلم سينمائي يتكرر تشغيله ويعيد الحادث الصادم، وحالات جسدية ترتبط بالخوف وعدم القدرة على التركيز، والعصبية، والتعرق، وتسارع دقات القلب، والتنفس الضحل، إلخ، وهذه الأخيرة تدعى فرط الإثارة. الإرهابي الهارب، الزبيدي وصف حالة فرط الإثارة عنده في الليل حينما كان يعتقد ان شبحًا مسلحًا يحلق فوق رأسه باحثًا عنه، محاولاً أن ينفذ عملية اغتيال بحقه، فقال: (الشخص في الليل يصاب بالجنون، ومنزعج، ويشعر باليقظة دائمًا). ويضيف الزبيدي متذكرًا: (كان ذلك يحدث لي يوميًا). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

بعض الناجين من الصدمات يجدون في القلق الذي لحق بهم جرّاء فرط الإثارة أنه مؤلم من الناحية الفيزيولوجية، حتى إنهم يجدون في الموت (رحمة) لهم كما أشار الزبيدي، لذلك يتطوعون في مهمات الاستشهاد. (سبيكهارد، 2012). وبينما الانتحار البسيط ممنوع، وفقًا للجهاديين المتشددين، فإن الاستشهاد ليس كذلك؛ المجموعة التي يمكن أن تسلح شخصًا لضرب العدو، والقيام بالانتقام، وتضع نهاية مشرفة للألم الذي يعانيه الشخص معبِّرًا بذلك عن غضبه ومُسببًا ألمًا للطرف الآخر، مع الوعد بالعبور مباشرة إلى الجنة، يعد عملًا قويًا بالفعل، وهذا يوفر حكاية قصيرة الأجل لكنها قوية لمن يعاني ألمًا نفسيًّا لمرحلة ما بعد الصدمة، وإثارة مفرطة مما بعد الصدمة. (سبيكهارد، 2012؛ & سبيكهارد أخميدوفا، 2005A) (Speckhard, 2012; Speckhard & Akhmedova, 2005a).

## اضطراب ما بعد الصدمة والتعصب المتزايد والتماهي مع المعتدي

في الشيشان، في بحثي المرتبط بالزميلة خابطة أخميدوفا، وجدت أن من بين تلك الحالات التي تمت دراستها، أنه كلما زادت صدماتهم النفسية من الصراع، من المرجح أن يصبحوا أكثر تعصبًا وتطرفًا في معتقداتهم، ووجدت استجابة مماثلة لدى الكثيرين ممن قابلتهم، ووجدنا الشيء نفسه في عملنا المشترك في الشيشان. (أخميدوفا 2003؛ سبيكهارد، 2012؛ & سبيكهارد أخميدوفا، 2005b، 2005A، 2006) (Akhmedova, 2003; Speckhard, 2012; Speckhard & Akhmedova, 2005a, 2005b, 2006).

من الطبيعي أن يلجأ الأفراد الذين يواجهون ظروفًا تهدد حياتهم إلى الدين للحصول على إجابات، وعندما تكون الأمور فوضوية ربما ينجذبون إلى وجهات نظر أكثر أصولية تقدم لهم أمانهم وكيانهم. وهكذا، عندما يكون الخطر مرتفعًا كما هي الحال في مناطق النزاع، يجد الجهاد المسلح موطئ قدم مثاليًا له.

فتاة فلسطينية شابة وصفت لي ردها عندما كانت حياتها مهددة بأنها لجأت إلى الابتعاد عن الثقافة الحديثة، وأنها اكتشفت راحتها في اللجوء إلى ثوابت الدين:

منذ الانتفاضة (الثانية)، وأنا أعلم أنني يمكن أن أقتل في أي وقت. قبل أن أبدأ، عندما كنت في المدرسة الثانوية أردت أن أكون فتاة سبايس؛ صديقاتي كلهن قررن أي واحدة تكون، وأنا كنت الطفلة سبايس؛ أردت أن أكون عصرية وارتدي الحجاب في بلدي فقط بعد المدرسة، ثم عندما بدأت الانتفاضة، كنت في حافلة صغيرة مع مجموعة من الفتيات عندما أطلقت أعيرة نارية في اتجاهنا، حيث كانت الحافلة لا تتحرك بسرعة، واحدة منا قتلت بالرصاص. في تلك اللحظة، أصبحت خائفة جدًّا من الموت! 4

واستمرت في شرح كيف أنها بعد هذه التجربة لم تعد تتحمل التفكير بالموت دون أن ترتدي حجابها، خوفًا من عدم اتباع تقاليد عقيدتها في لحظة وفاتها، وأن يؤثر في روحها في الحياة الأخرى. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

الضحايا في مناطق النزاع في كثير من الأحيان لا يمكنهم مواجهة عجزهم ومواجهة العنف العشوائي والفوضوي، خصوصًا إذا وقع عليهم الإيذاء في مرحلة الطفولة، فربما يتمثلون قوة المعتدي، ويفضلون تذكر مشاعر كيف تكون السلطة والكراهية مقابل مشاعر العجز والألم؛ هذا الاندماج يمكن أن يتمخض عنه إعادة سن أفعال المعتدي عندما تثار لديهم ذكريات الألم والعجز، ولكي يتجنب إعادة تجربة الألم العاطفي الشديد، سوف يختار الضحية أن يضع نفسه في موقف معاكس، ويعتدي على غيره من الضحايا الجدد. هذه الظاهرة تفسر السبب الذي يتحول فيه الأطفال الناجون المعتدى عليهم إلى أشخاص عدوانيين عندما يكبرون، والسبب الذي يتكرر فيه العنف مرات ومرات، ويقوم بتنفيذه في الغالب الضحايا الذين ينبغي التعاطف معهم لكنهم غير قادرين على مواجهة ضعفهم، والسبب الذي يختارون فيه ضحايا العنف في مناطق الصراع أن يصبحوا أنفسهم عنيفين.

وجدنا هذا في إحدى المقابلات مع امرأة اسمها ليلى في الشيشان، حيث روت: (أنا لن أذهب لقتل المدنيين غير المذنبين في أي شيء، لكن بعد أن توفي شقيقي، أصبحت لدي أفكار بأن أفجر نفسي في نقطة تفتيش برجال الجيش). هذا في حد ذاته بحث عن سلوك الانتقام، لكن حينما كانت تمضي في شرح ما حدث لها مؤخرًا، كان واضحًا أنها لم تعد قادرة على تحمل مشاعر الإيذاء والعجز الذي تعانيه. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

ليلى وجدت نفسها في الحافلة تتجه من غروزني إلى إنغوشيا المجاورة، حيث كان عليها تخطي العديد من نقاط التفتيش، وفي هذا التخطي لم تكن قادرة على كتم مشاعر الغضب لديها ضد الجنود الروس. إثر الصدمة العميقة على فقدان شقيقها والصراع المجتمعي الواسع، كانت تجد صعوبة متزايدة في الاستمرار في مواجهة الإذلال اليومي والمخاطر، وأن تقف موقفًا سلبيًا.

(في آخر نقطة تفتيش، توقفت حافلتنا من قبل رجال الخدمة الروس)، تتذكر المرأة المشهد وكان صوتها يغلبه الغضب، وأضافت: (طلبوا منا جميعًا مغادرة الحافلة، وإظهار جوازات سفرنا؛ فنزلنا وبدأ الجنود مع كلابهم يفتشون الحافلة). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

هذا الحاجز يعرفه الشيشان، وكانوا يخافون منه؛ لأن هذا الحاجز في ذلك الوقت كان فيه (حفر) يُلقى فيها الشيشانيون لأيام عدة، وتنتهي حكايتهم عادة على نحو سيئ.

كانت تغلي من الغضب الذي بداخلها، ومع إخراج جميع الركاب من الحافلة، إلى جانب الرعب من معرفة أي واحد منهم سيساق إلى الحفرة ويتعرض للتعذيب، وربما في نهاية المطاف إلى القتل، أشتعل فتيل القنبلة الموقوتة بداخلها. مثل أي شخص يواجه خطرًا ساحقًا يهدد حياته، كانت ليلى أمام ثلاثة خيارات غريزية: القتال، أو الهرب، أو أن تتجمد في مكانها، ومن دون حتى أن تفكر أبعد من ذلك، حسمت أمرها، واختارت قتال المعتدين. (سبيكهارد، 2012).

(بعد التدقيق بجواز سفري تحركت جانبًا، وانتظرت حتى ينتهي التدقيق)، ثم تذكرت: (رأيت في مكان قريب جنديين يحتسيان البيرة، وقد وضعا سلاحهما بالقرب منهما، لا أعرف كيف فعلتها، في تلك اللحظة لم تكن هناك أي أفكار في رأسي). وتتذكر أيضًا: (اقتربت منها، واختطفت بندقية، ووجهتها إلى هذين الجنديين قائلة لهما: ارفعا أيديكما إلى أعلى!). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

إن ما يصفه هذا الموضوع هو لحظة فصامية شديدة تغلب فيها غضب ما بعد الصدمة، وهذه الحالة شائعة لدى الناجين من الصدمات الكبرى، ويحدث عندما تستثار مشاعر الخوف، والغضب، أو المشاعر القوية الأخرى بمجرد التذكير بالصدمات الماضية، حيث تتغير بقوة حالة وعيهم المعتادة ليواجهوا حالة الفزع، وتُحوَّل إلى غضب بارد لكي يستطيعوا التعامل معها. في

هذه اللحظات من الغضب، قد يشعر الفرد بلا شيء، يتوقف عقله عن التفكير، ويشعر أنه خارج جسمه، أو يفشل في استعادة الذكريات. هذا الموضوع يصف عدم وجود أي أفكار دفعت بها لهذا التصرف؛ فقد تصرفت بشكل عفوي، فاختارت الموقف الدفاعي الذي غاب عنه الوعي؛ كونه دفاعًا اضطراريًّا عن مشاعرها المستهلكة من الخوف والشعور بالعجز. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

(أصبحت وجوههم شاحبة، بيضاء بالمطلق؛ فالخوف بدا في عيونهم!). وتذكرت لحظة وجيزة من إحساسها بالقوة: ( لا أتذكر كم من الوقت احتجزتهم تحت تهديد السلاح). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012). (ركضت إحدى النساء من الحافلة فورًا، وأخذت البندقية مني بعيدًا، ووضعتها مرة أخرى في مكانها، وأدخلتني في الحافلة بسرعة، ثم جميع الناس في الحافلة صرخوا في وجهي قائلين: إنني لست سوية ولست طبيعية وما إلى ذلك؛ كانوا خائفين جدًّا . . . لكنني لم أشعر بأي شيء). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012)

في هذه الحالة، نحن أمام شخص يعاني صدمة شديدة ناتجة عن تهديد كبير، لدرجة تعطلت عندها الوظائف الإدراكية العادية، وبدأ دماغها يتصرف من تلقاء نفسه في حالته المتغيرة وكيف سينفذها، فاختار الحالة العدوانية. استغرق الأمر بعض الوقت حتى عادت إلى حالتها الطبيعية. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

على الرغم من أنها دعت إلى الله من أجل أن يمنعها من القيام بأعمال العنف، إلا أنها عندما استثيرت بشدة حالة اضطراب ما بعد الصدمة لديها، قالت: إنها كانت في حالة تشبه النشوة، واستسلمت لفعل ما حدث لها مرات عدة، وهذه المرة كانت هي في موقف القوي. من المثير للاهتمام، أن ردة فعلها كانت غير إرادية، ولا يمكن مقاومتها، ونظرًا إلى حزن وغضب ما بعد الصدمة الذي تعانيه مقرونًا بميولها الفصامية ما بعد الصدمة، ويمكن أيضًا أن تسقط ضحية الأيديولوجيا الجهادية المسلحة التي تجعل من الإرهاب وسيلة لاستعادة إحساسها بتمكين الذات من خلال التهديد.. سيقولون إن دعاءها إلى الله لكبح غضب ما بعد الصدمة عندها ليس ضروريًّا، وأن الله يريد لها أن تحمل السلاح، وتقتل الأعداء، وإذا اقتضى الأمر أن تنفذ عملية استشهادية؛ سوف يعلمونها أن الانتحار خطيئة كبرى، لكن أن تكون شهيدة فهذا هو تكريم من

الله، وهذا الاستشهاد سوف يأخذها من الألم العاطفي الهائل، ويجلب لها نهاية سعيدة، لكن في الواقع الأيديولوجيا الجهادية المتشددة تقدم إسعافات أولية قصيرة المدى للمصابين بالصدمة النفسية؛ لأنها على المدى الطويل تنتهي بوفاة الشخص الذي يعتنقها. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

وتذكرت هذه المرأة من سلوكها اللاإرادي: (الآن فهمت كان بإمكانهم أن يعتقلوني أو يقتلوني في ذلك المكان، لكن لا أعرف كيف فعلت ذلك). (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

## عجز الدعم النفسي للصدمة، والفقد، والانفصام في مناطق النزاع

يمكن للأفراد بل باستطاعتهم الشفاء من اضطرابات ما بعد الصدمة، ولكن في كثير من الأحيان المساعدة المهنية ضرورية؛ ففي مناطق الصراع نادرًا ما تتوافر مثل هذه المساعدة، وحتى إن توافرت قد لا يكون مقبولًا على الصعيد الثقافي السعي إليها. في عام 2005، في ذروة الانتفاضة الثانية، تحدثت مع شبان فلسطينيين في الضفة الغربية؛ كانت مفاجأة سعيدة لهم عندما علموا أنني طبيبة نفسانية، قال لي أحدهم: (أنت تعرفين أنه لا يوجد مكان نذهب إليه لكي نحصل على مثل هذه المساعدة هنا، لا توجد خدمات نفسية، ناقشت أنا وأصدقائي هذا الأمر في كثير من الأحيان). ومن جانبي، فوجئت بأن يناقش الشبان عدم توافر الخدمات النفسية، فقد كانوا جزءًا من السكان المصابين بصدمات نفسية شديدة، مع عدم وجود مساعدة نفسية لهم. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

إن كان بعضهم سوف يلتفت إلى الكحول والمخدرات، والعمل الجنسي، أو أي علاج يميت الألم، فإن بعض الضحايا اليائسين في مناطق النزاع؛ حيث ينشط هناك الجهاديون المتشددون وأيديولوجيا الاستشهاد سوف يتحولون أيضًا إلى أيديولوجيات وأعمال تعدهم بما يمكن أن نسميه خروج مشرف من الحياة، وهو التضحية بحياتهم مقابل قتل أعدائهم.

إلزا غوزوييفا وعرين أحمد، كلتاهما تعانيان الصدمة الفاجعة، وتعيشان في منطقة النزاع حيث لا تتوافر أي مساعدة نفسية لهما، لذلك تحولتا إلى الجماعات الإرهابية؛ لمساعدتهما على

التعامل مع حزنهما وغضبهما الشديد، وقدم لهما مسكنات نفسية، على الرغم من أنها لا تدوم طويلًا. لو لم تتعرضا لأي مجموعة إرهابية أو أيديولوجية، ولولا قلة الدعم الاجتماعي لهما، فلن تكون أي منهما انتحارية، لكن هذا دفع مجموعة إرهابية وأيديولوجية متطرفة لاستغلالهما في اللحظات الأكثر ضعفًا من حزن ما بعد الصدمة عندهما، لتحويل كل منهما إلى مُهاجِمة على استعداد أن تَقتل وتُقتل؛ فالصدمات النفسية العميقة والمتكررة -في كثير من الأحيان إلى جانب التعرض لجماعة وأيديولوجية إرهابية- هي عناصر ضرورية لجعل الشخص العادي شخصًا إرهابيًّا، وكلما زاد الدعم الاجتماعي يصبح اتخاذ القرار أكثر سهولة. ليلى التي حملت السلاح ضد الروس، وحولت نفسها من ضحية إلى معتدية، كان من المرجح أيضًا أن تقوم مجموعة باستغلال الضعف النفسي عندها، وتقول لها إن الانتحار هو خطيئة كبرى، إنما الاستشهاد هو تكريم من الله وتشريف للأسرة.

لو سقطت في أيدي الجهاديين المتشددين، لقالوا لها إن (الاستشهاد) يشكل لها خلاصًا من الألم العاطفي الهائل، ويجلب لها نهاية سعيدة، ولكن في واقع الأمر، الأيديولوجية الجهادية المتشددة هي مجرد إسعاف أولي نفسي قصير الأجل للصدمة، وعلى المدى الطويل ينتهي بموت الشخص الذي يخضع له. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

**مناطق غير الصراع**

من اليسير علينا نسبيًّا أن نفهم من منظور علم نفس الصدمة كيف أن الجهاد المسلح يستفيد من الأفراد الضعفاء داخل مناطق النزاع؛ ولكن: كيف يتمكن الجهاد المسلح من العمل في غير مناطق الصراع؟ ما نقاط الضعف والسنانير داخل الفرد التي تركت لكي تعمل عليها الأيديولوجية لاصطياد المجندين الراغبين الانخراط في هذه الجماعات للقيام بعمليات إرهابية؟

على الرغم من أن العديد من الخبراء في مجال مكافحة الإرهاب يرون أن الفقر لا يسهم في وجود الإرهاب، فقد وجدت في الأحياء الفقيرة في المغرب أنه إلى جانب التطلعات المحبطة، كان الفقر المدقع نقطة ضعف كبيرة بين أولئك الذين تم تجنيدهم ليصبحوا مفجرين انتحاريين في كازا بلانكا. عندما ذهبت لمقابلة أصدقائهم المقربين في سيدي مومن الفقيرة في عام 2007،

فقد شهدت وسمعت بنفسي الألم واليأس لمن يعانون تعثرَ حياتهم التي تتسم بالفقر والبطالة، في حين تشاهد حياة أخرى تمامًا على الأقمار الصناعية وفي أجهزة التلفاز ومن خلال الإنترنت وحتى في المشي خارج الأحياء الفقيرة، يمكن أن ترى أنك تستطيع أن تعيش حياة أخرى مع وجود الوظيفة والمال، وهذا ما بدأت أفهمه؛ فهؤلاء لا ذنب لهم، سوى أنهم ولدوا في أحياء فقيرة ليعيشوا وسط خيارات معدومة مملة؛ حيث ليس لديهم سوى القليل من الخيارات الجيدة. كان لهم أن يكونوا بين مفجري كازا بلانكا وهم يواجهون حياة لا سبيل لها وتطلعات محبطة على جميع الجبهات، رغم أن الدولة تقوم بدعم التعليم، كما أخبرني أصدقاؤهم، لكنه لن يؤدي إلى وظيفة طالما هم من سكان الأحياء الفقيرة، كما أن العاطلين عن العمل ليس لديهم أي فرصة للزواج أو لحياة جنسية طبيعية، فلا ينتظرهم سوى مستقبل قاتم لا معنى له، والجميع يفتقرون لأي وسيلة إيجابية للهروب من هذا اليأس القاتل والألم النفسي الشديد، وبدلًا من ذلك، وجدت الوسائل السلبية كلها الخاصة بالهروب من الواقع: المخدرات والعاهرات، وآمال الهجرة السرية غير الشرعية، في حين وجد الانتحاريون ضالتهم في (الاستشهاد)؛ لذلك يمكن أن يصبحوا مجرمين صغارًا، ومدمني مخدرات ورواد عاهرات، ومهاجرين سريين، أو أي هويات سلبية أخرى كلها ذات نهاية سيئة، وتعطي مسارات غير جيدة في الحياة. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

بالطبع، بالنسبة إلى مفجري كازا بلانكا لم يكن الفقر واليأس وحده الذي حولهم إلى إرهابيين، بل إن تجنيدهم بأيديولوجية جذابة هي التي أقنعت الشبان الذين (استشهدوا) بأن هذا هو أقصر طريق يوصلهم إلى الجنة، لكن بالنسبة إلى الشبان الذين يحاصرهم اليأس، والفقر، وحياة بلا مستقبل ومدمنين على المخدرات، فإن تشكيلة واسعة من الإرهاب ستفعل فعلها، وفي هذه الحالة فالتشكيلة القاتلة تتكون من العناصر الأربعة ذاتها تلك الموجودة في الأحياء الفقيرة في البيئة المغربية:

1. شباب يزخر بهشاشة فردية ساحقة.
2. الجهة المجندة التي تغوي الشباب بضراوة الأيديولوجية (باستخدام الإسلام بوصفه نقطة انطلاق له)، التي تلبي حاجاتهم النفسية على المدى القصير (تطهرهم من المخدرات، وتستعيد لهم إحساسهم بالكرامة والهدف).

3. المجموعة التي تتولى تجهيزهم.
4. الدعم الاجتماعي في الوسط المباشر لهم وفي جميع أنحاء العالم؛ لتمجيد قرارهم بتنفيذ أعمال العنف الإرهابي. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

لكن ليس الفقر وحده الذي يخلق الضعف في المناطق الخالية من النزاع، فالصدمات تحدث أيضًا في المناطق الخالية من النزاع والعناصر كلها يمكن أن تجدها في هذه الحالات؛ على سبيل المثال، جاء سقوط موريل ديجواك؛ أول أنثى أوروبية انتحارية بيضاء، بعد أن تعرضت لصدمة عميقة، وتعرفت على مجموعة إرهابية وفكر أيديولوجي متطرف.

في حالة موريل، أصيبت بصدمة عميقة بسبب وفاة شقيقها في حادث، واضطرابها الشديد في مرحلة ما بعد الصدمة، والشعور بذنب الناجين، والحداد المعقد؛ ففي أول رد فعل لها على الصدمة توجهت إلى المخدرات، وأخفقت في وظيفتها، ولكنها عندما تعرضت لأناس كانوا مستعدين لاستغلال ضعفها، قيدت إلى التفسير الجهادي المتشدد في الإسلام، وفي سعيها للحصول على هوية جديدة تبرِّئها من ماضيها، فقد سمَّت نفسها باسم إسلامي (مريم)، أقلعت عن المخدرات، وسلكت طريق السلفيين قبل أن تنزلق إلى المعتقدات التكفيرية واعتناق فكر تنظيم القاعدة.

من المؤكد أن المرأة التي تعاني الشعور بالذنب لن تكفَّ عن إعطاء الوعود بالتخلص من تناول المخدرات، وتُعبِّر عن شجبها؛ لأنها بقيت هي على قيد الحياة وتوفي شقيقها؛ لهذا لا بد من الفوز بالدخول إلى الجنة عند إكمال عملها الانتحاري، فقد وجدت وسيلة تطهر بها نفسها من ذنب بقائها على قيد الحياة، من خلال تبني الأصولية الجهادية والمجموعة التي تساعدها على الاحتفاظ بذلك الشعور الذي يبقيها بحالة جيدة مع هذا العالم، طالما ظلت تعمق التزامها بقضيتهم، وتقدم حياتها في نهاية المطاف لهم. هذه هي المشكلة الأساسية مع الإسعافات الأولية النفسية التي تقدمها أيديولوجيا الاستشهاد؛ يتعيَّن على المرء أن يتاجر دومًا بحياته لهذا الشعور بالسلام. بالنظر إلى تاريخ موريل ديجواك النفسي، نجد أنه يحمل الكوكتيل القاتل للإرهاب الانتحاري نفسه الموجود داخل مناطق النزاع:

1. امرأة ضعيفة.
2. توصلت إلى مجموعة على استعداد لتجهيزها من أجل العنف وقادرة على ذلك.
3. قناعة أيديولوجية تلبي احتياجاتها النفسية بوصفها تطهيرًا لها من ذنب الناجين، وتقدم لها القبول الفوري إلى الجنة، حيث أعربت عن أملها في أن تتوحد مع شقيقها، وهذا يقدم لها الشجاعة لتنفيذ عملها.
4. الدعم الاجتماعي للقيام بذلك. (سبيكهارد، 2012).

ضعف آخر ينشط في مناطق غير الصراع، ويشمل الشعور بالذنب العميق إزاء بعض السلوكيات المحرمة: النشاط الجنسي، والشذوذ الجنسي، وتناول المخدرات، إلخ؛ فالمسلمون يؤمنون بأن خطاياهم تمنعهم من دخول الجنة، إلا في حالة الاستشهاد، فعندما يجد المجنِّد شخصًا مثقلًا بالذنوب يمكنه أن يبيعه الفكرة بسهولة أكبر، وبالمثل بالنسبة إلى أولئك المهاجرين المسلمين من الجيل الأول أو الجيل الثاني، الذين جاؤوا للعيش في أوروبا، وتعرضوا للتهميش الاجتماعي، والتمييز، وأحبطت تطلعاتهم، هذه الأشياء كلها تتضافر لجعل الجهاد المسلح يناشد الرغبة في والانتماء، واحترام الذات، وحتى الشعور بالبطولة والمغامرة، وبالمثل عندما يكون هناك والد مفقود، تكون أواصر الأخوة التي تقدمها الجماعة الجهادية المتشددة قوية حقًّا.

وأخيرًا، أصبح العقائديون والمجندون الذين يعملون في مناطق غير الصراع الجهادية المتشددة بارعين في جلب الصور من مناطق الصراع إلى المجندين المحتملين، وهذا يمكن أن يخلق الصدمات الثانوية؛ على سبيل المثال، قال لي واحد من سكان الأحياء الفقيرة في كازابلانكا أن الأصدقاء الانتحاريين قد جعلوه يشاهد فيلمًا عن انتهاكات حقوق الإنسان، ومعاناة الفلسطينيين والشيشان والعراقيين؛ فمثل هذه المواد الدعائية تستخدم من أجل إثارة الصدمة، وتأجيج الغضب، وتحفيز المجندين للتضحية بأنفسهم من أجل القضية. (سبيكهارد، 2012) (Speckhard, 2012).

## الموجز

الجماعات الإرهابية الجهادية المتشددة بارعة في استخدام أيديولوجيتها، والروابط الأخوية للأفراد الضعاف نفسيًّا تقدم لهم (إسعافات أولية) نفسية، تحفزهم على المشاركة في (مهام استشهادية)، وهي تبدل حياتهم المضطربة لقاء حل قصير المدى من الصدمة، والفقدان، والانفصام الذي تجده بكثرة في مناطق الصراع، وغيرها من مواطن الضعف النفسي الموجودة في مناطق غير الصراع أيضًا.

## المراجع

## REFERENCES

Akhmedova, K. (2003). Fanatism and revenge idea of civilians who had PTSD. Social and Clinical Psychiatry, 12(3), 24–32.

Bonger, B. (2004). Suicide terrorism. Paper presented for Suicide Terrorism: Strategic Importance and Counterstrategies, NATO Advanced Research Workshop, Lisbon, June 10–14.

Lia, B. (2008). Architect of global jihad: The life of al–Qaida strategist Abu Mus'ab al–Suri. New York: Columbia University Press.

Paz, R. (2005a). Al–Qaeda's search for new fronts: Instructions for jihadi activity in Egypt and Sinai. PRISM Occasional Papers, 3(7).

Paz, R. (2005b). Global jihad and WMD: Between martyrdom and mass destruction. Current Trends in Islamist Ideology, 2, 74–86.

Shneidman, E. S. (1993). Suicide as psychache. Journal of Nervous Mental Disorders, 181(3), 145–147.

Shneidman, E. S. (1995). The suicidal as psychache: A clinical approach to self–destructive behavior. Lanham, Maryland: Jason Aronson, Inc.

Speckhard, A. (2005). Understanding suicide terrorism: Countering human bombs and their senders. In J. S. Purcell & J. D. Weintraub (Eds.), Topics in terrorism: Toward a transatlantic consensus on the nature of the threat. Washington, DC: Atlantic Council.

Speckhard, A. (2006). Sacred terror: Insights into the psychology of religiously motivated terrorism. In C. Timmerman, D. Hutsebaut, S. Mells, W. Nonneman, & W. V. Herck (Eds.), Faith–based radicalism: Christianity, Islam and Judaism between constructive activism and destructive fanaticism. Antwerp: UCSIA.

Speckhard, A. (2012). Talking to terrorists: Understanding the psychosocial motivations of militant jihadi terrorists, mass hostage takers, suicide bombers and "martyrs". McLean, VA: Advances Press.

Speckhard, A., & Akhmedova, K. (2005a). Talking to terrorists. Journal of Psychohistory, 33(2), 125–156.

Speckhard, A., & Akhmedova, K. (2005b). Mechanisms of generating suicide terrorism: Trauma and bereavement as psychological vulnerabilities in human security – The Chechen case. In J. Donnelly, Anna Kovacova, Joy Osofsky, Howard Osofsky, Caroline Paskell, & J. Salem–Pickartz (Eds.), Developing strategies to deal with trauma in 172 ANNE SPECKHARD

children—A means of ensuring conflict prevention, security and social stability. Case Study: 12–15–Year–Olds in Serbia (Vol. 1, pp. 59–64).

Brussels: NATO Security Through Science Series E Human and Societal Dynamics, IOS Press.

Speckhard, A., & Akhmedova, K. (2006). The making of a martyr: Chechen suicide terrorism. Journal of Studies in Conflict and Terrorism, 29(5), 429–492.

Speckhard, A., Jacuch, B., & Vanrompay, V. (2012). Taking on the persona of a suicide bomber: A thought experiment. Perspectives on Terrorism, 6(2), 51–73.

# 9

## هل الإرهابيون الانتحاريون هم انتحاريون؟

بروس بونغر، يوري كوغل، وفيكتوريا كندريك

تعد الهجمات الانتحارية لدى لكثير من الناس رمزًا للإرهاب أكثر من أي تكتيك إرهابي آخر؛ فهذه الهجمات تثبت عزم الإرهابيين وتفانيهم، لدرجة أنهم يقتلون أنفسهم من أجل قضيتهم، إضافة إلى رغبتهم الجامحة في قتل الآخرين دون تمييز. (مراري، 2010، ص 3) (Merari, 2010, p. 3).

الإرهاب الانتحاري عمل قاتل من أعمال العنف الذي أخذ في الارتفاع في جميع أنحاء العالم في العقود القليلة الماضية، وقد تم تعريف الهجوم الانتحاري بأنه (اعتداء يهدف إلى تحقيق هدف سياسي، يتم خارج إطار الحرب التقليدية، حيث يقتل المعتدي نفسه عمدًا لغرض قتل الآخرين). (مراري، ديامانت، بيبي، بروشي، وزاكين، 2009) (Merari, Diamant, Bibi, Broshi, & Zakin, 2009).

لا تزال الهجمات الانتحارية سلاحًا فتاكًا في السنوات الأخيرة رغم الانخفاض الحاد في عددها منذ عام 2007، فقد كانت 520 هجمة في عام 2007، مقارنة بـ 279 هجمة في عام 2011 (المركز الوطني لمكافحة الإرهاب NCTC, 2011)؛ ففي عام 2011، كان هناك أكثر من 10000 هجمة إرهابية، طالت ما يقرب من 45000 من الضحايا في 70 دولة، وأدت إلى أكثر من 12500 حالة وفاة. (NCTC, 2011).

ووجد أيضًا أن الهجمات المسلحة والتفجيرات تشكل ما يقرب من 80 في المئة من مجمل الهجمات الإرهابية في عام 2011، بينما استحوذت الهجمات الانتحارية فقط على 7 .2 في المئة من مجموع هذه الهجمات، على الرغم من أن الهجمات الانتحارية تمثل أقل من 3 في المئة من الهجمات كلها، إلا أنها تؤدي إلى أكثر من 21% من الوفيات المتعلقة بالإرهاب، ومن المهم

أن نلاحظ أنه على الرغم من معظم حالات الإرهاب الانتحاري والاستشهاد في العقود القليلة الماضية المتعلقة بالإسلاموية المتطرفة، هناك حالات حيث تم تنفيذ عمليات انتحارية من قبل منظمات لا ترتبط بالإسلام كليًّا أو جزئيًّا، وتشمل هذه الأمثلة نمور التاميل في سريلانكا، وجزءًا من حركة الشيشان. (بورنهام، 2011؛ كومار موخرجي، وبراكاش، 2012) (Burnham, 2011; Kumar, Mukherjee, & Prakash, 2012).

بالإضافة إلى حالات الوفاة بالقتل، فالهجمات الانتحارية أيضًا تصيب عددًا كبيرًا من الناس. في العراق بين عامي 2003-2010 لكل قتيل من المدنيين (مجموعهم 12284)، كان هناك ما يقرب من ثلاثة جرحى آخرين (مجموعهم 30644. هيكس، 2011) (Aharonson, Klein, & Peleg, 2006; Hicks, 2011)، وقد أظهرت العديد من الدراسات أن الإصابات التي نتجت عن الانتحاريين هي عادة أكثر شدة من تلك التي لحقت بجرحى التفجير غير الانتحاري (أهارونسون، كلاين، وفالج، 2006؛ هيكس، 2011). وهكذا، فإن عواقب مثل هذه الهجمات على الجوانب الصحية والنفسية والمالية للسكان والبلد كبيرة إلى حد ما؛ معدل الوفيات المرتفع وشدة الإصابة المتعلقة بهجمات انتحارية تؤكد أهمية فهم الأفراد الذين يخططون الهجمات وينفذونها.

وقد أبرزت البحوث العديد من جوانب ظاهرة الانتحار العامة، بما في ذلك العوامل الاقتصادية والاجتماعية والعمر والجنس، والحالة الاجتماعية، والتركيز على الخصائص الشخصية للأشخاص الذين يتناولون حياتهم الخاصة، وكذلك التجارب الحياتية التي تؤدي إلى احتمال حدوث الانتحار، أو تزيد من نسبته.

كانت بحوث الإرهاب الانتحاري وما يدفع بعض الناس للمشاركة في الهجمات الانتحارية موضوعات ذات اهتمام لسنوات عديدة، ولكن لم يتم التوافق في الآراء بشأن الخصائص الانتحارية والخصائص المشتركة للعمليات الانتحارية، فالإرهاب ليس المنطقة التي يمكن دراستها من الناحية النفسية بهذه السهولة؛ ويرجع ذلك إلى حقيقة بسيطة، وهي أن معظم الإرهابيين الانتحاريين يموتون، وهكذا فالبيانات الخام شحيحة كما ذكر العديد من المؤلفين

من قبل. (كرينشو، 2007؛ لانكفورد 2010، تاونسند، 2007) (Crenshaw, 2007; Lankford, 2010; Townsend, 2007).

نتيجة لصعوبة إجراء مقابلات مباشرة مع الإرهابيين الانتحاريين، فيستند جزء كبير من البحوث حتى الآن على السجلات العامة، بما في ذلك التقارير الإخبارية، والتركيبة السكانية، وتسجيلات الفيديو، والتحليل النفسي ما بعد الوفاة، وكذلك شهادات من أفراد أسرة المهاجمين الانتحاريين. هذه الملاحظات غير المباشرة هي موارد مهمة للمعلومات، ولكنها غير كافية في توفير بيانات قوية بشأن ظاهرة الإرهاب الانتحاري، ومن ثم فإن أي استنتاج تم التوصل إليه حول مسألة ما إذا كان الإرهابيون الانتحاريون هم في الواقع انتحاريين، يجب أن يؤخذ بحذر.

**ما هو الانتحار؟**

للإجابة عن هذا السؤال بالوجه الأفضل عما إذا كان الإرهابيون الانتحاريون هم في الواقع انتحاريين، ينبغي للمرء أن يقارن الإرهاب الانتحاري بأفعال الانتحار الأخرى؛ فقد بيَّن روي (1988) ثلاث فئات رئيسة للانتحار، استنادًا إلى الأعمال السابقة لعالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم، وتشمل هذه الفئات: الانتحار الأناني (أكد عدم وجود الدعم الاجتماعي والأسري له)، والانتحار الشاذ (أكد وجود علاقة تالفة بين الفرد والمجتمع)، والانتحار الإيثاري (الذي يتميز بالتكامل المفرط مع البنى الثقافية الاجتماعية؛ على سبيل المثال، هارا كيري، مفجر انتحاري). المفهوم الواسع هو فعل الانتحار الأناني في الشخص الذي يأخذ قرار أنهاء حياته عمدا وطواعية (روي، 1988).

هذا النوع من الانتحار هو الأكثر شيوعًا ومرتبط بأعراض الاكتئاب، وفقدان الأمل، والألم النفسي (بونغار، 2002b) (Bongar, 2002b)، وكان مسؤولًا عن قرابة 38000 حالة وفاة في عام 2010 في الولايات المتحدة. (مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، 2010).

ميَّز دوركايم (1951) ثلاثة أشكال من الانتحار الإيثاري: إجباري، واختياري، وحاد. الانتحار الإيثاري الإجباري هو الذي توجهه المعايير الاجتماعية في حالات معينة، وأحد الأمثلة عليه انتحار الزوجات بعد وفاة أزواجهن.

الانتحار الإيثاري الاختياري يعرف بأنه ناتج عن عدِّ الانتحار جدارة، ولكنه ليس إلزاميًّا كما في سيبوكو (هارا - كيري)، الذي هو شكل من أشكال طقوس الانتحار الياباني بنزع الأحشاء وقطع الرأس. وأخيرًا، الانتحار الإيثاري الحاد هو الرغبة في الموت من أجل الجمع مع الإله بوصفه تعبيرًا قاطعًا عن وجود العقيدة الدينية. (مراري، 2010) (Merari, 2010). إضافة إلى الانتحار الأناني، والتشريحي، والإيثاري، هناك صنف آخر يشمل الشهادة والانتحار، حيث يركز على الانتحار من أجل معتقدات سياسية أو دينية؛ الشهادة هي مكابدة الموت على حساب تمسك المرء بدينه (على سبيل المثال، المشاركة في معركة، والموت في أثناء القتال)، في حين أن الإرهاب الانتحاري هو القتل المتعمد للنفس؛ أملًا في قتل الآخرين لدوافع سياسية. (كروغلانسكي، غيلفاند، وجوناراتنا، 2012) (Kruglanski, Gelfand, & Gunaratna, 2012). والطرق التي يمكن أن ترتبط فيها الأنواع المختلفة من الانتحار أو لا ترتبط لا تزال موضع نقاش.

**النقاش الحالي**

من أجل إنشاء ملف للإرهاب الانتحاري، أثير سؤال عما إذا كان الإرهابيون الانتحاريون هم في الحقيقة انتحاريين، وإذا ما كانت العملية النفسية التي سبقت هجومهم الانتحاري تختلف عن تلك التي تؤدي إلى الانتحار الأناني، والانتحار الإيثاري، أو الاستشهاد. النقاش الدائر حاليًّا ليس فقط لأوجه التشابه والاختلاف المحيطة بين هذه الأعمال من حالات الانتحار، ولكنه أيضًا حول خصائص وملامح الأشخاص المتورطين في هذه الأعمال. (هيرفيكوسكي ويوكينين، 2012) (Hirvikoski & Jokinen, 2012). حاليًّا الكتابات عن الإرهاب الانتحاري تظهر القليل من الإجماع على نوع شخصية أو عوامل الخطر المحددة، التي يمكنها أن تساعد على تحديد ملامح الانتحاريين المحتملين (تاونسند، 2007) (Townsend, 2007)، ويرجع ذلك إلى حقيقة أن الهجوم الانتحاري والعملية المؤدية إليه متعددة الأبعاد ومتعددة الإرادات. (تاونسند، 2007) (Townsend, 2007). بعض هذه الأبعاد تشمل الأبعاد النفسية والاجتماعية والروحية، والجوانب الأخلاقية، وهذه الأبعاد كما وجدت في المناقشة الحالية، تتشابه وتتباين تبعًا لنوع الانتحار.

وتركز نقاشات أخرى على الفرق بين الاستشهاد والإرهاب الانتحاري؛ فالاستشهاد كما عرفه كروغلانسكي، غيلفاند، وغاناراتنا (2012) (Kruglanski, Gelfand, and Ganaratna (2012)، هو موت المرء من أجل قناعة خاصة به؛ فقناعاته الخاصة أو الإفصاح عن إحساس كبير له مدلول شخصي، في حين يتجه الإرهاب الانتحاري إلى إنهاء حياة المرء الخاصة أملًا في قتل الآخرين لتحقيق مكاسب سياسية. (ميراري، 2010) (Merari, 2010). ويعتقد بعضهم أنهم حين يضعون أنفسهم في حالة قتالية، ويضحون بحياتهم قربانًا لقناعاتهم كما هو حال الإرهاب الانتحاري، فإنهم يقومون بفعل استشهادي. (ستشيرماشير، 2012) (Schirrmacher, 2012). فهناك القليل من الاتفاق حول الخط الفاصل الذي يفرق بين الإرهاب الانتحاري والاستشهاد، فقد وجد كل من (لينارز وبن بارك، وكولينز، وينكستيرن 2010) Leenaars, Ben Park, Collins, Wenckstern, and Leenaars (2010) أنه عند مقارنة خطابات الشهيد بالانتحار الأناني لاحظ أن الحالة الذهنية للشهداء هي أكثر تطرفًا، وأن الألم الذي يشعر به الشهداء كان لا يحتمل.

## نطاق هذا الفصل

ونحن ندرس موضوع الإرهاب الانتحاري، من المهم أن نأخذ في الحسبان حالات أخرى من القتل والانتحار مثل العنف المنزلي، والاقتحام بإطلاق النار، وإطلاق النار في مدرسة؛ فقد أشار لانكفورد وحكيم (2011) (Lankford and Hakim (2011 أنه قد يكون هناك العديد من أوجه التشابه بين الإرهابيين الانتحاريين والأفراد المتورطين في القتل والانتحار، ومع ذلك فإن معظم حالات القتل والانتحار تشمل ذكورًا قتلوا شريكاتهم الحميمات من الإناث اللواتي ابتعدن عنهم ثم انتحروا. (ليم، باربر، ماركوالدر، كيلياس، ونيوبيرتا، 2011) (Liem, Barber, Markwalder, Killias, & Nieuwbeerta, 2011). لذلك، ونظرًا إلى أن معظم الإرهابيين الانتحاريين ترسلهم المنظمات الإرهابية لارتكاب هذا الفعل، فإن هذا الفصل يتناول الإرهاب الانتحاري كهجمات تقوم بها منظمات إرهابية، ولن يذهب إلى مناقشة حوادث مثل العنف المنزلي، وإطلاق النار في المدارس، وحوادث إطلاق النار العشوائي التي في بعض الأحيان يشار إليها بوصفها هجمات انتحارية، أو حوادث انتحار وقتل. (بريتي، 2008) (Preti, 2008).

## التشابه بين الإرهاب الانتحاري وغيره من أعمال الانتحار

كانت هناك بعض الاقتراحات بأن الإرهاب الانتحاري يماثل فعل الانتحار الإيثاري أو الانتحار الأناني (تاونسند، 2007) (Townsend, 2007). اقترح لانكفورد (2010) Lankford (2010) أن الإرهابيين الانتحاريين قد يكونون في الواقع انتحاريين حين استعرض نتائج الادعاء الذي يدعم فكرة أن بعض الإرهابيين الانتحاريين يحملون العديد من الخصائص الرئيسة للانتحار الأناني:

1. الرغبة في الهروب من هذا العالم.
2. الرغبة في الهروب من المسؤولية الأخلاقية لأفعالهم.
3. عدم القدرة على التعامل مع الأزمة القائمة.
4. الإحساس المتدني بتقدير الذات، ومن ثم حث لانكفورد (2010) الباحثين على تعزيز العمل في مجال الإرهاب الانتحاري، وألا يستنتجوا فقط أن الإرهابيين الانتحاريين ليسوا انتحاريين.

قد يكون التشابه الأكبر بين الانتحار الأناني والإرهاب الانتحاري هو تطور رؤية النفق حين تقترب المرحلة النهائية من التنفيذ، وهي الحالة التي تتطور فيها في بعض الأحيان رؤية النفق في الانتحار الأناني (بونغار، 2002b) (Bongar, 2002b). وبالمثل، غالبًا ما ينطوي فعل الهجوم الانتحاري على عمليات فصامية عدة، مثل رؤية النفق، والتغير في الاهتمام، والانفصال عن المشاعر والجسد، والنشوة شبه المنومة، واليقظة الروحية. (أورباخ، 2004) (Orbach, 2004).

## الاختلافات بين الإرهاب الانتحاري وغيره من أعمال الانتحار

هناك بعض الاختلافات المهمة بين الإرهاب الانتحاري وغيره من أعمال الانتحار، على النحو الذي يشير إليه بعض الكتاب بأن الإرهاب الانتحاري هو في الواقع ظاهرة فريدة من نوعها. (مراري 2010، تاونسند، 2007) (Merari, 2010; Townsend, 2007). ويمكن تقسيم هذه الاختلافات إلى مجموعات عدة منها: الاختلافات المتعلقة بالفعل، والاختلاف في الدوافع، والاختلاف في البيانات الشخصية للمجرم.

**الاختلافات المتعلقة بالفعل نفسه**

بالإضافة إلى ذلك، هناك بعض الاختلافات المهمة بين فعل الإرهاب الانتحاري والانتحار الأناني:

1. تدمير الذات بالنسبة للإرهابي الانتحاري تهدف عادة إلى إثارة الخوف والرعب في صفوف السكان المستهدفين، في حين يهدف تشويه الذات وتدمير الذات في الانتحار الأناني إلى انتزاع التعاطف والتفهم من الجمهور المستهدف، علاوة على ذلك، يستهدف الانتحار الأناني في الغالب الذات وليس الآخرين؛ وعليه، فإنه من الواضح أن الإرهاب الانتحاري يهدف إلى قتل الآخرين وليس الموت.
2. هناك مفاهيم أن الإرهاب الانتحاري لا ينظر إليه على أنه فعل الانتحار من قبل الوكيل أو العوامل الداعمة، بل إنه عمل استشهادي، استنادًا إلى المبادئ الإسلامية في الجهاد (الحرب المقدسة)، ومن ثم، يعد سلوكًا قانونيًّا. (عبد الخالق، 2004) (Abdel-Khalek, 2004).
3. في حين أن فعل الانتحار الأناني يختار الموت مهربًا أو نهاية معقولة لمدة صعبة من الحياة، الإرهابيون الانتحاريون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم رجال خالدون (حسن، 2001؛ أورباخ، 2004) (Hassan, 2001; Orbach, 2004)، ومن ثم يرون استمرارية الحياة في فعلهم وليس في النهاية الحاسمة.
4. من يخطط ويجهز فعل الهجوم الانتحاري منظمة وليس الفرد، وبهذا فهو يستخدم بصفته سلاحًا تكتيكيًّا وإستراتيجيًّا (حسن، 2010) (Hassan, 2010)، وبما أنه فعل تنظيمي فهو يختلف كثيرًا عن الانتحار الأناني؛ لأنه تصرف فردي، ويأتي بدافع التدمير الذاتي أو الرغبة في الهروب من الألم، ويختلف الإرهاب الانتحاري أيضًا عن العمل الانتحاري الإيثاري؛ ذلك أن من يطلقه ويشجعه، ويساعده، وينفذه هو منظمة، كما أن معظم الأعمال الانتحارية الإيثارية تنفذ بدوافع شخصية لمساعدة الآخرين أو لإثبات قضية معينة (على سبيل المثال،القفز على قنبلة يدوية لإنقاذ إخوة في السلاح؛ أو من يحرق نفسه احتجاجًا).

فعل الانتحار يتطلب في بعض الأحيان التخطيط والتنفيذ الدقيق (بونغار، 2002b) (Bongar, 2002b). ومع ذلك (بالمقارنة مع فعل الانتحار الأناني) الإعداد والتخطيط الدقيق، ودقة التنفيذ في الإرهاب الانتحاري تفوق بكثير تلك التي في الانتحار الأناني؛ هذا النوع من التحضير يتضمن خطوات عدة (حسن، 2010؛ أورباخ، 2004) (Hassan, 2010; Orbach, 2004):

1. التجنيد لتنفذ العمل (سواء كان التعيين من أسفل إلى أعلى أو التجنيد من أعلى إلى أسفل).
2. البدء في التنظيم للعمل الاستشهادي؛ فما أن يتم تجنيد الفرد، حتى يُعدَّ شهيدًا حيًّا من قبل المُشغل ذي الموقع الرفيع، وعادة من قبل السلطة الروحية.
3. العزلة والتدريب التي تشمل التلقين الديني والسياسي المباشر، والتدريب على استخدام المتفجرات أو الأسلحة المشاركة في الهجوم، والاستعداد لمواجهة الموت.
4. قبل الأيام الأخيرة للهجوم هنالك مدة منظمة للغاية، تتشكل فيها عقلية وسلوك الانتحاري لتشكيل رؤية النفق الفصامية، والتركيز على العمل القادم الخاص به، ويتحقق ذلك من خلال التفكير في أهمية العمل وتبعاته، وتنقية الممارسات الدينية، والصلاة، والتلاوة، والصوم.

## الفرق بين طياري الكاميكاز والتفجيريين الانتحاريين

هناك مثال مقارنة جيدة لتوضيح الفرق بين فعل الإرهاب الانتحاري وغيره من أعمال الانتحار، وهو مسألة الطيارين اليابانيين الكاميكاز خلال الحرب العالمية الثانية (WW–II). كان هناك إشارات سابقة إلى الإرهابيين الانتحاريين لوصفهم بالإسلاميكازي Islamikaze (إسرائيلي، 2003)، وهذا هو التشابه بين الطيارين الكاميكاز اليابانيين الذين حطموا طائراتهم عمدًا بوصف ذلك تكتيكًا ضد البحرية الأميركية في الحرب العالمية الثانية، والإرهابيين الانتحاريين في العصر الحديث الذين أغلبهم وليس جميعهم مسلمين، غير أن هجمات الكاميكاز في الحرب العالمية الثانية والتفجيرات الإرهابية الانتحارية لديها فرق جوهري واحد، فقد

توجه الانتحاريون اليابانيون (الكاميكاز) بهجماتهم على أهداف عسكرية، في حين يستهدف الإرهابيون إلى حد كبير المدنيين وسيلةً لإرهاب السكان والمؤسسات في البلد ما.

أجرى والاس (2004) (2004) Wallace مقابلات مع الطيارين اليابانيين الذين نجوا بعد أداء الضربات الكاميكازية ضد القوات البحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، ومَنْ أُجريت معهم المقابلات ميزوا أنفسهم عن المفجرين الانتحاريين في ثلاث نقاط رئيسة، هي:

1. الطيارون الكاميكاز مستعدون للموت حبًّا لبلدهم، في حين ما يحرك الانتحاريين هو دافع الحقد والانتقام.
2. لا يقدم دين الشنتو أي مكافأة بعد الموت، بينما وعد الانتحاريون بمكانة في الحياة الآخرة.
3. تطوع الطيارون الكاميكاز للقيام بهذه المهمة، وكان الدافع الوحيد وطنيًّا، في حين غالبًا ما يجند الانتحاريون، ويلقنون ويوعدون أحيانًا بالمساعدة المالية لأسرهم بعد الانتهاء من مهمتهم.

درس مارتينيز (2007) (2007) Martinez الرسائل الأخيرة لـ 661 طيارًا من الطيارين الكاميكاز الذين قتلوا في العملية ووجهوا هذه الرسائل إلى عائلاتهم وأصدقائهم؛ كان الدافع الأقوى بين هؤلاء الطيارين الـ 661 أنهم نفذوا هذه العمليات من أجل آبائهم وأمهاتهم وأسرهم؛ فلم يظهر أي من الطيارين الدافع الديني لتنفيذ هذا الفعل، بالإضافة إلى ذلك، خلص التحليل إلى أن:

1. الطيارين الكاميكاز لم يتصرفوا تحت الإكراه.
2. لم تكن دوافع الطيارين الكاميكاز إلى حد كبير من المواقف الثقافية اليابانية تجاه الانتحار.
3. لم تكن دوافع الطيارين الكاميكاز مرتبطة بالشأن الديني.

4. لم تكن دوافع الطيارين الكاميكاز إلى حد كبير من القلق على مستقبل رفاه أسرهم؛ بل كان الدافع (V) للطيارين من خلال كونهم على علم بأن وفاتهم قد تساعد اليابان على تحقيق بعض النجاحات العسكرية المهمة.
5. رأى الطيارون أن موتهم كان مساهمة شريفة وجميلة.

تأتي هذه النتائج مناقضة لتلك التي تدفع الانتحاريين لتنفيذ عملياتهم من حيث:

1. الرغبة في الانتقام (حسن 2010؛ روزنبرغ، 2003) (Hassan 2010; Rosenberger, 2003) سواء على المستوى الجماعي (آراج، 2012) (Araj, 2012)، أو على المستوى الشخصي (فيلدز، البدور، وهاين 2002؛ كوشنر، 1996؛ مقدم، 2003) (Fields, Elbedour, & Hein 2002; Kushner, 1996; Moghadam, 2003).
2. الإلهام الديني (آراج، 2012) (Araj, 2012)؛ و(ج) الرغبة في تحرير الوطن (آراج، 2012) (Araj, 2012).

## الانتحار الإرهابي بوصفه ظاهرة جماعية بدلًا من ظاهرة فردية

يشير حسن (2010) Hassan (2010) إلى أن الإرهاب الانتحاري ينبغي أن يعد ظاهرة تنظيمية بدلًا من ظاهرة فردية. يتم استخدامه لجهة فاعليته من حيث التكلفة، والمرونة، والفتك، والكفاءة التكتيكية في الوصول إلى أهداف ذات قيمة عالية؛ هذا الفعل يرمز إلى عزم وتفانٍ كبيرين، بدءًا بالأفراد ووصولًا إلى المجموعة لردع العدو، بالإضافة إلى ذلك يشير حسن (2010) Hassan (2010) إلى أن الإرهاب الانتحاري هو عمل سياسي وليس مجرد تجليات تطرف ديني، وبالنسبة إلى الفرد له دلالة تتجاوز مسألة الموت وقتل الآخرين حيث يشمل:

> استحسان المجتمع، والنجاح السياسي، وتحرير الوطن، والتضحية بالنفس، وعلامة شرف؛ يحقق الحالة الراقية للشهيد الذي يضحى بنفسه لكي يبقى المجتمع، وهذا دليل على رفض الإذلال الشخصي والجماعي والانتقام منه، وهو رمز للقناعات الدينية أو القومية، والشعور بالذنب والعار والرغبة في المكافآت المادية والدينية، والهروب من تدهور الحياة اليومي الذي لا يطاق في ظل الاحتلال، والضجر والقلق والتحدي. (حسن، 2010، ص. 42-43) (Hassan, 2010, pp. 42–43)

علاوة على ذلك، يتم اتخاذ القرار بمكان وزمان تنفيذ العملية الانتحارية على مستوى المنظمة وليس على مستوى الفرد (حسن، 2010، هاسو 2005) (Hassan, 2010; Hasso 2005). ويستند هذا القرار في الغالب إلى الاحتياجات التكتيكية والإستراتيجية للمنظمة. في المقابل، توقيت وتنفيذ أشكال أخرى من الانتحار يعتمد إلى حد كبير على القرار الفردي؛ فهو الذي يحدد زمان العملية ومكانها وحيثياتها.

هناك دليل إضافي إلى فكرة أن الإرهاب الانتحاري هو عملية جماعية موجهة وليست عملية فردية يمكن النظر إليها في غياب الانتحاريات في أفغانستان. بشكل عام، يعد استخدام النساء في تنفيذ العمليات الانتحارية سلاحًا إرهابيًا متطورًا؛ نظرًا إلى ما يحمله عملهم من تأثير معنوي وقدرتهن كذلك على التهرب من الإجراءات الأمنية التي قد تمنع المهاجمين الانتحاريين الذكور (ديرنغ، 2010) (Dearing, 2010). بين عامي 2001 و2010، كان هناك 414 تفجيرًا انتحاريًا في أفغانستان، تم تنفيذها بنسبة 99 في المئة من قبل الرجال؛ هذا الرقم المنخفض يقف على النقيض من الحالات الأخرى والجماعات الإرهابية. في العراق بين عامي 2003 و2010، قرابة 4 في المئة من الهجمات تم تنفيذها من قبل النساء.

في سريلانكا، 21 في المئة من الهجمات الانتحارية نفذت من قبل النساء، واستخدم المسلحون الشيشان النساء في 40 في المئة من هجماتهم، واستخدم حزب العمال الكردستاني النساء ثلثي الوقت تقريبًا. (ديرنغ، 2010) (Dearing, 2010).

يعزى انخفاض معدل استخدام النساء للقيام بهجمات انتحارية في أفغانستان إلى عوامل عدة، تشمل خصائص ثقافية فريدة من نوعها لطالبان والبشتون، مما يقلل رغبتهم في استخدام الإناث للقيام بهجمات انتحارية، بالإضافة إلى ذلك الجماعات الإرهابية في أفغانستان تتمتع بحرية نسبية في الحركة. وهكذا، يشير هذا الاتجاه إلى أن قرار تنفيذ العمليات الإرهابية الانتحارية لا يتخذه الفرد، بل إن هذه المنظمات لديها حاجة أقل للانتحاريات الإناث، ويصيغون عملهم التكتيكي والإستراتيجي من الانتحاريين ليشمل الرجال فقط. (ديرنغ، 2010) (Dearing, 2010).

## اختلافات الحوافز

الدافع الرئيس للانتحار في الانتحار الأناني هو إنهاء المعاناة ووقف الألم النفسي (بونغار، 2002b) (Bongar, 2002b)، أما الهدف الحقيقي من الإرهاب الانتحاري فهو خلق الإرهاب (بيب، 2005) (Pape, 2005). يبدو أن قدرًا كبيرًا من دوافع الانتحاريين يتم رعايتها وتنشئتها لسنوات في وسائل الإعلام وفي البيئة الثقافية منذ سن الطفولة أو البلوغ المبكر. (مراري 2010، أورباخ، 2004) (Merari, 2010; Orbach, 2004).

وصف أورباخ (2004) (2004) Orbach الدوافع التالية للهجمات الانتحارية لدى الانتحاريين الفلسطينيين:

1. العزم والحماس الذي تأجج جراء النجاح الذي حققته الهجمات السابقة.
2. الكراهية والغضب الأيديولوجي ضد مختلف الجماعات الدينية والثقافية والعرقية.
3. تمجيد الانتحاري (الشهيد).
4. المكافآت السماوية.
5. الاعتراف والفوائد المادية لعائلة الانتحاري.

يؤكد حسن (2010) (2010) Hassan على الدور الذي يلعبه الإذلال في خلفية حياة العديد من الإرهابيين الانتحاريين؛ فالإذلال يؤثر أحيانًا في الانتحار الفردي بشكل مباشر، وغالبًا ما يكون موجهًا نحو ثقافة الفرد، ومن ثم يعزز الشعور الجماعي بالإذلال، ومثل هذا الإذلال يجلب الغضب، والحنق، وغالبًا ما يثير الانتقام من صاحب الإذلال، أما السعي إلى الانتقام والتصرف ضد الإهانة في كثير من الأحيان فيختلف عن أنواع الانتحار الأخرى باستثناء جرائم القتل والانتحار.

يشير بيتل وروبيلكي (2012) (2012) Rübbelke إلى ثلاث فئات رئيسة من الدوافع للأفراد لتنفيذ هجمات انتحارية، وهي:

1. آثار ما بعد الوفاة: تحسن الوضع الاجتماعي والنقدي لعائلة المهاجم، والخلود للمهاجم، وتحقيق أهداف سياسية ودينية، واجتماعية.

2. آثار الإعلان: الإعجاب وارتفاع شعبية المهاجم قبل الهجوم.
3. آثار الانشقاق: النتائج السلبية التي تنشأ في حالة لم ينفذ المهاجم الهجوم. وباختصار، فإن الاختلاف في الدوافع بين الانتحار الأناني والإرهاب الانتحاري واضح تمامًا؛ في الأول رغبة الفرد تتركز على وقف الحياة والمعاناة، في حين يركز هذا الأخير على إنجازات مختلفة تشمل الشخصية، والمجموعة، والعائلية، والسياسية، والمادية، والمكاسب العاطفية. من الجدير بالذكر أن لانكفورد (2010) (Lankford (2010 يدعم الرأي القائل إن بعض الإرهابيين الانتحاريين يملكون بالفعل الرغبة في الهروب من هذه الدنيا ليحسنوا من وضعهم في الآخرة.

## الاختلافات المتعلقة بملامح الانتحار

يصف بونغار (2002b) عدة عناصر أساسية للانتحار المكتمل:

1. الألم الذهني والمعاناة.
2. الكراهية للذات، والخجل، والشعور بالذنب، واللوم الذاتي.
3. تنامي رؤية النفق التي تمنع قدرة الفرد على التفكير في بدائل أخرى للوضع الراهن.
4. فكرة نهاية المعاناة.
5. اليأس الحاد.

وبالنظر إلى هذه العناصر، يبدو أنه في معظم الحالات، رؤية النفق هي العنصر الوحيد الذي يظهر بين الإرهابيين الانتحاريين لأنهم يقتربون من تنفيذ عملهم، ومع ذلك فمن المهم أن نذكر أن بعض الانتحاريين، وخاصة الانتحاريين الفلسطينيين، يعانون الخسارة الشخصية، ويواجهون درجات مختلفة من المعاناة النفسية والعاطفية والثقافية. (عبد الخالق، 2004؛ آراج 2012) (Abdel-Khalek, 2004; Araj 2012). بالإضافة إلى ذلك، يشير لانكفورد (2010) (Lankford (2010 إلى أن الإرهابيين الانتحاريين قد يكونون في الواقع انتحاريين، إذ إنه يستعرض بعض النتائج التي تدعم الادعاء القائل بأن بعض الإرهابيين الانتحاريين يحملون العديد من الخصائص الرئيسة للانتحار الأناني:

1. الرغبة في الهروب من العالم.
2. الرغبة في الهروب من المسؤولية الأخلاقية عن أفعالهم.
3. عدم القدرة على التعامل مع الأزمة المتصورة.
4. الشعور المنخفض بتقدير الذات.

يسرد بونغار (2002A) (Bongar (2002a العوامل التالية بصفتها عوامل خطر في معظم حالات الانتحار: بالنسبة إلى الذكور من هم في سن 60 أو أكثر، الأرامل أو المطلقات، الذين يعيشون وحدهم، العاطلون عن العمل أو أولئك الذين لديهم مشكلات مالية، الأحداث السلبية الأخيرة، مثل فقدان الوظيفة أو وفاة شخص قريب، الاكتئاب المرضي، وانفصام الشخصية، وتعاطي المخدرات، وتاريخ من محاولات الانتحار أو التفكير به، والشعور باليأس، ونوبات الذعر والقلق الشديد، وانعدام التلذذ الشديد. معظم الإرهابين الانتحاريين لا يعانون عوامل الخطر هذه، كما أنهم لا يظهرون أي نية للانتحار، أو إظهار علامات أو خلفيات المرض العقلي. (حسن، 2010، كافانا، 2011؛ مراري وآخرون، 2009؛. تاونسند، 2007؛ فيكتوروف، 2005) (Hassan, 2010; Kavanagh, 2011; Merari et al., 2009; Townsend, 2007; Victoroff, 2005).

في المقابل، يظهر الإرهابيون الانتحاريون جانبًا من الملامح الديموغرافية؛ فقد تألفت معظم الفصائل الإرهابية الانتحارية الفلسطينية أساسًا من الذكور في سن المراهقة المتأخرة (ميراري، 2010) (Merari, 2010). كان الإرهابيون الانتحاريون في أحداث 09/11 في سن تتراوح بين 28 و33 عامًا، بعضهم رجال متزوجون وأصحاب مهن، مع التعليم العالي ومن الطبقات الميسورة. (بوست وآخرون، 2009) (Post et al., 2009). كما وجد الكثير من أعضاء القاعدة الآخرين في سن البلوغ المبكر، متعلمين، ومتزوجين ولديهم أطفال. (هيجهامر، 2007؛ سيغمان، 2004) (Hegghammer, 2007; Sageman, 2004). أضف إلى ذلك، تحاول الجماعات الإرهابية في العادة التخلص من المجندين المختلين عقليًا؛ لأنهم من المحتمل أن يشكلوا خطرًا أمنيًا على العمليات والمنظمة ككل. (هورغان، 2005؛ سيلك، 2003) (Horgan, 2005; Silke, 2003). بدلًا من ذلك تفضل المنظمات الإرهابية تجنيد أولئك الذين يظهرون الاعتيادية غير المهددة، والذين يمكنهم الاندماج في المحيط الذي يعيشون فيه. (أنطونيوس، وايت، عجماني، وشاراب،

(2012) (Antonius, White–Ajmani, & Charap, 2012). وهذا أحد الأسباب الرئيسة التي تدفع هذه المنظمات لتجنيد النساء. (ديرنغ، 2010) (Dearing, 2010).

قام ميراري (2010) (2010) Merari بدراسة الانتحاريين الأحياء الذين فشلوا أو بقوا على قيد الحياة بعد الهجمات الانتحارية لأسباب مختلفة، وتم القبض عليهم من قبل قوات الأمن الإسرائيلية، وأُجريت معهم مقابلات بموافقة الفريق الطبي في السجن، وتألفت عينة أخرى في بحثه من المشغلين الذين خططوا وسهلوا ونسقوا الهجمات الانتحارية؛ وجد ميراري (2010) (2010) Merari أن التصرفات الانتحارية لم تُكتشف في غالبية المرشحين للانتحار ونسبتهم 60 في المئة، بالإضافة إلى ذلك، وجد أن عوامل الخطر التي ترتبط بالإرهاب الانتحاري كانت مختلفة مقارنة مع أولئك الانتحاريين العاديين، وكان معظم الإرهابيين الانتحاريين –على وجه التحديد– غير مكتئبين، أو ميؤوسًا منهم، أو متسرعين، أو وحيدين، أو عاجزين؛ لم يكن لديهم اضطرابات نفسية يمكن تشخيصها، ولم يظهروا أي تشويه سابق لذواتهم، فقد كان العامل المرتبط بالإرهاب الانتحاري الأكثر خطورة هو شخصية المرشح، ذلك هو الفرد الأكثر عرضة للتأثير الخارجي، (شخصية اتكالية انطوائية، والتي هي ليست عامل خطورة نموذجي لدى المنتحرين العاديين). مثل هؤلاء المرشحين عادة ما يكونوا خجولين، مهمشين اجتماعيًّا، تابعين بدلًا من قادة، منعزلين، غرباء، لهم تاريخ من الفشل في المدرسة، أو الشعور بأنهم مُخيِّبين لآمال آبائهم وأسرهم. (مراري، 2010) (Merari, 2010). كما أن تركيز المنظمات الإرهابية على تجنيد هؤلاء الأفراد يمكن النظر إليه ضمن التزايد في تجنيد الأطفال والبالغين الصغار لتنفيذ عمليات انتحارية في أفغانستان وباكستان لتنظيم القاعدة. (هيومن رايتس ووتش، 2011) (Human Rights Watch, 2011).

فكرة أن شخصية الإرهابيين الانتحاريين تكون من الأشخاص الاتكاليين والانطوائيين تؤيدها حقيقة أن التحضير للقيام بأي عملية يستلزم تحريضًا لمختلف العمليات الفصامية (على سبيل المثال، رؤية النفق، تشتيت الانتباه، الابتعاد عن المشاعر والجسد، شبه النشوة المنومة، استسلام الذات، والاقتراب من الله). هذه العمليات يمكن أن تكون من صنع الذات، ولكن في

كثير من الأحيان يتم التلاعب بها وترويجها من قبل المشغلين الإرهابيين والمرشدين الروحيين. (أورباخ، 2004) (Orbach, 2004).

هناك اتجاه عام لدى الناس لإطاعة السلطة، ولكن يظهر بعض الأفراد ميلًا كبيرًا في الموافقة على تنفيذ أعمال من شأنها أن تضر الآخرين. (أتران، 2003) (Atran, 2003). وقد تجلى ذلك في تجربة سلطة ميلغرام الشهيرة التي نفذ فيها المشاركون الأوامر التي أضرت بمشاركين آخرين. (ميلغرام، 1974) (Milgram, 1974). لهذا فالمنظمات الإرهابية تبحث في كثير من الأحيان عن الأفراد المتأثرين للغاية لتجنيدهم في تنفيذ العمليات الانتحارية، والتأكيد النهائي لفكرة أن إقناع الفرد هو الجانب الأساسي من شخصية الانتحاري الإرهابي يمكن إيجادها في معالجة العديد من المهاجمين الانتحاريين النساء؛ فالعديد من النساء اللواتي انضممن إلى المنظمات الإرهابية لم يلتحقن ليصبحن انتحاريات، وكن غير مستعدات لتنفيذ عمليات انتحارية، وقد تعرضن في كثير من الأحيان لضغوط كبيرة من قبل أعضاء آخرين في المجموعة، ومن البيئة الثقافية، والأقران، وفقدان الشخصية الزائد، حتى ينفذن مثل هذه الأعمال. (ديرنغ 2010، فيكتور، 2006) (Dearing, 2010; Victor, 2006).

## مناقشة

اليوم، هناك إجماع متزايد في الأدبيات على أن صفات الإرهابيين الانتحاريين تختلف كثيرًا عن صفات الفرد الذي يقوم بالانتحار الأناني (ميراري 2010، بيب، 2005؛ بوست وآخرون، 2009؛. تاونسند، 2007) (Merari, 2010; Pape, 2005; Post et al., 2009; Townsend, 2007). معظم الإرهابيين الانتحاريين لم تكن لديهم سلوكيات انتحارية، أو عوامل الخطورة الشائعة، أو الاضطراب العقلي الممكن تشخيصه، كما لم يبدوا أي سلوك ينم عن تشويه سابق للذات؛ وكان العامل الأكثر شيوعًا المرتبط بالإرهابيين الانتحاريين هو القابلية للتأثير الخارجي، ويبدو أن المنظمات الإرهابية تهتم بعمق في تجنيد الأفراد الذين هم في شخصياتهم اتكاليون / انطوائيون، وعلاوة على ذلك، على النقيض من الانتحار الأناني، هناك عناصر إضافية تعد مهمة في صنع الإرهابي الانتحاري:

1. التلقين للأيديولوجية، والثقافة، والمناخ العام، والمهمة، وُمثل المجموعة.
2. الالتزام بالجماعة.
3. الالتزام الشخصي.
4. الدعم الشعبي.

لذلك، في الجواب عن السؤال: هل الإرهابيين الانتحاريون هم انتحاريون؟ فإن الجواب في معظم الحالات ربما لا، ولاسيما عندما نتفحص الخصائص المشتركة ونقارنها مع الانتحار الأناني والإيثاري؛ يرى تاونسند (2007) (2007) Townsend أن الإرهاب الانتحاري بوصفه صنفًا من السلوك مختلف أكثر من مجموعة فرعية أخرى من الانتحار الأناني، وهذا أمر منطقي؛ لأن بعض النتائج تدعم أن معظم الإرهابيين الانتحاريين ليسوا انتحاريين حقًّا في الطريقة التي يتم بها تعريف السلوك الانتحاري. (ميراري 2010، تاونسند، 2007) (Merari, 2010; Townsend, 2007). يرى ميراري أن الاكتئاب والانتحار (بوصفه عاملًا مهمًّا مساهمًا، لكنه ليس المحرك الرئيس لإجراء عملية انتحارية في معظم الحالات). (مراري، 2012، ص 452) (Merari, 2012, p. 452). وإذا نظرنا في جميع العوامل المذكورة أعلاه، فإننا سوف نشاطر رأي تاونسند (2007) Townsend (2007)، ونعتقد أن الإرهاب الانتحاري ينتمي إلى سلالة فرعية من السلوك، تغاير تلك المتعلقة بشكل الانتحار.

على الرغم من أن الرأي المناسب هو أن الإرهابيين الانتحاريين ليسوا انتحاريين في طبيعتهم، فمن المهم أن نلاحظ أن العديد من الكتاب يدعون أن الإرهابيين الانتحاريين في الواقع يظهرون بعض السلوكيات والتفكير الانتحاري (لانكفورد 2010، أورباخ، 2004) (Lankford, 2010; Orbach, 2004)؛ فما نجده من تشابهات بين الإرهابيين الانتحاريين والانتحار الأناني هو ناتج عن تطوير رؤية النفق فقط في المرحلة التي تسبق تنفيذ العملية (أورباخ، 2004) (Orbach, 2004)، ومن ثم هناك تشابه ممكن في مستوى العملية، وليس في خصائص الفرد أو عوامل الخطر التي تفضي إلى صنع مهاجم انتحاري، ومع ذلك، بالنظر إلى تعقيد الإرهاب الانتحاري، والدور الذي تؤديه الثقافة والمنظمات في التلقين، والإعداد والتدريب، وتنفيذ الهجمات، فإننا نواجه صعوبة في شرح سلوك الإرهابيين الانتحاريين من خلال إسناد عوامل

الخطر عندهم، وخصائص الشخصية التي تحظى بقبول واسع في حالات الانتحار الأناني، ومع ذلك نحن نشاطر دعوة لانكفورد (2010) Lankford's (2010) للباحثين لتعزيز العمل في الميدان في حقل الإرهاب الانتحاري، وأن يترك مجال للإجابة عن هذا السؤال في السنوات القادمة التي سوف تتوافر فيها -كما نأمل- بيانات إضافية، ما هو مطلوب هو البيانات الخام، بما في ذلك مقابلات مع المشاركين في جميع المستويات من عمليات الإرهاب الانتحاري، لا سيما في التجنيد والتلقين والتدريب والتنفيذ؛ هؤلاء المشاركون يجب أن يتضمنوا: إرهابيين انتحاريين ممن نجوا من هجمات أو تم القبض عليهم قبل العملية، والقادة على مستوى القرار المشغلين والمنظمين للهجمات، والميسرين، من رجال الدين، والمدربين، ويفضل أن تشمل المقابلات إجراء تقييم سريري يقوم بتنفيذه علماء نفس سريريين مدربين على تقييمات الانتحار، واضطرابات الشخصية، وعلم النفس الشرعي، وبما أن البيانات الأولية المتعلقة بالإرهاب الانتحاري يصعب الحصول عليها، فإن التقدم في هذا الميدان من المؤكد سيعاني البطء الشديد، وقد يكون هناك طريق محتمل لإمكانية الوصول إلى هذه البيانات، من خلال التعاون مع الجيش الأمريكي ووكالات الاستخبارات الأمريكية التي من المرجح أن تأتي بمثل هذه المعلومات.

## خلاصة

لقد أصبح من الواضح أن تصنيف الأفراد الذين يميلون إلى إكمال تنفيذ الهجمات الانتحارية مهمة صعبة؛ فاليوم يفتقر علماء النفس ووكالات مكافحة الإرهاب لمقياس موحد يمكن أن يشير إلى إمكانية أن يصبح هذا الفرد إرهابيًا انتحاريًا. أضف إلى ذلك، أصبح من الواضح أن الإرهابيين الانتحاريين لديهم خلفية ثقافية ونفسية، واقتصادية متنوعة، وهذا ما سيجعل المهمة أكثر صعوبة. نتائج ميراري (2010) تكشف نموذج الشخصية الاتكالية / الانطوائية كونها العامل الوحيد الأكثر شيوعًا الذي يمكن أن يساعد عناصر مكافحة الإرهاب على تحديد مكان الإرهابيين الانتحاريين المحتملين، وبما أن عملية تحديد المشتبه بهم المحتملين صعبة بالفعل، وبالنظر إلى أهمية النظام الداعم اللازم لتنفيذ مثل هذا الهجوم، فقد يكون من الحكمة تخصيص موارد مكافحة الإرهاب في مجالات أخرى غير تحديد هوية المهاجم، وينبغي أن تشمل هذه المجالات:

1. المجنِّدين: إذ إن الإرهابيين الانتحاريين المحتملين بحاجة إلى أن يكونوا أفرادًا أكثر عرضة للتأثيرات الخارجية؛ لذلك يجب أن يكون لدي المجنِّدين شخص يتمتع بقدرة عالية على التأثير في الناس، لذلك ينبغي تخصيص أصول مكافحة الإرهاب للكشف عن الأفراد ذوي النفوذ الضالعين في التجنيد، وإبقاء هؤلاء الأفراد تحت المراقبة.
2. بيئة التجنيد: ينبغي أن توجه موارد مكافحة الإرهاب إلى البيئات التي يمكن أن يجند فيها الأفراد الاتكاليون، ويغرر بهم من قبل نشطاء المنظمات الإرهابية، ويمكن أن تشمل هذه المواقع المدارس، والنوادي، والجمعيات الشبابية، وبيوت العزاء، والسجون.
3. البنية التحتية التنظيمية: بما أن الإرهاب الانتحاري ظاهرة تنظيمية وليس ظاهرة فردية، فمن المنطقي استهداف هذه المنظمة، وهذا ما قام به جزئيًّا أعضاء منظمة حلف شمال الأطلسي عندما استهدفوا الموارد المالية للمنظمات الإرهابية؛ مثل حزب الله، وتنظيم القاعدة، وحماس، وغيرها.
4. الثقافية السياسية: العديد من الباحثين ينصحون بتركيز عمل علماء النفس، وموارد مكافحة الإرهاب على العوامل الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالإرهاب الانتحاري (بريم وآراج، 2012؛ حسن، 2010) (Brym & Araj, 2012; Hassan, 2010). وأخيرًا، إذا كان يجب أن يتم تحديد هوية المهاجمين الانتحاريين المحتملين، فمن المستحسن اتباع نتائج ميراري (2010) Merari (2010) والبحث عن الفرد ذي الشخصية الانطوائية / الإتكالية؛ فهذا الشخص عادة ما يكون خجولاً، مُهمَّشًا اجتماعيًّا، تابعًا وليس قائدًا، وحيدًا، غريبًا، فاشلً في دراسته وفي عمله، أو لديه شعور بأنه خيّب آمال والديه وأسرته.

## المراجع

## REFERENCES

Abdel-Khalek, A. M. (2004). Neither altruistic suicide, nor terrorism but Martyrdom: A Muslim perspective. Archives of Suicide Research, 8(1), 99-113.

188 BRUCE BONGAR, URI KUGEL, AND VICTORIA KENDRICK Aharonson, D. L., Klein, Y., & Peleg, K. (2006). Suicide bombers form a new injury profile. Annals of Surgery, 244(6), 1018–1023.

Antonius, D., White–Ajmani, M. L., & Charap, J. (2012). The behavioral profile of a terrorist: Theoretical and empirical observations. In U.

Kumar & M. K. Mandal (Eds.), Countering terrorism: Psychological strategies (pp. 96–117). New Delhi: SAGE Publications.

Araj, B. (2012). The motivations of Palestinian suicide bombers in the second intifada (2000 to 2005). Canadian Review of Sociology, 49(3), 211–232. Atran, S. (2003). Genesis of suicide terrorism. Science, 299(5612), 1534– 1539.

Bongar, B. (2002a). The assessment of elevated risk. The suicidal patient: Clinical and legal standards of care, 2nd ed. (pp. 81–137). Washington, DC: American Psy– chological Association. doi:10.1037/10424–003 Bongar, B. (2002b). The knowl– edge base. The suicidal patient: Clinical and legal standards of care, 2nd ed. (pp. 3–38). Washington, DC: American Psychological Association. doi:10.1037/10424–001

Brym, R. J., & Araj, B. (2012). Are suicide bombers suicidal? Studies in Conflict & Terrorism, 35(6), 432–443.

Burnham, G. (2011). Suicide attacks—the rationale and consequences.

The Lancet, 37(9794), 855–857.

Centers for Disease Control and Prevention. (2010). Web–based injury statistics query and reporting system (WISQARS). Retrieved online on December 17, 2012 from www.cdc.gov/ncipc/wisqars

Crenshaw, M. (2007). Explaining suicide terrorism: A review essay.

Security Studies, 16(1), 133–162.

Dearing, M. P. (2010). Like red tulips at springtime: Understanding the absence of female martyrs in Afghanistan. Studies in Conflict & Terrorism, 33(12), 1079–1103.

Durkheim, E. (1951). Suicide. New York, NY: Free Press.

Fields, R. M., Elbedour, S., & Hein, F. (2002). The Palestinian suicide bomber. In C. E. Stout (Ed.), The psychology of terrorism: Clinical aspects and responses (Vol. II, pp. 193–223). Westport, CT: Praeger Publishers/Greenwood Publishing Group.

Hassan, N. (2001, November 19). An arsenal of believers: Talking to the "human bombs." The New Yorker. Retrieved from http://www.newyorker.

com/archive/2001/11/19/011119fa_FACT1

Hassan, R. (2010). Life as a weapon: Making sense of suicide bombings.

Dialogue, 29(2), 5–9.

Hasso, F. S. (2005). Discursive and political deployments by/of the 2002 Palestin– ian women suicide bombers/martyrs. Feminist Review, 81(1), 23–51.

Hegghammer, T. (2007, February 05). Saudi militants in Iraq: Backgrounds and recruitment patterns. Retrieved from Oslo: Norwegian Defense ARE SUICIDE TERRORISTS SUICIDAL? 189

Research Establishment website: http://www.ffi.no/no/Rapporter/06–03875. pdf

Hicks, M. A. (2011). Casualties in civilians and coalition soldiers from suicide bombings in Iraq, 2003–10: A descriptive study. Lancet, 378(9794), 906–914.

Hirvikoski, T., & Jokinen, J. (2012). Personality traits in attempted and completed suicide. European Psychiatry: The Journal of the Association of European Psychi– atrists, 27(7), 536–541.

Horgan, J. (2005). Psychology terrorism. London: Cass Publications.

Human Rights Watch. (2011, August 31). Afghanistan: Taliban should stop using children as suicide bombers. Retrieved from http://www.hrw.org/

news/2011/08/31/afghanistan–taliban–should–stop–using–children–suici–de–bombers

Israeli, R. (2003). Islamikaze: Manifestations of Islamic martyrology.

Portland, OR: Frank Kass Publishers.

Kavanagh, J. (2011). Selection, availability, and opportunity: The conditional ef–fect of poverty on terrorist group participation. Journal of Conflict Resolution, 55(1), 106–132.

Kruglanski, A., Gelfand, M., & Gunaratna, R. (2012). Terrorism as a means to an end: How political violence bestows significance. In P.

Shaver & M. Mikulincer (Eds.), Meaning, mortality and choice: The social psy–chology of existential concerns (pp. 203–212). Washington, DC: American Psy–chological Association.

Kumar, U., Mukherjee, S., & Prakash, V. (2012). Sociocultural aspects of terrorism. In U. Kumar & M. K. Mandal (Eds.), Countering terrorism: Psychosocial strategies (pp. 47–73). New Delhi: SAGE Publications.

Kushner, H. W. (1996). Suicide bombers: Business as usual. Studies in Conflict & Terrorism, 19(4), 329–337.

Lankford, A. (2010). Do suicide terrorists exhibit clinically suicidal risk factors? A review of initial evidence and call for future research.

Aggression and Violent Behavior, 15(5), 334–340.

Lankford, A., & Hakim, N. (2011). From Columbine to Palestine: A comparative analysis of rampage shooters in the United States and volunteer suicide bombers in the Middle East. Aggression and Violent Behavior, 16(2), 98–107.

Leenaars, A., Ben Park, B., Collins, P., Wenckstern, S., & Leenaars, L. (2010). Mar–tyrs' last letters: Are they the same as suicide notes? Journal of Forensic Sciences, 55(3), 660–668.

Liem, M., Barber, C., Markwalder, N., Killias, M., & Nieuwbeerta, P. (2011). Ho–micide–suicide and other violent deaths: An international comparison. Forensic Science International, 207(1–3), 70–76.

Martinez, D. P. (2007). Kamikaze diaries: Reflections of Japanese student sol–diers—By Emiko Ohnuki–Tierney. Journal of the Royal Anthropological Institute, 13(3), 775–776.

190 BRUCE BONGAR, URI KUGEL, AND VICTORIA KENDRICK Merari, A. (2010). Driven to death. Psychological and social aspects of suicide terrorism. New York, NY: Oxford University Press.

Merari, A. (2012). Studying suicide bombers: A response to Brym and Araj's cri–tique. Studies in Conflict & Terrorism, 35(6), 444–455.

Merari, A., Diamant, I., Bibi, A., Broshi, Y., & Zakin, G. (2009). Personality char–acteristics of "self–martyrs"/"suicide bombers" and organizers of suicide attacks. Terrorism and Political Violence, 22(1), 87–101.

Milgram, S. (1974). Obedience to authority. New York: Harper & Row. Moghadam, A. (2003). Palestinian suicide terrorism in the second intifada: Motivations and organizational aspects. Studies in Conflict & Terrorism, 26(2), 65–93.

Orbach, I. (2004). Terror suicide: How is it possible? Archives of Suicide Research, 8(1), 115–130.

Pape, R. A. (2005). Dying to win: The strategic logic of suicide terrorism.

New York: Random House.

Pittel, K., & Rübbelke, D. T. G. (2012). Decision processes of a suicide bomber—the economics and psychology of attacking and defecting.

Defence and Peace Economics, 23(3), 251–272.

Post, J., Ali, F., Henderson, S. W., Shanfield, S., Victoroff, J., & Weine, S.

(2009). The psychology of suicide terrorism. Psychiatry, 72(1), 13–31.

Preti, A. (2008). School shooting as a culturally enforced way of expressing suicidal hostile intentions. Journal of the American Academy of Psychiatry and the Law, 36(4), 544–550.

Rosenberger, J. (2003). Discerning the behavior of the suicide bomber: The role of vengeance. Journal of Religion & Health, 42(1), 13–21.

Roy, A. (1988). Risk factors in suicide. Symposium of the Suicide Education Institute of Boston, in collaboration with the Center of Suicide Research and Prevention, at the American Psychiatric Association Annual Meeting, Montreal, Quebec, Canada.

Sageman, M. (2004). Understanding terror networks. Philadelphia, PA: University of Pennsylvanian Press.

Schirrmacher, C. (2012). They are not all martyrs Islam on the topics of dying, death and salvation in the afterlife. Evangelical Review of Theology, 36(3), 250–265.

Silke, A. (2003). Terrorists, victims and society: Psychological perspectives on terrorism and its consequences. West Sussex: Wiley Blackwell.

The National Counterterrorism Center (NCTC). (2011). Annual Report on terrorism. Washington, DC: Office of the Director of National Intelligence National Counterterrorism Center. Retrieved online on December 17, 2012 from http://www.nctc.gov/docs/2011_NCTC_Annual_Report_Final.pdf

ARE SUICIDE TERRORISTS SUICIDAL? 191

Townsend, E. (2007). Suicide terrorists: Are they suicidal? Suicide and Life–Threatening Behavior, 37(1), 35–49.

Victor, B. (2006). Army of roses. London: Constable & Robinson.

Victoroff, J. (2005). The mind of the terrorist: A review and critique of psychological approaches. Journal of Conflict Resolution, 49(3), 3–42.

Wallace, B. (2004, September 25). They've outlived the stigma. Los Angeles Times. Retrieved from: http://articles.latimes.com/2004/sep/25/world/fg–kamikaze25

# 10

# دور علماء النفس العسكريين والأطباء النفسيين في فهم الإرهاب الانتحاري

أوري كوغل أفادوا، ري بلاك، جوزيف توملينز، إلفين شيخاني، بروس بونغار، مورغان بانكس، واري جيمس

Uri Kugel, Laurie Black, Joseph Tomlins, Elvin Sheykhani, Bruce Bongar, Morgan Banks, and Larry James

يوصف الإرهاب عمومًا بأنه عمل من أعمال العنف ضد مجموعة من الأفراد الآمنين، في كثير من الأحيان غير المقاتلين (على سبيل المثال، المدنيون)، بهدف زرع الخوف في أكبر مجموعة سكانية مستهدفة لتحقيق أهداف مختلفة، وهذه الأهداف ذات طبيعة سياسية أو دينية أو الاثنان معًا (فاريا وآرسي، 2006) (Faria & Arce, 2006). ومع ذلك، يرى بعضهم أن الحرب متجذرة في (العنف البدائي، والكراهية والعداوة، التي يجب عدُّها قوة عمياء طبيعية (كلاوزفيتز، 2008، ص. 89) (Clausewitz, 2008, p. 89). وتعرف الحكومة الأميركية الإرهاب بأنه (العنف الذي يمارس مع سبق الإصرار ضد أهداف غير حربية، وبدوافع سياسية من قبل جماعات غير حكومية او عملاء سريين، الهدف منه التأثير في الجمهور. (العنوان 22 من قانون الولايات المتحدة، القسم 2656f). ولهذا تعد هذه الجماعات جهات فاعلة غير حكومية).

الآثار النفسية للإرهاب يمكن أن تكون كبيرة؛ فالإرهاب قد يثير الخوف والقلق الذي يمكن أن يمتد في بعض الأحيان إلى ما هو أبعد من الأفراد المتضررين مباشرة، ويشتد ذلك من خلال التغطية الإعلامية التي تؤثر بشكل مباشر في الجمهور المستهدف، كما يرى هوفمان (2006) Hoffman (2006) أنه صُمِّم لممارسة السلطة حيث لا توجد أو تكاد لا تذكر شيئًا.

باستخدامهم العنف لبث الدعاية يسعى الإرهابيون إلى الحصول على النفوذ والتأثير والسلطة التي يفتقرون إليها؛ من أجل إحداث تغيير سياسي على المستوى المحلي أو الدولي، فقد ذكر فيكتوروف (2005) (2005) Victoroff، ( أن أي جهد للكشف عن العقل الإرهابي سوف يؤدي على الأرجح إلى الكشف عن طيف واسع من العقول الإرهابية). (ص7). علاوة على ذلك، هذا الفهم قد يقود المرء إلى الانغماس في معتقدات غير صحيحة مع أنها تبدو موضوعية؛ فالرجل الذي يصنف إرهابيًّا هنا قد يكون هو نفسه مقاتلًا من أجل الحرية في موضع آخر. في المقابل، يسلط مارتن ردنر الضوء بكل وضوح على الطبيعة المضللة لهذه المسألة بقوله: (هي من تقيم صحة القضية، حين يكون الإرهاب عملًا. يمكن أن تكون للمرء قضية جميلة تمامًا، لكن إذا ارتكب المرء أعمالًا إرهابية، فهو إرهاب بغض النظر عن أي شيء). (همفريز، 2007، ص 1) (Humphreys, 2007, p. 1).

الأفراد الذين يذهبون بعيدًا لدرجة التضحية بحياتهم من أجل إحداث تغيير (الإرهابيون الانتحاريون)، من المرجح أن تكون لهم وجهة نظر مختلفة، ويعدون أنفسهم شهداء بدلًا من إرهابيين غير أخلاقيين؛ لذلك فإن الإرهاب الانتحاري هو أكثر من كونه عملًا من أعمال العنف من أجل الوصول إلى السلطة؛ هناك آثار أخلاقية وثقافية ونفسية خطيرة تشجع الناس على الانتحار للتأثير في العمل السياسي عن طريق الخوف الشامل، وبالإضافة إلى ذلك، تمامًا مثل الجنود، غالبًا ما يُستخدم الإرهابيون الانتحاريون بوصفهم نوعًا من أنواع الأسلحة من قبل قادتهم، وعلى هذا النحو يتم تجنيد الإرهابي الانتحاري للقيام بعمل يدعم الأهداف السياسية لزعيم الجماعة الإرهابية.

الإرهاب الانتحاري ليس نتيجة إحباط شخصي شديد أو يأس وحسب، إنما هو ضرورة تنظيمية تزيد من احتمال وقوع هجوم إرهابي ناجح، ومن ناحية أخرى، هو عنصر جذب في جوهره للإرهابيين؛ بسبب آثاره السيكولوجية المزعجة في المجتمعات التي يشتغلون ضدها (هوفمان، 2006) (Hoffman, 2006).

من المهم أن ندرك التباين بين الإرهاب العام والإرهاب الانتحاري؛ فالهجمات الانتحارية الإرهابية لا يكون لها تأثير مستدام فقط، وإنما ينظر إليها على أنها سهلة ومضمونة، والتخطيط

لهجوم إرهابي يتطلب معرفة واسعة على صعيد الأساليب لتنفيذ أعمال العنف، إضافة إلى معرفة المنطقة المستهدفة بالهجوم، ومع ذلك، مع ميزة إضافية من الإرهابيين الانتحاريين لم تعد الهجمات تتطلب التدريب المكثف والمهاجمين الدهاة، ولكن بدلًا من ذلك يمكن أن يحققوا أهدافهم بكل بساطة عن طريق دعوة شخص مستعد، أو يمكن أن يكون مستعدًّا للتضحية بحياته من أجل قضيتهم.

أشار هوفمان (2006) (2006) Hoffman إلى أن الانتحاريين لا يحتاجون إلى أن يكونوا من النخبة، هم فقط بحاجة إلى أن يكونوا مستعدين لإنهاء حياة الآخرين وكذلك حياتهم نفسها؛ لهذا أن ترتدي حزامًا ناسفًا وتتجه إلى مركز تجاري أسهل بكثير من التخطيط لزرع قنبلة في منطقة غير مكشوفة، والتأكد من تفجرها بنجاح. وخلاصة القول، إن احتمال النجاح يجذب الإرهابيين إلى الإرهاب الانتحاري، بالإضافة إلى التأثير النفسي العميق الذي يفرضه على الهدف.

الإرهاب الانتحاري تزداد مرتكزاته الدينية على نحو متزايد؛ فبين عامي 2001 و2005، كانت 78 في المئة من الهجمات الإرهابية الانتحارية ذات طابع ديني (هوفمان، 2006) (Hoffman, 2006). وعلاوة على ذلك، من بين 35 مجموعة إرهابية قامت بمهام انتحارية عام 2005، كانت 86 في المئة منها ذات طابع إسلامي، يعتقدون أنه بعد نيل شرف الاستشهاد ستكون لهم مكافأة في الحياة الآخرة (هوفمان، 2006) (Hoffman, 2006). مع النظم العقائدية المشتركة، الإرهابيون الانتحاريون هم أولًا وأخيرًا أعضاء في المنظمات التي تدربهم، وهذه المنظمات في كثير من الأحيان تحدد أهدافها، وتوفر المتفجرات، وتصدر الأوامر لبدء الهجوم، وتحاول في نهاية المطاف إقناع عدد أكبر من السكان بعدالة قضيتهم (بلوم، 2006) (Bloom, 2006). وهكذا، فإن التوق إلى النقاء الديني أو الالتزام القوي برفاهية الجماعة أو كليهما معًا، قد يدفع الأفراد للانخراط في الإرهاب الانتحاري. من الناحية الموضوعية، من الممكن تفهم أن هؤلاء الناس يحسبون أنفسهم أنهم أشخاص إيثاريون، وبهذا فهم يؤيدون قضية منظماتهم، ويضمنون مكانة لأنفسهم وعائلاتهم في الجنة؛ يصف دوركايم (1951) (1951) Durkheim هذا النوع من الانتحار بأنه انتحار إيثاري حاد؛ وهو الرغبة في الموت من أجل الجمع مع الإله بوصف ذلك تعبيرًا قاطعًا على وجود العقيدة الدينية (ميراري، 2010) (Merari, 2010).

## مقارنة بين الإرهاب الانتحاري والقوات الخاصة

يبحث هذا الفصل التجنيد والاختيار، وإجراءات التدريب للمنظمات الإرهابية الانتحارية مثل تنظيم القاعدة، مقارنة مع الإجراءات التي تستخدمها المنظمات العسكرية مثل القوات الخاصة (SF).

في البداية، التباين والمقارنة بين القوات الخاصة والإرهابيين الانتحاريين تبدو مهمة جريئة نوعا ما، وقد يكون الافتراض الأولي أن أي تشابهات تعد مهمة إذا قورنت بالاختلافات المفترضة الكبيرة، وطالما الأمر كذلك، فإنه ينصح بدراسة التحيزات الشخصية؛ من أجل فهم موضوعي لمجموعة الاختلافات والتشابهات، وبهذه الطريقة يمكن للمرء أن يفهم الآثار المشروعة للمساعدة في جهود مكافحة الإرهاب. يقارن مقدِّم (2005) علم النفس الذي يؤدي إلى الإرهاب صعودًا على سلم ضيق، حيث سيبقى كثير من الناس في الطابق الأرضي، ومن ثم سيقوم المجنِّدون باختيار قلّة قليلة بنجاح من المنظمات الإرهابية، سنقارن ونباين هذه القلة القليلة مع القلة القليلة (لأفراد تم اختيارهم من أجل قوات العمليات الخاصة الذين يضطلعون بمهام خطيرة للغاية أيضًا).

## التجنيد والاختيار، وتدريب الإرهابيين

### الاختيار والتجنيد

التركيبة الديموغرافية للإرهابيين الانتحاريين تتنوع إلى حد كبير تبعًا للحالة التعليمة والاجتماعية والاقتصادية (SES) (أتران، 2003) (Atran, 2003)، والوضع العائلي والعمر (بوست وآخرون، 2009) (Post et al., 2009)، والجنس (ديرنغ، 2010) (Dearing, 2010). يصف جنكينز (2006) Jenkins (2006) التجنيد لدى المنظمات الإرهابية بأنه عملية انضمام إلى نظام تبشيري، بدلًا من الانضمام إلى مجموعة عسكرية؛ حيث تستخدم المنظمات الإرهابية إجراءات الاختيار والتجنيد المختلفة، بالإضافة إلى تجمعات التجنيد المختلفة؛ على سبيل المثال، غالبًا

ما تعتمد حماس (في قطاع غزة والضفة الغربية) التجنيد محليًّا من الفلسطينيين الأصليين، في حين أن تنظيم القاعدة يجند محليًّا ودوليًّا (سباراغو، 2007) (Sparago, 2007).

في دراسة لتنظيم القاعدة والشبكات التي تدور في فلكها، غالبًا ما ينظر إلى المتغيرات الآتية في معظم المجندين:

1. مسلم متفانٍ.
2. معظمهم من الذكور.
3. الشباب البالغون (من المراهقين والرجال في العشرينات من العمر).
4. من عرقيات جنسيات وخلفيات ثقافية مختلفة.
5. ثلاثة أرباعهم من المتزوجين.
6. ثلثهم لديهم أطفال.
7. في حالة بدنية جيدة.
8. مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية SES؛
9. مستوى عالٍ من الذكاء والتعليم.
10. لا يتم تجنيد الأفراد الذين يعانون اضطرابًا عقليًّا (سباراغو، 2007) (Sparago, 2007).

وقد تم تأكيد هذه الخصائص مع نتائج هيجهامر (2007) (2007) Hegghammer's ضمن عينة من مئتين وخمسة إرهابيين سعوديين قتلوا في العراق بين عامي 2003 و2005، وتتألف السمات الديموغرافية لهم بمعدل أعمارهم الذي لا يتجاوز ثلاثًا وعشرين عامًا، تسعة منهم ذوي خبرة قتالية سابقة، ومجموعة متنوعة من أصحاب الخلفية الاجتماعية والاقتصادية. تم تجنيد معظمهم من خلال التجنيد التجميعي (يقوم موظفو التجنيد بتوجيه دعوة للمرشح للانضمام إلى صفوفها)، وذلك باستخدام الرابط الاجتماعي الموجود من قبل، ويوضع في تجمعات خاصة. تم تجنيد بعضهم في عملية هرمية معكوسة؛ من الأسفل إلى الأعلى (على سبيل المثال، الإنترنت – يُعبِّر المرشح بوساطة الإنترنت عن رغبته في الانضمام إلى المجموعة). في الأسلوب الأخير، تتم عملية التجنيد في الغالب من خلال المجموعات والأصدقاء الذين اجتمعوا من أجل قضية موحدة، وعلاوة على ذلك، من أصل 205، قرابة 16 في المئة ماتوا مفجرين انتحاريين.

التجنيد لدى المنظمات الإرهابية عادة ما يتم في البيئات الآتية:

1. السجون، لا سيما حين يكون السجناء منخرطين في أنشطة وروابط دينية.
2. المدارس؛ وهي مدارس دينية بمستويات منخفضة من التعليم – معظم المجندين في هذه المرحلة صغار جدًّا (العمر: 8–10 سنوات).
3. المساجد؛ حيث يمكن للأفراد ذوي البنية الاجتماعية والدينية المتماثلة أن يتلاقوا، ويتناقشوا ويتفاعلوا.
4. مخيمات اللاجئين التي تضم أناس لديهم مظالم سياسية كبيرة.
5. شبكة الإنترنت؛ حيث التجنيد من الأسفل إلى الأعلى هو الشائع (بوست، 2005؛ بوست وبيتس، 2012؛ سباراغو، 2007) (Post, 2005; Post & Pittas, 2012; Sparago, 2007)، ويعتمد تجنيد الإنترنت بقوة على أشرطة الفيديو لشهداء سقطوا، والهجمات الانتحارية الناجحة الأخرى التي تلهم الأفراد المهتمين. التجنيد في كثير من الأحيان يتم من قبل أناس من ذوي السلطة، ومن قبل الأئمة، والناس المحترمين في حيّهم، أو ذوي القدرات الشخصية القوية أو الاثنين معًا (جنكينز، 2006؛ بوست، 2004) (Jenkins, 2006; Post, 2004).

المجنِّدون في كثير من الأحيان يزجون المؤمنين الأقوياء، ويستهدفون الشباب بالسخرية، من خلال إثارة مشاعر الذل والعار، والشعور بالذنب عندهم، ويوفرون لهم فرصة استعادة كرامتهم ورجولتهم، وواجباتهم، وشرفهم من خلال الانضمام إلى الجهاد (دالي وغيروهر، 2006؛ جنكينز، 2006) (Daly & Gerwehr, 2006; Jenkins, 2006).

وهكذا، غالبًا ما يكون الأشخاص المعنيون بالتجنيد خبراء في السلوك البشري، ويستخدمون مجموعة متنوعة من المكافآت والعقوبات لتحريض المجندين: يجب على الأخ الذي يدير المنظمة أن تتوافر لديه مؤهلات المحقق والطبيب النفسي المثالي (بوست، 2004، ص 101) (Post, 2004, p. 101).

حدد كافانا (2011) (Kavanagh (2011 أن التعليم العالي إضافة إلى الفقر هما مؤشران للمشاركة المحتملة في العمليات الاستشهادية بين المجندين في حزب الله، وكما يزيد الحرمان الاقتصادي من المشاركة في التجنيد يأتي المكون الإضافي للتعليم العالي ليزيد من احتمال المشاركة بنسبة خمسة أضعاف؛ ولذلك، من أجل زيادة فرص نجاح المهمة، تظهر المنظمات الإرهابية تفضيل تجنيد الأفراد المتعلمين؛ ذلك أن الهجمات الانتحارية تتطلب مستوى عاليًا من الحدس، والقدرة العالية على التكيف، ومجموعة من المهارات القوية.

حالما يتم اختيار المجند ويقبل الدعوة للانضمام إلى المنظمة الإرهابية، يبدأ العمل في صفوفها، وعادة ما تكون البداية بلقاء عضو رفيع المستوى في المنظمة ومن السلطة الروحية، ورغم أن التلقين غالبًا ما يكون عملية تدريجية؛ من لحظة البدء الرسمي، يصبح المجند الشهيد الحي ويتم إخضاعه نفسيًا لتنفيذ دوره المحتوم (أورباخ، 2004) (Orbach, 2004). وبالنسبة إلى أتباع الإسلام المتطرف، هذا هو أعلى تكريم؛ لأنه يدل على التزام لا رجعة فيه بالموت في هجوم على أعداء المنظمة، وهو في كثير من الأحيان تحوّل في رغبة الفرد للموت في سبيل الله (أورباخ، 2004؛ بوست، 2005) (Orbach, 2004; Post, 2005).

## التحفيز

هناك العديد من العوامل المحفزة للانضمام للمنظمات الإرهابية، وخاصة تنظيم القاعدة (كافانا، 2011؛ سباراغو، 2007) (Kavanagh, 2011; Sparago, 2007)، منها:

1. **الدعم الاجتماعي:** توفر المنظمات الإرهابية بنية ترابطية؛ حيث يستطيع الأعضاء ذوو الأيديولوجيات والمعتقدات المتشابهة أن يدعموا بعضهم.
2. **التحالف التاريخي:** تعمل المنظمات بوصفها رابطة مشتركة بين الأفراد الذين يقاتلون عدوًّا مشتركًا طوال الوقت.
3. **العمل السياسي:** الانضمام إلى المنظمة يدل على اتخاذ إجراءات سياسية بسبب المظالم والقمع. بالنسبة إلى كثير من الجهاديين، يفسر العمل الإرهابي على أنه شكل من أشكال العمل السياسي.

4. **جاذبية القائد:** يلتحق الكثيرون بالمنظمة تلبية لطلب شخصي من قادتهم الدينيين والعسكريين.
5. **المعتقدات الدينية:** ربما يكون أقوى مبرر للفرد لكي ينضم إلى الحرب المقدسة العالمية (الجهاد)، بدوافع القتال ضد الخطيئة والكفرة من أجل الدفاع الإسلام وحمايته، بالإضافة إلى ذلك، فإن احتمال تجنيد الإرهابيين يزيد في المناطق التي تعاني ضعف الحقوق السياسية والمدنية، ومستويات عالية من القمع، وعدم استقرار الحكومة.

## التلقين

الدور الرئيس في تأطير الإرهابي الانتحاري هو عملية التلقين (جنكينز، 2006) (Jenkins, 2006). بالنسبة إلى الكثير من المجندين الانتحاريين، تستمر الدورة الأولية للتلقين لمدة سنوات، وتحدث في المساجد، وفي الثقافة التي يعيش فيها الأفراد، وفي وسائل الإعلام (ميراري 2010، أورباخ، 2004) (Merari, 2010; Orbach, 2004). ومع ذلك، فإن الجزء الأكثر كثافة من التلقين يحدث داخل الجماعة الإرهابية: إن السبيل الوحيد لفهم هذه التظاهرة المخيفة من الاستعداد البشري للتضحية بالنفس، هي النظر في تأثير الجماعة في أفرادها (ميراري، 2007، ص. 109) (Merari, 2007, p. 109). وتحدد عملية التلقين موقف المجند الجديد في المنظمة الإرهابية، وتقدم التعليم عن المجموعة ومهامها، وتطور عقلية المجند تجاه تنفيذ الهجوم، وفي كثير من الأحيان تتيسر هذه العملية بتأثير من قائد وقوي (على سبيل المثال، أسامة بن لادن، والزرقاوي) (e.g., Osama bin Laden, Zarqawi).

عادة، يتكون التلقين من العناصر الأيديولوجية والسياسية، والدينية؛ ودمج هذه العناصر المشحونة عاطفيًّا يميل إلى ترسيخ وتعميق التزام الفرد في المنظمة وقضيتها، ويتم التلقين في معظمه في عزلة، وعادة ما يتم تشجيع المجندين على قطع العلاقات مع العالم الخارجي، ولا سيما أفراد العائلة والأصدقاء، وخصوصًا أولئك الذين يعارضون الجهاد، والمهمات الانتحارية، أو من لهم اهتمامات زائدة في مجال التجنيد، وتصبح المجموعة في هذه المدة الأسرة الجديدة

للمجند، وتنشأ حالة من التواكلية المتبادلة بين أعضاء المجموعة؛ تركز عملية التلقين على موضوعات، مثل مواجهة الموت، وتؤسس لحافز التجنيد من خلال التركيز على:

1. **المكافآت:** العديد من المجندين مقتنعون أنهم سيدخلون الجنة، بعد الموت، وسيكون في استقبالهم اثنتا وسبعون حورية، أو أن أسرهم ستحصل على مكافأة نقدية كبيرة.
2. تجريد العدو من الإنسانية (مدنيين وجنود) فهم كفار يعارضون الإسلام؛ ولذا ينبغي تدميرهم.
3. استغلال الدين والتاريخ في تمجيد الإسلام وقضيته بينما تضخم فظائع العدو وأيديولوجيته، ويتم التلاعب بها، وتخرج في كثير من الأحيان من السياق.
4. تعزيز الولاء للمجموعة - الفوائد الاجتماعية له بوصفه عضوًا مشروطة بالتزامه بالقضية، وبهدف انضمامه إلى المنظمة (سباراغو، 2007) (Sparago, 2007).

## التدريب

يجرى التدريب والإعداد للمهمات بطرق مختلفة بين مختلف المنظمات الإرهابية (برينجار، 2008) (Brynjar, 2008). معظم الجماعات الإرهابية تميز بين الأعضاء الذين يعدون حيويين لبقاء المجموعة والحفاظ عليها، وأولئك الذين يمكنهم التضحية بهم من أجل القضية، ويستخدمون عتادًا للمدافع؛ فقد كانت الغالبية العظمى من الإرهابيين الانتحاريين في العراق بين عامي 2002 و2008 من الذين لا يملكون خبرة عسكرية سابقة أو تدريبًا (تونسين، 2008) (Tønnessen, 2008).

ناصر (2008) (2008) Nesser يميز بين جيلين من الإرهابيين (خاصة الجهاديين الإسلاميين)؛ الجيل الأول قبل الغزو الأمريكي لأفغانستان (2003-2004)، وتدمير معسكرات التدريب لتنظيم القاعدة؛ فخلال هذه المدة، كان الاختيار والتجنيد، والتدريب للعناصر الإرهابية على العمليات يتم من أعلى إلى أسفل داخل تنظيم هرمي، حيث وفرت شبكة الزرقاوي والجماعات الإرهابية الأخرى في العراق، التدريبَ من قبل الجنود العراقيين السابقين من العسكريين والضباط، ومن مسلحين لديهم خبرة سابقة حصلوا عليها في أفغانستان، وكان

هؤلاء المدربون من ذوي الخلفيات القوية في المتفجرات وإعداد العبوات الناسفة (IED)، وتفخيخ السيارات، والقنص، وتزوير الوثائق، والتدريب على الأسلحة الخفيفة (تونيسين، 2008) (Tønnessen, 2008). وبسبب تدمير معسكرات تدريب الإرهابيين في أفغانستان، وضعف الشبكات التابعة لتنظيم القاعدة في العراق، اعتمد الجيل الثاني من الإرهابيين عملية التجنيد من أسفل إلى أعلى في الأفراد الذين يسعون إلى العمل والتجنيد، والتدريب بشكل مستقل (ناصر، 2008؛ تونيسين 2008) (Nesser, 2008; Tønnessen, 2008).

على الرغم من أن الكثيرين في هذه المجموعة سافروا إلى أماكن أخرى في العالم (على سبيل المثال، باكستان) لحضور معسكرات التدريب، إلا أن آخرين استخدموا التدريب الارتجالي، وتم تنفيذ ذلك في كثير من الأحيان بناءً على كراسات ترتكز على الإنترنت. التدريب في مخيم للمجندين من الجيل الثاني عادة يشمل الصلاة، والتمارين الرياضية إضافة إلى اجتياز عقبة، ومحاضرات نظرية حول الأسلحة والقتال، والتلقين الإسلامي، والتدريب في المباني، وضبط واستخدام أنواع مختلفة من الأسلحة؛ مثل الهاون 60 ملم، آر بي جي، والقذائف الصاروخية والمتفجرات. بعض المتدربين ذهب ليتخصص في العبوات الناسفة وإعداد السيارات المفخخة، وكذلك القنص (تونيسين، 2008) (Tønnessen, 2008).

في السنوات القليلة الماضية، أصبحت الكراسات على الإنترنت أكثر انتشارًا (ستيرينسين، 2008) (Stenersen, 2008)؛ فهناك كراس تدريب رئيس على الإنترنت هو (موسوعة الجهاد)، وتنقسم الى قسمين؛ الأول يغطي الأمن والمخابرات، والتنظيم، والتحقيق، والتجنيد، والعمليات، والحماية، ويقدم الثاني الدروس العملية في مجالات مثل الاغتيال، والسم، والحبر السري، وتصنيع المتفجرات، وتدريب القناصة. هناك أيضًا أشرطة فيديو تعليمية على شبكة الإنترنت لاستكمال الموضوعات المذكورة أعلاه، ومن المهم أن نلاحظ أن معظم المواد المتاحة على الإنترنت ليست موجهة نحو جماعة إرهابية معينة، ولا تنتجها بعض المنظمات مثل تنظيم القاعدة، وإنما من قبل المتعاطفين مع هذه المنظمات على الإنترنت (ستيرينسين، 2008) (Stenersen, 2008).

بشكل عام، التدريب من أجل المهام الانتحارية غالبًا ما يتم تنفيذه في عزلة، ويختلف إلى حد كبير من حيث المدة التي يستغرقها وفقًا لكل منظمة، والهدف المختار، وغيرها من تفاصيل العملية (أورباخ، 2004؛ تونيسين، 2008) (Orbach, 2004; Tønnessen, 2008). يسرد لنا أورباخ (2004) Orbach (2004) العناصر المشتركة الآتية في التدريب على شن هجمات انتحارية:

1. اللياقة البدنية، والمتفجرات، والتدريب على الأسلحة.
2. التلقين وتقوية الدافع لدى المجند لتنفيذ الهجوم، بما في ذلك عادة التلقين الديني والسياسي.
3. الاستعداد لمواجهة الموت والحياة الآخرة.

الأيام الأخيرة قبل الهجوم تكون في غاية التنظيم من أجل الحد من القلق، وضمان أن المجند لن تصبح قدماه باردتين. وخلال هذا الوقت، يتشكل سلوك وعقلية المجند بطريقة تعزز حالة الفصامي، ويركز على القصد من العملية، ويؤسس لرؤية النفق الذي يستمر حتى الهجوم الفعلي ووفاة المجند، ويتم تحقيق هذه العملية من خلال التفكير في أهمية المهمة ونتائجها، بالإضافة إلى التنقية والممارسات الدينية مثل الصلاة، والهتاف، والصوم. تصبح التفاصيل الدقيقة كلها موضوعة جانبًا خلال هذه المدة؛ على سبيل المثال، المجندون غالبًا ما يصبحون منشغلين في احتفالات مثل غسل أجسادهم وتنظيفها، وكذلك اختيار أفضل الملابس بعناية لهذه المناسبة، وفي نهاية المطاف، كل شيء ما عدا الاستشهاد يختفي من عقولهم، ويدخلون على النحو الأمثل في الحالة المتعالية مع التصميم على تنفيذ الهجوم.

## التجنيد، والاختيار، والتدريب لعناصر القوات الخاصة

قوات العمليات الخاصة هي وحدة نخبوية تتألف من جنود وطيارين، وأفراد بحرية في الجيش الأمريكي؛ عرَّفت وزارة الدفاع الأمريكية العمليات الخاصة بأنها:

> عمليات تتطلب نماذج فريدة من العمل، وتقنيات تكتيكية وتجهيزًا وتدريبًا غالبًا ما يجري في بيئات معادية، أو محرمة، أو ذات حساسية سياسية، وتتميز بواحدة أو أكثر مما يأتي: وقت حساس، السرية، انخفاض مستوى الرؤية، تنفذ بقوات محلية تتمتع بخبرات إقليمية وبدرجة

عالية من المخاطرة. (وزارة الدفاع، 2010، ص. 288) (Department of Defense, 2010, p. 288)

يمكن أن تنسب القوات الخاصة إلى مجموعات الكوماندوس في الحرب العالمية الثانية مثل المجموعة المركبة (5307) (المؤقتة)، المعروفة أيضًا باسم ماريلرز مارودرز. هذه القوات قاتلت في جنوب شرق آسيا، مستخدمة أسلوب حرب العصابات وتكتيكات غير تقليدية ضد اليابانيين (بانك، 1986). تستخدم مجموعة القوات الخاصة SF الحالية التكتيكات نفسها، بالتعاون مع القوات المسلحة في الدول الحليفة، فيتم نشرهم في بيئات معادية، حيث يكون نشر القوات التقليدية غير مناسب (هيئة الأركان المشتركة [هيئة الأركان المشتركة]، 2003). المشغلون الخاصون ([SO] قوات الجنود ضمن كتيبة العمليات الخاصة تختلف عن القوات النظامية من حيث اختيار المرشح والتدريب وتنوع المهام، والقيادة (قيادة العمليات الخاصة، SOCOM). تعمل قوات العمليات الخاصة داخل مختلف فروع الجيش، مثل جيش القبعات الخضر، وحرس الغابات، وقوات البحرية، وقوة دلتا، وفوج طيران العمليات الخاصة الـ 160. ومن الواضح أن التضمين الكامل لجميع فئات العمليات الخاصة هو خارج نطاق هذا الفصل، ولأغراض المقارنة، سنركز على الجيش من ذوي القبعات الخضر.

## القوات الخاصة: القبعات الخضر

يمكن لقوات العمليات الخاصة أن توجد في جميع فروع القوات المسلحة، ولكن مصطلح (القوات الخاصة) يشير من الناحية الفنية لنوع معين من الجيش؛ فقوات العمليات الخاصة تعرف أحيانًا باسم (القبعات الخضر). مدفوعة من عقيدة (تحرير المظلومين)، وتعمل حاليًّا ضمن سبع مجموعات (بانك، 1986؛ هيئة الأركان المشتركة، 2003) (Bank, 1986; Joint Chiefs of Staff, 2003).

اليوم، مهام القوات الخاصة تتلخص بما يأتي: (الحروب غير التقليدية) المعروفة أيضًا باسم حرب العصابات، الدفاع الداخلي الخارجي (تدريب البلدان على كيفية محاربة التمرد)، العمل المباشر (عمليات تكتيكية عدائية محددة، وعادة ما تحمل آثارًا إستراتيجية)، استطلاع

خاص (جمع معلومات عسكرية تكتيكية، وفي كثير من الأحيان تتوغل عميقًا داخل أراضي العدو)، ومكافحة الإرهاب (بانك، 2006، ص. 86) (Banks, 2006, p. 86).

القبعات الخضر يخضعون لقسوة في التجنيد والتقييم، والاختيار، وتستمر عملية التدريب لمدة سنتين، وخلال هذه المدة، يتم تقييم المجندين على قدراتهم العملية، وشخصياتهم، وقدراتهم المختلفة، وتماسك المجموعة، وحالما يكمل الجنود هذه العملية، يتم وضعهم ضمن الفريق المعروف باسم مفرزة ألفا لعمليات القوات الخاصة (بانك، 2006؛ ديمر، 2001؛ هيئة الأركان المشتركة، 2003؛ رسل، 1994) (Banks, 2006; Diemer, 2001; Joint Chiefs of Staff, 2003; Russell, 1994).

## التجنيد

هناك طرق عدة لاختيار القوات الخاصة، وقد يُعبِّر المُجنَّد داخل الجيش عن رغبته بأن يكون ضمن العمليات الخاصة، وأن يدرج ضمن قائمة التخصص المهني العسكري (MOS) بوصفه المرشح 18X-للعمليات الخاصة؛ هذه ليست كودًا رسميًّا للتجنيد المهني الرسمي، لكنها تُتيح للجندي فرصة لحضور تصفيات دورة القوات الخاصة (ديمر، 2001؛ بليبان وآخرون، 1988) (Diemer, 2001; Pleban et al., 1988). في الأصل، لا بد للمرشح إذا أراد الانضمام إلى القوات الخاصة أن يحمل على الأقل رتبة E-4 (مختص / عريف) (فلين، 2001) (Flin, 2001). في أعقاب هجمات 11 سبتمبر، أشارت دراسة أجرتها وزارة الدفاع أن الحالة الراهنة للعمليات الخاصة هي بحاجة ماسة إلى زيادة عدد المجندين؛ فالأوامر التنفيذية فضلًا عن التغيرات التنظيمية داخل القوات المسلحة للولايات المتحدة، سمحت بانضمام مجموعة كبيرة من الجنود المحتملين إلى القوات الخاصة (قسم من الجيش [DoA]، 2006؛ ديمر، 2001) ([DoA], 2006; Diemer, 2001). السماح لمجموعة أكبر من المرشحين المحتملين الانضمام إلى القوات الخاصة يخدم غرضين:

1. السماح بانضمام شبان أصغر سنًّا (18 عامًا) يعطيهم قدرًا أطول من الوقت في الميدان.

2. يزيد من الجودة الشاملة للمرشحين المحتملين الذين يرغبون في الانضمام (بارتون، رولاند، بيكانو، ويليامز، 2008؛ ديمر، 2001) (Bartone, Roland, Picano, & Williams, 2008; Diemer, 2001).

حتى يتأهل المرشحون لمرحلة التقييم ا، يجب أن يستوفوا جميع متطلبات القوات الخاصة، وهي:

1. أن يكون عمره على الأقل 18 سنة.
2. يجب أن يكون من الذكور (القوات الخاصة ليست متاحة للنساء).
3. أن يكون قد حصل على شهادة الثانوية العامة.
4. أن يكون مؤهلًا لمتطلبات اختبار الكفاءة المهنية في القوات المسلحة (ASVAB).
5. أن يحصل على درجة قتالية في الجيش الأميركي لا تقل عن 98 نقطة (ديمر، 2001؛ قيادة تجنيد الجيش الأمريكي [ARC]، 1999) (Diemer, 2001; U.S. Army Recruiting Command [ARC], 1999).

يجب أيضًا أن يستوفي متطلبات إضافية، مثل أن يتأهل لتصريح أمني على درجة من السرية، والخضوع لاختبار تعلم اللغة العسكرية الأجنبية في الجيش الأمريكي، وتلبية الحد الأدنى من متطلبات اللياقة البدنية (ديمر، 2001) (Diemer, 2001). حيث يُعطى المرشحون داخل القوات الخاصة أيضًا اختبارات نفسية؛ للتأكد من خلوهم من الأمراض العقلية التي يمكن أن تعيق القدرات العملية (قسم الجيش، 2006؛ قيادة التجنيد في الجيش، 1999) (Department of the Army , 2006; U.S. Army Recruiting Command, 1999). أما الحد الأدنى من متطلبات دخول أو اجتياز دورة تأهيل العمليات الخاصة، فيتغيّر على أساس دائم، ومن المهم أن نلاحظ أن نسبة مئوية صغيرة فقط من المجندين تجتاز جميع هذه المراحل الثلاث للدورة.

## التقييم

يتم حاليًّا، داخل الجيش الأمريكي، تخصيص ما يقرب من 1800 وظيفة لموظفي الخدمات في القوات الخاصة للترشيح لها سنويًّا (هذه الأرقام تتغير سنويًّا بسبب المتغيرات المختلفة)، وتحتوي دورة تأهيل القوات الخاصة على ثلاث مراحل، هي: المرحلة الأولى المعروفة باسم مرحلة التقييم والاختيار، ويشار إلى هذه المرحلة أيضًا من قبل المجندين بمرحلة الاختيار (ديمر، 2001؛ فلين، 2001) (Diemer, 2001; Flin, 2001)، هذه الدورة التي تستمر لمدة ثلاثة أسابيع تقيّم العديد من قدرات العملية، حيث يتم تقييم المجندين على الكفاءة القتالية، والملاحة البرية، والمهارة في استخدام مختلف أنظمة الأسلحة، بالإضافة إلى تقييم الصدمة العاطفية لديهم، وكذلك المرونة المعرفية (قيادة تجنيد جيش الولايات المتحدة، 1999؛ جيش الولايات المتحدة مكتب بحوث الموظفين، 1979) (U.S. Army Recruiting Command, 1999; U.S. Army Personnel Research Office, 1979).

**الأهلية والذكاء:** يذكر الجيش الأمريكي أن اختبار الكفاءة المهنية في القوات المسلحة (ASVAB) ليس قياسًا مناسبًا للذكاء؛ فالنقاط التي سجلت في هذا الاختبار لاختيار القوات الخاصة كانت أعلى من المعدل، مقارنة مع أفراد الجيش النظامي التي تتراوح بين 8–10 نقاط في جميع الفئات (التقنية والقتال ومدفعية الميدان)، وتشير هذه المعلومات إلى أن الذين تم اختيارهم ضمن عملية الاختيار قد يكون لديهم المزيد من المرونة المعرفية (بيلبان وآخرون، 1988) (Pleban et al., 1988).

**المرونة:** في دراسة قام بها بارتون وآخرون. (2008) Bartone et al. (2008) لفحص الصلابة النفسية والاختيار الناجح ضمن دورة تأهيل العمليات الخاصة، وقدمت ما مجموعه 1138 مرشحًا للتقييم النفسي الذي يقيس القدرة على التكيف في حالات الإكراه الشديد؛ كان معدل الفشل في المتوسط في أثناء الاختيار 45–55 في المئة؛ فالمرشحون الذين عكست نقاطهم الاستقرار العاطفي، والتقدير، والالتزام كانت لديهم مرونة عالية في التصرف، وكان لديهم الاحتمال الأكبر في التخرج، من أولئك الذين سجلوا درجات أدنى وفق هذا القياس، ووجدت دراسة مشابهة على موظفي العمليات الخاصة في البحرية الأمريكية أن المرشحين الذين تبين

أنهم أكثر استقرارًا من الناحية الاجتماعية والعاطفية، حصلوا على معدلات مرتفعة في التخرج، أكثر من المرشحين الذين سجلوا ضعفًا في الإجراءات ذات الصلة (ماكدونالدز، نورتون، وهودغدون، 1990) (Mcdonald, Norton, & Hodgdon, 1990).

**تقييم الشخصية:** تنصح قيادة العمليات الخاصة في الولايات المتحدة (USSOCOM) بأنه يجب أن يكون الجنود أعلى من المتوسط في المرونة العقلية، والاستقرار العاطفي، والتماسك الاجتماعي، واللياقة البدنية (قسم الجيش، 2006). بالإضافة إلى اختبارات الأهلية والتحمل البدني (الذكاء، خفة الحركة، الحيلة)، يخضع المرشحون للقوات الخاصة أيضًا إلى تقييمات شخصية، بالإضافة إلى أن الاختبارات التي استخدمت سابقًا للفحص النفسي شملت المخزون الشخصي المتعدد المراحل لمينيسوتا the Minnesota Multiphasic Personality Inventory (MMPI– 2)، واختبار قياس الذكاء للمجندين Personnel Test Wonderlic (بانك، 2006) (Banks, 2006). ويتم أيضًا تقييم المرشحين بخصوص المرونة العقلية، والامتثال للأوامر، والاندفاع والمخاطرة، ومستوى الطاقة، والعلاقات الشخصية المؤثرة، إضافة إلى العديد من الجوانب الأخرى (بليبان وآخرون، 1988) (Pleban et al., 1988). ووجدت الدراسة التي أجراها مكتب بحوث منتسبي الجيش الأمريكي (1979) أن المواقف المتعلقة بالاستشهاد، والقضايا المتعلقة بالسلطة، وعدم الامتثال للأوامر، والخوف من الإصابة، وانخفاض التماسك الاجتماعي، وأعراض تشبه الذهانية، جميعها كان لها ارتباط سلبي بعملية الاختيار. مع غياب المعيار الدقيق لاختبار إس أو (SO) تستخدم التقييمات الشخصية والمسوحات النفسية؛ لاستبعاد المرشحين الذين من المحتمل أن يكونوا غير مناسبين للترشح إلى مرحلة اختبار SFAS (بانكس، 2006) (Banks, 2006).

## التدريب

تدريب القوات الخاصة عملية واسعة النطاق يمكن أن تستمر ما يقرب من عامين؛ التدريب يتغيّر بشكل مستمر لكنه يشمل عادة عناصر عدة مثل:

1. دورة تأهيل تغطي الملاحة البرية وتمارين بناء الفريق (قسم الجيش، 2006؛ هيئة الأركان المشتركة، 2003) (Department of the Army, 2006; Joint Chiefs of Staff, 2003).
2. البقاء على قيد الحياة، والتملص، والمقاومة، والهروب (SERE) والتدريب الذي يعد الجنود للنجاة بنجاح من الأسر (بانك، 2006) (Banks, 2006).
3. التدريب اللغوي المكثف.
4. دورات تكتيكية بوحدات صغيرة.
5. التدريب التخصصي.

عند الانتهاء بنجاح من التدريب، يتخرج المرشحون، ويلتحقون بالخدمة في مجموعاتهم داخل القوات الخاصة (هارتمان، سوند، كريستنسن، ومارتينوسين2003؛ هيئة الأركان المشتركة، 2003؛ رسل، 1994) (Hartmann, Sunde, Kristensen, & Martinussen 2003; Joint Chiefs of Staff, 2003; Russell, 1994).

## التركيبة السكانية للقوات الخاصة

تختلف القوات الخاصة في السن، والعقيدة، والخلفية العرقية، وكما أشرنا سابقًا، الكونغرس وضع شرطًا بأن تتألف جميع التخصصات القتالية المسلحة فقط من الرجال (بانك، 2006) (Banks, 2006). في المقابل، قد يكون الإرهابيون الانتحاريون ذكورًا أو إناثًا، ويتكون مجتمع القبعات الخضر من قرابة 5000 عنصر: منهم 1000 من الضباط و4000 من الأفراد المجندين (هاريل وآخرون، 1997) (Harrell et al., 1997). الضباط داخل القبعات الخضر معظمهم قوقازيون، أو 90 في المئة من الحصيلة الكلية. نسبة الأقليات قرابة 10 في المئة من جميع ضباط القوات الخاصة (3 في المئة من الأمريكيين من أصل أفريقي، 2 في المئة من أصل لاتيني، و5 في المئة غيرها)، ويمثّل المجندون داخل القبعات الخضر 85 في المئة قوقازيين، وقرابة 15 في المئة من الأقليات (4 في المئة من الأمريكيين من أصل أفريقي، 4 في المئة لاتيني، و7 في المئة غيرها) (هاريل وآخرون، 1997) (Harrell et al., 1997). أما متوسط عمر جندي

العمليات الخاصة فهو 32 سنة (وقد يكون هذا تجاوزًا بسبب المتطلبات السابقة التي تفرض أن يكون على الأقل E-4، وطول المدة التي يستغرقها ليجتاز مرحلة المرشح). وبالمقارنة، فإن متوسط عمر رجل المشاة 22 عامًا (كين، 2006) (Kane, 2006).

## دوافع الانضمام للعمليات الخاصة

الدوافع للانضمام إلى القبعات الخضر ومجتمع العمليات الخاصة تختلف بشكل عام. ومع ذلك، وفي كثير من الأحيان القوات الخاصة تطلب الإبلاغ عن الدوافع الذاتية بوصفها العامل الحاسم، لمن يرى في نفسه الرغبة (تاكر & امب، 2007) (Tucker & Lamb, 2007). هناك العوامل الخارجية أيضًا؛ مثل الإجازة الطويلة، والرتبة الأعلى، وامتيازات وأوسمة أخرى (تاكر & امب، 2007) (Tucker & Lamb, 2007). يحق للقوات الخاصة مدة انتشار أقصر (في المتوسط ستة أشهر مقابل انتشار الجيش النظامي لمدة من 12-15 شهرًا)، الإجازات الطويلة (أسبوع واحد على الأقل أو لمدة أسبوعين بعد الانتشار)، والمكافآت (تتراوح بين ثلاثة آلاف دولار إلى تسعين ألف دولار اعتمادا على الرتبة، والتخصص المهني العسكري ومدة الخدمة؛ Tucker & Lamb, 2007).

## مناقشة

على الرغم من أن المقارنة بين الإرهابيين الانتحاريين وبين القوات الخاصة في الجيش الأمريكي ربما تبدو غريبة في البداية، من خلال فهم الآليات التي تنطوي عليها اختيار وتدريب القوات الخاصة، إلا أن علماء النفس العسكري قد يلقون -بدورهم- بعض الضوء على الحوافز والدوافع، والذهنية النفسية التي تستحوذ الإرهابيين الانتحاريين:

> إن الغرض الحقيقي، في معظم الأحيان، لمجموعة ما بأن تجعل مجموعة أخرى تفعل ما لا تفعله هي عادة، في المصطلحات العسكرية، نقول إن هدفنا هو فرض إرادتنا على العدو. . . وبطبيعة الحال، ما نتحدث عنه هو حقًا تعديل السلوك، ونادرًا جدًا ما كان الغرض العام من الصراع للقضاء على مجموعة أخرى من الناس. (بانكس وجيمس، 2007) (Banks & James, 2007)

من المثير للاهتمام، أن كلًّا من الإرهابيين الانتحاريين والقوات الخاصة يخضعون لمؤثرات شديدة، تمكنهم مع مرور الوقت من تنفيذ أعمال لا يمكن تصورها بالنسبة إلى معظم الناس، بمن فيهم الجنود والناس الذين اعتادوا على نحو ما على فظائع الحرب، ومع ذلك فالقوات الخاصة هم عادة أفراد موجهون جدًّا داخليًّا، وهم يشكلون رابطة قوية مع أعضاء فريقهم. وبوصفهم جنودًا مهنيين، فإنهم غالبًا ما يشكون ويعبرون عن آرائهم حول الخطة التي سلمت إليهم، وهذا على النقيض مع الإرهابيين الانتحاريين الذين غالبًا ما يكونوا معدين للاعتماد على قادتهم، والمشغلين لمعظم الأشياء بما فيها كيفية إنهاء حياتهم.

فيما يتعلق بالتجنيد معظم المرشحين في القوات الخاصة يسعون للانضمام إلى صفوفها من خلال عملية تتم من أسفل إلى أعلى، في حين يتم تجنيد الإرهابيين الانتحاريين في عملية من أعلى إلى أسفل، وأحيانًا من أسفل إلى أعلى، وينظر إلى هاتين المجموعتين من المرشحين المحتملين أنهم فوق المتوسط، من حيث اللياقة البدنية والصلابة النفسية، والأهلية؛ لضمان أعلى احتمال لإتمام العمليات (هيئة الأركان المشتركة، 2003؛ سباراغو، 2007) (Joint Chiefs of Staff, 2003; Sparago, 2007). يتم فحص الإرهابيين والقوات الخاصة مستقبليًّا من قبل منظماتهم، ولا يتم اختيار سوى عدد قليل، وعلى الرغم من أن الإرهابيين لديهم معايير قبول صارمة، إلا أن القبول في القوات الخاصة يبدو أنه أكثر قدرة على المنافسة والحصرية في المقارنة التي تتطلب اللياقة البدنية، والعقلية المتفوقة التي تحددها مؤهلات صارمة من الكفاءة والقدرة على التحمل، بحيث إنه ليس هناك سوى قلة من الأفراد يمكن أن تجتازها، بغض النظر عن خفة الحركة أو الدافع. بالإضافة إلى ذلك، هناك بعض التشابه في الخصائص النفسية بين القوات الخاصة والإرهابيين الانتحاريين، وتشمل الدافع الكبير للمشاركة في المهمات والاستخبارات. ومع ذلك، يكون للقوات الخاصة موضع داخلي للسيطرة واستقلالية الفكر، بالمقابل يكون للإرهابيين الانتحاريين موضع خارجي للسيطرة والفكر، ويعتمدون على قادتهم في ذلك.

تدريب القوات الخاصة يختلف عن تدريب الإرهابيين الانتحاريين من حيث المدة، والتسليح، والتخطيط للطوارئ، ومجموعة شاملة من الثقافة المهنية. بالنسبة إلى الإرهابيين الانتحاريين، التركيز على التلقين الذي يبدأ من تاريخ تجنيدهم، ويستمر في مرحلة اختيارهم وقبولهم في المجموعة في نهاية المطاف؛ الإرهابيون الانتحاريون منغمسون داخل الثقافة الإرهابية التي غرست فيهم مع التلقينات الدينية والسياسية المباشرة؛ إنهم مستعدون للموت وللحياة الآخرة، وحتمية تنفيذ المهمة كاملًا.

يركز التدريب في القوات الخاصة على المثابرة والبقاء على قيد الحياة، والتدريب على الطوارئ المتعددة، إذ إنه (لا توجد خطة معركة يمكن أن تدوم في أول لقاء مع العدو) (هيوز، 1993، ص. 45) (Hughes, 1993, p. 45). بينما يعد الإرهابيون سلعة رخيصة مستهلكة لتنفيذ الهجمات الانتحارية، تقف القوات الخاصة في هذا الأمر على النقيض تمامًا. إن تدريب القوات الخاصة طويل، ويتضمن الحفاظ على الحياة، والمقاومة، والهروب والتملص، وينظر إلى القوات الخاصة بوصفها قوات لا غنى عنها، وتستخدم فقط للمهام ذات المخاطر العالية حيث التسلل، والتكتيكات، والدقة أشياء حيوية للنجاح، وفي القوات الخاصة قد يموت المجند في محاولة تحقيق هذا الهدف، لكنه يتم تزويده بالمعرفة والتدريب والمعدات لإعداده بصورة أفضل ضد كل معارضة.

بطريقة أو بأخرى، الأهداف التي تقوم بها القوات الخاصة قد تبدو في ظاهرها لا تختلف عن (العمليات الانتحارية) بشيء، كما يؤمرون بأداء مهام تهدد الحياة بطبيعتها. ومع ذلك، الفارق الكبير بينهم وبين الإرهابيين الانتحاريين يكمن في التشكيلة الاستثنائية والتدريب للقوات الخاصة، التي تعطي أولوية قصوى لسلامتهم وبقائهم على قيد الحياة في المهمات.

لعل الرأي الخطأ الأكثر شيوعًا حول الإرهابيين الانتحاريين أنهم غير متعلمين ممن يعانون الفقر أو الاكتئاب أو الاثنين معًا، وتحمل هذه الصورة النمطية حقيقة جزءًا فقط من الإرهابيين الانتحاريين. ومثل القوات الخاصة، الإرهابيون الانتحاريون لديهم مجموعة واسعة من الاختلافات داخل المجموعة؛ على سبيل المثال، من خلال سلسلة من المقابلات مع الانتحاريين المتطوعين، وجد حسن (2008) (Hassan (2008 أن هناك عددًا منهم كانوا في الواقع من

الطبقة الوسطى والمتعلمين، وفي هذا الصدد، يظهر كل من الإرهابيين الانتحاريين وجماعات القوات الخاصة في تباين كبير في درجة التعليم والوضع الاقتصادي.

أفراد القوات الخاصة يتميزون بقدرتهم العالية على الصمود (بارتون وآخرون، 2008) (Bartone et al., 2008) ومع انخفاض في نسبة الانتحار (روي، كارلي، وسارتشيابون، 2011) (Roy, Carli, & Sarchiapone, 2011). وعلى افتراض أن المرونة تخفف من مخاطر الانتحار المرتبطة بالصدمات النفسية (روي وآخرون، 2011) (Roy et al., 2011)، فقد تكون هناك صلة محتملة بين ارتفاع حالات الصدمة، واستنفاد المرونة والنجاح في تنمية السلوك الانتحاري لدى الإرهابيين الانتحاريين من قبل منظماتهم. مسببات الإرهاب الانتحاري هي مجال مهم من مجالات الدراسة التي تتطلب المزيد من البحث من قبل علماء النفس العسكريين.

يرى حسن (2008) Hassan (2008) إن النزوع إلى التفجيرات الانتحارية قد يكون موجودًا في الظروف الاجتماعية الأوسع نطاقًا، ولا تتعلق في الحالة الفردية للانتحاريين، ووجد حسن موضوعًا سائدًا فيما رواه أفراد أسرهم من تاريخ الاضطهاد والضرب، والتعذيب على أيدي قوات المعارضة؛ لذلك، خلص إلى أن القوة الدافعة وراء العديد من الإرهابيين الانتحاريين هي الانتقام والإذلال.

في المقابل، القوات الخاصة لا تميل للانضمام إلى المنظمات العسكرية بوصفها وسيلة للانتقام؛ فانضمامهم إلى مجموعة واسعة يأتي بدوافع معينة مثل التميُّز لإثبات الذات (تاكر & امب، 2007) (Tucker & Lamb, 2007)، وتحقيق مكاسب مالية ووطنية، وإيثارية (وزارة الجيش، 2006). يختلف الإرهابيون الانتحاريون عن القوات الخاصة في الدافعين الأوليين اللذين ذكرناهما، لكنهم يرون في الدافعين الأخيرين دافعين مماثلين للانضمام إلى منظماتهم المعنية.

يمكن للمرء أن يجادل بأن الدين هو القوة المحفزة الأساسية لدى الإرهابيين الانتحاريين؛ فكثيرون يستشهدون بالجهاد بصفته الأساس المنطقي لتدمير أمريكا وحلفائها، وعلى الرغم من أن الدين قد يؤدي دورًا حيويًا في تجنيد الانتحاريين المحتملين وتحفيزهم (حسن، 2008)

(Hassan, 2008)، فإن القوة الدافعة ليست الدين وحده، بل هي مزيج من السياسة والإذلال والثأر، والانتقام، وسلوك الإيثاري المتخيل.

هذا السجال يتفق مع البحوث الأخرى التي تدرس الدافع وراء الانضمام إلى المنظمات الإرهابية. وكما ذكرنا آنفًا، وجد سباراغو (2007) (Sparago 2007) أن الدعم الاجتماعي، والتحالفات التاريخية، والعمل السياسي، والقادة الكاريزميين، والمعتقدات الدينية تحفز الإرهابيين الانتحاريين على الانضمام إلى المنظمات الخاصة بهم.

يبدو أن الدعم الاجتماعي، والعمل السياسي، والتحالفات التاريخية هي جميعها قوى تحفيزية موازية داخل القوات الخاصة والإرهابيين الانتحاريين؛ القوات المسلحة توفر بنية ترابطية، حيث يمكن للأعضاء الذين لديهم نظم أيديولوجية ومعتقدات مشتركة أن يدعموا بعضهم. وبالمثل، توحد المنظمات الإرهابية أفرادها من خلال أيديولوجياتها، وعلاوة على ذلك فالانضمام إلى أي من المجموعتين يمثل اتخاذ شكل من أشكال العمل السياسي؛ فقد ينضم الإرهابي ضد المظالم السياسية والقمع، في حين أن القوات الخاصة قد تنضم للدفاع عن الوطن من الأعداء المحتملين. وأخيرًا، كلا المجموعتين تقدمان تحالفًا يربط الأعضاء الذين يحاربون عدوًّا مشتركًا على مر الوقت - وعلى حد سواء القوات الخاصة والإرهابيون يدافعون عن أمة، وعن ثقافة، وعن طريقة في الحياة التي يؤمنون بها.

على الرغم من أن العوامل المحفزة للإرهابيين الانتحاريين وللقوات الخاصة تتلاقى في بعض الأحيان، فإنها تبدأ في الافتراق فيما يتعلق بتأثير قادتهم والمعتقدات الدينية، وفي كثير من الأحيان ينضم الإرهابيون إلى المنظمات لدعم القيادات المؤثرة مثل أسامة بن لادن، في حين أن القوات الخاصة، قد يشعرون أن بعض الأفراد مصدر إلهام لهم، لكنهم لن ينضموا فقط لهذا السبب. علاوة على ذلك، فإن العديد من الإرهابيين الانتحاريين غالبًا ما تكون دوافعهم للقضاء على أعدائهم، في حين أن القوات الخاصة لا ينضمون إلى الحركات الدينية؛ فكل من الإرهابيين الانتحاريين والقوات الخاصة، يتم تحفيز إلهامهم من خلال قضية شاملة تخدم مجتمعهم، ويمكن تحقيق ذلك بطرق عديدة: عن طريق تحرير الوطن أو حمايته، من خلال نقل المعتقدات الدينية أو القومية إلى عامة الناس، أو من خلال تحقيق الانتقام أو الشرف أو

هذه الأشياء كلها مجتمعة؛ لذا فإن البرامج التي تمكِّن الأفراد من خدمة المجتمع قد تقلل من عدد المجندين المحتملين للإرهاب الانتحاري. بالإضافة إلى ذلك، فإن التعريف بالعملية التي تختارها المنظمات الإرهابية، وتدرب عليها الانتحاريين قد تلقي بعض الضوء على مخرجات المجندين المحتملين، ومن ثم يقلل من رغبة المرشحين الانضمام إلى مثل هذه المنظمات.

الكتابات التي تدمج علم النفس العسكري مع بحوث الإرهاب الانتحاري شحيحة، وهذا الفصل قدم العديد من العوامل المهمة، وأوجه الشبه التي يمكن أن تستخدم في هذا الميدان المهم من الدراسة. من الواضح أن هناك حاجة إلى المزيد من العمل في دمج المعرفة حول القوات الخاصة مع بحوث الإرهاب الانتحاري، ونحن نشجع الباحثين وعلماء النفس العسكريين -على وجه الخصوص- على فحص العوامل المبينة في هذا الفصل، وتعزيز فهمنا للإرهاب الانتحاري واعتراضه.

## المراجع

## REFERENCES


Atran, S. (2003). Genesis of suicide terrorism. Science, 299(5612), 1534–1539.

Bank, A. (1986). From OSS to Green Berets. Novato, CA: Presidio Press.

Banks, L. (2006). The history of special operations psychological selection.

In A. Mangelsdorff (Ed.), Psychology in the service of national security (pp. 83–95). Washington, DC: American Psychological Association.

Banks, L., & James, L. C. (2007). Warfare, terrorism, and psychology. In B. Bongar, L. M. Brown, L. E. Beutler, J. N. Breckenridge, & P. G.

Zimbardo (Eds.), Psychology of terrorism (pp. 216–222). New York, NY: Oxford University Press.

Bartone, P. T., Roland, R. R., Picano, J. J., & Williams, T. J. (2008).

Psychological hardiness predicts success in US army Special Forces candidates.

International Journal of Selection and Assessment, 16(1), 78–81.

Bloom, M. (2006). Dying dying to kill: The allure of suicide terror. New York, NY: Columbia University Press.

Brynjar, L. (2008). Doctrines for jihadi terrorist training. Terrorism and Political Violence, 20(4), 518–542.

Clausewitz, C. V. (2008). On war: A modern military classic. (Col. J. J.

Graham, Trans.). Radford, VA: Wilder Publications. (Original work published in 1832.)

Daly, S. A., & Gerwehr, S. (2006). Al–Qaida: Terrorist selection and recruitment. Santa Monica, CA: RAND Corporation. Retrieved online 210 URI KUGEL ET AL.

on 15 December, 2012 from http://www.rand.org/pubs/reprints/RP1214.

Dearing, M. P. (2010). Like red tulips at springtime: Understanding the absence of female martyrs in Afghanistan. Studies in Conflict & Terrorism, 33(12), 1079–1103.

Department of the Army. (2006). U.S. special operations forces: Report 3–05–fm–100–25. Department of the Army. Washington, DC: Headquarters, Depart–ment of the Army.

Department of Defense. (2010). Department of Defense dictionary of military and associated terms: Joint publication 1–02. Washington, DC: Federal Print–ing House.

Diemer, M. A. (2001). Manning Special Forces in the 21st century: Strategies for recruiting, assessing, and selecting soldiers for Special Forces training. Washing–ton, DC: U.S. Army War College.

Durkheim, E. (1951). Suicide. New York, NY: Free Press.

Faria, J. R., & Arce, D. G. (2006). Terrorism support and recruitment.

Defense and Peace Economics, 16(4), 263–273.

Flin, R. (2001). Selecting the right stuff: Personality and high–reliability occupa–tions. In R. W. Roberts & R. Hogan (Eds.), Personality psychology in the workplace (pp. 253–276). Washington, DC: American Psychological Association.

Hassan, R. (2008). Global rise of suicide terrorism: An overview. Asian Journal of Social Science, 36(2), 271–291.

Harrell, M. C., Kirby, S. N., Sloan, J. S., Graff, C. M., McKlevey, C. J., & Sollinger, J. M. (1997). Minority participation in special operations forces. Washington, DC: National Defense Research Institute.

Hartmann, E., Sunde, T., Kristensen, W., & Martinussen, M. (2003).

Psychological measures as predictors of training performance. Journal of Person–ality Assessment, 80(1), 87–98.

Hegghammer, T. (2007, February 05). Saudi militants in Iraq: Backgrounds and recruitment patterns. Oslo: Norwegian Defense Research Establishment. Re–trieved from http://www.ffi.no/no/Rapporter/06–03875.pdf

Hoffman, B. (2006). Inside terrorism. New York, NY: Columbia University Press.

Hughes, D. (1993). Moltke on the art of war. Novato, CA: Presidio.

Humphreys, A. (2007, January 17). One official's 'refugee' is another's 'terror–ist'. Retrieved from http://www.canada.com/nationalpost/news/story.htm–l?id=a64f73d2–f672–4bd0–abb3–2584029db496

Jenkins, B. M. (2006). Unconquerable nation: Knowing our enemy, strengthening ourselves. Santa Monica, CA: RAND. Retrieved online

on 15 December, 2012 from http://www.rand.org/pubs/monographs/2006/RAND_MG454.pdf

THE ROLE OF MILITARY PSYCHOLOGISTS AND PSYCHIATRISTS 211 Joint Chiefs of Staff. (2003). Joint publication 3–05: Doctrine for joint special operations. Washington, DC: Government Printing Office.

Kane, T. (2006). Who are the recruits? The demographic characteristics of U.S. military enlistment, 2003–2005. Washington, DC: The Heritage Foundation.

Kavanagh, J. (2011). Selection, availability, and opportunity: The conditional effect of poverty on terrorist group participation. Journal of Conflict Resolution, 55(1), 106–132.

McDonald, D. G., Norton, J. P., & Hodgdon, J. A. (1990). Training success in U.S. Navy Special Forces. Aviation, Space, and Environmental Medicine, 61(6), 548–554.

Merari, A. (2007). Psychological aspects of suicide terrorism. In B. Bongar, L. M. Brown, L. E. Beutler, J. N. Breckenridge, & P. G. Zimbardo (Eds.), Psychology of terrorism (pp. 101–115). New York, NY: Oxford University Press.

Merari, A. (2010). Driven to death. Psychological and social aspects of suicide terrorism. New York, NY: Oxford University Press.

Moghaddam, F. M. (2005). The staircase to terrorism: Psychological exploration. American Psychologist, 60(2), 161–169.

Nesser, P. (2008): How did Europe's global jihadis obtain training for their militant causes? Terrorism and Political Violence, 20(2), 234–256.

Orbach, I. (2004). Terror suicide: How is it possible? Archives of Suicide Research, 8(1), 115–130.

Pleban, R., Thompson, T., Valentine, P. J., Dewey, G. I., Allentoff, H., & Wesolowski, M. (1988). Selection and assessment of Special Forces course candidates: Preliminary issues. U.S. Department of the Army.

Post, J. M. (2004). The Al–Qaeda training manual: Military studies in the jihad against the tyrants. Maxwell Air Force Base: USAF Counter Proliferation Centre.

Post, J. M. (2005). When hatred is bred in the bone: Psycho–cultural foundations of contemporary terrorism. Political Psychology, 26(4), 615–636.

Post, J. M., Ali, F., Henderson, S. W., Shanfield, S., Victoroff, J., & Weine, S. (2009). The psychology of suicide terrorism. Psychiatry, 72(1), 13–31.

Post, J. M., & Pittas, A. (2012). The role of strategic information operations in countering terrorism. In U. Kumar & M. K. Mandal (Eds.), Countering terrorism: Psychosocial strategies (pp. 96–117). New Delhi: SAGE Publications.

Roy, A., Carli, V., & Sarchiapone, M. (2011). Resilience mitigates the suicide risk associated with childhood trauma. Journal of Affect Disorders, 133(3), 591–594.

Russell, T. L. (1994). Job analysis of Special Forces jobs. Alexandria, VA: U.S. Army Research Institute for the Behavioral and Social Sciences.

212 URI KUGEL ET AL.

Sparago, M. (2007). Terrorist recruitment: The crucial case of Al–Qaeda's global jihad terror network. New York: New York University Print.

Retrieved online on December 15, 2012 from http://www.scps.nyu.edu/export/sites/scps/pdf/global–affairs/marta–sparago.pdf

Stenersen, A. (2008). The Internet: A virtual training camp? Terrorism and Political Violence, 20(2), 215–233.

Tønnessen, T. H. (2008). Training on a battlefield: Iraq as a training ground for global jihadis. Terrorism and Political Violence, 20(4), 543–562.

Tucker, G., & Lamb, C. J. (2007). United States special operations forces.

New York, NY: Columbia University Press.

U. S. Army Personnel Research Office. (1979). Research on combat selection and Special Forces man power problems. Washington, DC: Department of the Army: Government Printing Office.

U.S. Army Recruiting Command. (1999). Vision and transformation strategy.

Washington, DC: Department of the Army: Government Printing Office, 4–5.

Victoroff, J. (2005). The mind of the terrorist: A review and critique of psychologi–cal approaches. Journal of Conflict Resolution, 49(1), 3–42.

# 11

# إساءة معاملة الأطفال /الشباب واستخدامهم في الإرهاب والهجمات الانتحارية

إدنا إيرز وأنات بيركو Edna Erez and Anat Berko

في مقابلة أجريت معه مؤخرًا على كابل شبكة أخبار (CNN)، أشار ميا بلوم إلى أن (النساء والأطفال هما الوجه الجديد للإرهاب) (بلوم، 2012؛ وانظر أيضًا غريه وماشين، 2008؛ إسرائيلي، 2003) (Bloom, 2012; see also Gray & Machin, 2008; Israeli, 2003). استخدام الأطفال والشباب القصّر (الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن 18 سنة، وأطفال آخرون*) في العمليات الإرهابية تم توثيقه في مناطق نزاع عديدة في مختلف أنحاء العالم؛ ففي الماضي القريب، شارك الأطفال في حركات التمرد والحروب، في سيراليون وليبيريا والكونغو والسودان وأفغانستان وميانمار، وفي العمليات الإرهابية في مناطق الصراع مثل تركيا والعراق وإسرائيل والأراضي الفلسطينية، وكانوا جنودًا نظاميين ومحاربين (بيترز، 2005) (Peters, 2005)، ومؤخرًا مفجرين انتحاريين.

وفقًا لسينغر (2005A) Singer (2005a)، يوجد قرابة 300,000 طفل من المقاتلين (الفتيان والفتيات) تحت سن 18، يقاتلون في ما يقرب من ثلاثة أرباع النزاعات في العالم (انظر بي بي سي، 2012). والغالبية العظمى (80%) من هذه الصراعات تشمل المقاتلين الأطفال دون سن 15، وعلى الرغم من حظر اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة استخدام الأشخاص أقل من 18 سنة من العمر في الصراعات المسلحة (انظر اليونيسيف [2012]، واتفاقية حقوق الطفل)،

* التمييز الشائع بأننا نشير هنا إلى الأشخاص دون سن 14 سنة من العمر بوصفهم أطفالًا، ومن 14 -18 بوصفهم شبابًا، لكننا نستخدم كلمة (الأطفال) لجميع الأشخاص دون سن الـ 18سنة.

فإن العديد من القوات الحكومية، والمنظمات شبه العسكرية والجماعات المتمردة، والمنظمات الإرهابية مستمرة في تجنيد الأطفال وتوظيفهم في أنشطة عسكرية أو إرهابية.

يستعرض هذا الفصل الطرق التي تستخدم الأطفال والشباب، وتسيء لهم في السياق العسكري والإرهابي، مع التركيز على إساءة استخدام الأطفال في الأراضي الفلسطينية*، حيث حماس، الجهاد الإسلامي، وفتح استخدمت بشكل روتيني الأطفال لأغراض عسكرية بما في ذلك التفجيرات الانتحارية. في حين أن موضوع تجنيد الأطفال قد تم فحصه على نطاق واسع في الدراسات الحديثة (على سبيل المثال، روزين، 2005؛ سنغر، 2005A، 2005b، 2006؛ ويسيلز، 2006) (e.g., Rosen, 2005; Singer, 2005a, 2005b, 2006; Wessells, 2006)، وهناك عمل لعدد أقل من العلماء على استخدام الأطفال في الإرهاب بشكل عام، والمنظمات الإرهابية الفلسطينية بشكل خاص**. ويتناول هذا الفصل هذه القضايا، مع التركيز على استخدام الأطفال والشباب وإساءة معاملتهم في دفع عجلة المصالح الفلسطينية، بما في ذلك أنشطة منظمات مثل حماس والجهاد الإسلامي، وحركة فتح.

نبدأ بوصف الأعمال التي يخدم بها الأطفال (سواء الراغبين أو غير الراغبين بالمشاركة بها) في المنظمات الإرهابية والمسلحة، والدوافع من وراء هذا التجنيد (أو إجبار) للأطفال

* من المهم أن نوضح نقطة تاريخية المصطلحات هنا؛ فقبل إنشاء دولة إسرائيل في عام 1948، كان مصطلح (الفلسطيني) المشار إليه هم أولئك الذين كانوا يعيشون في فلسطين، بمن فيهم اليهود الذين يعيشون في اليشوف (الجالية اليهودية التي ما زالت تعيش في الأرض بعد نفي غالبية سكانها من اليهود)، وأولئك الذين هاجروا إلى إسرائيل قبل قيام الدولة؛ العرب الذين يعيشون في الجزء المتبقي من فلسطين الانتدابية بعد أن تم إعطاء جزء شرقي نهر الأردن من قبل البريطانيين للهاشميين، ويشار إليهم بالعرب أو السوريين الجنوبيين.

إن إشارة منظمة التحرير الفلسطينية إلى العرب بصفتهم فلسطينيين لم تظهر حتى عام 1964، فقد جاء بها أحمد الشقيري، وكانت الأردن في ذلك الوقت لا تزال تسيطر على ما يسمى بالضفة الغربية (اليهود والسامرة)، وكانت مصر لا تزال تسيطر على غزة؛ وعليه، فإن استخدام مصطلح (الفلسطينيين) للإشارة إلى العرب في فلسطين تحت الانتداب، هو حديث النشأة نسبيًّا (منذ عام 1964)، والعديد من الإسرائيليين اليهود اليوم هم من نسل الفلسطينيين اليهود حتى عام 1948، وكثيرون آخرون هم أحفاد أولئك الذين كانوا في المنفى.

** المصطلحات والتداخل بين الحرب والإرهاب موضوع نقاش في الكتابات الأكاديمية والمناقشات السياسية. في هذا الفصل، نشير إلى دور الأطفال الذين تم استخدامهم أو أُسيئت معاملتهم ومهامهم، وتجاربهم في سياق عسكري. الخوض في مناقشة التداخل أو الاختلافات بين الحرب والإرهاب، أو سرد العوامل التي تميز الظواهر أو المفهومين (على سبيل المثال، مسألة حجم أو عدد المشاركين، والغرض والأهداف، والتكتيكات، والجهات الراعية والقواعد المعمول بها) هي محور هذه الورقة.

وانخراطهم في الأنشطة الإرهابية، والفوائد التي تجنيها هذه المنظمات من استخدام الأطفال في عملياتها، والالتزامات التي تنطوي عليها مثل هذه الممارسات، ثم بعد ذلك نختبر التجنيد والتلقين والأساليب المستخدمة من قبل الجماعات أو المنظمات، واستمالة الأطفال وتدريبهم للمهمات الإرهابية. الآثار الاجتماعية والنفسية على الأطفال الذين يعيشون في مناطق الصراع على المدى الطويل والقصير هي التي سنناقشها هنا، وسنراجع تأثير مشاركتهم في الأنشطة العسكرية أو الإرهابية، ونصف بعد ذلك تجارب الشبان الفلسطينيين الذين يودعون اليوم السجن لتورطهم في أنشطة إرهابية، والأسباب التي دفعتهم إلى المنظمات الإرهابية أو شاركوا في أنشطتها العسكرية، ووجهات نظرهم حول مشاركتهم، ويُختتَم الفصل بمناقشة الآثار المترتبة على السياسات العامة لاستخدام الأطفال في الإرهاب.

## فوائد استخدام الأطفال في الحرب والإرهاب

يوفر الأطفال فوائد إستراتيجية وتكتيكية مختلفة للجماعات المتمردة أو المنظمات الإرهابية التي تجندهم؛ أولًا: تجنيد الأطفال في القتال والإرهاب هو أمر أسهل مقارنة بتجنيد البالغين؛ فنقاط الضعف التي يتميز بها الأطفال ومحدودية النمو المادي والاجتماعي والنفسي، والمعرفي جعل تجنيدهم، سواء كانوا راغبين أم غير راغبين بالمشاركة، مهمة سهلة نسبيًا، هذه الميزات التنموية تساعد أيضًا في إبقاء الأطفال ممتثلين ومطيعين ومخلصين للمنظمة وقضيتها.

سلطة البالغين على الأطفال، وعالمية المعايير بوجوب أن يحترم الأطفال الكبار وينفذوا أوامرهم، تقدم للجماعات المتمردة والمنظمات الإرهابية ميزة في تجنيد القاصرين؛ الأطفال عادة لا يشككون بأوامر الكبار أو يطلبون الحصول على امتيازات، وغالبًا يوافقون على تكريمهم مع الضئيل أو المعدوم من العوائد. في سياق الإرهاب الفلسطيني، طفل يبلغ من العمر 16 عامًا تطوع ليصبح انتحاريًا بمبلغ 100 شيكل (أي ما يعادل 25 $) لشخص بالغ طلب منه أن يفعل ذلك (بيركو & إيريز، 2005) (Berko & Erez, 2005). مقابل مبلغ مماثل من المال، طفل آخر يبلغ من العمر 16 عامًا وافق على حمل حقيبة وإحضارها إلى الجانب الآخر من نقطة تفتيش. غير معروف

للطفل، ما تضمنته الحقيبة من المتفجرات، وكان نشطاء المنظمة ينوون تفجير الشحنات الناسفة عندما يقترب الطفل من الحراس عند نقطة التفتيش (إيرز، 2006) (Erez, 2006).

يمثل الأطفال رصيدًا للمنظمات الإرهابية؛ لأنهم يستطيعون القيام بأدوار ووظائف متنوعة قد لا يكون البالغون قادرين أو على استعداد للقيام بها؛ فداخل المنظمات الإرهابية أو الجماعات المسلحة، يكون الأطفال حرسًا، وحرسًا شخصيين وحمالين، ومسعفين، وطباخين، وجواسيس، وكاسحات ألغام، وعبيد جنس، ودروعًا بشرية، ومقاتلين، وانتحاريين، والأدوار قد تختلف حسب العمر والجنس، ويتوقع في كثير من الأحيان فتيات لتوفير خدمات جنسية أو محلية، أولاد صغار وفتيات يعملون جواسيس (ويسيلز، 2006) (Wessells, 2006). في السياق الفلسطيني، استخدم الأطفال في ارتكاب اعتداءات على مواطنين إسرائيليين، وفي حضور المظاهرات العنيفة التي تواجه قوات الدفاع الإسرائيلية (IDF) الجنود والقنابل وتهريب الأسلحة، والحفاظ على الأمن وحراسة الاجتماعات والعمليات الإرهابية.

في بعض الحالات، شارك الأطفال في أنشطة إرهابية دون علمهم أو موافقتهم؛ ففي إحدى الحالات، أُعطي صبي فلسطيني يبلغ من العمر 12 عامًا -دون أن يدري- قنبلة لتهريبها إلى إسرائيل، ولكن في عمليات إرهابية أخرى، شارك الأطفال بحماس في مختلف جوانب العملية، وساهموا في نجاحها بحكم أنهم قصّر، ومن ثم لا يجلبون الانتباه عن أعمالهم.

الأطفال الذين يقدمون خدمات داعمة للمنظمات، هم على الأرجح يهربون من دائرة اهتمام السلطات، وهم بهذا يقدمون فائدة كبيرة للبالغين، فضلًا عن أن حجم أجساد الأطفال، وحالتهم العقلية، إضافة إلى المواقف الاجتماعية تجاههم بوصفهم أبرياء، وساذجين، وبسيطين يساعدهم على الهرب من المراقبة وتجنب الشبهات، هذه الافتراضات والمعتقدات أيضًا جعلت أعذار الأطفال ومبررات أعمالهم أو وجودهم في مواقع محددة غالبًا ما يكون لا جدال فيها؛ فأول جندي أمريكي- على سبيل المثال- لقي مصرعه بنيران معادية في الحرب في أفغانستان، تم إطلاق النار عليه في كمين نصبه فتى يبلغ من العمر 14 عامًا، ولم يكن يثير الشبهات (سنغر، 2005A) (Singer, 2005a).

مشاركة الأطفال في أنشطة المقاومة والإرهاب تمنحهم ميزة رمزية مهمة، خلال الانتفاضة الأولى (انتفاضة) في الأراضي الفلسطينية (1987–1993)، كان الشبان منظمين تنظيمًا جيدًا؛ فالشبان الفلسطينيون هم الذين تصدوا للجنود الإسرائيليين عن طريق رمي الحجارة، الذي أثار اهتمام وسائل الإعلام كثيرًا، وكانت أهدافهم كسب التعاطف من المجتمع الدولي، وكذلك من شرائح المجتمع الإسرائيلي،الذي يشاهدهم يوميًا على شاشات التلفاز، كيف يقاتلهم الجنود الإسرائيليون، ويلقون القبض عليهم (ريجبي، 1990) (Rigby, 1990). وصور الأطفال وهم يلقون الحجارة ويواجهون القوات النظامية المسلحة أدت لتضخيم الضعف الفلسطيني (روزن، 2005) (Rosen, 2005)، وأرسلت رسالة حول عمق الصراع ومدى المقاومة، علاوة على أن الجنود الإسرائيليين في كثير من الأحيان تلقوا أوامر بعدم إطلاق النار على الأطفال، وصار الأطفال الفلسطينيون في مأمن من الانتقام، والسماح لهم بالاستمرار في ممارسة إلقاء الحجارة.

ما يتحلى به الأطفال من سهولة انقياد وسذاجة، وإمكانية تأثير فيهم، واحترامهم لأوامر الكبار، أدت إلى تجنيدهم من قبل أنظمة وجماعات متمردة مختلفة، أو منظمات إرهابية تواجه نقصًا حادًّا في القوى العاملة لديها؛ المجندون الأطفال يتم تدريبهم بسرعة ليصبحوا مقاتلين أو ليقوموا بمهام عسكرية أخرى؛ على سبيل المثال، في الحرب بين إيران والعراق، وبعد سنوات عدة من شراسة القتال، عانى كلا الجانبين خسائر كبيرة من (الكبار) من القوى العاملة، مما أضعفها تكتيكيًا وإستراتيجيًا، وفي وقت لاحق، بدأت البلدان بتجنيد الأطفال، وتجاهلت قوانين التجنيد الخاصة بها محليًا، والتي تحظر استخدام الأطفال في الحرب.

في إيران، أصدر الرئيس علي أكبر رفسنجاني في عام 1984 أن (جميع الإيرانيين 12– 72 يجب عليهم التطوع للحرب المقدسة) (براون، 1990، ص. 2) (Brown, 1990, p. 2)، وتمَّ على إثرها سحب العديد من الأطفال من المدارس، ولقِّنوا دروسًا في تمجيد الاستشهاد، وأرسل بهم إلى الخطوط الأمامية، فاستخدم القادة الإيرانيون هؤلاء الأطفال في الموجات الأولى من الهجمات، لفتح مسالك في حقول الألغام وسحق الدفاعات العراقية (براون، 1990) (Brown, 1990). كما استخدم العراق الأطفال في هذه الحرب، وأرسلهم إلى الجبهة مع الحد الأدنى من التدريب، وفي أعقاب حرب الخليج، استمر العراق في عهد صدام حسين في استخدام

الأطفال لأغراض عسكرية؛ أشبال الأسد صدام حسين، وهي قوة شبه عسكرية من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 10–15 سنة، تم إنشاؤها، وتلقى أعضاؤها التدريب على الأسلحة والتكتيكات القتالية (سنغر، 2006) (Singer, 2006).

القوات الأمريكية التي شاركت في حرب الخليج الثانية ذكرت أنها كانت تواجه أطفالًا في المعارك على امتداد الساحة العراقية، فالرأي القائل بأن الأطفال هم مجموعة محتملة من المقاتلين، واستخدامهم في العمليات العسكرية هو ما يميز النزاعات المسلحة الأخرى (انظر سنغر، 2006 (Singer, 2006) مناقشات استخدام الأطفال من قبل منظمات مثل نمور تحرير التاميل في سريلانكا، وحزب العمال الكردستاني في تركيا أو في ليبيريا).

في الحالة العربية / الفلسطينية، لأول مرة خلال الانتداب البريطاني، وفي وقت لاحق، في أعقاب حرب الأيام الستة في عام 1967، لجأت القيادة العربية الفلسطينية للأطفال والشباب لشن حرب دينية، وتحقيق المزيد من الأهداف القومية من خلال العنف والمواجهات المسلحة (روزين، 2005) (Rosen, 2005). في الواقع، الطابع الراديكالي للسكان العرب / الفلسطينيين خلال تلك الأوقات زاد من حدة التطرف لدى شبابها (روزين، 2005) (Rosen, 2005)، الذين تم تلقينهم وتدريبهم من خلال المدارس والحركات الشبابية على التكتيكات العسكرية. خلال الانتفاضة الأولى، كانت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي اتخذت من تونس مقرًّا لها في المنفى، وهكذا فالتشغيل اليومي للانتفاضة كانت تقوده المنظمات الشبابية والمؤسسات التعليمية أو المدنية التي عبأت الأطفال (هلترمان، 1991) (Hilterman, 1991). إشراك الأطفال في الانتفاضة الثانية مرتفع أيضًا: كان الشباب المراهقون يقاربون ثلاثة أرباع المشاركين (سنغر، 2006) (Singer, 2006).

## محفزات المشاركة وأساليب التجنيد

الدوافع للانضمام إلى المنظمات والاشتراك في الأنشطة المسلحة أو الإرهابية غالبًا ما تتشابك مع تكتيكات التجنيد التي تستخدمها الجماعات المتمردة والمنظمات الإرهابية؛ إن

السياق المحلي للصراع يوضح عوامل الدفع والجذب والواقع الذي يعيشه المجندون، إضافة إلى دوافع الأطفال للانضمام والمشاركة في أنشطة مسلحة.

عمومًا، الأطفال الذين ينشؤون في مناطق النزاع أو المجتمعات المنقسمة بشدة يتأثرون بشدة بأعمال العنف من حولهم (على سبيل المثال، باين، كوستيلو، وماستن، 2005؛ & ماستن نارايان، 2012؛ اللجنة النسائية للنساء والأطفال اللاجئين، 2000) (e.g., Pine, Costello, & Masten, 2005; Masten & Narayan, 2012; Women's Commission for Refugee Women and Children, 2000). هذه التجارب الصادمة تعطي للأطفال والشباب الدافع، والإلهام، والمبرر للانضمام إلى الجماعات المتمردة أو المنظمات الإرهابية، والقتال من أجل قضية المجموعة، فضلًا عن أن العيش في مناطق الصراع من شأنه أن يؤدي أيضًا إلى تطبيع العنف (ماستن ونارايان، 2012) (Masten & Narayan, 2012)، ويهيئ الأطفال لأن يكونوا مهتمين ومستعدين للانضمام والمشاركة في المشاريع المسلحة، كما أن التجارب مثل وفاة الأقارب، وتدمير المنازل، والتشريد، وغيرها من الصعوبات الناجمة عن الأعمال العدائية يمكن أن تكون تأثيراتها قوية في الأطفال (سوماسوندارام، 2002) (Somasundaram, 2002).

العوامل الضاغطة مثل الصعوبات الشخصية والعائلية، والضرورات الاقتصادية، أو القمع السياسي والمضايقات أيضًا قد تؤثر في دفع الأطفال للانضمام إلى الإرهاب، لكن قد ينخرط الأطفال في أنشطة مسلحة من أجل التشويق والإثارة (فينهوس، 2010) (Venhaus, 2010)، وبالنسبة إلى الذكور المراهقين، قد تصبح المشاركة وسيلة لإثبات رجولتهم (بيركو وايرز، 2005) (Berko & Erez, 2005).

إن طرق تجنيد الأطفال تمتد من الإقناع والوعود من أجل الرفاه المادي، أو المغامرة، أو الخلاص، إلى التهديدات واستخدام القوة بوصفها وسيلة أخرى غير مشروعة لتجنيد المجندين الشباب؛ في بعض مناطق النزاع (على سبيل المثال، سيراليون أو الكونغو)، أعداد كبيرة من الأطفال يتم تجنيدهم بالقوة من خلال الاختطاف والتهديدات الحقيقية، وكان الأطفال يتعرضون للتهديد، والحرمان، والضرب، والعمل القسري، وتناول المخدرات، والقيام بمهمات خطيرة ومرهقة، وكانت الفتيات عرضة بشكل كبير للعنف الجنسي، أو أن يصبحن (زوجات

الأدغال) (سنغر، 2005b) (Singer, 2005b). بالنسبة إلى بعض الأطفال الانخراط في الأعمال العسكرية يقدم لهم شكلًا من أشكال العمل، أما بالنسبة إلى الأطفال الآخرين الذين يعيشون حياة مهملة أو منبوذة (لأنهم كانوا يتامى، أو يعانون فيروس نقص المناعة، وما إلى ذلك)، فإنه يعد شكلًا من أشكال البقاء على قيد الحياة (دويك، 2008) (Doek, 2008).

غالبية الأطفال الذين يلتحقون بالجماعات المسلحة أو المنظمات الإرهابية، هم يختارون القيام بذلك، على الرغم من القيود المختلفة. خيارات الأطفال للانضمام إلى هذه الجماعات يتم في بعض الأحيان في سياق المصاعب الشخصية أو العائلية أو الفقر أو الضرورات الاقتصادية، أو التطبيع مع العنف أو الحرب؛ فالبيئة السياسية والثقافية والأيديولوجية قد تكون مصحوبة بالحاجة إلى الأمن الشخصي أو بالضغوط من مجموعات الأقران، والعديد من هذه الأسباب هي نفسها التي تدفع البالغين إلى اختيار الانضمام إلى المجموعات أو المنظمات العسكرية (ويسلز، 2006) (Wessells, 2006).

الأطفال الذين فقدوا أفراد العائلة أو الأصدقاء المقربين في الأعمال العدائية، أو تعرضوا للعنف والإيذاء المتعلق بالصراع السياسي، غالبًا ما يؤيدون العنف والانتقام بوصفها ردودًا مشروعة. الشباب الفلسطيني الذين انضموا إلى صفوف حركة فتح أو حماس، وتطوعوا لتنفيذ هجوم انتحاري كان لديهم من الأقارب أو غيرهم من الكبار الذين قتلوا أو شوهوا خلال المواجهات مع جيش الدفاع الإسرائيلي، وكان هذا هو السبب الذي دفعهم للانتقام وانخراطهم في الأعمال الإرهابية (بيركو وايرز، 2005، 2007) (Berko & Erez, 2005, 2007).

لتشجيع الأطفال على الانضمام إلى الأنشطة العسكرية والإرهابية، تقدم المنظمات الوعود المختلفة، وتغري الأطفال عن طريق توفير الفرص لمن يواجه ظروفًا اجتماعية ومادية كبيرة، أو يعيشون في فقر مدقع لا يمكن أن يتصوره عقل؛ على سبيل المثال، الجبهة (المقصود نمور التاميل) وعدت الأطفال بأنهم سوف يتعلمون قيادة المركبات أو الدراجات النارية، وهناك طريقة أخرى تستخدمها المنظمات لجذب الأطفال هي تقديم منافع مادية لهم ولأسرهم، وضمانات برعايتهم على الصعيد المالي (على سبيل المثال، حماس، وجبهة التاميل). بالإضافة

إلى ذلك توجد وسيلة مهمة لتحفيز الأطفال المجندين، متعلقة بوعود المكافآت الروحية والدينية التي تنتظر من سينضمون ويتبعون أهداف المنظمة.

في جميع أنحاء العالم، القاسم المشترك الذي يتجاوز الثقافة والدين والعرق والأثنية، والقبيلة أو العشيرة، هو الشرف، والقيمة أو الأهمية، والدعاية الجديرة بالملاحظة التي تخص الأطفال الذكور (ويخص الإناث كذلك في الآونة الأخيرة) وتحثهم على التجنيد والمشاركة في العمليات العسكرية؛ على سبيل المثال، انتشرت في البلدات الفلسطينية ملصقات عن (الشهداء) لتمجيد انتحارهم، حيث تظهر هذه الملصقات عن التفجيرات على جدران المدارس وغيرها من الأماكن العامة، والعديد من المباني العامة ومخيمات الأطفال، أو المؤسسات التعليمية (حافظ، 2006؛ انظر وسائل الإعلام الفلسطينية، 2012b، 2012c) (Hafez, 2006; Palestinian Media Watch, 2012b, 2012c).

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك بطاقات تحمل صور الشهداء توزع مجانًا مع علب العلكة، بالطريقة نفسها التي توزع فيها بطاقات البيسبول في أمريكا الشمالية. التلفاز الفلسطيني كثيرًا ما كان يبث أغاني تدعو الأطفال إلى التضحية بأنفسهم من أجل القضية الوطنية، وإلى الشهادة، وتُمجِّد أولئك الذين شاركوا في مثل هذه الأعمال. بثَّ التلفاز الفلسطيني مقابلات أيضًا لأطفال أبدوا رغبتهم في الاستشهاد (تقديم التضحية)، وأن يصبحوا شهداء (الإعلام الفلسطيني المرئي، 2012A، 2012b) (Palestinian Media Watch, 2012a, 2012b)، وظهر أيضًا قادة السلطة الفلسطينية وهم يصفقون للأطفال الذين يغنون (سوف أرويكِ بدمي، وأفتديكِ بحياتي)، وعرض الإعلام الفلسطيني المرئي تلك الفتاة التي أصرت أن تغني للانتفاضة أغنية (الشهيد الذي أحب الموت)، على الرغم من أن تلفاز السلطة الفلسطينية (PA TV) المضيف للفتاة أعرب عن تفضيله لأغنية تتحدث عن الحياة (الإعلام الفلسطيني المرئي، 2012A، 2012b) (Palestinian Media Watch, 2012a, 2012b).*

* الشهيد المكرم: (الشهيد) يتميز عن الشخص المنتحر (الاستشهادي)، الذي يعد خرقًا للقانون الإسلامي.

وغالبًا ما يسهل تجنيد الأطفال بجهود وأنشطة مؤسسية جماعية ترمي إلى حقن الأطفال بالأيديولوجيا، وامتداح أولئك الذين ينقلون الرسالة من خلال عملهم، وقد أنشأت بلدان وجماعات مختلفة في مناطق الصراع (أجنحة الشباب) التي تغرس بالأطفال التوجهات الأيديولوجية، وتزودهم بالتدريب المسلح، تمهيدًا لمشاركتهم في أنشطة عسكرية أو إرهابية. قد تتم عملية التجنيد في المؤسسات التعليمية، وفي أماكن العبادة، أو من خلال إنشاء برامج خاصة للشباب.

جبهة نمور تحرير التاميل (LTTE) اعتادت على زيارة المدارس وعرض أفلام على الشاشة للهجمات الحكومية والدمار، والهجمات المضادة الناجحة لها، وفي حالات أخرى، أظهرت أطفالًا يرتدون لباسًا موحدًا جميلًا، وأحذية، وميداليات، دفعت الأطفال الذين يشاهدونهم إلى حسدهم وانضمامهم إلى المجموعة بعد ذلك (سنغر، 2006) (Singer, 2006). في السياق الفلسطيني، فقد تم إنشاء العديد من مجموعات الشباب أو قوات الأمن التي تتألف من الأطفال بوضوح خلال حكم الانتداب البريطاني، ولا تزال حتى الآن (روزين، 2005) (Rosen, 2005). ويتم يضًا تجنيد الأطفال من خلال النظام التعليمي، في سياق الأنشطة الترفيهية بعد الدوام المدرسي، ومن خلال المؤسسة الدينية.

بدأت المنظمات الإرهابية باستخدام الإنترنت والرسائل النصية على الهاتف الخلوي بوصفها أدوات للتلقين وتجنيد الأطفال؛ مثال ذلك الإعلان الذي بثه تلفاز السلطة الفلسطينية على مدى سنوات عديدة، وفي بعض الأحيان مرتين في الأسبوع، والذي يصور طفلًا يقوم بدور محمد الدرة؛ الطفل الفلسطيني الذي توفي في تبادل لإطلاق النار، وكان بصحبة والده الذي تم بثه للعالم أجمع،* داعيًا الأطفال الفلسطينيين إلى اللحاق به إلى الجنة مع الشهداء الأطفال. وصف ماركوس وكروك (2006) Marcus and Crook (2006) الطفل في هذا الكليب على النحو الآتي:

* وفاة محمد الدرة، وهو صبي يبلغ من العمر 12 عامًا، في حين كان والده يحتمي به في تبادل لإطلاق النار بين الإسرائيليين والفلسطينيين في غزة عام 2000، وكان يعتقد في البداية أنه بسبب إطلاق النار الإسرائيلي. وبعد التحقيق، تبين أن الطفل لم يقتل من قبل الإسرائيليين، وأن هذا المشهد قد أخرج أو جرى التلاعب به من قبل مراسلي التلفاز الفرنسي. ومع ذلك، بثت صورة الطفل ووالده خلال تبادل لإطلاق النار في جميع أنحاء العالم، لتصبح رسالة قوية حول وحشية مفترضة من الإسرائيليين تجاه الأطفال، وهي الرسالة التي تكررت في العديد من القضايا البارزة للإرهاب.

أنا لا ألوح للتخلي عنك، ولكن لأقول اتبعني، تلك هي دعوة الدرة على شاشة التلفاز، الأطفال الذين يشاهدون هذا الفيديو يُعرض عليهم ما ينتظرهم إذا انضموا إلى الدرة في الممات؛ الفيديو يتابع الطفل الذي يمثل دور الدرة الراقص فرحًا في السماء؛ إنه يمارس المجون على الشاطئ، ويلعب بطائرة ورقية، ويركض نحو عجلة فيريس، يقال للأطفال إن الموت في الصراع مع إسرائيل سيؤدي بهم إلى الجنة والطفل محمد الدرة بالفعل في هذه الجنة، حيث الهدوء الذي يملؤه المرح. (ماركوس وكروك، 2006، ص 1) (Marcus & Crook, 2006, p. 1).

قامت المنظمات بتأسيس مواقع على الإنترنت؛ لاستهداف الأطفال من خلال استخدام البث الموجه لشريحة معينة من المجتمع (وايمان، 2008) (Weimann, 2008). باستخدام التسويق والتكتيكات الإعلانية الحديثة، شملت هذه المواقع الخاصة برامج لتلقين الأطفال فكر المنظمة، وألعاب حاسوب مجانية توفر لهم افتراضيًا ممارسة أعمال إرهابية؛ على سبيل المثال، موقع فتح لديه رابط مع الموقع الرسمي لحماس.

أيضًا، بالإضافة إلى الرسومات وأغاني الأطفال، والقصص، وبعضها مكتوبة من قبل الأطفال، يشتمل الموقع على رسائل تشجيع الإرهاب الانتحاري، ويقدم صورة لرأس مقطوعة لأحد الشباب الانتحاريين الذي فجر نفسه عام 2004 بحزام ناسف، في عملية القدس التي أسفرت عن مقتل اثنين من رجال الشرطة وإصابة 17 مدنيًا. النص المرافق للصورة يشيد بالفعل بها، مشيرًا إلى أنها اليوم تزف شهيدة (الشهيد) إلى الجنة، كما زُفَّ من قبل زملاؤها من الذكور. بوست آخر نشر عن انتحاري حماس الذي نفَّذ عملية انتحارية في عام 2001 في نادٍ للمراهقين في تل أبيب، مما أسفر عن مقتل 21 شابًا، فتم تمجيد هذه الأفعال كلها، وجعلها أمثلة يقتدى بها (وايمان، 2008) (Weimann, 2008).

## الأطفال الفلسطينيون، الإرهاب، والتفجيرات الانتحارية

استخدام الأطفال والشباب في السياق الفلسطيني، كما أشرنا آنفًا، يعود تاريخه إلى المراحل المبكرة للصراع العربي الفلسطيني الإسرائيلي، وذلك قبل إنشاء دولة إسرائيل (روزين، 2005) (Rosen, 2005)؛ فالمحاولات الأخيرة التي قامت بها المنظمات الفلسطينية القومية منها والإرهابية (مثل فتح وحماس والجهاد الفلسطيني) لمهاجمة المواطنين الإسرائيليين وتعطيل

حياتهم اليومية، لا تزال تتسم بالجهود الحثيثة لهذه المنظمات للتأثير في الشباب وتجنيدهم، فالمؤسسات التربوية من مرحلة رياض الأطفال حتى المرحلة الثانوية، تغرس فكر (المقاومة) الذي يؤيد ويمجد التضحية والتفجيرات الانتحارية؛ والكتب والمواد التعليمية، والألعاب، والجوائز والأنشطة الترفيهية، وتسمية المرافق، وتعزيز النماذج التي يتم بناؤها من خلال هذه الوسائل تدور جميعها حول الأنشطة العسكرية والتفجيرات الانتحارية، والبسالة، وأهمية الشهداء الذين هم موضع فخر لكل فلسطيني (حافظ، 2006) (Hafez, 2006). الاطلاع على المواقع، والبرامج التلفازية، وغيرها من اتصالات وسائل الإعلام، تعزز مركزية العنف والتضحية في تعليم الشباب الفلسطيني (الإعلام الفلسطيني المرئي، 2012c، وايمان، 2008) (Palestinian Media Watch, 2012c; Weimann, 2008).

وتشير البحوث التي أجريت مؤخرًا حول إقحام الشباب الفلسطيني في العمليات المسلحة والإرهاب، إلى أن هذا التجنيد للأطفال لا يختلف في شيء عن مشاركتهم الطوعية في مناطق الصراع الأخرى؛ الأطفال الفلسطينيون الذين يشاركون في الإرهاب ليسوا محصنين من تأثير البيئة الثقافية التي يترعرعون فيها، ومن واقع النزاع المسلح الذي يتعرضون له. ومع ذلك، فالتجنيد، والطاعة، والمشاركة لا تتأتى من الخوف والتهديد أو الإكراه البدني، وبالرغم من أن الوسط الثقافي والاجتماعي، الذي يؤكد السعي إلى الهوية الوطنية والتحرر، والوطن، والمجد لأولئك الذين ضحوا بأرواحهم من أجل تحقيق هذه الأهداف التي هي عامل أساسي في مشاركتهم (حافظ، 2006) (Hafez, 2006)، وعلى الرغم من أنهم ليسوا دائمًا على بينة من نطاق مشاركتهم أو الآثار المترتبة عليها (على سبيل المثال، بيركو وايرز، 2005) (e.g., Berko & Erez, 2005)، إلا أنهم يعدون مشاركين طوعيين (روزن، 2005) (Rosen, 2005). بالإضافة إلى أن أيديولوجية التحرر في الصراعات التي تتأثر بالمعتقدات الدينية القوية، كما هي الحال في بعض جوانب الصراع الإسرائيلي / العربي الفلسطيني ومحاولات نزع الشرعية عن إسرائيل واليهود (على سبيل المثال، الوعظ في المساجد)، الشباب الإسلامي الفلسطيني ينظر إلى القضية الوطنية على أنها عقوبة إلهية، وجزء من تفانيهم للسلطات العليا (ويسلز 2006) (Wessells, 2006).

المجتمع الفلسطيني يمجد (المقاومة) المسلحة، ويعلم الأطفال التسلح في سن مبكرة، ويقدم النشاط العسكري على أنه عمل باهر ومرغوب. تُعرض صور للأطفال الصغار مع الأحزمة الناسفة في الاحتفالات والأماكن التي يتجمع فيها الأطفال، وبهذا فهو يرسل رسالة أن هذه هي مسارات الشهرة والمكانة، وتنتقل أيضًا القيم العسكرية والتركيز على الاستشهاد عبر المسيرات والاحتفالات، والبرامج التعليمية، والمتنزهات، والصور الإعلامية، والأغاني والملصقات التي تكرّم المحاربين والانتحاريين؛ فالأطفال في مثل هذه السياقات يتعلمون ربط النشاط العسكري والتضحية بالاحترام، والهيبة، والمجد وجميع مناطق الجذب الآسرة للأطفال الذين قد يشعرون بأنهم غير مهمين، غير محصنين، أو عاجزين. الأمهات يعبرن عن الفخر في رؤية أبنائهن يشاركون في العمليات العسكرية أو التفجير الانتحاري (على سبيل المثال، هوغي، 2005)* (e.g., Hugi, 2005)، إضافة إلى ضغط الأقران لارتكاب العنف السياسي، جعل الأطفال الذين لا يوافقون على هذه القيم يشعرون بأنهم غرباء، وبأنهم يخرجون من مواقف يتجنبها الأطفال بأي ثمن.

المقابلات مع الأطفال والشبان الفلسطينيين الذين يقضون عقوبة السجن لمشاركتهم في الهجمات الإرهابية أو في تفجير انتحاري فاشل، تؤكد تأثير مختلف المكافآت الملموسة وغير الملموسة في قراراتهم بالمشاركة، ولم يخفِ المرسلون الذين أرسلوا هؤلاء الشباب في مهمات انتحارية هذه المكافآت بوصفها حوافز فعالة لدفع الأطفال إلى التطوع في تنفيذ المهمات الانتحارية، ولم تشمل هذه المكافآت المجد والشهرة فقط، وإنما شملت أيضًا الأموال النقدية والدعم المالي للأسرة، والمغامرات، ودخول الجنة، والتمتع بسبعين من الحور العين، كل هذه كان لها تأثير قوي فيهم؛ فمن المهم أن يظهر بعض المجندين أنفسهم وكأنهم (رجال حقيقيون) لا يهابون الموت من أجل القضية (بيركو وإيرز، 2005) (Berko & Erez, 2005).

* هناك أدلة، مع ذلك، أن أمهات الانتحاريين الذين يتم مكافأتهم بهدايا يشجعن أطفالهن على الموت شهداء، ويخضعن لضغوط ليظهرن في العلن كما لو كن يحتفلن بمقتلهم؛ الأمهات اللواتي في حداد على فقدان أبنائهن يعانين بشكل كبير من فقدانهم (شلهوب كيفوركيان، 2003)، ومن المرجح أن يفقدن الدعم المالي من المنظمات الإرهابية أيضًا إذا لم يتعاونَّ في الاحتفال بوفاة أطفالهن.

لكن هناك مجموعات أخرى من الدوافع تشارك في الإرهاب، وخاصة التفجير الانتحاري؛ فبعضهم يستخدم المهمة الانتحارية وسيلة لحل المشكلات الدنيوية التي يواجهها الأطفال، مثل الخروج من الظروف الصعبة في المنزل، والتهرب من قبضة الرقابة الأسرية، وتخليص أنفسهم من الآمال المعقودة عليهم في التحصيل الدراسي، أو تجنب الشجار والشتائم من قبل زملاء الدراسة (بيركو، 2012) (Berko, 2012). في بعض الحالات، يتعرض الشباب إلى ضغوط من أجل التطوع، وفي بعض الحالات القصوى، يهدد بعضهم أنهم إذا لم يستجيبوا سيتم الكشف عن تفاصيل محرجة عنهم أو عن أسرهم، ولا سيما المعلومات المتعلقة باحتشام النساء من أفراد أسرهم، (بيركو، 2012) (Berko, 2012).

ومن المهم أن نلاحظ- مع ذلك- أن استخدام الأطفال في الإرهاب يثير جدلًا في المجتمع الفلسطيني، وينقسم أصحاب المصلحة في هذه المسألة أيضًا. إن كانت القيادة الفلسطينية تشجع الأعمال العدائية المسلحة ومن مختلف الفئات العمرية، فهناك منظمات إرهابية مستمرة في البحث عن المتطوعين الشباب، وقد عبَّر آباء وأمهات الأطفال الذين أرسلوا في عمليات انتحارية عمومًا عن غضبهم لاختيار أطفالهم في هذه المهمات، وقد بيَّنت المقابلات التي أجريت معهم أنهم أخفوا الخطط والأنشطة المتصلة بالتفجير الانتحاري عن والديهم، مع العلم أن والديهم سوف يعترضون على تحولهم إلى انتحاريين (بيركو وايرز، 2005، 2007) (Berko & Erez, 2005, 2007).

أعرب المرسلون في مهمات من الذين تمت مقابلتهم أيضًا عن بعض التحفظات حول استخدام الأطفال، ورأى بعضهم أن إرسال الأطفال للقيام بمهمات انتحارية قد يكون أقل فاعلية في محاربة العدو من إيفاد الكبار، إذا إن قدراتهم لا تزال قيد النمو، ولا يستطيعون إلحاق أكبر قدر من الخسائر البشرية (بيركو، 2012) (Berko, 2012). ويؤكد آخرون أن الأطفال لديهم مزايا تكتيكية أكثر من البالغين، مثل قدرتهم على التهرب من المراقبة، أو تقديم مزايا أخرى لمشغليهم (بيركو، 2012) (Berko, 2012).

كشفت المقابلات مع الشباب في السجن أيضًا أن العديد منهم تعرضوا لضغوط من المرسلين لهم أو وكلائهم للتطوع في مهمات انتحارية؛ كالنداءات المتكررة والطلبات المتواصلة

ليصبحوا برفقة شهداء مشهورين من خلال وعود بتقديم الدعم المادي لأسرهم، أو التمتع بملذات الجنة. بعض الشباب الذين انتهى بهم المطاف في السجن أعربوا عن استيائهم من القيادات الفلسطينية ومن مشغليهم في المنظمات الإرهابية؛ لعدم تجنيد أطفالهم في مهمات تفجير انتحاري، بل يرسلون أطفال الآخرين إلى الموت، واشتكى آخرون من أن المرسلين قالوا لهم إنهم في حال تم القبض عليهم، سيحصلون على أحكام مخففة، في حين أنهم في الواقع حصلوا على أحكام أطول من ذلك بكثير مما وعدوا به (بيركو، 2012) (Berko, 2012).

بعض الأطفال الذين تم استجوابهم كانوا معروفين في أحيائهم بأن لديهم مشكلات في النمو، وانخفاضًا في احترام الذات، ومن الذين يتوقون لإرضاء الآخرين. وفي حالات أخرى، اعترف الأطفال الذين تمت مقابلتهم بأنهم متحمسون وراغبون في محاكاة زملائهم الأكبر سنًّا في الحي، من (الشباب) الذين كانوا يحملون الأسلحة أو يشاركون في إخفائها، وفي حالات أخرى بدأ التطوع لتنفيذ عمليات انتحارية على سبيل المزاح، لكن سرعان ما أصبح أمرًا واقعًا، ولم يتمكن الأطفال الخروج منه دون فقدان ماء الوجه. والشباب الذي لا يريدون أن يخيبوا آمال أصدقائهم، بأن يُظهروا علامات الخوف، أو السخرية لعدم إظهار رجولتهم وأنهم (ليسوا رجالًا) سرعان ما وجدوا أنفسهم في إطار التحضير للمهمة وفي طريقهم إلى الهدف (بيركو وايرز، 2005) (Berko & Erez, 2005)، وكان معظمهم يخشى من إبلاغ والديهم عن جمعياتهم أو مكان وجودهم؛ لأنهم كانوا يحذرونهم دائمًا من تجنب هؤلاء الأشخاص المعروفين بتورطهم في الإرهاب (بيركو وايرز، 2005، 2007) (Berko & Erez, 2005, 2007). وأفاد الأطفال الآخرون أنهم طلب منهم الانضمام إلى عمليات مختلفة لحماية البالغين من اللوم في حال سارت الأشياء بشكل غير صحيح، وأشاروا إلى أنهم أُبلغوا بأن الشباب، والقصّر، بوصفهم قاصرين سيتم تبرئتهم إن شاركوا في عمليات إرهابية، وهذا يساعد البالغين المعنيين على تجنب التداعيات الخطيرة (بيركو، 2012) (Berko, 2012).

وهناك قلق يتعلق بإساءة معاملة الأطفال في الإرهاب الفلسطيني باستخدام الأطفال دروعًا بشرية، وتعيين المناطق حول المدارس واستخدامها بوصفها أماكن لتخزين الأسلحة، وإطلاق الصواريخ من الأماكن العامة المجاورة للمؤسسات التعليمية والمستشفيات والمساجد (التي من

المرجح أن تشتمل جميعها على الأطفال). في حالات أخرى، تم استدعاء المدنيين، ولا سيما الأطفال إلى أماكن كان يتحصن فيها الإرهابيون لحمايتهم من الهجمات المحتملة، واستخدم الأطفال أيضًا لتطويق النشطاء من أجل تسهيل هروبهم من مناطق القتال.

في حين وصفت الأمثلة السابقة كيف استفادت المنظمات الإرهابية من صفات الأطفال مثل الحجم، والطاعة، أو النمو العقلي أو السذاجة، أو القدرة على تجنب المراقبة أو الفوائد التكتيكية الأخرى، فإن هذه الأمثلة الأخيرة تثبت كيف يمكن للمنظمات الإرهابية أن تستغل الاتفاقيات وقواعد الاشتباك التي تهدف إلى تجنب الخسائر المدنية أو تقليلها، لا سيما من الأطفال الضحايا الذين يجذبون بشدة اهتمام وسائل الإعلام الدولية.

## استنتاج

استمرار استخدام الشباب في الأنشطة العسكرية والإرهاب لا يزال موضوع المناقشات العلمية والسياسية على المستويين المحلي والدولي، وقد أشار الباحثون ومراقبو حقوق الإنسان إلى أنها واحدة من أسوأ أشكال ممارسات الإساءة المؤسسية للأطفال، سواء كانت جسدية أو نفسية، أو جنسية.

يقال عادة إن منع أو الحد من مشاركة الأطفال في الأنشطة العسكرية والإرهاب يعتمد على فهم السبب الذي اختير فيه الأطفال للانضمام إلى هذه الأنشطة في المقام الأول (على سبيل المثال، سوماسوندارام، 2002) (e.g., Somasundaram, 2002).

في صلب المناقشات، ثمة أسئلة حول كيفية التعامل مع الأطفال الذين يشاركون في المهمات العسكرية، وكيفية تحديد مسؤوليتهم عندما يتسببون بالموت والإصابات، وما التدابير السياسية والقانونية التي تعتمد لمنع الأطفال من الانضمام إلى الصراعات المسلحة؛ علماء القانون والباحثون في العلوم الاجتماعية، ومنظمات حقوق الإنسان غير متفقين على ما إذا كان الأطفال المشاركون في الحرب والإرهاب هم ضحايا أبرياء أم مقاتلين يتحملون المسؤولية الكاملة عن أفعالهم، والسؤال هنا ليس له إجابة واضحة، ولكنه يعتمد على ظروف مشاركة الأطفال، بما في

ذلك البيئة المحلية، وتاريخ الصراع، والطريقة التي يتم فيها تجنيد الأطفال أو الحفاظ على ولائهم، ومستوى الإكراه الذي يمارس عليهم ونوعه، والخيارات البديلة لبقائهم على قيد الحياة.

تحدد الاتفاقيات الدولية والمعاهدات والبروتوكولات سن البلوغ في سن الثامنة عشرة، ويعرض خطاب العديد من المنظمات غير الحكومية والمنظمات الإنسانية الأطفال (أي الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن 18 عامًا) بصفتهم ضعفاء وعاجزين، ويحتاجون إلى الحماية. وفقًا للعديد من هذه المنظمات، فإن الأطفال الذين يشاركون في القتال أو الإرهاب هم ضحايا لتلاعب الكبار والاستغلال الإجرامي لهم، في حين أنه في كثير من الصراعات قد تكون هذه هي الحال، إلا أن العديد من الصور الأخرى تقدم توصيفًا دقيقًا لأغلبية المشاركين. وعلاوة على ذلك، لا يوجد توافق في الآراء بشأن السن التي يعتقد أن الطفولة تنتهي فيها، أو كفاءات الأطفال أو خصائصهم المفترضة، والعادات والأعراف المتعلقة بما يمكن أن يقوم به الأطفال ويكون مناسبًا لهم. علماء الأنثروبولوجيا يؤكدون أن تعريفات الأطفال والطفولة ليست عالمية، بل تختلف إلى حد كبير بمحددات ثقافية (روزين، 2005، 2007) (Rosen, 2005, 2007). علاوة على ذلك، الكثير من الأدبيات تشكك في فرضية عجز الأطفال واتكاليتهم ونقص الكفاءة لديهم، مشيرين إلى أن هذه الآراء وهذا النهج يشكل بناءً اجتماعيًا، وليس وصفًا موضوعيًا للشباب (على سبيل المثال، بارك، 2010) (e.g., Park, 2010). ولدى دراسة الحالات المختلفة للأطفال المشاركين في الحروب والإرهاب في جميع أنحاء مناطق النزاع في العالم، يمكن للمرء أن يقدم دليلًا يدعم كلًّا من هذه الآراء المتباينة.

إن التجنيد والولاء للمجموعة، والامتثال لأوامر المنظمة يمكن أن يستمر بوسائل مختلفة، تتراوح بين التدابير التي تشير إلى الإرادة الحرة لأولئك الذين يبرهنون على الإكراه، أو العجز التام في هذه المسألة، وفي جميع مناطق النزاع في العالم، وبخاصة في المجتمع الفلسطيني، فإن القوى التي تؤثر في الأطفال، وتحفزهم على المشاركة في الإرهاب هي جميعها تطوق وتخترق كل جانب من جوانب الحياة اليومية للأطفال؛ فالمؤسسات التعليمية والمؤسسات الدينية، ووسائل الإعلام، وتكنولوجيا المعلومات، والثقافة الشعبية تمارس نفوذها في تمجيد الأعمال العسكرية، وتقوم بخلق فضاءات هدّامة لأعمال العنف والإرهاب، وفي مثل هذه البيئات

يمكن للأطفال أن يصبحوا بسهولة مشاركين نشطين، يشعرون بالقدرة على المشاركة في عالم الأنشطة العسكرية والإرهاب.

الأطفال الذين لا يشاركون في مثل هذه الأنشطة قد يشعرون بأنهم مستبعدون ومغلوب على أمرهم، على الرغم من أن بعض الأطفال قد يكون لديهم مظالم محددة تتعلق بالوعود التي لم يوفى بها، والضغوط القوية، أو درجات معينة من الاستغلال من قبل الكبار، إلا أنهم على العموم لا يعدون أنفسهم ضحايا بيئتهم، فضلًا عن أنهم لا يقاومون هوية المقاتلين أو الشهداء المحتملين؛ بل على العكس من ذلك، يتبنون هذه الهوية بحماس كبير، وهذه الظروف تجعل مشكلة مكافحة استخدام الأطفال في الإرهاب والتفجير الانتحاري من المشاريع المعقدة وذات الطبقات المتعددة، الأمر الذي يتطلب تضافر الجهود على المستويات كافة؛ العائلية والمؤسسية والسياسية.

من استعراض الحالات التي تمت مناقشتها في هذا الفصل يتضح أيضًا محدودية الجهود الحالية المبذولة لوضع حد لاستخدام الأطفال في الصراعات المسلحة، عن طريق إقرار قانون دولي يستهدف عديمي الضمير المُجنِّدين للأطفال، ورعاية حملات مناصرة للحد من هذه القسوة في النزاع المسلح وآثارها الضارة على الأطفال وإجبارهم على المشاركة، مثل هذه الدعوات تأتي في معظمها من قبل الوكالات الإنسانية التي تفترض أن الأطفال المشاركين هم ضحايا، ليس لديهم خيار في ذلك، مع دوافع عالمية للمشاركة، ولا تتوقف على البيئات الاجتماعية والسياسية الخاصة بأماكن عيشهم، وأيضًا يتجاهلون الآثار الضارة لتطبيع العنف على الأطفال، والنزوع إلى تهيئة الشباب للانخراط في العنف السياسي. في العديد من الحالات التي تمت مناقشتها في هذا الفصل تبين أثر البيئة في مشاركة الأطفال في الإرهاب؛ وتثبت هذه الحالات أيضًا أن مشاركة الشباب في كثير من الأحيان ليست كضحايا سلبيين، لكنهم مشاركون نشطون انضموا طواعية إلى الصراعات المسلحة.

إن الحالة الفلسطينية التي تم استعراضها في هذا الفصل تبرز بوضوح العديد من آفاق مشاركة الأطفال في النزاعات المسلحة والإرهاب الانتحاري، حيث الإكراه العلني الذي يعانيه الشباب للانضمام إلى العنف السياسي وتنفيذ التفجيرات الانتحارية، وغيرها من الاستخدامات

الأخرى للأطفال في مجال الإرهاب، مثل الدروع البشرية في الأعمال الحربية، وإذا نظرنا إلى السياسة العامة الرامية إلى منع استخدام الأطفال في النزاعات المسلحة والإرهاب، فإنه يتعين علينا دراسة جميع جوانب وجود الأطفال في مجتمع معين؛ من ظروف تطبيع العنف السياسي، وتشجيع المشاركة فيه، وتمجيد الشهادة، سواء نشأت في المؤسسات التعليمية أو التلقين الديني، أو التواصل الجماهيري أو أنشطة أوقات الفراغ، أو الظروف الاقتصادية، أو في التاريخ السياسي والاجتماعي للصراعات المعينة.

## المراجع

## REFERENCES

BBC. (2012). Children in conflict. Retrieved online on October 12, 2012 from http://www.bbc.co.uk/worldservice/people/features/childrensrights/childrenofconflict/soldier.shtml

Berko, A. (2012). The smarter bomb: Women and children in terrorism. Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield.

Berko, A., & Erez, E. (2005). 'Ordinary people' and 'death work': Palestinian suicide bombers as victimizers and victims. Violence and Victims, 20(6), 603–623.

Berko, A., & Erez, E. (2007). Gender, Palestinian women and terrorism: Women's liberation or oppression? Studies in Conflict and Terrorism, 30(6), 493–519.

Bloom, M. (2012, August 6). Analysis: Women and children constitute the new faces of terror. CNN. Retrieved from http://security.blogs.cnn.



com/2012/08/06/analysis–women–and–children–constitute–the–new–faces– of–terror/

Brown, I. (1990). Khomeinis forgotten sons: The story Iran's boy soldiers. London: Grey Seal Books.

Doek, J. E. (2008). Republic of Sierra Leone. Child soldiers: Global report 2008. Re– trieved online on February 16, 2013 from http://www.childsoldiersglobalreport. org/content/sierra–leone

Erez, E. (2006). Protracted war, terrorism and mass victimization: Exploring victi– mological/criminological theories and concepts in addressing terrorism in Israel. In U. Ewald & K. Turkovi (Eds.), Largescale victimisation as a potential source of terrorist activities—regaining security in post–conflict societies. NATO Security through Science

Series, E: Human and Societal Dynamics (Vol. 13, pp. 89–102). The Netherlands: ISO Press.

Gray, D. H., & Matchin III, T. O. (2008). Children: The new face of terrorism.

International NGO Journal, 3(6), 108–114.

Hafez, M. (2006). Manufacturing human bombs: The making of Palestinian sui– cide bombers. Washington, DC: United States Institute of Peace.

Hilterman, J. R. (1991). Behind the intifada. Princeton, NJ: Princeton Universi– ty Press.

Hugi, J. I. (2005). I raised my son to be suicide bomber: I encourage all my children to die as martyrs. Maariv, September 8, 2005.

Israeli, R. (2003). Palestinian women and children in the throes of Islamikaze ter– rorism. ACPR Policy Paper No. 139.

Marcus, I., & Crook, B. (2006). Seducing children to martyrdom.

Palestinian Media Watch Bulletin, 6. Retrieved online on December 10, 2012 from http://www.jerusalemsummit.org/eng/pmw.php?pmw=16 Masten, A. S., & Narayan, A. J. (2012). Child development in the context of disaster, war, and ter– rorism: Pathways of risk and resilience. Annual Review of Psychology, 63, 227–257.

Palestinian Media Watch (PMW). (2012a). Palestinian kids created as "fertilizer," to saturate the land with blood. Retrieved online on January 31 2012 from http:// www.palwatch.org/main.

aspx?fi=157&doc_id=6255 Palestinian Media Watch (PMW). (2012b). Success of Shahada promotion.

Retrieved online on January 17, 2013 from http://palwatch.org/main.aspx?fi=415 Palestinian Media Watch (PMW). (2012c). Glorifying terrorism and terror.

Retrieved online on January 18, 2013 from http://www.palwatch.

org/main.aspx?fi=448 Park, A. S. J. (2010). Child soldiers and distributive justice: Addressing the limits of law? Crime, Law, and Social Change, 53(4), 329–348.

Peters, L. (2005). War is no child's play: Child soldiers from battlefield to play–ground. Occasional Paper No. 8. Geneva: Geneva Centre for the Democratic Con–trol of Armed Forces.

230 EDNA EREZ AND ANAT BERKO Pine, D. S., Costello, J., & Masten, A. (2005). Trauma, proximity, and developmental psychopathology: The effects of war and terrorism on children. Neuropsychopharmacology, 30(10), 1781–1792.

Rigby, A. (1990). The living intifada. London: Zed Books.

Rosen, D. M. (2005). Armies of the young: Child soldiers in war and terrorism.

Piscataway, NJ: Rutgers University Press.

Rosen, D. M. (2007). Child soldiers, international humanitarian law, and the glo–balization of childhood. American Anthropologist, 109(2), 296–306.

Shalhoub–Kevorkian, N. (2003). Liberating voices: The political implications of Palestinian mothers narrating their loss. Women's Studies International Forum, 26(5), 391–407.

Singer, P. W. (2005a). The new children of terror. In J. Forest (Ed.), The making of a terrorist (pp. 105–119). Retrieved online on January 5, 2013 from http://www.brookings.edu/views/papers/singer/chapter8_20051215.pdf

Singer, P. W. (2005b). Terrorists must be denied child recruits. Brookings Institute. Retrieved online on January 2, 2013 from http://www.brookings.

edu/research/opinions/2005/01/20humanrights–singer Singer P. W. (2006). Children at war. Los Angeles, CA: University of California Press.

Somasundaram, D. (2002). Child soldiers: Understanding the context.

British Medical Journal, 324(7348), 1268–1271.

UNICEF. (2012). Children and armed conflict. Retrieved online on October 19, 2012 from http://www.unicef.org/emerg/index_childsoldiers.html

Venhaus, J. M. (2010). Why youth join Al–Qaeda. Special Report 236.

Washington DC: United States Institute of Peace. Retrieved online on October 14, 2013 from http://www.usip.org/sites/default/files/resources/SR236Venhaus.pdf

Weimann, G. (2008). Narrowcasting: The trend in online terrorism.

Gazette, 70(3), 9–15.

Wessells, M. G. (2006). Child soldiers: From violence to protection.

Cambridge, MA: Harvard University Press.

Women's Commission for Refugee Women and Children. (2000).

Untapped potential: Adolescents affected by armed conflict. Retrieved online on October 10, 2012 from http://www.unicef.org/emerg/files/adolescents_armed_conflict.pdf

# 12

## ردع الهجمات الإرهابية الانتحارية

دوشيانت سينغ Dushyant Singh

الإرهاب هو سلاح الضعفاء؛ المجموعة الإرهابية في مراحلها الأولية تعاني قوة غير متكافئة لدرجة كبيرة، ومع ذلك تتمتع المجموعة أيضًا بمعلومات أو باستخبارات لا يستهان بها، وهذا يولد الميل إلى استغلال مواطن القوة لدى كل جانب (باسيليسي وسيمونز، 2004؛ & دايك كريسافولي، 2006) (Basilici & Simmons, 2004; Dyke & Crisafulli, 2006). بالإضافة إلى ذلك لدى الإرهابي معلومات، عادة ما يحقق بها مفاجأة إستراتيجية وتكتيكية بسهولة جدًا في الهجمات، وهذا يستدعي القمع الشديد من قبل قوات الأمن. وفي المنافسة التي تعقب ذلك، كلما تم الضغط على الإرهابيين لجهة الموارد، أو فقدوا الصراع، أو رغبوا في إرسال رسالة تجدد التزامهم المطلق بقضيتهم، أو لمنع الجماعات الإرهابية الأخرى، فإنهم يلجؤون إلى الهجمات الإرهابية الانتحارية. أحداث 11/9 في الولايات المتحدة، وقتل رئيس الوزراء الهندي السابق السيد راجيف غاندي، والهجمات الإرهابية مومباي في 11/26، والهجوم الإرهابي على معبد أكشاردهام عام 2002، والهجوم على البرلمان الهندي في الهند هي أمثلة قليلة عن الهجمات الإرهابية الانتحارية.

يمكن أيضًا أن يكون تفضيل هذا النوع من الإستراتيجية من قبل الإرهابيين في موضع تقدير، من حقيقة أن باكستان وحدها واجهت أكثر من 329 هجمة، وعانت أكثر من 5119 هجمة مميتة، و10830 هجمة غير مميتة منذ عام 2002 (جنوب آسيا بوابة الإرهاب، 11 تشرين الثاني 2002).

كان هناك ارتفاع كبير في عدد الهجمات الانتحارية منذ عقد الثمانينيات من القرن الماضي، وقد تأثر ما يقارب 36 بلدًا بالإرهاب الانتحاري، وعانت العراق وأفغانستان وباكستان وسريلانكا أكثر من غيرها. إن حجم المشكلة يمكن فهمه من التنامي الكبير في عدد الهجمات الانتحارية ونسبة القتل فيها، وقد ذكر حسن نقلًا عن وزارة الدفاع أنه في الوقت الذي انخفض فيه عدد الحوادث الإرهابية في جميع أنحاء العالم من ذروته البالغة 665 حادثة في عام 1986 إلى 208 حوادث في عام 2003، ازدادت نسبة التفجيرات الانتحارية من 31 في عقد الثمانينيات إلى 98 في عام 2003 (حسن، 2009) (Hassan, 2009). وتشير بيانات مشروع شيكاغو إلى ما مجموعه 2297 هجمة منذ 1981–2011، مما أدى إلى 29951 هجمة قاتلة و76332 غير قاتلة.

حتى إن ثمة قلق أكبر في معدل الوفيات لكل هجوم انتحاري الذي كان 13. 1 ومتوسط الجرحى في الهجوم الواحد يبلغ 33. 3. وفي الواقع ما بين 2004–2010، كان متوسط الهجمات سنويًّا 273. 43، وبلغت ذروتها 469 في عام 2007. الهند أيضًا تأثرت سلبًا، وعانت 13 تفجيرًا انتحاريًّا منذ عام 1981 (جامعة شيكاغو، 2011) (University of Chicago, 2011).

الارتفاع الهندسي في الإرهاب الانتحاري أجبر الدول المختلفة على تطوير إستراتيجيات مكافحة الإرهاب القابلة للتطبيق. وبوصفه جزءًا من مكافحة الإرهاب الانتحاري، تم اقتراح إستراتيجية الردع من قبل العديد من المحللين والنشطاء الأمنيين، ومع ذلك، ونظرًا إلى طبيعة الهجوم الانتحاري، فهناك العديد من الخبراء والمحللين الذين يقترحون أنه يكاد يكون من المستحيل ردع هجوم إرهابي انتحاري؛ لأنه متجذر؛ أولًا في اللاعقلانية، وثانيًا المفجرون يفتقرون إلى الخوف من العقاب؛ لأن الدافع عندهم عالٍ للغاية، حتى إنهم مستعدون للموت، ولا يردعهم حتى الخوف من العقاب أو أي سبب آخر، وأخيرًا إنهم يفتقرون إلى عنوان العودة أو أي موقع ثابت / معرف، حيث يمكن أن ينفذ ردًّا انتقاميًّا فاعلًا (بار، 2008؛ تراغر وزاكورشيفا، 2005–2006) (Bar, 2008; Trager & Zagorcheva, 2005–2006).

في الواقع، يقول ناسون أن (الردع غير ذي جدوى، وأن أنظمة مكافحة الإرهاب غير متوازنة تجاه الردع القسري والعقابي على حساب التركيز على معالجة الأسباب الحقيقية وتقويض الدعم الشعبي للإرهابيين( (ناسون، 2010، صفحة ويب) (Nason, 2010, web page). هذه

الآراء المختلفة لديها بعض المزايا، وتحتاج إلى أن تؤخذ بالحسبان عند صياغة إستراتيجية الردع، ولكنها تشير إلى أن الردع لا مكان له، وقد لا يكون صحيحًا تمامًا. هناك العديد من خبراء الأمن الذين يؤكدون أن الإرهاب الانتحاري يمكن ردعه (الموغ، 2004؛ بار، 2008؛ وزارة الدفاع، USA، 2006؛ مورال & جاكسون، 2009؛ تيبيت، 2009؛ تراغر وزاغورشيفا، 2005-2006) (Almog, 2004; Bar, 2008; Department of Defence, USA, 2006; Morral & Jackson, 2009; Tippet, 2009; Trager & Zagorcheva, 2005–2006). الاقتراحات والإستراتيجيات التي افترضها هؤلاء العلماء / الخبراء في الأمن تتراوح بين تبني الخيارات العسكرية واتخاذ التدابير الوقائية.

ويقال إن ردع الإرهاب الانتحاري معقد لكنه ليس مستحيلًا؛ لا يتطلب سوى اتباع نهج شامل يشمل التدابير السلبية والإيجابية التي تهدف إلى تقلص الخيارات التدميرية للجماعة الإرهابية ودفعها نحو الحلول السياسية / غير العسكرية؛ هذا الفصل يختار تعريفًا للهجوم الانتحاري على أساس الأدبيات المتاحة، ثم يطور بعد ذلك إطار الردع للتعامل مع الإرهاب الانتحاري، ومن ثم يشير إلى بعض الإستراتيجيات لردع الإرهاب الانتحاري.

## المنظور التاريخي للإرهاب الانتحاري

الهجوم الانتحاري ظاهرة قديمة عمرها قرون، لكنه استخدم لأول مرة في شكله الحديث من قبل حزب الله، وأصبح في وقت لاحق الإستراتيجية التي اختارتها المجموعات الأخرى مثل حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني (حركة الجهاد الإسلامي)، وحركة طالبان في باكستان وتنظيم القاعدة، وحزب البعث اللبناني، وكتائب شهداء الأقصى، والمنظمات الماركسية والقومية العربية، وجبهة نمور تحرير التاميل، وتنظيم القاعدة، والشيشان، وطالبان، ومسلحون في كشمير (حسن، 2009) (Hassan, 2009). استخدمت الهجمات الانتحارية في الماضي، بشكل مقتصد جدًّا، وفي كثير من الأحيان من قبل الجهات الحكومية، فقد استخدمت الهجمات الانتحارية أول مرة من قبل المتعصبين من الطوائف اليهودية خلال العصر الروماني، واستخدمت في وقت لاحق في أثناء الحروب الصليبية من الجانبين في منطقة الشرق الأوسط.

وبالمثل، شهدت الحركات الفوضوية الروسية أيضًا ظهور الإرهاب الانتحاري في القرن التاسع عشر، حتى الطيارون اليابانيون قاموا بهجمات انتحارية لتدمير القوات الأمريكية في المحيط الهادئ (حسن، 2009؛مقدم، 2006؛ بيب، 2003) (Hassan, 2009; Moghadam, 2006; Pape, 2003).

وقد أقر حسن نقلًا عن آكسل وكاسي: (في أبريل 1945 خلال معركة أوكيناوا أن قرابة 2000 كاميكازي صدموا الطائرات المقاتلة العاملة بالوقود الأحفوري بشكل كامل، وأكثر من 300 سفينة، مما أسفر عن مقتل 5000 من الأمريكيين في المعركة البحرية الأكثر كلفة في تاريخ الولايات المتحدة) (حسن، 2009) (Hassan, 2009). هذا الهجوم ربما يكون مصدر إلهام لهجوم 9/11؛ حيث حلقت فرق انتحارية لتنظيم القاعدة قاصدة برجي مركز التجارة العالمي والبنتاغون.

هذه الظاهرة أصبحت أقل شعبية؛ لأن هناك أساليب أفضل للاضطراب، والهجمات متاحة للجهات الفاعلة غير الحكومية / الإرهابيين، غير أنه مع تطوير الدولة لتدابير مضادة وفاعلة للأشكال التقليدية وأشكال الهجمات الإرهابية، قامت العناصر أو المجموعة المضادة للدولة بابتكار وتطوير أشكال أكثر ضراوة من الاضطرابات والاعتداءات والتفجير، ضد القوات الحكومية.

تمثل الهجمات الانتحارية الشكل الأكثر خبثًا من بين الوسائل في هذا السلم التصاعدي للصراع بين الدولة والمناهضين لها؛ فقد أصبح هذا الشكل من أشكال الهجوم في جعبة الجماعات الإرهابية المناهضة للدولة، ما يسبب القلق الشديد بسبب استخداماتها غير المسبوقة، ويوضح الجدول 1 .12 هذا القلق بشكل واضح جدًّا؛ فعدد الهجمات الانتحارية التي بلغت 6، 9 هجمات في السنة 1981-2000، قفز إلى 12. 6 سنويًّا للمدة 2001-2003، وبلغ 265. 14 سنويًّا في حالة معظم البلدان التي قصفت حسب البيانات التي تحتفظ بها جامعة شيكاغو، ومع ذلك فإن ما بقي ثابتًا هو فتك تلك الهجمات الانتحارية.

الجدول 12.1

الهجمات الانتحارية ما بين 2004–2010 لمعظم البلدان التي تعرضت لهذه التفجيرات

| السنة | عدد الهجمات | عدد القتلى | عدد المصابين | الهجمات القاتلة |
|---|---|---|---|---|
| 2004 | 130 | 1706 | 4739 | 13.1 |
| 2005 | 190 | 2554 | 5927 | 13.4 |
| 2006 | 268 | 2290 | 4470 | 8.5 |
| 2007 | 458 | 5322 | 10971 | 11.6 |
| 2008 | 325 | 2857 | 6804 | 8.8 |
| 2009 | 262 | 3301 | 8061 | 12.6 |
| 2010 | 223 | 2726 | 6598 | 12.2 |
| المجموع | 1856 | 20756 | 47570 | 11.46 |
| متوسط الهجمات سنويًا | 265.14 | 2,965.14 | 6,795.71 | 11.46 |

المصدر: قاعدة بيانات مشروع شيكاغو للأمن والإرهاب، جامعة شيكاغو (2011).
University of Chicago (2011)

البيانات الواردة في الجدول 1 .12 تخص العراق وأفغانستان وباكستان، وإسرائيل ولبنان وفلسطين وسريلانكا وروسيا وأندونيسيا والصومال، كينيا، والهند.

ظل فتك الهجمات الانتحارية مستمرًّا في جميع الأنحاء بما يقارب 6 .12 ما بين 1981– 2010، ومن ثم يسلط الضوء على فاعلية هذا النوع من الهجوم الإرهابي (جامعة شيكاغو، 2011) (University of Chicago, 2011). وفيما يتعلق بالأسلحة الشعبية التي يستخدمها الإرهابيون، فإن أسلحتهم المفضلة من بين هذه الأسلحة كانت السيارة المفخخة والحزام الناسف، ومع ذلك يُعدُّ القتل بالطائرات هو الأكثر فتكًا، لكن هذه الحقيقة قد تكون مشوهة؛ ذلك أن البيانات متحيزة نظرًا إلى الهجمة الأم لجميع الهجمات الإرهابية، وهي هجوم الحادي عشر من أيلول (الأرقام 1 .12 و2 .12).

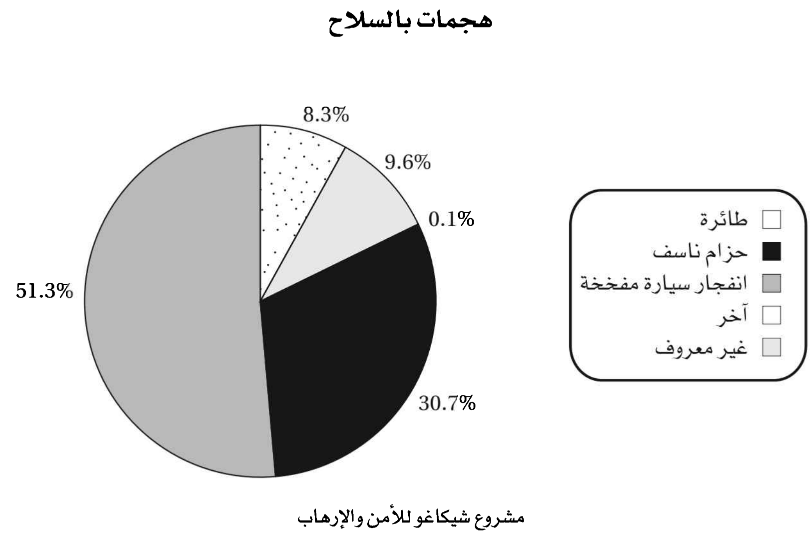


الشكل 12.1
هجوم بالأسلحة
المصدر: قاعدة بيانات مشروع شيكاغو للأمن والإرهاب، جامعة شيكاغو (2011)
(University of Chicago, 2011).

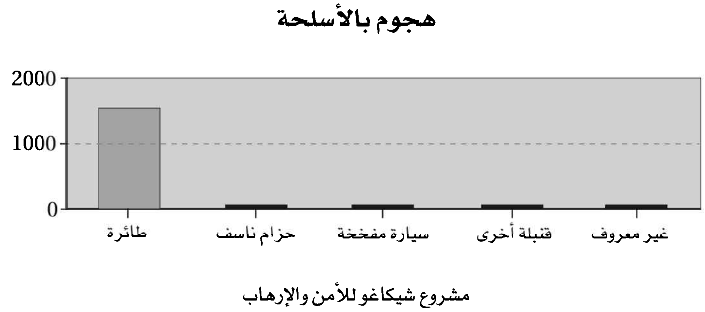


الشكل 12.2
فتك بالسلاح
المصدر: قاعدة بيانات مشروع شيكاغو للأمن والإرهاب، جامعة شيكاغو (2011)
(University of Chicago, 2011).

الإرهابيون الانتحاريون عادة ما يهاجمون مجموعة متنوعة من الأهداف مثل قوات الأمن والسياسيين والمدنيين، والاستنتاج المهم الذي يمكن أن يستخلصه المرء من بيانات توزيع الهجمات التي تشن على الأهداف وما ينتج عنها من قتل، تكشف أن أكبر عدد من الهجمات وقع على قوات الأمن، في حين كانت معظم الهجمات القاتلة على أهداف مدنية (أرقام 12. 3 و12.4). والنتيجة هي أنه نظرًا إلى تمتع القوات الأمنية ورجال السياسة بالحماية الجيدة، فإنهم يتعرضون

لإصابات أقل نسبيًّا، على الرغم من تعرضهم للهجوم أكثر من المدنيين؛ ولذلك يمكن أن يكون ذلك أحد أسباب استهداف الإرهابيين للمدنيين لأنهم أقل حماية، ومن ثم يدفعون العدد الأكبر من الضحايا؛ لذلك في حال تم تطوير إستراتيجية الردع، لا بد أن يؤخذ هذا الجانب بالحسبان.

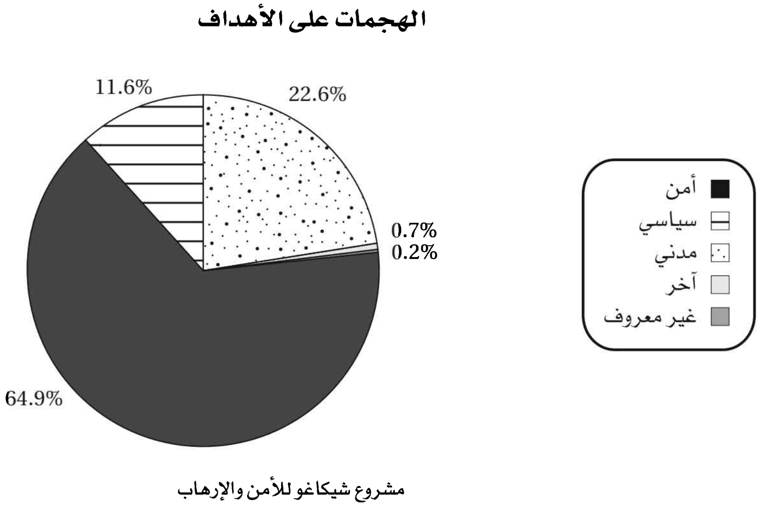


الشكل 12.3
توزيع الهجمات الانتحارية نسبة إلى الأهداف
المصدر: قاعدة بيانات مشروع شيكاغو للأمن والإرهاب، جامعة شيكاغو (2011) (University of Chicago, 2011).

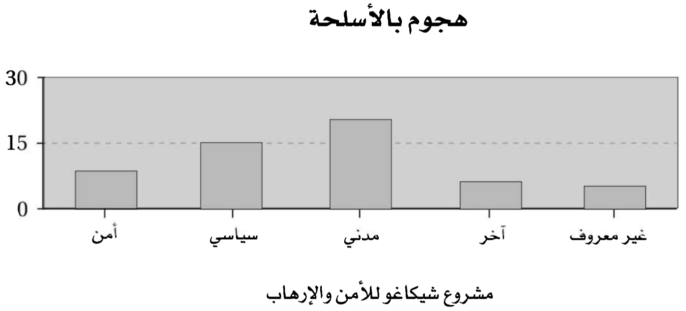


الشكل 12.4
الفتك حسب نوع أهداف الهجمات الانتحارية في معظم البلدان التي قصفت
المصدر: قاعدة بيانات مشروع شيكاغو للأمن والإرهاب، جامعة شيكاغو (2011) (University of Chicago, 2011).

وبالمثل، وضع بدهازور وبيرلغر (2006) علاقة بين الهجمات الانتحارية وطبيعة الأهداف الإستراتيجية، وهي ما إذا كانت الهجمات الانتحارية قد نفذت من قبل مجموعة إرهابية في سياق صراع إقليمي، أو عرقي، أو ضد أنظمة إسلامية معتدلة، أو ضد قوات الاحتلال من حيث النسبة المئوية وفقًا للسنوات، وتكشف نتائج بحثهما أنه في الوقت الذي كانت فيه الهجمات تستهدف قوات الاحتلال، وخاصة القوات المسلحة الغربية العاملة في لبنان في ثمانينيات القرن الماضي؛ وما إن انسحبت القوات الدولية في التسعينيات حتى استمر حزب الله في هجومه على جيش لبنان الجنوبي وإسرائيل على خلفية استمرار الصراعات العرقية والإقليمية، كانت مجموعات أخرى مثل جبهة نمور تحرير التاميل إيلام في سريلانكا، وحزب العمال الكردستاني (PKK) في تركيا والفلسطينيون تُنفِّذ أيضًا عددًا من الهجمات الانتحارية بسبب الصراعات العرقية والإقليمية. ومع ذلك، فقد لاحظوا أيضًا أن الاعتقاد السائد بأن الإرهابيين غالبًا ما يستهدفون الأنظمة الديموقراطية قد لا يكون صحيحًا تمامًا، ووفقًا لذلك وجد أن 37 في المئة فقط من الأنظمة المستهدفة هي أنظمة ديموقراطية، و41 في المئة غير ديموقراطية، وقرابة 21 في المئة دول تقيّد الممارسة الديموقراطية، وتشير اتجاهات العقود الثلاثة الماضية إلى أن الهجمات الانتحارية كانت الخيار الإستراتيجي الذي اختارته المجموعات المختلفة لجديتها في الالتزام بقضيتها. تسليط الضوء على بيانات الهجوم الانتحاري يبين الحاجة إلى ضمان وجود إستراتيجية للردع القابل للتطبيق. ومع ذلك، من الضروري من أجل ذلك أن نفهم التعريف والعناصر المختلفة للإرهاب الانتحاري، وعندها فقط يمكننا أن نتناول أبعاد الإرهاب الانتحاري الذي سيساعد على استخلاص إستراتيجية ردع فاعلة.

## تعريف الإرهاب الانتحاري

التعريف الصحيح للمصطلح يساعدنا على التركيز في الاتجاه الصحيح. للأسف، خبراء الأمن لم يتوصلوا بعد لتعريف مقبول للإرهاب الانتحاري، والجدل حول تعريف الإرهاب الانتحاري أمسك به مقدم عساف بشكل جيد (2006a) الذي وضع نمطين اثنين: أولهما كان ضيقًا، والثاني أوسع نطاقًا، ويشمل التصنيف الأوسع نطاقًا الهجمات التي تكون فيها وفاة المهاجم غير ضروري

لحصيلة الهجوم الانتحاري، لكن وفاة الشخص المنفذ يكاد يكون مؤكدًا (مقدم، 2006a). ويعرّف الهجوم الانتحاري الضيق بأنه هجوم يكون نجاحه متوقفًا على وفاة الشخص المنفذ (حسن، 2009؛ مقدم، 2006a). في حين أن هذه التعاريف تشمل معظم الهجمات الإرهابية الانتحارية التي تحدث اليوم في العالم، جاء تعريف بيبي Pape بصيغة مشابهة حيث يعرف الإرهاب الانتحاري على النحو الآتي:

> يمكن تعريف الهجوم الانتحاري بطريقتين، تعريف ضيق يقتصر على قتل أحد المهاجمين نفسه، وتعريف واسع يشمل أي حالة حين يتوقع المهاجم أن يتم قتله من قبل الآخرين أثناء الهجوم. (بابي، 2003، ص 3) (Pape, 2003, p. 3).

من أمثلة التعريف الضيق للهجمات الانتحارية مقتل رئيس الوزراء الهندي السابق السيد راجيف غاندي، ومن أمثلة التعريف الواسع هجمات مومباي 11/26 وهجوم على البرلمان الهندي. معظم العلماء يفضلون الأخذ بالتعريف الضيق مثل مقدّم، وبلوم، وغامبيتا، وحافظ، على أساس أن التضحية المضمونة يجب أن تميّز عن هجوم تكون فيه المخاطر عالية، لكن لا تزال هناك فرصة ولو صغيرة واحدة أن يبقى المهاجم على قيد الحياة من الهجوم (مقدم، 2006a). . . .

وبالمثل، يفضل بيبي أيضًا الأخذ بالتعريف الضيق على أساس أن هذا الممارسة شائعة في الأدبيات (بابي، 2003). كرينشو (2007) Crenshaw (2007) (Pape, 2003). نقلًا عن محللين مثل بيبي، وبلوم، وبدزاهور وزملائهم الذين سلطوا الضوء أيضًا على العديد من التفسيرات الأخرى للإرهاب الانتحاري التي تتراوح من وصف الهجمات الانتحارية بالإرهاب الانتحاري والتفجيرات الانتحارية والشهداء والمهاجمين الانتحاريين، وهكذا. ولغرض هذا العمل وتمشيًا مع الممارسة القائمة، فقد اتخذت الصيغة الضيقة لتعريف الهجمات الانتحارية.

## ما الذي يحفز المهاجم الانتحاري؟

إذا سلمنا بأن تدمير الذات هو شرط مسبق لعملية الهجوم الانتحاري، فإن القضية التالية التي حركت عقول مختلف خبراء الأمن هي الدافع الذي يدفع شخصًا ما للانغماس في مثل هذه

الهجمات؛ فقد رفض خبراء الأمن والعلماء منذ مدة طويلة نظرية أن من ينغمس بهذا الفعل هو شخص مختل عقليًا أو يعاني اضطرابًا نفسيًا. شهي سكيفينتون (2009) .(Pape, 2003) (2007) Crenshaw نقلًا عن العديد من بحوث علم نفس الإرهاب يقول إن الإرهاب هو بالأساس عمل اجتماعي. هوفمان وماكورميك (2001) (2001) Hoffman and McCormick نقلًا عن حالة نصرة إن أيًا من المهاجمين الانتحاريين الـ 250 ومدربيهم الذين قابلتهم نصرة ينطبق عليهم نمط الشخصية الانتحارية. وخلص أتران (2003) (2003) Atran أيضًا، بحسب ما نقل عنه حسن، إلى استنتاج مماثل (حسن، 2008) (Hassan, 2008).

أما ما يتعلق بالأسباب المحتملة، فقد أشار شيهي- سكيفنغتون (2009) –Sheehy Skeffington (2009) إلى أنه عندما يدرك المجتمع بأكمله أنه يعاني الظلم لدرجة ينظر إلى الإرهاب الانتحاري بأنه استجابة صحيحة، وتم تطبيعه في المنظومة القيمية للمجتمع، لا يبقى للمجموعة الإرهابية سوى أن تكون مستعدة، وتبحث عن المجندين الضعاف الذين يمكن أن يأخذوا الحد الأدنى من التدريب والإعداد النفسي. بلوم (2006) (2006) Bloom، من ناحية أخرى، يشير إلى العديد من الأسباب التي تدفع الأفراد للانغماس في الهجمات الانتحارية مثل المكافآت الروحية في الآخرة، والمسؤولية أمام الله تجاه أسر المهاجمين، والنجومية، وحتى المكافآت النقدية. يذهب أيضًا إلى ما يقوله ستيرن إن الناس ينغمسون في هجمات انتحارية مدفوعين بمشاعر الإذلال أو الظلم، وأشار بلوم إلى المقتطفات التالية من مقابلة مع مهاجم انتحاري فاشل دعم حجته:

> كانت صور الأطفال القتلى الذين شاهدتهم هي المؤثر الرئيس فيَّ. . . كان يتعيَّن عليّ أن أحمل طفلًا بين ذراعيّ. . . بعد استشهاد صديق لي. . . مما جعلني أفكر بأن الحياة البشرية مهددة كل لحظة من دون سبب وجيه. . . من دون تمييز بين أي [منا] سواء كانوا من الجنود أو المدنيين، وسواء كانوا كبارًا أو صغارًا. (بلوم، 2006، ص 36) (Bloom, 2006, p. 36).

الانتقام أيضًا حافز رئيس يدفع الأفراد إلى الإرهاب الانتحاري؛ فقد تم توظيف الأرامل الثكالى أو الأشقاء الذين يسعون للانتقام في الشيشان، سريلانكا، وفلسطين بتواتر منتظم (بلوم، 2006) (Bloom, 2006). الدين والقومية أيضًا يؤثران في تحفيز الأفراد اللجوء إلى الهجمات

الإرهابية الانتحارية؛ يقول حافظ (2006) (Hafez, 2006) فيما يتعلق بالانتحاريين الفلسطينيين، المناشدات الدينية والقومية التي تساوي التضحية بالنفس مع الاستشهاد والخلاص الوطني هي أداة فاعلة في إنتاج متطوعين للهجمات الانتحارية.

وقد نقل أمثلة كثيرة عن دروس حماس، والأقصى والجهاد الإسلامي لدعم نظريته (حافظ، 2006) (Hafez, 2006). وبالمثل، فقد أشارت كرينشو أيضًا إلى دور الدين في دوافع المهاجم الانتحاري أو المفجر لنفسه؛ فقد سلطت الضوء على الجماعات الإرهابية مثل حزب الله في الثمانينيات، حماس، الجهاد الإسلامي، تنظيم القاعدة والجماعة الإسلامية في مصر منذ التسعينيات الذين استخدموا الإسلام للتجنيد والتحفيز، ودعم الهجمات الانتحارية. وبالمثل، التنظيمات الدينية الأخرى مثل الجماعات المسيحية والجماعات البوذية، والجماعات السيخ استغلت النصوص والمشاعر الدينية أيضًا للتجنيد والإعداد، ودعم الإرهاب الانتحاري (كرينشو، 2000) (Crenshaw, 2000).

يشير سالي (2010) (Sali (2010 أيضًا معبرًا عن الهجمات الانتحارية بأنها البوابة إلى السماء من قبل الجماعات الإرهابية، وهي أحد الأسباب الرئيسة للجوء الأفراد إلى مثل هذه الهجمات، يذكر هوفمان وماكورميك أيضًا أن الجماعات التي تستخدم الهجمات الانتحارية تعبر صراحة عن تقليد متطور من الشهادة أو الاستشهاد (هوفمان & ماكورميك، 2001) (Hoffman & McCormick, 2001). تحليل دورخيميان يطال الأسباب الدينية والاقتصادية على حد سواء للقيام بشن هجمات انتحارية، ويشير إلى أنه في الوقت الذي يتم فيه تجنيد الناس باسم الله، يستخدم هذا التجنيد لتعزيز المصالح السياسية للجماعة، ومساعدتها على تجنيد المزيد من الإرهابيين الانتحاريين (باكن، 2007) (Bakken, 2007). ويشير هوفمان وماكورميك أيضًا إلى أن الإرهابيين العلمانيين يعتمدون على روح البطل لتجنيد المهاجمين الانتحاريين وتحفيزهم؛ مثال على ذلك النمور السوداء لجبهة نمور التاميل، ومهاجم الضفة الغربية وقطاع غزة يدعم هذه الحجة (هوفمان & ماكورميك، 2001) (Hoffman & McCormick, 2001).

## حافز متعدد الأسباب

تشير الحجج المذكورة آنفًا أنه قد تكون هناك أسباب كثيرة للفرد للقيام بهجوم انتحاري؛ يقول حسن (2009) Hassan (2009) نقلًا عن بيبي أنه في حين أن الدين يمكن أن يؤثر في استقطاب المهاجم الانتحاري وتحفيزه، لكن القوة الدافعة للمهاجم الانتحاري ليست الدين وحده، بل مزيج من الدوافع بما في ذلك السياسة والإذلال والثأر، والانتقام، والإيثار، وطالما تم دفع مفهوم الهجمات الانتحارية بأسبابه المتعددة إلى الأمام، فقد وضع مقدّم (2006b) إطارًا رائعًا متعدد الأسباب لتحليل الهجمات الانتحارية، فقدمها على ثلاثة مستويات وهي المستوى الفردي، والمستوى التنظيمي، والمستوى البيئي.

تم تصميم المستوى الفردي أو مستوى L1 لتحديد الدوافع الشخصية التي تدفع الشخص إلى الانغماس في الإرهاب الانتحاري. ومع ذلك، إذا أردنا أن ننظر إلى هذا العمل فيجب أن ننظر إليه على أنه نظام ينبغي أن نحلل فيه دور أفراد آخرين مثل المهاجم، المجند، الجنود القدامى والقادة الروحيين لتحديد سبب انغماسهم في الإرهاب الانتحاري، ولتسليط الضوء على هذا المستوى من التحليل، يقول مقدّم (2006b) أنه في حالة الانتحاريين الفلسطينيين تنطوي الدوافع على مجموعة من العوامل مثل السعي للانتقام، وما سيستفيده من السماء، والمنافع المادية أو غير المادية، وأنواع شخصية مثل استغلال الانتحاري المنفذ، والأسباب النفسية الناجمة عن الصدمة والمعاملة المهينة، والعقلية القبلية التي تنتقم للهزيمة حتى وإن كانت النهاية مريرة، الثقافة السائدة في العالم العربي، وثقافة الاستشهاد، وبعض هذه الأسباب يمكن أن تعزى إلى تفجيريين في الشيشان كذلك.

المستوى التنظيمي (L2) في التحليل ربما كان المستوى الأهم الذي يمكن أن يعالج الإرهاب الانتحاري بفاعلية أكبر. على الرغم من أن هناك حالات كان فيها الانتحاريون يعملون بمفردهم، وخُلدت هجماتهم الانتحارية، إلا أن أي عملية تنظيمية لأي هجوم انتحاري لا تكون ضرورية فحسب بل ضرورية أيضًا لتلبية مهام مثل التدريب، والتمويل، والمتفجرات، واستطلاع الهدف، وإعداد الانتحاريين المحتملين وتحفيزهم. (مقدم، 2006b). استخدام التنظيم أسلوب الترشيد والتكتيك العقلاني لمواصلة جذب المجندين الجدد على سبيل المثال، يقول باكن إن المنظمات

تجذب المجندين، وتدفعهم إلى الإرهاب الانتحاري بحسب البيئة الثقافية والاجتماعية التي تكرم أولئك الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الجماعة الأكبر (باكن، 2007) (Bakken, 2007). علاوة على ذلك، تحليل المستوى التنظيمي في أسباب الهجمات الانتحارية مهم أيضًا؛ لأنه من الأسهل نسبيًّا تحديد دوافع المستوى التنظيمي.

غالبًا ما تكون الدوافع التنظيمية للهجمات انتحارية مختلفة تمامًا، وتكون عقلانية في طبيعتها ومن ثم تخضع للتفاوض؛ فالمنظمات تحركها قضايا مثل منع مهاجمة المجموعات الإرهابية الأخرى، على سبيل المثال الجبهة (المقصود بها جبهة نمور تحرير التاميل)، والجماعات الأخرى العاملة في شمال وشرق سريلانكا وحماس وحزب الجهاد الإسلامي في فلسطين (مقدم، 2006b)، والسلطة السياسية (بلوم، 2006)، والإشارة الإستراتيجية إلى الجمهور المستهدف، وقوات الأمن / القوات الحكومية / والوكالات (هوفمان & ماكورميك، 2001) (Hoffman & McCormick, 2001). في الواقع، هوفمان وماكورميك يقولان:

> اعتمدت تكتيكات الانتحار من قبل عدد متزايد من المنظمات الإرهابية في جميع أنحاء العالم لأنها صدمة، قاتلة، فعالة من حيث التكلفة وآمنة، ومن الصعب جدًّا وقفها. لا يوجد سوى اثنين من الاحتياجات العملانية الأساسية التي يجب أن تكون المؤسسة قادرة على تلبيتها للوصول الى اللعبة: الاستعداد للقتل والاستعداد للموت. (هوفمان & ماكورميك، 2001) (Hoffman & McCormick, 2001).

وبالمثل، فقد نقل حسن عن دراسة بيبي التي تتبنى نظرية أن الهجمات الانتحارية تتبع المنطق الإستراتيجي، المصمم خصيصًا لإجبار الأنظمة الديموقراطية الليبرالية الحديثة على تقديم تنازلات سياسية وجغرافية كبيرة (حسن، 2009) (Hassan, 2009). وهذه الأهداف لا يمكن أن تتبناها إلا المنظمات أو المنظمات المناوئة للدولة، والتحليل الدقيق للدوافع التنظيمية يشير بوضوح أنه على الصعيد التنظيمي هناك مجال واسع للردع، وهذه السجالات تحدد بوضوح أنه لا يمكن أن تنطلق مثل هذه الهجمات من دون التنظيم السليم القادر على تجنيد مهاجمين انتحاريين وتدريبهم وتلقينهم، وتوفير معلومات مفصلة عن الهدف، وتوجيهها إلى أهدافها. وبشكل مشابه، يعطي مقدم أسبابًا أخرى مثل بثِّ الخوف في أذهان الجمهور المستهدف، وزيادة حشد الدعم الدولي والأخلاقي الداخلي، وأيضًا يشير إلى الهجمات الانتحارية التي يُلجأ إليها

بسبب العديد من التكتيكات والمزايا؛ مثل الدقة والفتك العالي وفاعلية التكلفة، وعدم أهمية التخطيط لطريقة الهروب (مقدم، 2006b) (Moghadam, 2006b). . . .

التحليل على المستوى البيئي (L3) ضروري لسبب بسيط هو أن تكون بمثابة ميسرين للمنظمات والأفراد للانغماس في الهجمات الانتحارية؛ على سبيل المثال الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي قد تولد الظروف التي تدفع الناس للانضمام إلى المنظمات التي تنغمس في الهجمات الانتحارية. وبالمثل، الفقر والقمع الحكومي قد يشجع الهجمات الانتحارية، لكن في حد ذاته ليس الشرط اللازم للقيام بهجمات انتحارية.

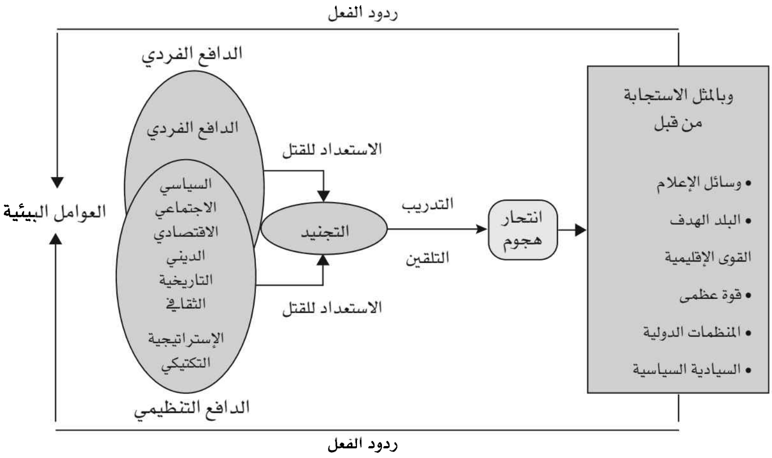


الشكل 12.5
دورة الإرهاب الانتحاري عند مقدّم
المصدر: مقتبس من مقدم (2006b) (Moghadam (2006b).

الجماعات الدينية والعرقية والقومية أيضًا تشجع ثقافة الاستشهاد كما هي الحال في فلسطين، والجبهة، والضفة الغربية، وقطاع غزة (مقدم، 2006b) (Moghadam, 2006b).

كانت فكرة إبراز الطابع المتعدد الأسباب للأسباب المحتملة للهجمات الانتحارية، هي إثبات حقيقة أن إزالة الغموض عن الهجمات الانتحارية هي مشكلة بالغة التعقيد، وتم تمثيل الإرهاب الانتحاري المتعدد الأسباب في النموذج الذي عرضه مقدّم (2006b) Moghadam (2006b)

كما هو مبين في الشكل 12. 5؛ هذا النموذج يؤسس لأهمية مكافحة الإرهاب الانتحاري من خلال معالجة المشكلة على جميع المستويات الثلاثة، لكن الأكثر أهمية مكافحته على المستويين التنظيمي والبيئي؛ إذ إن الأكثر صعوبة هو ردع الإرهاب الفردي بسبب صعوبة تحديد مكان الإرهابيين الانتحاريين المحتملين.

## هل يمكن ردع العمليات الانتحارية؟

هناك العديد من المحللين يقولون إن الهجمات الانتحارية لا يمكن ردعها؛ إن بعض المشكلات مثل عدم وجود عنوان يرجع إليه المهاجم الانتحاري والسلوك غير العقلاني سببان من عدة أسباب؛ على سبيل المثال ادعاء ألموغ أن انخفاض الهجمات الانتحارية في إسرائيل يعود إلى إستراتيجية الردع التراكمي (الموغ، 2004) (Almog, 2004)، فيرد عليه شاشتر بأن ذلك مجرد وقف تكتيكي، ويمكن في أحسن الأحوال وصفه بأنه ردع تكتيكي، ومن ثم من المرجح أن لا يدوم طويلًا (شاشتر، 2010) (Schachter, 2010). وبالمثل، يطرح سيباستيانو سالي المنطق الذي يجعل الإرهاب الجديد، وهو يشير إلى تجليات الإرهاب الحالية التي يصعب ردعها للغاية، على الرغم من أنه يشير إلى بعض التدابير المضادة للتعامل مع مشكلات مثل المفاوضات ودور المجتمع (سالي 2010) (Sali, 2010).

وبالمثل، يقول باكن إن الشيء المخيف بشأن الانتحاريين هو أنه لا يوجد أي رادع يمكن أن يوقفهم سوى أن يكملوا مهمتهم (باكن، 2007، ص 9) (Bakken, 2007, p. 9). من ناحية أخرى، هناك من المحللين مثل ألموغ (2004)، وتراغر وزاغوريشيفا (2005–2006)، وموررال وجاكسون (2009)، وتيبيت (2009) Almog (2004), Trager and Zagorecheva (2005–2006), Morral and Jackson (2009), and Tippet (2009) يعتقدون أن الإرهاب الانتحاري يمكن ردعه.

دون الذهاب إلى أبعد من ذلك في مناقشة ما إذا كانت الهجمات الانتحارية يمكن ردعها أم لا، هذا الفصل يهدف إلى تحديد الإستراتيجيات التي يمكن أن تساعد على منع تكرار الهجمات الإرهابية الانتحارية من خلال التجارب السابقة في إسرائيل.

مكافحة الهجمات الانتحارية على المستوى التكتيكي لا تختلف كثيرًا عن مكافحة الهجوم الإرهابي التقليدي، إلا أنها تحتاج إلى تنفيذ أكثر صرامة، وبكثير من الخطط الأمنية، والتوعية بالأهداف المحتملة، وتعزيز درجة صعوبة الوصول إلى الهدف العالي القيمة من قبل المهاجم الانتحاري المحتمل. ومع ذلك، فإن طبيعة الهجوم الذي يدعو للتضحية من الفرد والتأثير الهائل الذي يقوم بإنشائه في الجمهور العام، وإلى حد ما في قوات الأمن، يجعل الهجوم الانتحاري يبدو من غير المستطاع ردعه، بينما قد يظهر هذا التصور صحيحًا، ولا تتحمله الوقائع كما أشار ألموغ (2004)، وتيبيت (2009)، وتراغر وزاغوريشيفا (2005–2006)، ومورال وجاكسون (2009) Almog (2004), Tippet (2009), Trager and Zagorecheva (2005–2006), Morral and Jackson (2009) أن هناك طرقًا ووسائل لردع مثل هذا التهديد، ولكن قبل أن يقترحوا منهجية لتحقيق الردع، سيكون من الحكمة تحديد التعريف الصحيح للردع والإطار المطلوب من خلاله؛ ليمكننا تقييم أن الردع يمكن أن يعمل ضد الإرهاب الانتحاري؛ هذا أمر جوهري ذلك أن الفهم التقليدي للردع قد تطور في سياق الحرب الباردة، حيث تم اختبار قابلية تطبيقه بين طرفين دوليين عقلانيين وربما لديهما مسؤولية إضافية. من ناحية أخرى، الردع في سياق الإرهاب الانتحاري أو الإرهاب التقليدي هو في كثير من الأحيان ليس بين الدول والجهات الفاعلة الأقل مسؤولية نسبيًّا.

## تحديد عناصر الردع والتعرف عليها في سياق الإرهاب الانتحاري

الحل الدائم يكمن أساسًا في تحديد الحلول الممنهجة لمنع تقديم الدعم للمنظمات المتورطة في الإرهاب، وكذلك تحديد تدابير الردع الفعالة، وعلى غرار المناقشة حول التعريف المقبول للإرهاب الانتحاري، الدروس التي يمكن الاستفادة منها في الفهم المشترك للردع في سياق الإرهاب الانتحاري لا تزال غير موجودة، وهذه المناقشة تنبع من الفرق الأساسي في تطبيق مفهوم الردع للإرهاب.

تقليديًّا، الردع هو عامل من عوامل التصور أو الإدراك في ذهن الكيان الذي سيقوم بالردع، ويتكون من عوامل عدة؛ مثل قدرة الكيان الرادع، ورغبته في استخدام تلك القدرة عندما يقتضي

الأمر، ويعتمد أيضًا على النمط السلوكي وعزيمة المنظمة أو الجهة التي يتم ردعها. وفي هذا الصدد يقول المحللون إن الردع كان قابلًا للتطبيق في سياق الحرب الباردة بين اثنتين من الجهات الحكومية العقلانية أو كتل السلطة، حيث تم تحليل وفهم عواقب النزاع النووي بشكل صحيح، وتم التوصل إلى قرارات مشتركة؛ مثال ممتاز على ذلك، الصواريخ الكوبية حيث تم اللعب خارج إطار الردع الكلاسيكي، غير أنه في سياق الإرهاب أو الإرهاب الانتحاري غالبًا ما يكون من غير الفاعلين الحكوميين، الذين يعتقدون في كثير من الأحيان أنه غير منطقي، ولا يمكن التنبؤ به وهو أحد أطراف النزاع. في مثل هذا السيناريو المتناقض، قد يكون الردع الكلاسيكي غير مجدٍ.

على الرغم مما تقدم، هناك العديد من العلماء والمتمرسين في إستراتيجية مكافحة الإرهاب، الذين يعتقدون أن الردع قابل للتنفيذ، ويحتاج فقط إلى إعادة تحديد أبعاده في سياق الإرهاب الانتحاري. يعني الردع عادة تجنب أي شخص ومنعه من اتخاذ مسار عمل معين، وهذا يعني ضمنًا أنه يعمل في المجال المعرفي للجهات الفاعلة المشاركة في حالة الصراع، وقد ناقش ناسون (2010) (Nason (2010 تعريفين واسعين من الردع: الصياغة الضيقة والصياغة الواسعة، وقد أشار إلى تعريف روس وجور (روس وجور، 1989 كما استشهد بهما ناسون 2010 (Ross & Gurr, 1989 as cited by Nason 2010) بما أنه الصيغة الضيقة للردع التي تتحقق من خلال زيادة المخاطر على الإرهابيين والأشخاص الذين قد ينضمون أو يقدمون لهم الدعم؛ أي عمومًا بزيادة مخاطر العقاب أو مخاطر فشل العمليات؛ فالإرهابيون يفهمون التهديد بالعقاب، أو بحالة فشل العملية، ومن المعروف أن الانتقام القسري يثني الإرهابيين عن شن الهجمات (ناسون، 2010) (Nason, 2010). وبالمثل، هناك من يدعم وجهة النظر هذه أمثال مورال وجاكسون 2009 (Jackson 2009) من مؤسسة RAND، الموغ (2004) Almog (2004) من إسرائيل، تيبيت (2009) وتراغر وزاغورشيفا ( (2005–2006) Tippet (2009) and Trager and Zagorcheva (2005–2006). الصياغة الضيقة أساسًا يمكن تعريفها على أنها تتبع الخيارات الصعبة المتمثلة في تجنيد قوات أمنية أقوى، وتحسين الاستخبارات، وتحسين التعاون بين قوات الأمن على الصعيدين الوطني والدولي، وتحصين الأهداف السهلة وذات

الأولوية العالية ضد الهجمات الإرهابية المحتملة، واتخاذ إجراءات عقابية فورية ضد الهجوم الإرهابي الانتحاري.

يقدم ناسون (2010) (Nason (2010 تعريف الصيغة الأوسع للردع بمعالجة الأسباب الجذرية للإرهاب الانتحاري، والذي يمكن أن يشمل أي شيء يردع الإرهابيين من القيام بالهجمات؛ فطالما أن هذه السياسيات لا تفقد إمكانية اتخاذ تدابير قسرية، فيمكن لهذه السياسات أن تتراوح بين توفير الحوافز للانضمام إلى العملية السياسية لمحاولات معالجة الأسباب الجذرية للإرهاب. يقتبس ناسون من ديفيس وجنكينز اللذين يقولان إن (التصور الأوسع للردع يمكن أن يتضمن عنصرًا مؤثرًا [. . .] ينطوي على مجموعة واسعة من العناصر القسرية ومجموعة من الإيجابيات المعقولة)، (ناسون، 2010، صفحة ويب) (Nason, 2010, web page). يدعم ناسون الصيغة الأوسع للردع بحجة أن الإرهابيين لا يمكن أن يردعهم التهديد بالعقاب أو فشل العمليات، وأن السياسات الرادعة تأتي بنتائج عكسية، وهذا يخلق لعبة سلبية تخسر فيها جميع الأطراف (ناسون، 2010) (Nason, 2010). ومع ذلك، فإن إطار الردع المفهوم بالسائد في المجتمع الأمني هو الصيغة الضيقة، ويحدد دليل القيادة الإستراتيجية الأميركية أيضًا خيارًا صعبًا لتحقيق الردع ضد الإرهاب، على الرغم من عدم القدرة على تحقيق ردع موثوق به ضد جهة فاعلة غير حكومية لأسباب مثل تحديد المكان، ومعرفة الفاعلين واختلاف النظرة في تحليل التكاليف والمنافع، ومجموعة من الأهداف الحساسة التي يتعيَّن حمايتها، وصعوبة فرض تكاليف على الجهات الفاعلة غير الحكومية، وثمة عامل آخر يميز الدولة عن الجهات الفاعلة غير الحكومية، ينطوي على الطريقة التي تقدر بها الأشياء: لديهم أهداف مختلفة، ويستخدمون وسائل مختلفة لتحقيق هذه الأهداف (القيادة الإستراتيجية الأمريكية، 2006). ما هو واضح من المناقشات السابقة هو أن صيغتي الردع الإستراتيجيتين كلتاهما ضروريتان للتعامل مع الهجمات الانتحارية، ولكن تطبيقهما لابد من تنفيذه بعناية لتحقيق الردع.

## إستراتيجيات لتحقيق الردع

تتطلع المجموعة الإرهابية للحصول على نتيجة معينة بعد الهجوم الانتحاري، وإذا تم منع تأثير الهجوم من خلال وقف الهجوم الانتحاري حتى قبل أن يتم تثبيته من خلال المتابعة الدقيقة

من الاستخبارات، أو التقليل من الضرر من خلال تدابير أمنية فاعلة، المجموعة قد تصل إلى حالة من الإحباط؛ فالفشل المتكرر في تحقيق النتيجة المرجوة من المرجح أن يقنع الجماعة الإرهابية بعدم جدوى القيام بهجوم انتحاري، وعلينا أيضًا أن نضع في حسباننا أن استمرار فشل الأحداث ذات القيمة العالية -مثل الهجوم الانتحاري- قد يجبر الجماعات الإرهابية على نبذ التفجير الانتحاري أو الهجوم بوصفه شكلًا مفضلًا لشن حرب على الدولة. بناءً على هذا المفهوم، فقد اشار ألموغ إلى النهج الإسرائيلي في إنشاء مصرف نصر لمواجهة الجماعة الإرهابية وثنيها عن القيام بمزيد من الهجمات الإرهابية أو بعبارة أخرى ردع هذه المجموعة.

وفقًا له، كانت قوات الأمن الإسرائيلية قادرة على اعتراض 142 تفجيرًا محتملًا، معظمها كانت في طريقها إلى وجهات في عمق إسرائيل، مما ساهم في تحقيق الردع (ألموغ، 2004) (Almog, 2004). في صراع طويل مع المناهضين للدولة، يقول ألموغ إن نهج الردع يجب أن يكون تراكميًّا في طبيعته؛ حيث يتعيَّن استخدام التهديد والقوة العسكرية في وقت واحد. الأصول في بنك النصر أنتج السلوك المعتدل لدى الخصم / الجماعة الإرهابية، وهذا قد يؤدي إلى غياب الصراع المباشر، وربما يؤدي أيضًا إلى المفاوضات السياسية وحتى اتفاقات السلام (ألموغ، 2004) (Almog, 2004)، وقد حدد ألموغ العديد من العوامل التي أسهمت في نجاح الردع التراكمي في البيئة الإسرائيلة، وهي كما يأتي:

> تعزيز الدروع الدفاعية الحدودية من خلال إنشاء نظم متعددة الطبقات (بما في ذلك الجدر الإلكترونية، وأجهزة الاستشعار التكنولوجية الفائقة، وقواعد خاصة في الاشتباك، ومناطق أمنية عازلة، ومختلف عقبات التأخير التي تبطئ وصول الإرهابيين إلى أهدافهم)، وعدد متزايد من الوحدات المهنية المدربة خصيصًا لاعتراض التهديد الإرهابي. التحسينات الجارية في قدرات الاستخبارات بمثابة مضاعفة كبرى للقوة، التأكيد المستمر على عمليات البنية التحتية، مثل هدم منازل عائلات الإرهابيين؛ وتدمير مصانع سلاح الإرهابيين، ومرافق التخزين، والأنفاق؛ والقضاء على الشبكات المالية للإرهابيين، والتطبيق المستمر للتكنولوجيا العالية للمحافظة على الميزة النسبية لإسرائيل. (ألموغ، 2004، ص. 10) (Almog, 2004, p. 10)

إستراتيجية الردع التراكمي ناجحة. في حالة إسرائيل، من الواضح أنه ما بين 2008-2010 كانت هناك هجمات انتحارية ضئيلة جدًّا في إسرائيل، وفي عام 2008 لم يكن هناك أي هجوم

انتحاري في إسرائيل (شاشتر، 2010) (Schachter, 2010). على الرغم من أن شاشتر (2010) (Schachter, 2010) يمضي في التعبير عن شكوكه إذا كان هذا النجاح يعزى إلى الإستراتيجية الإسرائيلية، وأنها أنتجت الاعتدال والحذر في سلوك مختلف الجماعات الإرهابية التي تعمل ضد إسرائيل، لكنها تشير إلى أن إستراتيجية الردع التراكمي تعمل، والعناصر الأساسية لإستراتيجية الردع التراكمي هي الهزيمة، والتنكر، والتقليل، والدفاع؛إن التحليل في سياق التجربة الهندية يشير أيضًا إلى أن هذه الإستراتيجية فاعلة.

الهند أيضًا أنشأت سلسلة من بنوك النصر لتوفر لها أسباب النجاح في ردع الإرهاب الانتحاري، نجاح حملة مكافحة الإرهاب في السياق الهندي هو: ضد جماعات البنجاب الإرهابية، والعزم على التعامل مع نمور التاميل في سريلانكا، والنجاح في كارجيل، والتعامل بشكل فاعل مع الإرهاب في جامو وكشمير، والنجاح في مكافحة الإرهابيين 11/26 والقضاء عليهم، والتتبع المنهجي / توقيف عدد من الإرهابيين المتورطين في هجمات إرهابية مختلفة في الهند. العزم على التعامل مع الإرهاب باستخدام الخيار الصعب جنبًا إلى جنب مع نهج لين، أدى إلى غياب الهجمات الإرهابية الانتحارية في الهند، ويدعم هذا الاستنتاج من خلال حقيقة أنه في قاعدة بيانات جامعة شيكاغو عن الإرهاب الانتحاري، كانت هناك 13 هجمة انتحارية فقط في الهند بين عامي 1980 و2011، وهي نسبة ضئيلة للغاية مقارنة مع الدول التي ترزح تحت الهجمات الانتحارية الإرهابية مثل العراق، وأفغانستان، وباكستان (جامعة شيكاغو، 2011) (University of Chicago, 2011).

بعد إثبات حقيقة أن الخيار الصعب ضروري لتحقيق الردع، كذلك من الضروري تحديد نقاط التدخل. في هذا السياق، يقترح مقدم (2006b) (Moghadam (2006b) نموذجًا بثلاثة مستويات للتدخل، وهي الفردية والتنظيمية، والبيئية. في حين أن المسعى في أي دولة يجب أن يكون التدخل مع إستراتيجية الردع التراكمي على المستويات كافة، كما نوقش في وقت سابق أنه من الأسهل نسبيًّا أن تردع أي منظمة من أن تردع الانتحار الفردي (ألموغ، 2004) (Almog, 2004). في الواقع، تراغر وزاغورشيفا (2005-2006) (Trager and Zagorcheva (2005-2006) يذهبان إلى القول إنه إذا كان من الصعب ردع الهجوم الانتحاري، فمن الأسهل نسبيًّا ردع

الممول، وصانع القنابل، ومزود الموارد، وعناصر أخرى في الجماعة الإرهابية الذين يشكلون جزءًا من المنظمة الإرهابية (تراغر وزاغورشيفا، 2005– 2006) ,Trager & Zagorcheva) (2005–2006.

لذلك، ينبغي أن يركز الردع التراكمي على المستوى التنظيمي للتدخل، وينبغي أن يكون الهدف هو ردع المنظمات التي إلى جانب كونها حساسة لحياة المشتغلين بها، فهي أيضًا حساسة لأي معلومات تمس المؤسسة وأهدافها. من الناحية النظرية، فإن إستراتيجية ردع الإرهاب الانتحاري يمكن أن تكون ممثلة على النحو المبين في الجدول 12. 2. في هذه الإستراتيجية، تتألف وسائل الردع من التدابير الفاعلة والمنفعلة، إما لمنع وصول الإرهابيين الانتحاريين إلى أهداف حساسة، أو استباقية التدخل وجعل أي محاولة إرهابية انتحارية مصيرها الفشل، وإذا وقع الهجوم عندئذ فلا بد من تحييد فاعلية قاعدة الدعم للمهاجمين الانتحاريين؛ لإرسال رسالة قوية إلى الجماعة الإرهابية المتورطة في الهجوم الانتحاري.

الجدول 12.2

تمثيل رمزي من إستراتيجية الردع لهجوم إرهابي انتحاري

| مستويات ونقاط التدخل | | طرق التدخل |
|---|---|---|
| **المستوى الفردي:**<br>1. انتحاريون – صعبون للغاية<br>2. عائلة الانتحاري المفجر إذا أمكن تحديدها<br><br>**المستوى التنظيمي:**<br>1. القيادة<br>2. صانعو القنابل<br>3. مصادر التمويل<br>4. مقدمو الموارد<br>5. الشبكات الإرهابية<br>6. شبكات التوظيف<br><br>**البيئة:**<br>1. الحالة الاجتماعية والاقتصادية<br>2. الدينية والسياسية، والتطرف الثقافي | ⟸ | **الحرمان:**<br>1. تصليب الهدف<br>2. تدابير الحماية<br>3. رفع القوات الخاصة<br>4. الاستخبارات والمراقبة<br>5. التحالف الدولي<br>6. السعي إلى جعل المجموعة الإرهابية أقرب ما تكون إلى شكل الدولة<br><br>**العقابية:**<br>1. الردع من خلال العقاب<br>2. استهداف الأفراد<br>3. ممارسة الرقابة على الموارد مثل المتفجرات والأسلحة، والذخيرة<br>4. عناصر الدعم الممكنة مثل صانعي القنابل، الممولين والمدربين، والقادة |

المصدر: جمعت من قبل المؤلف نفسه.

تشير الصياغة المذكورة أعلاه إلى أنه في حين يجب معاملة الإجراءات الناعمة؛ مثل معالجة العوامل البيئية على المدى الطويل لكي يتم تنفيذ هذه الإجراءات، فيجب اتخاذ خيارات صعبة على المدى القصير. وكما ذكرنا في وقت سابق، لا يمكن تطبيق مفهوم الردع بالمعنى التقليدي على الإرهاب الانتحاري، بينما يمكن استخدام مفهوم ألموغ للردع التراكمي (ألموغ، 2004) (Almog, 2004) بشكل فعال ضد الإرهاب الانتحاري.

## الردع من خلال إستراتيجيات الحرمان

إستراتيجيات الحرمان تركز أساسًا على رفع تكلفة عمل الجماعات الإرهابية الانتحارية من خلال تدابير وقائية سلبية؛ فتحصين الأهداف، والأمن، والسرية المتعلقة بنشر قوات الأمن وتوظيفها، يسهم في تحقيق الردع من خلال الحرمان، خفض عدد الركاب على رحلات الطيران يقلل من دفع الفدية في حال وقوع هجوم إرهابي، الأمر الذي قد يردع الجماعة الإرهابية من الانغماس في إجراء عملية انتحارية (ألموغ، 2004) (Almog, 2004). وبالمثل، تصليب التدابير الأمنية لحماية الأهداف المحتملة بالمتاريس، والحراس المسلحين، أو الأجهزة الأمنية الموثوقة، قد تزيد من شعور المهاجم بأن أي عملية مهما كان نوعها يصعب تنفيذها (مورال وجاكسون، 2009) (Morral & Jackson, 2009).

وبالمثل، يمكن تخفيض المدفوعات عن طريق استجابة فاعلة وآلية منعشة في البلد؛ مثل الإجراءات التي تتخذها قوات خاصة مثل حرس الأمن الوطني في حالة الهند. ومن البلدان الأخرى التي رفعت من مستوى القوات الخاصة لديها للتعامل مع الهجمات الإرهابية قوات دلتا والأختام البحرية التابعة للولايات المتحدة، ومجموعة التدخل الدرك الوطني الفرنسي (GIGN)، ومجموعة حرس الحدود التاسعة في ألمانيا (GSG 9)، وسريات ماتاكال في إسرائيل. كما يشير مورال وجاكسون (2009) (Morral & Jackson, 2009) إلى أنه من الحصافة تعزيز الشكوك حول قدرات أجهزة الأمن لمكافحة الإرهاب، من خلال استخدام السرية الجزئية أو الكاملة المحيطة بممتلكاتهم، أو حتى حينما يكون الخداع ممكنًا، من خلال تبليغات خادعة عنهم؛ على سبيل المثال، قد يكون من المفيد للمدافع أن يزيد شكوك المهاجم من خلال بث انتشار أنظمة التعرف

على الوجوه، وقوائم مراقبة، ومخبرين، لكن من الضروري التعتيم على مكان نشر هذه الأصول ومدى فاعليتها (مورال & جاكسون، 2009) (Morral & Jackson, 2009).

عرض العفو يمكن أيضًا أن يخلخل اليقين لدى الإرهابيين (تراغر وزاغورشيفا، 2005-2006) (Trager & Zagorcheva, 2005–2006). عرض البدائل خاصة إذا كان لدى الجماعات طموحات سياسية يمكن استيعابها، يمكن أن يقع أيضًا ضمن هذه الإستراتيجية؛ على سبيل المثال، من 42 منظمة محظورة من قبل الولايات المتحدة، معظم هذه المجموعات لديها أهداف يمكن استيعابها (تراغر وزاغورشيفا، 2005-2006) (Trager & Zagorcheva, 2005–2006).

إن تطوير نظام سليم للاستخبارات والمراقبة من شأنه أن يساعد على إحباط الهجمات حتى قبل إطلاقها، أو عندما تكون في طور الإطلاق، وهناك عنصر مهم من عناصر الردع ضد الإرهاب هو تصور المنظمة الإرهابية بأن الدولة الرادعة تتمتع بمخابرات مهيمنة؛ فقد تمتعت إسرائيل بسمعة أنها تمتلك استخبارات بقوة خارقة، ولديها القدرة على استهداف قادة الإرهاب (وحتى الأهداف الحكومية)، وهي رهن القرار، وقد حققت إسرائيل ردعًا مؤقتًا وهشًّا في مواجهة حزب الله والفلسطينيين خلال السنوات الأخيرة (بار، 2008) (Bar, 2008).

في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنه منذ سبتمبر 2000 (September 2000)، منعت السلطات الإسرائيلية أكثر من 340 تفجيرًا انتحاريًا منها ما تخطى مراحل التخطيط، وبالإضافة إلى ذلك، فقد اعترضت 142 منتحرًا محتملًا، معظمهم كانوا في طريقهم إلى وجهات في عمق إسرائيل (ألموغ، 2004) (Almog, 2004). وقد أسهم التحالف الدولي أيضًا في تحقيق الردع من خلال خلق صورة عن وجود قوة أكبر تصل إلى أي نقطة ترغب الوصول إليها؛ والدعم الذي تتلقاه إسرائيل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة هو قضية لا يمكن تجاهلها في هذا المضمار (بار، 2008) (Bar, 2008).

## الردع بالعقاب

في ذروة إستراتيجية الردع يجب أن تكون عناصر صنع القرار التي تعني أساسًا القضاء على القيادة، أو تعطيل آلية القيادة والسيطرة من خلال الوسائل السرية والعلنية؛ إن كان من الصعب

ردع انتحاري تحمس وعقد العزم على الانتحار، فمن الأسهل نسبيًا ردع المجموعة التي ينتمي إليها، كما هي الحال في المجموعة التي لديها أهداف وغايات قابلة للتفاوض؛ إذا هددت أهداف هذه الجماعات وغاياتها، فستضطر هذه الجماعات للتفاوض؛ يقول بار:

> أصبح الوضع شديد الحساسية للردع؛ فالتهديد بالعقاب ذي الأبعاد غير المعروفة يلوح في الأفق أكثر قتامة من العقاب المسلط على أساس منتظم؛ السلطة الفلسطينية تفضل أن تظل دولة فاشلة، غير قادرة أو غير راغبة في السيطرة على العناصر الإرهابية. سوريا ووكلاؤها يعرفون أن إسرائيل ليس لديها مصلحة في المخاطرة بحرب شاملة مع سوريا نتيجة أعمال الإرهاب. (بار، 2008، الصفحة على شبكة الإنترنت) (Bar, 2008, web page).

استهداف قيادة جماعة إرهابية طريقة فاعلة إلى حد ما في تحقيق الردع، بعض الأمثلة المعروفة مثل استهداف غوزمان زعيم الشايننغ باث (الطريق المضيء) في البيرو، الذي أعلن بمقتله عن نهاية هذه المنظمة، وبالمثل تلقى الأكراد ضربة قاصمة عندما تم القبض على زعيمهم عبدالله أوجلان وأهين علنًا، وجاء هذا الاعتقال رسالة رادعة لصفوف حزب العمال الكردستاني (سينغ، 2009) (Singh, 2009). إمكانية الوصول إلى الموارد المالية والمادية عنصر مهم في نظام الإرهاب الانتحاري، ورقابة مشددة على سلسلة التوريد تسهم بشكل فعال للغاية تجاه رفع تكلفة إجراء عملية تنفذها جماعة إرهابية، والمثال الأكثر فاعلية على ذلك هو استهداف شبكة نورالدين، هذا الفصيل الذي له امتياز لدى القاعدة وهو فصيل منشق عن (الجماعة الاسلامية) في إندونيسيا، وكانت هذه المجموعة مسؤولة عن سلسلة من التفجيرات الانتحارية في إندونيسيا، بما في ذلك فندق بالي وماريوت الشهيران بالتفجير. الشرطة الإندونيسية استهدفت على وجه التحديد صانعي القنابل، والممولين، ومقدمي المواد المتفجرة للقضاء على المنظمة الإرهابية (مجموعة الأزمات الدولية، 2006) (International Crisis Group, 2006). يقول سشونهاردت (2012) Schonhardt (2012) أيضًا إن الجماعة الإرهابية قد شلت بسبب الحملات التي قامت بها الشرطة والانشقاقات داخل المنظمة، وإن جميع المشتبه بهم الرئيسين الذين شاركوا في هجوم بالي عام 2002 إما تم قتلهم أو تم سجنهم (سشونهاردت، 2012) (Schonhardt, 2012). وعليه، يمكن أن نستنج أن هذه المدة الطويلة من الأمان في إندونيسيا جاءت في أعقاب رسالة الردع القوية عام 2009، التي أرسلت إلى جماعة نور الدين محمد، وتم استهداف معظم العناصر

الرئيسة في هذه المنظمة والتخلص منهم، وهذا قد يثني الجماعات المنشقة الأخرى التي لا تزال نشطة في إندونيسيا من اللجوء إلى مزيد من الهجمات الانتحارية. طريقة عقابية أخرى لردع التفجيرات الانتحارية هي تهديد أفراد أسرة الإرهابي الانتحاري؛ على سبيل المثال، تمكن عميل إسرائيلي من منع أحمد بأن يكون انتحاريًّا بتهديد والده مصطفى، وهو تاجر فلسطيني من الأثرياء في غزة، بعواقب وخيمة اذا لم يوقف ابنه (أحمد) من تنفيذ التفجير الانتحاري (ألموغ، 2004) (Almog, 2004)، في حين يمكن للمرء أن يقول إن مثل هذه الأساليب لا يمكن أن تطبق في جميع الظروف، ولكن حيثما كان ذلك ممكنًا يجب استغلاله، وخاصة إذا كانت الجماعة الإرهابية تعمل داخل الأراضي التي تسيطر عليها القوات الحكومية. الفضائل المعنوية والأخلاقية لهذه الإستراتيجية قد تكون موضع تساؤل، ولكن من أجل المصلحة الأكبر للمجتمع قد يتم اللجوء إلى مثل هذه التدابير.

## استنتاج

أبرز هذا الفصل أن الإرهاب الانتحاري ليس دائمًا عمل شخصية مختلة، بل هو فعل متعمد من قبل شخص في كثير من الأحيان تم تجنيده وتدريبه، من قبل جماعات إرهابية أطلقته بعقلانية؛ بهدف تحقيق أهدافها المعلنة، وبما أن قوات الأمن تتمتع بميزة أكثر قوة، فإن الجماعة الإرهابية تسعى للتغلب على هذا العيب، من خلال تكتيكات الخداع غير التقليدية مثل الهجمات الانتحارية. وخلص هذا الفصل أيضًا إلى أنه في حين يتعذر تطبيق المفهوم الكلاسيكي للردع في حالة الإرهاب الانتحاري، فإن الردع في شكله المعدل كان دائمًا هو الشكل الذي تمارسه مختلف القوات الحكومية في الماضي. حينما كان ردع المنظمات الإرهابية موجودًا، استند أساسًا إلى الردع التكتيكي من خلال العمل اليومي الذي يضاف إلى التصور المتحول في موضوع الردع (بار، 2008) (Bar, 2008).

ألموغ يجعل هذا المفهوم أكثر وضوحًا في صياغته للردع التراكمي؛ حيث ينشأ مصرف (بنك) النصر لصالح قوات الأمن الذي يصبح مع مرور الوقت صورة لا تقهر ضد الجماعات الإرهابية، ومن ثم يضع الحذر والامتناع في أذهان الجماعات الإرهابية من اللجوء إلى الإرهاب

الانتحاري (ألموغ، 2004) (Almog, 2004). هناك أسباب متعددة للأفراد في اللجوء إلى الإرهاب الانتحاري التي فصلها بإسهاب مقدّم (2006a، 2006b) Moghadam (2006a, 2006b)، وثمة أسباب للإرهاب الانتحاري على مستويات مختلفة؛ أي على مستوى الفرد والجماعة والمستويات البيئية، وهذه المستويات تساعد على تحديد مستويات التدخل التي يمكن للقوات الحكومية أن تعتمد عليها في وضع إستراتيجية الردع. وسائل التدخل يمكن أن تكون إما من خلال (الخيار العسكري) أو القوة الناعمة (خيارات غير عسكرية). في حين أن الخيارات الصعبة لا يمكن أن تكون جزءًا من الحل الدائم للتعامل مع الإرهاب الانتحاري، لكنها تهيئ الشروط اللازمة لتطبيق الخيارات الناعمة.

بوضع هذه الحجج في الحسبان، فإن الإستراتيجية المقترحة هي مزيج من الردع عن طريق الحرمان، وهو ما يعني أساسًا التدابير الأمنية السلبية والردع بالعقاب الذي ينطوي على إحباط الهجوم الانتحاري قبل وقوعه خلال الصوت والاستخبارات، ومن خلال معالجة الانتحاريين المحتملين في مراحل مختلفة مثل التجنيد، والتدريب، واستهداف المالية، قاعدة الدعم المادي، وبعد الهجوم لتحديد المكان بسرعة، والقضاء على اللاعبين الرئيسين المشاركين في تنظيم وتنفيذ الهجوم؛ وذلك لإرسال رسالة ردع قوية إلى البيئة التي يعمل بها الإرهابيون. وعليه، فإن إستراتيجية التعامل مع الإرهاب الانتحاري يجب أن تكون مزيجًا من الخيارات المادية وغير المادية، مع خيارات ناعمة تضم ضرورة معالجة الأسباب الجذرية التي أدت إلى نشوء ظاهرة الإرهاب الانتحاري، وفي النهاية لا بد من نهج دفاعي هجومي متوازن لضمان ردع مثل هذا التهديد.

## المراجع

## REFERENCES

Almog, D. (2004). Cumulative deterrance and war on terrorism.

Parameters, US Army War College, 34(1), 4–19.

Atran, S. (2003). Genesis of suicide terrorism. Science, 299(5612), 1534–1539.

Bakken, N. W. (2007). The anatomy of suicide terrorism: A durkheimian analysis. Newark, NJ: University of Delaware.

Bar, S. (2008). Deterring terrorists. Retrieved online on August 23, 2012, from Hoover Institution Stanford University: http://www.hoover.org/publications/policy–review/article/5674

Basilici, S. P., & Simmons, J. (2004). Transformation: A bold case for unconven–tional warfare. Retrieved on November 21, 2012, from Fas.

Org: http://www.fas.org/man/eprint/bassim.pdf

Bloom, M. (2006). Dying to kill: Motivation for suicide terrorism. In A.

Pedahzur (Ed.), Root causes of suicide terrorism (pp. 25–53). New York: Routledge Taylor & Francis Group.

Crenshaw, M. (2000). The psychology of terrorism: An agenda for the 21st century. Political Psychology, 21(2), 405–420.

Crenshaw, M. (2007). Explaining suicide terrorism. Security Studues, 16(1), 133–162.

Department of Defence, USA. (2006). Global deterrence joint operating

concept. Retrieved online on August 23, 2012 from www.dtic.mil/futurejointwar–fare/concepts/do_joc_v20.doc

Dyke, J. R., & Crisafulli, J. R. (2006). Unconventional counter insurgency in Af–ghanistan. Retrieved online on August 23, 2012 from http://www.dtic.mil/cgi–bin/GetTRDoc?AD=ADA451756

Hafez, M. M. (2006). Dying to be martyrs: The symbolic dimension of suicide ter–rorism. In A. Pedahzur (Ed.), Root causes of suicide terrorism (pp. 54–80). New York: Routledge Taylor & Francis Group.

Hassan, R. (2008). Global rise of suicide terrorism: An overview. Asian Journal of Social Science, 36(2), 271–291

Hassan, R. (2009). What motivates the suicide bombers. Retrieved online on November 21, 2012, from Yale Global Online: http://yaleglobal.yale.edu/content/what–motivates–suicide–bombers–0

Hoffman, B., & McCormick, G. (2001). Terrorism, signaling, and suicide attack. Studies in Conflict and Terrorism, 27(4), 243–281.

International Crisis Group. (2006). Terrorism in Indonesia Noordin's network: Asia report No. 114–115 May 2006. Brussels & Jakarta: International Crisis Group.

Moghadam, A. (2006a). Defining suicide terrorism. In A. Pedahzur (Ed.), Root causes of suicide terrorism (pp. 13–21). New York: Routledge, Taylor & Francis Group.

DETERRING SUICIDE TERRORISM 255

Moghadam, A. (2006b). The roots of suicide terrorism: A multi causal approach. In A. Pedahzur (Ed.), Root causes of suicide terrorism (pp. 81–107). New York: Routledge Taylor & Francis Group.

Morral, A. R., & Jackson, B. A. (2009). Understanding the role of deterrance in counterterrorism security. Santa Monica, CA: RAND Corporation.

Nason, A. (2010). Deterrence and terrorism in the modern era. Retrieved on–line on October 05, 2012, from E–International Relations: http://www.e–ir.info/2010/05/24/deterrence–and–terrorism–in–the–modern–era/Pape, R. A. (2003). The strategic logic of suicide terrorism. American Political Science Review, 97(3), 1–19.

Pedhazur, A., & Perliger, A. (2006). Middle Eastern terrorism (roots of terrorism). New York: Chelsea House Publications.

Ross, J. I., & Gurr, T. R. (1989). Why terrorism subsides: A comparative study of Canada and the United States. Comparative Politics, 21(4), 405–426.

Sali, S. (2010). Deterring terrorists and deterring states: Fundamentally different tasks? Retrieved online on August 12, 2012, from E–International Relations: http://www.e–ir.info/2010/02/19/deterringterrorists–and–deterring–states–fun–damentally–different–tasks/Schachter, J. (2010). Unusually quiet: Is Isreal de–terring terrorism?

Strategic Assessment, INSS, Israel, 13(2), 19–27.

Schonhardt, S. (2012). Bali bombings: 10 years later, progress and some bumps ahead. Retrieved online on January 24, 2013, from Indonesia Digest: http://www.indonesia–digest.net/2700terrorism.htm

Sheehy–Skeffington, J. (2009). Social psychological motivations of suicide ter–rorism. Paper presented at the annual meeting of the ISPP 32nd Annual Scientific Meeting, Trinity College, Dublin, Ireland Online.

Retrieved online on August, 2012, from academic.com: http://www.allacademic.com/meta/p314683_in

Singh, D. (2009). Al–Qaeda as a charismatic phenomenon. Monterey, California, USA. Retrieved online on January 24, 2012, from Calhoun:

http://calhoun.nps.edu/public/bitstream/handle/10945/4735/09Jun_Singh.pdf?sequence=1

South Asian Terrorism Portal. (2012, November 11). Fidayeen (suicide squad) attacks in Pakistan. Retrieved from SATP: http://www.satp.org/satporgtp/coun–tries/pakistan/database/Fidayeenattack.htm

Tippet, M. D. (2009). Deterring terrorism: A framework for making retaliatory threats credible. Retrieved online on October 7, 2012, from Naval Post Graduate School Dudely Knox Library: http://edocs.nps.

edu/npspubs/scholarly/theses/2009/Dec/09Dec_Tippet.pdf

Trager, R. F., & Zagorcheva, D. P. (2005–2006). Deterring terrorism: It can be done. MIT Press Journals—International Security, 30(3), 87–123.

256 DUSHYANT SINGH

University of Chicago. (2011). Chicago project on security and terrorism. Retrieved online on November 18, 2012 from CPOST Suicide Attacks in India: http://cpost.uchicago.edu/index.php

USSTRATCOM. (2006). Deterrence operations joint operations concept version 2.0. Retrieved online on October 12, 2012, from Future Joint Warfare: www.dtic.mil/futurejointwarfare/concepts/do_joc_v20.doc

# عن المحررين والمشاركين

## المحررون

**أبدش كومار**، دكتوراه، وعالم (F) ورئيس قسم الصحة العقلية في معهد الدفاع للبحوث النفسية، منظمة تطوير البحوث الدفاعية (R & D)، وزارة الدفاع، دلهي، الهند. الدكتور كومار حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة البنجاب، شانديغار. مع أكثر من 23 عامًا من الخبرة عالمًا في منظمة تطوير البحوث الدفاعية (R & D)، وهو متخصص في مجال السلوك الانتحاري، وتقييم الشخصية، واختيار الموظفين، وقد وضع عددًا من الاختبارات النفسية وأدوات التقييم. كان كومار مقيّمًا نفسيًّا (عالم نفسي) في مجالس اختيار الخدمات المختلفة لمدة ثماني سنوات لاختيار الضباط في القوات المسلحة الهندية، وهو طبيب نفساني معتمد من قبل جمعية علم النفس البريطانية بمستوى (A) ومستوى الشهادة (B) من الكفاءة في اختبار المهنية. تحتسب له العديد من مشاريع البحوث المهمة المتعلقة بالقوات المسلحة، وقد حرر الدكتور كومار أربعة مجلدات نوعية عن التطورات الأخيرة في علم النفس، الإرشاد: نهج عملي، السلوك الانتحاري: تقييم الأشخاص المعرضين للخطر (منشورات سيج)، ومؤخرًا (مكافحة الإرهاب: الإستراتيجيات النفسية) التي نشرتها منشورات سيج، (علم النفس الإيجابي: تطبيقات في العمل، الصحة والرفاهية) تحت الطبع، منشورات بيرسون و(السلوك الانتحاري: الحيوية الكامنة وراءه) في الصحافة، روتليدج للنشر، UK).

**الدكتور كومار** قام بتأليف كرّاس حول (الانتحار وقتل الأخ: الديناميات والإدارة) لموظفي الدفاع، و(إدارة العواطف في الحياة اليومية وفي مكان العمل) لعامة السكان، و(التغلب على التقادم، وأن تصبح مبدعًا في بيئة البحوث والدفاع R & D) لمنظمات R & D، و(تقنيات المساعدة الذاتية في الإعدادات العسكرية). قام بتأليف أكثر من 50 مطبوعة أكاديمية على شكل أوراق بحثية ومقالات صحفية، وفصول كتب، ومثّل معهده على المستوى الوطني والدولي،

وتسلم جائزة مجموعة التكنولوجيا لمنظمات R & D (DRDO) في عام 2001 و2009، والجائزة التذكارية للأستاذ مانجو ثاكور 2009 من قبل الأكاديمية الهندية لعلم النفس (IAAP). وتباحث أيضًا مع DRDO لجائزة أفضل علم اتصالات شعبي 2009 من معالي وزير دفاع الهند، وجائزة DRDO ليوم التكنولوجيا 2012 من قبل فخامة المستشار العلمي لوزير الدفاع؛ الدكتور كومار منح مؤخرًا جائزة عالم السنة المرموقة من DRDO في عام 2013 من قبل حكومة الهند.

**ماناس ك. مندل**، دكتوراه، يعمل حاليًّا مديرًا عامًّا لـ (علم الحياة) ومنظمة الدفاع والتطوير (منظمة تطوير البحوث الدفاعية)، وزارة الدفاع في الحكومة الهندية، نيودلهي. حصل الدكتور مندل على درجات الدراسات العليا والدكتوراه من جامعة كالكوتا في عام 1979 و1984، على التوالي، وقد أنهى برنامجه بعد الدكتوراه في البحوث في جامعة دلوير (زميل فولبرايت)، الولايات المتحدة الأمريكية في 1986-1987 وفي جامعة واترلو (زميل شاستري و NSERC)، كندا 1993-1994. كان الدكتور مندل أستاذ علم النفس في قسم العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، بالمعهد الهندي للتكنولوجيا، خراجبور. وأستاذًا زائرًا في جامعة كيوشو، اليابان في عام 1997. خلال عام 2003، كان في فولبرايت محاضرًا زائرًا في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية. حصل على زمالات بحثية مختلفة وجوائز علمية مثل الجائزة الدولية للتبادل العلمي (كندا)، سيمور، كيتي غرانت (الولايات المتحدة الأمريكية). حاصل على أربع جوائز مرموقة من رئيس وزراء الهند، وجائزة العلماء الشباب (1986)، وجائزة اجنى للتميّز في الاعتماد على الذات (2005)، وجائزة عالم السنة (2006)، وجائزة التكنولوجيا العرضية (2007). الدكتور مندل يحسب له سبعة كتب، وأكثر من 100 ورقة بحثية / فصول نشرت في المجلات والكتب، ويشار إلى هذه البحوث في أكثر من 125 مجلة وكتاب دولي.

## المشاركون

**فرحانة علي Farhana Ali**، محللة في الإرهاب، وهي كاتبة، وتسعى وراء المتحدثين عن الصراعات في العالم الإسلامي، سافرت إلى جنوب آسيا لسنوات، وخاصة إلى باكستان لفهم تحديات السياسة الداخلية والخارجية في البلاد، وإضافة إلى خبرتها الإقليمية، فقد ركزت على

نشاط المرأة في الحركات الاجتماعية والسياسية الضخمة، والشبكات الإرهابية. واحدة من بين عدد قليل من العلماء الإناث، امرأة مسلمة فقط، تدرس عن كثب الإناث ذوات الاتجاه الانتحاري في العراق وغيرها من الصراعات. السيدة علي تظهر بانتظام في وسائل الإعلام المختلفة، بما في ذلك الإذاعة العالمية وراديو وتلفاز بي بي سي، وقناة CNN وأخبار العالم، الجزيرة الإنجليزية، وصوت أمريكا، والتلفاز الكندي، والإذاعة الوطنية العامة، وعلى البث التلفازي الأجنبي، وفي الصحف مثل أوروبا والشرق الأوسط وجنوب آسيا؛ السيدة علي محللة سياسية دولية سابقًا مع مؤسسة RAND (2005–2008)، والمحللة السياسية مع حكومة الولايات المتحدة (2000–2005)، وهي حاليًا زميل بارز في مركز للدراسات المتقدمة عن الإرهاب (CAST).

**مورغان بانكس Morgan Banks**، دكتوراه، طبيب نفساني، ومؤلف، وعقيد متقاعد من الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أمضى في الجيش 37 عامًا من الخدمة، وأكثر من 27 سنة من تلك السنوات في علم النفس السريري؛ شارك الدكتور بانكس في إنشاء برنامج الفحص النفسي لأفراد القوات الخاصة الأمريكية، وقبل تقاعده كان من كبار علماء علم النفس العملي في الجيش، وقد عمل الدكتور بانكس على نطاق واسع في مجال مكافحة الإرهاب المنتشر في كل من أفغانستان والعراق، وهو مؤلف أو شارك في تأليف عدة فصول من كتاب علم النفس العملاني.

**أنات بيركو Anat Berko**، دكتوراه، زميلة بحوث في معهد مكافحة الإرهاب الدولي (ICT)، ومحاضرة في كلية لودر عن الحكومة والدبلوماسية والأمن في مركز التخصصات المتعددة (IDC) في هيرزليا، إسرائيل. بحوثها تركز على الإرهاب، وخاصة التفجيرات الانتحارية ومدربوها، وأجرت دراسات لفريق مكافحة الإرهاب في إسرائيل ومجلس الأمن القومي الإسرائيلي، وهي بمثابة مستشار لكبار المسؤولين الحكوميين. كانت الدكتورة بيركو أستاذًا زائرًا في جامعة جورج واشنطن، وقدمت محاضرات حول مختلف جوانب مكافحة الإرهاب في منظمة حلف شمال الأطلسي، والكونجرس الأمريكي ووزارة الخارجية، ومكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI)، والقوات العسكرية، والجامعات المختلفة. في كثير من الأحيان تظهر على وسائل الإعلام الدولية، وتعلق على حوادث الإرهاب في جميع أنحاء العالم. حصلت الدكتورة بيركو شهادة الدكتوراه في علم الجريمة من جامعة بار إيلان، وهي مؤلفة لكتابين: الطريق إلى الجنة، والقنبلة

أكثر ذكاء، فضلًا عن العديد من المقالات في المجلات العلمية. حتى عام 2003، عملت في قوات الدفاع الإسرائيلية، حيث وصلت إلى رتبة مقدم.

**لوري بلاك Laurie Black**، حاصلة على ماجستير حاليًّا، ومرشحة للدكتوراه في علم النفس السريري في جامعة بالو ألتو (بو)، حيث نالت الماجستير في علم النفس السريري، وهي عضو من حالات الطوارئ الطبية ومجموعة بحوث الأزمات في بو بقيادة الدكتور بروس بونغار، وتشمل اهتماماتها البحثية دراسة الانتحار المسلح، وممارسات تقييم خطر الانتحار، والصدمات النفسية والمرونة بصفتها نتائج أحداث كارثية؛ تشارك في البحث داخل نظام الرعاية الصحية وشؤون المحاربين القدامى، وتركز على تحسين حياة المحاربين القدامى في التحقيقات التي تنشرها عن الضغوطات المرتبطة بالحرب، فضلًا عن البحوث التي من شأنها أن تسهم في تحسين تشخيص وعلاج المحاربين القدامى الذين يعانون اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، وإصابات في الدماغ (TBI).

**بروس بونغار Bruce Bongar**، دكتوراه، ABPP، FAPM، أستاذ كالفين لعلم النفس في جامعة بالو ألتو، وأستاذ استشارات الطب النفسي والعلوم السلوكية في كلية الطب بجامعة ستانفورد؛ حصل الدكتور بونغار على شهادة الدكتوراه من جامعة جنوب كاليفورنيا؛ عمل سابقًا في الخدمة بصفته كبير علماء النفس السريرين وفي شعبة الطب النفسي، وفي مستشفى الأطفال في لوس أنجلوس، وفي مجمع الصحة العقلية بصفته كبير علماء النفس السريرين مع فريق الطوارئ للأمراض النفسية في مقاطعة لوس أنجلوس وزارة الصحة العقلية، وهو رئيس سابق لقسم الأزمات السريرية والطوارئ في شعبة علم النفس السريري في جمعية علم النفس الأميركية، وأيضًا هو الفائز في كل من شنيدمان ودبلن بجوائز للمساهمات المهنية المتميزة في بحوث الانتحار من الجمعية الأمريكية لعلم نفس الانتحاري؛ أصبح منذ عام 2001، مهتمًّا أيضًا في علم نفس الإصابات الجماعية جراء الأحداث والإرهاب الانتحاري.

**مارك ديتشيسني Mark Dechesne** حصل على شهادة الدكتوراه (مع مرتبة الشرف) في عام 2001 عن آثار الخوف على السلوك الاجتماعي، وقد ركزت بحوثه اللاحقة على نحو متزايد على دوافع الإرهابيين، وعمل المنظمات الإرهابية، وردود الفعل على الإرهاب؛ من أوائل عام

2006 حتى سبتمبر 2008، كان يعمل في وزارة الأمن الداخلي (DHS) مركز التميز NC–START (الاتحاد الوطني لدراسة الإرهاب والردود على الإرهاب) في جامعة ميريلاند في الولايات المتحدة. في عام 2008، ارتبط بحرم جامعة ليدن، لاهاي، وهو مساهم متكرر في مناقشات الجمهور والسياسة حول القضايا المتعلقة بالإرهاب ومكافحة الإرهاب، وخدم في هيئة تحرير مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي: اتجاهات الإدراك الاجتماعي، والعلاقات الشخصية ومجموعة العمليات.

**إدنا إيرز Edna Erez** أستاذة في قسم علم الجريمة والقانون والعدل في جامعة إلينوي في شيكاغو؛ لديها L. L. B. من كلية الحقوق في الجامعة العبرية، وماجستير في علم الجريمة والدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة ولاية بنسلفانيا؛ تلقت الأستاذة إيريز نحو مليوني دولار من المنح الحكومية والاتحادية في الولايات المتحدة والخارج؛ لدراسة مختلف الموضوعات المتعلقة بالإيذاء ونظام العدالة؛ كانت أستاذة زائرة وزميل بحوث في الجامعات ومراكز البحوث في أستراليا، وألمانيا، وبولندا، وإسرائيل؛ أما سجل النشر لديها فيشمل أكثر من 100 مقالة مرجعية وفصول الكتب، وتقارير ضخمة؛ محررة سابقة في العدل الفصلية، وحاليًّا تعمل محررة مشاركة في المجلة الدولية للدراسات المتعلقة بالضحايا وضحايا العنف، فضلًا عن أنها عضو في هيئة تحرير عدة مجلات أخرى في علم الإجرام والدراسات القانونية، وتشمل مجالات بحوثها العنف ضد المرأة، وضحايا الجريمة العابرة للحدود الوطنية، واستخدام شبكة الإنترنت للأنشطة الجهادية، والمرأة في مجال الجريمة والإرهاب.

**رياض حسن Riaz Hassan**، دكتوراه، أستاذ بحوث زائر في معهد دراسات جنوب آسيا، جامعة سنغافورة الوطنية، وأستاذ فخري في علم الاجتماع في جامعة فلندرز، أديلايد، أستراليا. تشمل مؤلفاته الأخيرة: **التفجيرات الانتحارية** (روتليدج، 2011) (Routledge, 2011)، **الحياة كسلاح: البزوغ العالمي للتفجيرات الانتحارية** (روتليدج، 2010) (Routledge, 2010)، **وداخل عقول المسلمين** (ملبورن جامعة أكسفورد، 2008) (Melbourne University Press, 2008)، **وخطوط الإيمان: مفاهيم المسلمين للإسلام والمجتمع** (منشورات جامعة أكسفورد، 2003)

(Oxford University Press, 2003)؛ وهو زميل أكاديمية العلوم الاجتماعية في أستراليا وعضو في النظام في أستراليا.

**شويلر وهندرسون Schuyler W. Henderson** معاون مدير التدريب، جامعة نيويورك قسم الطب النفسي للأطفال والمراهقين، جامعة كولومبيا، نيويورك. أمضى شويلر سنوات عدة من العمل في الهند ورومانيا ومع مجتمعات اللاجئين في شيكاغو، ودرس في كلية الطب بجامعة إلينوي؛ أكمل تدريبه في طب الأطفال في جامعة ييل، ثم انتقل إلى جامعة نيويورك / بلفيو للإقامة في الطب النفسي للبالغين، ثم زمالة في الأطفال والمراهقين، الطب النفسي في جامعة كولومبيا، حيث أنهى أيضًا زمالة ما بعد الدكتوراه في الطب النفسي العام للأطفال، وحصل على شهادة الماجستير في الصحة العامة، وقد نشر بحوثًا في مجلة الأدب والطب ومجلة العلوم الإنسانية الطبية، وكذلك مقطوعات قصيرة، وراجع كتبًا لمجلات أخرى، بما في ذلك مجلة الجمعية الطبية الأمريكية، نيو إنغلاند جورنال أوف ميديسين، والطب الأكاديمي، وقد نشر فصولًا في ثلاثة كتب، متحدثًا عن شكل الحالة في الطب النفسي لدى الأطفال والمراهقين وبحوث الصحة النفسية للصدمة، ومسألة المقاومة والتحدي في السرديات الطبية، وكان مساعد المحرر الافتتاحي جون ف. ماكديرموت المقيم في **مجلة الأكاديمية الأمريكية للطب النفسي للأطفال والمراهقين**.

**لويس دي لا كورت إيبانييس Luis de la Corte Ibáñez**، دكتوراه، أستاذ في قسم علم النفس الاجتماعي وعلم المناهج في جامعة مدريد المستقلة، إسبانيا، وعضو مجلس إدارة معهد الطب الشرعي والأمن في الجامعة نفسها؛ له موضوعات بحثية رئيسة هي الإرهاب والعنف السياسي، والجريمة المنظمة، وهو مؤلف العديد من البحوث والفصول الأكاديمية والعديد من الكتب حول تلك الموضوعات. بدوره، هو جزء من هيئة تحرير مجلة بحوث الإرهاب، وتشمل مؤلفاته (منطق الإرهاب، 2006، إليانزا التحرير)، (**الجهاد الإرهابي**، بالاشتراك مع البروفيسور خافيير جوردان، 2007، سينتيسيس) **(Javier Jordán, 2007, Síntesis)**، و (Crime. org) **التطور والمفتاح الرئيس للجريمة المنظمة** Evolución y claves de la delincuencia organizada, 2010 (crimen. org) التحرير أربيل).

**لاري جيمس Larry James**، دكتوراه، طبيب نفساني، مؤلف، وعقيد سابق في جيش الولايات المتحدة؛ الدكتور جيمس معروف لكونه خدم في قوة المهام المشتركة في غوانتانامو في عام 2003، بصفة كبير الأطباء النفسيين، وفي سجن أبو غريب في عام 2004 رئيسا نفسانيا؛ الدكتور جيمس حاليًا، عميد كلية علم النفس في جامعة ولاية رايت في دايتون بولاية أوهايو، وتشمل اهتمامات الدكتور جيمس بحوث علم النفس العسكري، وتطوير الخدمات السلوكية في الرعاية الصحية الأولية، والسمنة واضطرابات الأكل، وهو أيضًا خبير في الحرب العالمية على الإرهاب.

**فيكتوريا كندريك Victoria Kendrick** تتابع حاليًا شهادة الدكتوراه في علم النفس السريري مع التركيز على علم النفس الشرعي في جامعة بالو ألتو في بالو ألتو، كاليفورنيا. مناطق اهتمام بحث فيكتوريا الرئيسة هي البحوث السريرية، وتشمل حالات الطوارئ بما في ذلك الانتحار الإرهابي، فضلًا عن البحوث على إعادة تأهيل مرتكبي جرائم العنف؛ وعلى وجه التحديد، فيكتوريا مهتمة بمرض عقلي خطير (SMI) ضمن نزلاء السجون، وكيف أن التفكير الانتحاري يرتبط بمعدلات نكوص الجاني، فضلًا عن إمكانية إعادة التأهيل.

**أوري كوغل Uri Kugel** ماجستير، طالب دكتوراه في علم النفس السريري في جامعة بالو ألتو في بالو ألتو، كاليفورنيا؛ حصل أوري على ماجستير في علم النفس السريري من جامعة ليدن في هولندا، وهو عضو حالات الطوارئ الطبية ومجموعة بحوث الأزمات في بو برئاسة الدكتور بروس بونغار؛ وتشمل اهتماماته البحثية الرئيسة حالات الطوارئ الطبية والانتحار في الجيش الأمريكي، وفي أوساط السكان المخضرمين في الولايات المتحدة، والإرهاب الانتحاري، وبالإضافة إلى ذلك، أوري يقدم بحوثًا في مجال تقييم الإنترنت، وقائمة الأدلة، والذكاء الاصطناعي الموجه سريريًا.

**جيمس ر. ليدل James R. Liddle** طالب دكتوراه في برنامج علم النفس التطوري في جامعة فلوريدا أتلانتيك، وهو عضو مختبر الدكتور ديفيد ف. بجوركلوند للتطور التنموي لعلم النفس، ويقدم له النصح من قبل الدكتور تود ك. شاكلفورد في جامعة أوكلاند؛ تتركز اهتماماته البحثية

في المقام الأول على أصل وتطور النظم العقائدية الدينية، فضلًا عن المعتقدات الخرافية، وهو حاليًّا يقوم بالتحقيق في العوامل الاجتماعية التي تؤثر في التدين.

**جوناثان ماتوسيتز Jonathan Matusitz**، دكتوراه، وأستاذ مشارك في كلية نيكلسون للاتصالات في جامعة فلوريدا المركزية (UCF)، وتشمل اهتماماته الأكاديمية دراسة العولمة والإرهاب والثقافة والتكنولوجيا والاتصالات والصحة، والشبكات الاجتماعية، وينصب التركيز لديه بوجه خاص على التهديد الذي تشكله الجماعات الإرهابية في الحضارة الغربية؛ محور آخر من بحثه هو (Wal–Martization and the Disneyfication of the world)، وله أكثر من 95 من المنشورات الأكاديمية له، وشارك في أكثر من 100 مؤتمر، درَّس الدكتور ماتوسيتز في قاعدة عسكرية تابعة للناتو في بلجيكا في عام 2010، وفي عام 2012، تم تكريمه بجائزة التدريس المرموقة من قبل كلية العلوم في UCF جامعة فلوريدا المركزية

**سواتي موخرجي Swati Mukherjee**؛ عالمة ومدرسة في معهد الدفاع للبحوث النفسية (DIPR)، دلهي؛ حصلت على شهادة ماجستير فلسفة من جامعة دلهي؛ وعلى الميداليات الذهبية قبل وبعد تخرجها من الجامعة في علم النفس التطبيقي؛ تشارك في العديد من المشاريع البحثية الرئيسة للمعهد؛ لديها عدد قليل من المنشورات على شكل مقالات في المجلات العلمية وفصول من الكتب؛ محررة مشاركة في وحدة التخزين لأحدث التطورات في علم النفس، وشاركت في تأليف **دليل الانتحار وقتل الأخ: الديناميات والإدارة** لأفراد القوات المسلحة، وكراس **كيف تتغلب على التقادم وتصبح مبدعا في بيئة R & D لمنظمات R & D**؛ مجالات اهتمامها هي علم النفس الاجتماعي والممارسات الإيجابية للصحة العقلية؛ استلمت جائزة أفضل أداء من بحوث الدفاع ومنظمة التنمية (منظمة تطوير البحوث الدفاعية) في عام 2008، وتسعى حاليًّا في بحثها لنيل الدكتوراه من معهد تاتا للعلوم الاجتماعية، مومباي.

**جيرولد م. بوست Jerrold M. Post**؛ دكتوراه في الطب، أستاذ الطب النفسي، علم النفس السياسي والشؤون الدولية ومدير برنامج علم النفس السياسي في جامعة جورج واشنطن؛ كرَّس الدكتور آخر حياته في مجال علم النفس السياسي؛ جاء الدكتور بوست إلى جورج واشنطن بعد مسيرة استمرت 21 عامًا مع وكالة المخابرات المركزية، حيث كان المدير المؤسس لمركز تحليل

الشخصية والسلوك السياسي؛ دشن برنامج الحكومة الأمريكية لفهم سيكولوجية الإرهاب؛ شغل منصب شاهد خبير في خمس محاكمات إرهاب، ومنذ 11/9، أدلى بشهادته عن سيكولوجيا الإرهاب أمام مجلس الشيوخ، ومجلس النواب، والأمم المتحدة؛ ترأس اللجنة حول الجذور النفسية للإرهاب في المؤتمر الدولي للديموقراطية والإرهاب، والأمن في 2005. وهو مؤلف كتاب **العقل الإرهابي: علم نفس الإرهاب من الجيش الجمهوري الإيرلندي لتنظيم القاعدة.**

**تود ك. شاكلفورد Todd K. Shackelford** دكتوراه في علم النفس التطوري في عام 1997 من جامعة تكساس، أوستن، ودرجة الماجستير في علم النفس من جامعة ميشيغان في عام 1995، وهو أستاذ ورئيس قسم علم النفس في جامعة أوكلاند، حيث يعمل مديرًا لمختبر علم النفس التطوري، وقد نشر أكثر من 250 مقالة وفصولًا في مجلدات محررة، وشارك في تحرير 10 مجلدات؛ الكثير من البحوث لشاكلفورد تتناول الصراع الجنسي بين الرجال والنساء، مع التركيز بشكل خاص على اختبار الفروض المستمدة من نظرية المنافسة للحيوانات المنوية؛ منذ عام 2006، خدم شاكلفورد محررًا في علم النفس التطوري.

**ستيفن شانفيلد Stephen Shanfield**؛ دكتوراه في الطب وهو أستاذ فخري في جامعة تكساس مركز العلوم الصحية في سان أنطونيو (UTHSCSA) وأستاذ الطب النفسي؛ تخرج الدكتور شانفيلد في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس (UCLA)، وحصل على الدكتوراه في كلية كيك للطب، جامعة جنوب كاليفورنيا؛ تولى التدريب في مجال الطب النفسي في كلية الطب جامعة ييل؛ حيث كان أيضًا زميلًا في الطب النفسي الاجتماعي والجماعي؛ وبعد الخدمة العسكرية في مركز قاعة يلفورد USAF المركز الطبي في سان أنطونيو، انضم الدكتور شانفيلد لهيئة التدريس في كلية الطب في جامعة أريزونا؛ حيث ترقى إلى رتبة أستاذ.

**إلفين شيخاني Elvin Sheykhani** طالبة درجة الدكتوراه في علم النفس السريري في جامعة بالو ألتو في بالو ألتو، كاليفورنيا، وتشمل اهتماماتها البحثية الرئيسة إدارة الأزمات وعلم النفس العسكري؛ ترغب إلفين في العمل مع السكان المخضرمين في الولايات المتحدة، في مجال الوقاية من الانتحار داخل الخدمة الفعلية وأفراد الاحتياط؛ لها بحوث في الوقاية من الانتحار في الجيش الأمريكي وتقييم موظفي العمليات الخاصة.

**اللواء دوشيانت سينغ Major General Dushyant Singh** يخدم في الجيش الهندي منذ ديسمبر كانون الأول عام 1981؛ لديه تجربة غنية في مجالات العمليات العسكرية، بما في ذلك إجراء عمليات مكافحة الإرهاب ضد الإسلاميين، والشيوعيين، والجماعات الإرهابية الانفصالية في الهند، بما في ذلك الحيازة لمدة سنة في الأمم المتحدة كما في العسكرية؛ مراقب لمراقبة الحرب الأهلية وآلية معاهدة السلام في ليبيريا أفريقيا؛ لديه مهنة سجل مميز مع درجة الماجستير في الدراسات الدفاعية من جامعة مدراس، وماجستير في الإدارة من الجامعة العثمانية، وماجستير في تحليل الدفاع مع التخصص في العمليات الإرهابية والتمويل من الكلية البحرية للدراسات العليا، مونتيري، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية؛ أطروحته في NPS، مونتيري كاليفورنيا تناولت نظريات مختلفة من الكاريزما واستغلالها لتسهيل قطع الرأس في وقت مبكر من الحركة الإرهابية، وقد نشر عددًا من المقالات التي تتناول تنمية الموارد البشرية، وعمليات مكافحة الإرهاب والعمليات العسكرية في مختلف المجلات المهنية من قوات الدفاع الهندية، وقد عالج أيضًا عمليات مكافحة الإرهاب على المستويات الإستراتيجية والعملانية في مؤسسة النخبة المضادة للإرهاب.

**آن سبيكهارد Anne Speckhard**، دكتوراه، وأستاذة مشاركة ومساعدة للطب النفسي في جامعة جورج تاون الطبية؛ الدكتورة سبيكهارد العاملة في مجال اضطراب ما بعد الصدمة منذ الثمانينيات 1980، ولديها خبرة واسعة في العمل في أوروبا والشرق الأوسط، والاتحاد السوفياتي السابق؛ قدمت الاستشارات إلى الحكومات الأوروبية والشرق أوسطية وكذلك وزارة الدفاع الأمريكية (وزارة الدفاع)، فيما يتعلق ببرامج للوقاية وإعادة تأهيل الأفراد الملتزمين بالعنف السياسي والجهاد المسلح؛ في 2006- 2007، عملت مع وزارة الدفاع الأمريكية لتصميم واختبار تجريبي لبرنامج إعادة تأهيل المعتقلين في العراق؛ منذ عام 2002، جمعت أكثر من 400 مقابلة بحثية من أفراد الأسرة والأصدقاء، والرهائن والمقربين من الإرهابيين والمتطرفين في فلسطين وإسرائيل والعراق، ولبنان، والمغرب، والأردن، وروسيا، والشيشان، وروسيا البيضاء، وهولندا، والمملكة المتحدة، وبلجيكا، وفرنسا؛ الدكتورة سبيكهارد تقدم الاستشارات للحكومات، وتلقي المحاضرات لخبراء الأمن في جميع أنحاء العالم.

**جوزيف توملينس Joseph Tomlins** حصل على درجة الدكتوراه في علم النفس السريري في جامعة بالو ألتو في بالو ألتو، كاليفورنيا؛ تتركز بحوث جوزيف حاليًّا على طب الطوارئ السريري، وضمن هذا المجال، يركز على قضايا تقييم مخاطر الانتحار في الجيش الأمريكي، والإرهاب الانتحاري، والمثلية؛ مثلي الجنس، والمخنثين، والمتحولين جنسيًّا (LGBT)؛ جوزيف لديه خبرة بحثية في فاعلية التعرض، والاسترخاء، وإعادة البرمجة والعلاج (ERRT) في تجربة سريرية عشوائية لعلاج كوابيس ما بعد الصدمة؛ بالإضافة إلى ذلك، فقد بحث كارثة المستجيبين للصحة العقلية ومشاعرهم بالتفاؤل، والتعامل، واستعدادهم لعمليات النشر المستقبلية.

**جيف فيكتوروف Jeff Victoroff** نال شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية من جامعة شيكاغو، وحصل على دكتوراه في الطب مع مرتبة الشرف من جامعة كيس ويسترن ريزيرف كلية الطب؛ بعد الإقامات في كل من علم الأعصاب والطب النفسي في برامج مستشفى هارفارد، أكمل الزمالة في السلوك العصبي في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس (UCLA)، ومنذ ذلك الحين وهو في جامعة جنوب كاليفورنيا، كلية كيك للطب؛ حيث يشغل الآن منصب أستاذ مساعد في علم الأعصاب السريري والطب النفسي؛ مهتم بالعدوان البشري، وخاصة بالأسباب الجذرية للعنف السياسي؛ بالإضافة إلى دراسته لقواعد السلوك العصبي للسلوك العنيف، حرر كتابين عن سيكولوجية الإرهاب، ويعمل ضمن قائمة الأمم المتحدة لخبراء الإرهاب، وينصح وكالات حكومة الولايات المتحدة، ويجري دراسات تجريبية على علم النفس الاجتماعي للإرهاب.

**ستيفانويني Stevan Weine** أستاذ الطب النفسي ومدير المركز الدولي للردود على الكوارث في جامعة إلينوي في شيكاغو، ويركز عمله العلمي على الأبعاد الشخصية والعائلية والاجتماعية والثقافية والتاريخية للصدمة والهجرة؛ في عام 1999، حصل على جائزة العلماء الوظيفية من المعهد الوطني للصحة العقلية على (خدمات البحوث مع عائلات اللاجئين)، والذي أجرى فيه الأثنوجرافيا لمراهقي البوسنة وأسرهم، وكان الباحث الرئيس في الدراسة البحثية الممولة من المعهد الوطني للصحة العقلية التي تسمى (التدخل في مجال الوقاية والوصول إلى الأسر الناجية)، التي تقوم بالتحقيق في مجال التربية الأسرية ودعم الأسر، بما في ذلك أسر البوسنة وكوسوفو في شيكاغو؛ ويني مؤلف لكتابين؛ **عندما يكون التاريخ هو**

**الكابوس: حياة وذكريات التطهير العرقي في البوسنة والهرسك** (روتجرز، 1999) (Rutgers, 1999)، وقد اعتمد فيه على الروايات الشفوية للناجين من الحرب؛ و**الشهادة والنكبة: سرد صدمات العنف السياسي** (نورث وسترن، 2006) (Northwestern, 2006)، وهو تحقيق في سرد شهادات متنوعة، من خلال أربعة حوادث اجتماعية تاريخية مختلفة من العنف السياسي في القرن العشرين.